

مركز تحقيق التراث

نهاية تراجم العرب

في

فنون الكتاب

معين التار^جيح
لأهل التار^جيح تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

٦٧٧ - ٧٣٣ هـ

الجزء الثلاثون

مراجعة

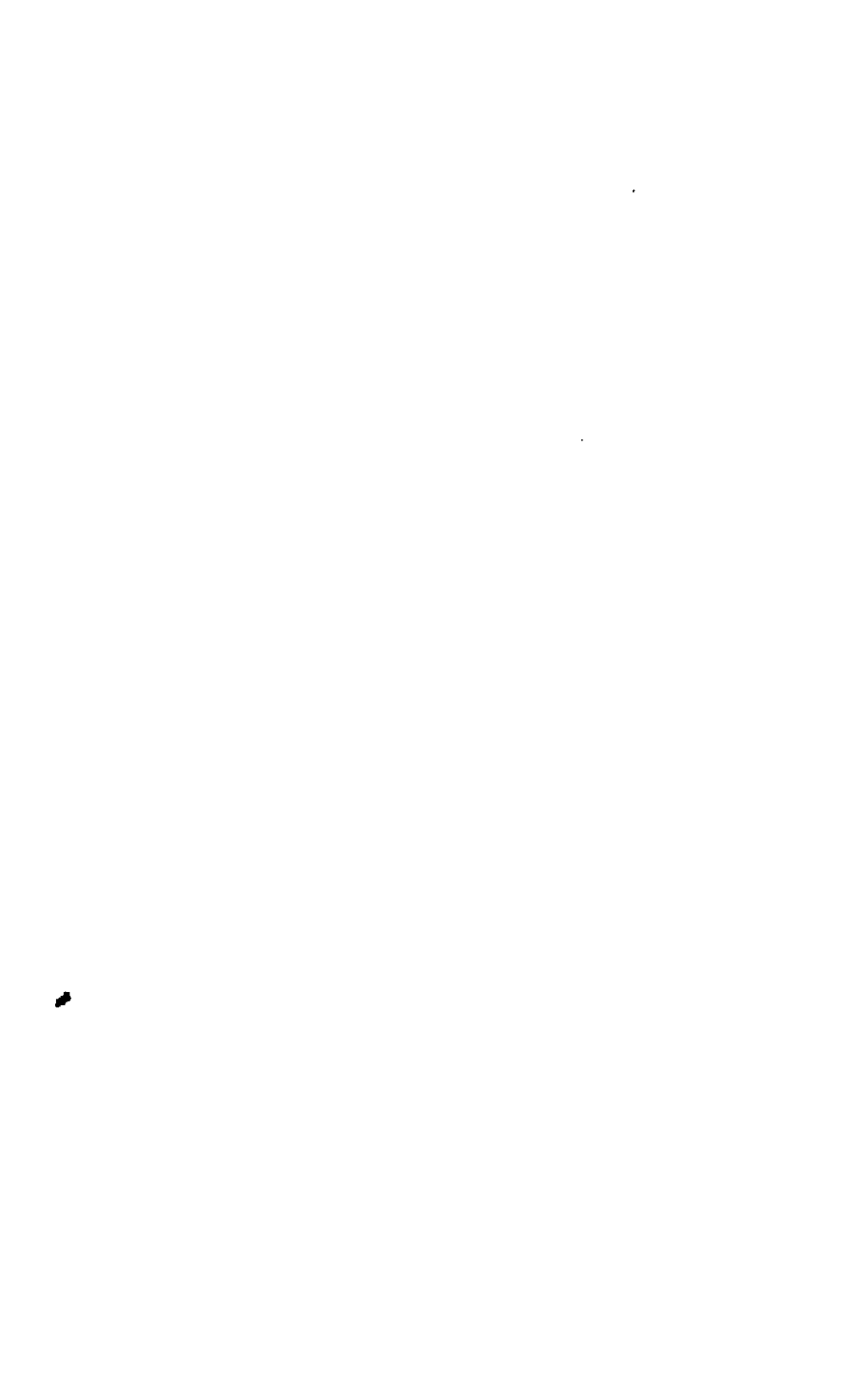
د. محمد مصطفى زيادة

تحقيق

د. محمد عبد الهادي شعيرة



١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م



أشرف على الطبع والتصحيح

أحمد صلاح زكريا

الباحث الأول بمركز تحقيق التراث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

هذا هو الجزء الثلاثون من نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري ، وهو يقابل الجزء الثامن والعشرين بتقسيم المؤلف .

ويبدأ هذا الجزء بذكر أخبار السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحى (سنة ثمان وخمسين وصمائة) وينتهى بذكر وصول السلطان الملك السعيد ناصر الدين إلى قلعة الجبل ، وما كان من أمره إلى أن انخلع من السلطنة ، وتولية أخيه السلطان الملك العادل بدر الدين سلامش من بعده ، إلى أن تم خلعهم (سنة ثمان وسبعين وصمائة) .

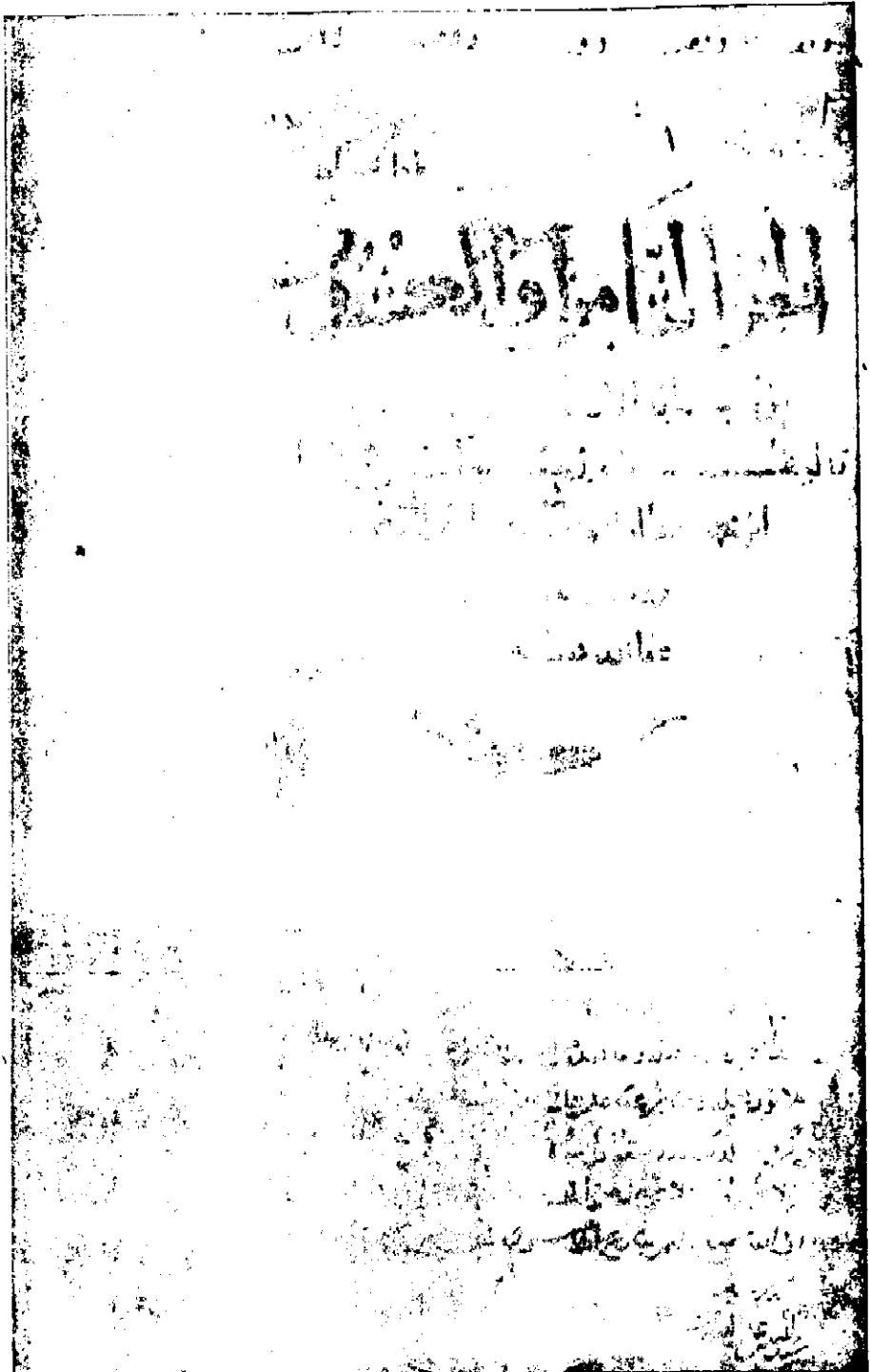
وقد اعتمد المحقق والمراجع — رحمهما الله — في تحقيق هذا الجزء على نسختين :

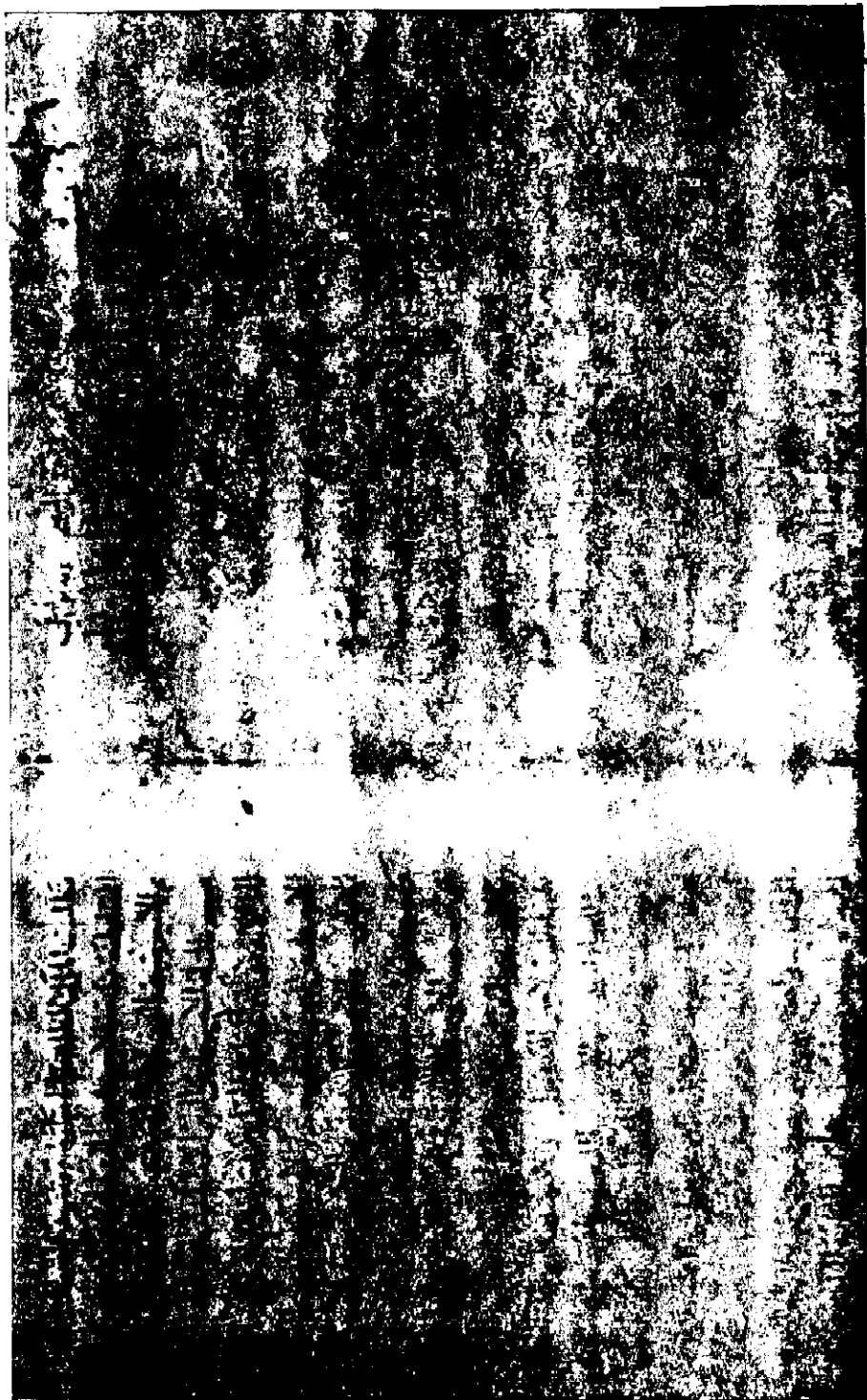
الأولى : نسخة أيا صوفيا وهي نسخة مصورة محفوظة بدار الكتب تحت رقم ٥٥١ معارف عامة وقد رمز لها بالحرف (ا) واعتبرت أصلا .

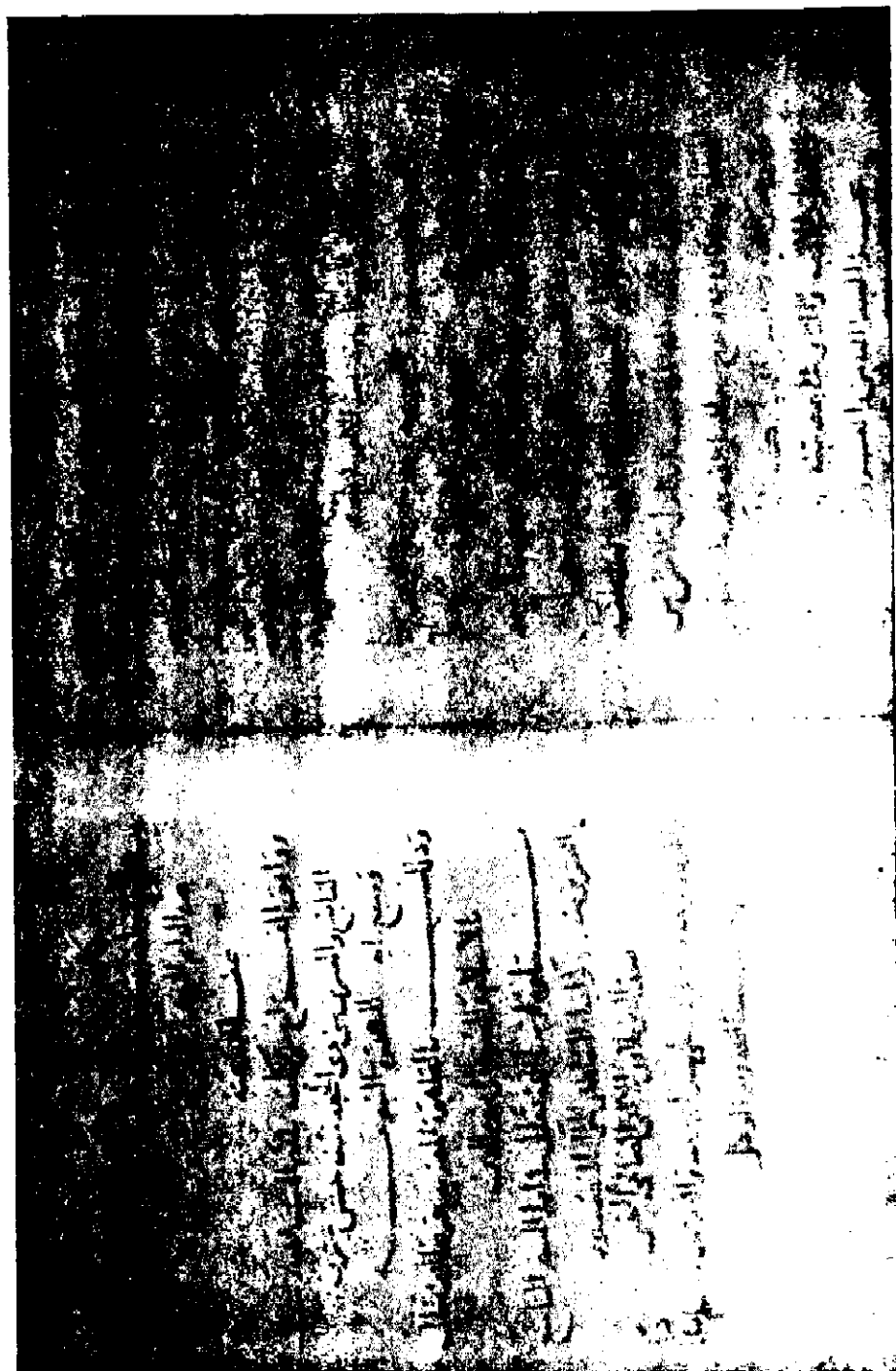
الثانية : نسخة كوبريلى وهي نسخة مصورة محفوظة بدار الكتب تحت رقم ٥٤٩ معارف عامة وقد رمز لها بالحرف (س) .

نسأل الله التوفيق والسداد

مركز تحقيق التراث







١٣٣١ تقم القى الى س (١٧) الى س (١٨) تقم القى الى س (١٩) تقم القى الى س (٢٠)
 عشر من القى الى س (٢١) الى س (٢٢) احبار الديار المصرية (٢٣)
 (٢٤) تقم ذكر احبار دولة الترك (٢٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه توفيق

{١٥} [سنة ثمان وخمسين وستمائة] {١٦}

ذكر أخبار السلطان الملك الظاهر

ركن الدين بيبرس الصالحى

وهو الرابع من ملوك دولة الترك بالديار المصرية المحروسة ، وهو تركى المجلس
 من قبيلة البرلى ، ملك الديار المصرية والبلاد الشامية فى يوم السبت المبارك
 الخامس عشر من ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة ، وكان ذلك بمنزلة
 القصير من منازل الرمل ، فى اليوم الذى قتل فيه السلطان الملك المظفر سيف الدين
 قطز المعزى .

وذلك أنه لما قتل الملك المظفر ساق الأمراء إلى الدهليز وزلوا به ، وجلسوا
 كلهم دون طراحة السلطنة ، وتشااوروا فيمن يملكونه عليهم ، فوقع اختيارهم
 عليه . ويقال إن الأمير فارس الدين أقطاي المستعرب الصالحى الأتابك قال فى
 ذلك المجلس : « ينبغي ألا يلى السلطنة إلا من خاطر بنفسه فى قتل السلطان
 وأقدم على هذا الأمر العظيم » فقال الملك الظاهر : « أنا قتله » ووثب وجلس

(١) المقصود قصير الصالحية ، وهو على مرحلة من مدينتي الصالحية الحالية واسمها اليوم قرية
 الجعايزة بمركز قاخوس ، راجع النجوم (٧ ص ١٠١ و ١٢ ص ١٥) .

(٢) فى الأصل ، وفى نسخة (س) : يملكونه .

على طراحة السلطنة ، فبايعة الأمير فارس الدين المذكور ، وحلف له ، ثم الأمير سيف الدين بلبان الرشيدى ، ثم الأمراء على طبقاتهم . ثم قال له الأمير فارس الدين الأتابك : « إن السلطنة لا تتم لك إلا بدخولك إلى قلعة الجبل » ، فركب لوقته ، وركب معه الأمير فارس الدين الأتابك ، والأمير سيف الدين قلاوون الألفى ، والأمير بدر الدين بيسرى الشمعى ، ومماليكه وخواصه .

وتوجه [بيسرى] إلى قلعة الجبل ، ورتب في مسيره إليها أرباب الوظائف : فرتب الأمير جمال الدين أفش النجيبى الصالحى استاد داراً^(١) ، والأمير عز الدين أيبك الأقرم الصالحى أمير جانداز ، والأمير حسام الدين لاجين الدريفيل ، والأمير سيف الدين بلبان الرومى فى الدواذارية ، والأمير بهاء الدين أمير آخور على عادته . ولفيه فى طريقه الأمير عز الدين إيدمر الحلى ، وكان ينوب عن الملك المظفر بقلعة الجبل ، وقد خرج لتلقيه ، فأعلمه الملك الظاهر بما اتفق ، ومرض عليه أن يحلف ، ثم تقدم [إيدمر] إلى القلعة واجتمع بمن بها ، ووعدهم من السلطان المواعيد الجميلة فأجابوه ، ولم يزل على باب القلعة إلى أن وصل السلطان إليها ، فدخلها ليلاً وتسلمها .

ويقال إنه لما ملك [بيسرى] تلقب بالملك القاهر ووصل إلى قلعة الجبل ولقبه ذلك ، فأشار الصاحب زين الدين بن الزبير بتغيير هذا اللقب ، وقال إنه ما لقب به أحد فأفلق : لقب به القاهر بن المعتضد فلم تطل أيامه وخلع وسمل .

(١) هذا الضبط منقول من السلك (ج ١ ص ٤٠٥) .

(٢) كذلك فى الأصل بغير ضبط أما صاحب النجوم (ج ٧ ص ١٥٥) فإنه يرمم الاسم بالواو (أعوش) .

(٣) كذلك فى الأصل دانما .

ولقب به الظاهر صاحب الموصل فعم . فنقل السلطان لقبه إلى الملك الظاهر والله أعلم .

قال المؤرخ^(١) وكانت القاهرة ومصر قد زينا لقدم الملك المظفر ، والناس في سرور لمقدمه إثر هذا النصر العظيم^(٢) ، فلم يرعهم إلا ومناد ينادى : « معشر الناس ، رحمكم الله ، ترحوا على الملك المظفر ، وادعوا لسلطانكم الملك الظاهر ركن الدين » فوجم الناس لذلك ، وتألموا خوفا من شدة البحرية وما كانوا يتمدونه من الظلم والسلطنة في غيرهم ، فكيف وقد صارت فيهم ، فعاملهم السلطان بما صرهم به ، وهو أن الملك المظفر كان قد جدد على الناس^(٣) حوادث في سنة ثمان وخمسين وستمائة : منها تصقيع الأملاك وتقويمها وأخذ زكاتها ، وأخذ ثلث الترك الأهلية ، ومضاعفة الزكاة ، وجباية الدينار من كل إنسان ، ومبلغ ذلك ستمائة ألف دينار . فأبطل السلطان [بيبرس] ذلك ، وكتب به توقيعا قرئ على المنابر ، فطابت قلوب الناس .

قال : ولما أصبح السلطان [بيبرس] في يوم الأحد جلس بالإيوان بقلمة الجبل وحلف العساكر لنفسه ، واستناب مملوكه الأمير بدر الدين يليك الخزندار^(٤)

(١) المؤرخ المقصود هنا هو يحيى الدين بن عبد الظاهر مؤلف السيرة الظاهرية برغم عدم ذكر اسمه ذلك أن النويري ينقل عن هذه السيرة الظاهرية دون التقيد باللفظ حتى إذا نقل عن غيرها نبه إلى ذلك .

(٢) الإشارة هنا إلى وقعة عين جالوت .

(٣) في الأصل « كأنه » وما هنا من النسخة « من » .

(٤) الحوادث هنا بمعنى الضرائب الطارئة (انظر دوي) .

(٥) كما في الأصل دائما .

وأقر الأمير فارس الدين أقطاي المستعرب في الأتابكية .

وكانب الملوك والنواب والأمراء بالمالك الشامية ينجزهم بما جده الله تعالى
له من أمر السلطنة ، ويطلب منهم بذل الطاعة والموافقة .

واستهلكت سنة تسع وخمسين وثمانمائة

في هذه [السنة] كان للسلطان في ابتداء سلطته أخبار متشعبة متباينة : منها ما هو في حضرته بمقر ملكه بالديار المصرية ، ومنها ما هو بدمشق ، ومنها ما هو بحلب ، وكل ذلك في هذه السنة ، وبعضه في أواخر سنة ثمان وخمسين .

وقد رأينا أن نبدأ من ذلك بما كان في مقر مملكته في بعض هذه السنة خاصة ، ثم نذكر ما كان بدمشق وحلب من الحوادث والوقائع إلى أن استقرت قواعد سلطته وتأكدت أسباب دولته ، ثم نذكر ما يشمل المملكة موهوما ، ثم نذكر بعد ذلك ما اتفق [له] من الأحوال ، وما رتبته من الأمور ، وما أمر به من العماثر والأوقاف وغير ذلك بمصر والشام ، ونذكر الأخبار والوقائع حل حكم السنين تقدم ما قدمه التاريخ وتأخر ما أخره .

لا نستثنى مما نورد من أخبار دولته إلا الغزوات والفتوحات : فإننا نذكرها مفردة ، ونختم بها أخبار دولته ، فإنها من الفتوحات الجليلية والغزوات المشهورة فأحببنا إيرادها في موضع واحد ، لئلا تنقطع بزيها من أخباره ، على ما وقف حل ذلك إن شاء الله تعالى .

فأما ما كان من الأخبار والحوادث

في مقر ملكه بالديار المصرية

لأن ذلك ركوب السلطان من قلعة الجبل في يوم الاثنين سابع صفر من السنة بشعار السلطنة ، وفاق خارج المدينة إلى باب النصر ودخل منه ، وشق القاهرة وخرج من باب زويلة إلى قلعة الجبل ، والأمراء وأعيان الدولة مشاة في خدمته .

ومنه تفويض وزارة الدولة إلى صاحب بهاء الدين .

ذكر تفويض الوزارة إلى صاحب الوزير بهاء الدين

حلى بن القاضي سعيد الدين أبي عبد الله

محمد بن سليم المعروف بابن حنا

في هذه السنة ، فوض السلطان إليه وزارة دولته ، وخلع عليه ، وركب في خدمته الأعيان والأكابر ، والأمير سيف الدين بلبان الرومي الداودار ، وجماعة من الأمراء ، وذلك في يوم الاثنين ثامن شهر ربيع الأول وقيل ثانية ، وتمكن [صاحب بهاء الدين] من السلطان ودولته تمكنا عظيما . وحكى لي بعض الأكابر الثقات [أن] صاحب بهاء الدين رأى في منامه قبل وزارته أنه ذبح السلطان الملك الظاهر ، فقص ذلك على من يثق به ممن له معرفة بالتعبير ، فقال له : « تتمكن منه تمكن الداج من المدبوح » . وكان منه في أقرب منزلة وأعز مكانة .

ذكر القبض على جماعة من الأمراء المعزية

وفي شهر ربيع الأول أيضا ، قبض السلطان على جماعة من الأمراء المعزية وسبب ذلك أنه حضر إلى السلطان أحد أجناد الأمير عز الدين الصيقل^(١) وأنهى أن يخدمه فوق جملة من الذهب على جماعة ، وقرر معهم الوثوب على السلطان وقتله ، وكذلك الأمير عسلم الدين القنمى ، والأمير سيف الدين بهادر المعزى ،

(١) كذا في الأصل وفي النجم (ج ٧ ص ١٠٧) الصقل ٣

والأمير شجاع الدين بكنوت وغيرهم . فقبض عليهم ، ثم قبض على الأمير بهاء الدين بنسدى الأشرقى ، في شهر ربيع الآخر ، واعتقله فلم يزل في اعتقاله حتى مات .

ذكر تفويض قضاء القضاء

بالديار المصرية لقاضى القضاة تاج الدين بن بنت الأعر

وفي هذه السنة فوض السلطان الملك الظاهر قضاء القضاة بالديار المصرية لقاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن القاضى الأعر خلف بن بنت الأعر^(١) ، وعزل قاضى القضاة بدر الدين السنجارى^(٢) ، وعوق عشرة أيام ، ثم أفرج عنه وعطل من الحكم .

ونسخة التقليد السلطاني : « لقاضى القضاة تاج الدين » ومثال العلامة الظاهرية عليه بعد البسملة : « المستعمل بالله » .

« الحمد لله الذى أنار مطالع الهدى ، وصان ما ابتذل من الأمور التى ما أهملت سدى ، وألبس الشريعة المطهرة ثوبا من الشرف مجددا ، وأعلى منارها بمن أضاءت مساعيه ، فلو سرى بها الركب لا هتدى » .

(١) مضبوط هكذا بالأصل ، ويذكر صاحب النجوم (ج ٧ ص ٤٤) أنه كان يشغل وظيفة مقدم الحلقة وقتذاك .

(٢) أورد ابن تفرى بردى في النجوم (ج ٧ ص ١٤ حاشية ٣) هذا الاسم كاملا كالآتي : أبو محمد عبد الوهاب بن القاضى الأعر خلف بن بنت الأعر بن محمود بن بندو بن أبي محمد الملاى القاضى .

(٣) من النجوم (ج ٧ ص ٤٤ حاشية ٤) أنه يوسف بن الحسن على السنجارى والنسبة إلى صنهاج بشمال المراق .

« أحده على نعم توالى هطل غمامها ، ومن أخت متناقة مفود نظامها » .
 « والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى عزت به أمور الإسلام بعد
 اختصامها ، وعلى آله وأصحابه الذين أخت بهم حرمى الدين الحنيف وثيقة بعد
 انفصامها .

وبعد ، فلما كان المجلس السامى ، القاضى الأجل ، الصدر الكبير ، الإمام
 العالم ، الفقيه الفاضل ، المختار المرتضى ، المصاحب تاج الدين ، من الإسلام ،
 مجد الأنام ، شمس الشريعة ، مفتى الفرق ، رئيس الأصحاب ، ذخر الملوك
 والسلطين ، قاضى القضاة عبد الوهاب بن خلف ، أدام الله معادته ونعمته ،
 من أحرز فى الفضائل قصب سبقه ، ووصل مع^(١) غمامه فى العلوم الشرعية ببرقه
 واجتنى ثمارها الدانية القطوف ، واجتلى أبقار معانيها التى لا تتوارى عنه
 بالسجوف^(٢) وسلك سبيلا من المغاف أضى به وجيدا منفردا ، ومارس أمور
 الشريعة فتقف منها أودا ، وأهمل فكرته الصافية لخلل منها مقدا ، وأنعم نظره
 فيها فأوضح له من الضلال رشدا .

رسم بالأمر العالى المولوى السلطانى الملكى الظاهرى الركنى ، زاد الله فى
 علائه ، وضاعف مواد نفاذه ومضائه^(٣) أن يفوض إليه الحكم العزيز بجميع الديار
 المصرية المحروسة ، لما علم فيه من فضل مازالت ثماره تجتنى ، ومساع حميدة

(١) فى الأصل : « السخ » ياتلاء المسجبة ، وهو خطأ والراجع أنه السخ بالحاء المهملة يعنى
 السبل والصب والانهيار (القاموس المحيط) .

(٢) كذلك فى الأصل . والسجوف جمع ، مفردة السجف بفتح السين أو كسرهما وهو الستر (القاموس
 المحيط) .

(٣) فى الأصل « مضايه » . والتاسخ من عادته دائما تلون الهزات .

ما برح بها إلى الخلائق محسنا ، ودين متين يشيد من أمور الآخرة ما بنا ، وسودد ما زال فيه وفي بيته مستوطنا ، وأوصاني جميلة خصته بنباهة أضحى بها متقدما [وآراء مسددة أضاعت من سبيل الرشاد ما كان مظلما ، وزاغة مازالت له خلفا لا تخلفا ، وعفاف ما برح منه مثرى لا معلقا .

فليأشر هذا المنصب الذي أضحى ظل شرفه وارفا ، وكعبة حرمة التي يتوجه إليها من كان باديا أو ما كفا ، حاملا فيه بالتقوى التي يحافظ عليها مسرا ومعلنا ، ويتمسك بأسبابها إذا صد عنها غيره وانثنى ، فهي المعلق الذي لا يستباح له حمى ، والمقام الذي يجد الخائف أمانه فيه محققا لا ضيا مرهجا ، والمصحة التي تنجي من العطب ، والمركب الذي تجدد به الأنفس راحتها الكبرى بعد التعب .

ولبول من الفضاة من يحبي من الحق سلنا ، ويميت من الباطل بدما ، ويكون وجاؤه بالآخرة متصلا ، ومن الدنيا منقطعا ، يرجع به سبيل الحق بعد ضيقه متسما ، وشمل الباطل بعزيمته مفترقا لا مجتمعا .

وليفقد أمر العدول الذين أضحوا على الحقيقة عدولا عن المنهج القويم ، واقبين عن المحامد بما يأتونه من كل وصف ذميم . ولا يترك منهم إلا شاهدا كان عن المعايب غائبا أو متورما ، لا يعتمد من الأمور إلا ما كان واجبا ، لتسلم عدالته من وصمه التجريح ، وتظهر مساعيه التي تذلل له من الملا كل جموح .

وأموال الأيتام والأوقاف فلا يباشرها إلا من كان لمباشرتها أهلا ، ومن تتحقق أنه يكون عليها قفلا . فطالما ابتذلت أيدي الخونة منها مصبونا ، وجعلت

العين منها أترحين مدت إليها عيوننا . ولا نتخلها من نظر يحفظ منها مضاعا
ويحسم منها أطعما ، ويخلصها بمزية الزيادة بعد التقصان ، ويكتب لها من مخاوف
الخلوة كتاب أمان .

فقد قلنا لك هذه الأحكام التي ترجو بك الخلاص من تبعاتها ، ورعينا بك
حق الرعية ، فلا نتخل أمورهم من مراداتها ، وامضى عزيمتك في إقامة منار
الشرعية بعد القمود ، واصل همتك في نظم ما تبدد له من العقود . واجتهد في
أمره الاجتهاد الذي يرقل منه في ضافي البرود ، ومنع الخلائق بأيام بيض من
أحكامك فيرسود ، ففك من السؤدد ما ينقاد به المفانر ، ومن الأوصاف الجميلة
ما تميز به على الأوائل وأن جئت في الزمن الآخر .

وقد قررنا لك من الجاهلية والجرية نظير ما كان مقررا لمن تقدمك ، وهو
في كل شهر أربعون دينارا صرف أربعين ومائة سنة وستون درهما ناصرية
وثلاثان ونحسة وعشرون أردبا فلة نصفين .

فليوصل ذلك إليه على بماله وكاله عند وجوبه واستحقاقه ، بعد العلامة
الشريفة أملاه إن شاء الله تعالى .

وكتب في السابع عشر من جمادى الأولى سنة تسع وخمسين ومائة . الحمد لله
وحده وصلواته على سيدنا محمد نبيه ، وآله وصحبه الظاهرين وسلامه .

وعين جهة الجاهلية على الجوالى بالديار المصرية ، والفلة على الأهرام المباركة
بمصر المحروسة .

واستمر [صاحب تاج الدين] في القضاء بجميع الديار المصرية إلى شوال من
السنه ، فاقطع منه قضاء مصر والوجه القبلي ، وفوض ذلك إلى القاضي برهان

الدين الخضر بن الحسن بن علي بن الخضر السنجاري^(١) في ثالث شوال ، ثم عزل
[برهان الدين الخضر] وأعيد قاضي القضاة تاج الدين بتقليد سلطاني تاريخه
الثامن من صفر سنة ستين وسفائة . وقد شاهدت هذا التقليد ووقفت عليه .

ذكر ما اعتمده السلطان في ابتداء سلطته ورتبه

من المصالح وقرره من القربات والأوقاف والعمائر

كان مما ابتدأ به ، رحمه الله تعالى وعفا عنه وأنا به ، عمارة الحرم الشريف
النبوي وسنذكره .

ثم وصلت الكتب في سنة تسع وخمسين أن القبة التي بالصخرة الشريفة
بيت المقدس قد تداعت ، فكتب إلى دمشق بمجهز الصنائع إليها وما يحتاج إليه
من الآلات ، ونجزت العمارة بها في سنة ستين .

وكانت عدة ضياع من أوقاف الخليل قد دخلت في الإقطاعات ، فأمر
[السلطان] بارتجاعها ، وعوض الأمراء عنها ، وأعادها إلى الأوقاف ، وأوقف
قربة أذنًا على الخليل عليه السلام .^(٢)

ذكر بناء قلعة الجزيرة^(٣)

كان السلطان الملك المعز قد أمر بهدمها ، وأباح ما بها من الرخام والأصناف

(١) عن النجوم (ج ٧ ص ١٤ حاشية ٤) هو برهان الدين أبو محمد الخضر

(٢) كذا في الأصل ، وكذا في السلوك أيضا (ج ١ ص ٤٤٥) ، ولم يستطع المحقق أن يجد
تعريفا لهذا الولد من المراجع المتداولة .

(٣) المقصود جزيرة الروضة ، راجع النجوم (ج ٦ ص ٣٣٠ حاشية ٤) ، وكذلك ج ٧ ص ١٩٢
بحاشية ٧ . وكانت مساحة القلعة ٦٥ فدانا ، وكان حدها الجنوبي وقدراك عند المقامس الحالي .

التي غرّم عليها السلطان الملك الصالح الأموال العظيمة ، فرسم السلطان [بيبرس] بهارتها ، وندب لذلك الأمير جمال الدين بن بعمور ، فشرع في إصلاح ما استهدم من قاعاتها ، ورتب فيها الجاندارية ، وأعادها إلى ما كانت عليه من الحرمة . وفرق السلطان الأبراج : فرسم أن يكون برج الزاوية للامير سيف الدين قلاؤن^(١) الأتقي ، وثانيه للامير عز الدين الحلبي^(٢) ، والبرج الثالث للامير عز الدين إيفان^(٣) ، و برج الزاوية الغربي للامير بدر الدين بيمصرى الشمسى . وفرق بقية الأبراج على الأمراء ، و رسم أن تكون بيوتاتهم واسطبلاتهم بها ، وسلم إليهم المفاتيح .

ورسم بعمارة القناطر بجسر شبرمنت بالجيزة وأكثر ما كانت الجيزة تشرق منه . فبذبت القناطر في هذا الجسر تلتقي صدمه الماء الأولى وتفتح لتصريف المياه أولا فأولا (كذا) .

ورسم بعمارة مشهد النصر بعين جالوت ، وكتب بذلك إلى نواب الشام . وحث على عمارة الأسوار بشفر الاسكندرية وحفر خنادقها ، ورتب جملة من الأموال في كل شهر تصرف في نفقة المايروينى مرقيا لشفر رشيد لكشف صراكب الفرنج .

ورسم برسم فم بحردمياط ، وتوغيره بالقراتينص ، وتضييقه ليمنع السفن الكبيرة من الدخول فيه .

(١) كذا في الأصل براد واحدة دائما ؛ أما النسخة « ص » فرسم الامم برادين دائما .

(٢) راجع السلوك (ج ١ ص ٤٤٥) .

(٣) كذا في الأصل ، وفي السلوك (ج ١ ص ٤٤٥) : « أوطان بالبراد بدل إليها » .

(٤) كذا في الأصل ؛

ورسم بحفر بحر الشوم طناح ، ونصب لذلك الأمير سيف الدين بلبان الرشيدى
فخره لذلك وحفر ما يحيط حفوه ، وخرق المراكب قبل فم البحر من الجانب
الغربي حتى ترد الماء إليه .

واهتم بعمارة الشوانى وأعادها إلى ما كانت عليه من الأيام الكاملة
والصالحية .

وأمر بعمارة شوانى الثغرين وأحضرها إلى ساحل مصر ، وكانت تزيد على
أربعين قطعة ، وعدة كثيرة من الحراريق والطرائد والسلاير^(١) .

وركب الخليفة والسلطان في يوم الأحد تاسع عشر شهر رجب سنة تسع
وخمسين ومائة من القلعة إلى ساحل مصر ، وركب^(٢) في الحراريق ، وتفرجا ،
وظلما إلى قلعة الجزيرة وجلسا بمقعد البانياس ، ولعبت الشوانى ، ثم عادا إلى
القلعة .

ورسم بعمارة القلاع المنصورة بالبلاد الشامية وهى : قلعة دمشق ، والصلات
ومجلون ، وصرخند ، وبعبرى ، وبعليك ، والصبية ، وشيزر ، وفخيس^(٣) ، وكان
النتار قد خربوا أسوارها فوسم بإعادة ما استهدم وإصلاح ما تشعث .

ورسم بعمارة مدرسته التى بالقاهرة ، وسبأى ذكرها ، إن شاء الله تعالى ،
هذا ما قرره من المصالح العامة ورتبه من المهمات فى ابتداء سلطته ، فلنذكر
خلاف ذلك من المتجددات .

(١) السلاير جمع سليرة وهى نوع من السفن ، انظر السلك (ج ١ ص ٢٧١ - ٢٧٢)

(٢) فى الأصل : « وركب » .

(٣) كذا فى الأصل . ولم يستطع المحقق أن يجد ترميزا لهذا البلد فى المراجع المتداولة وليس

البلد به شبهة من كورة حصن ، وهذا الاسم الوارد فى السيرك (ج ١ ص ١٤٦ ، ١٤٧)

ذكر وصول من يذكر من الملوك إلى خدمة السلطان
وما قرره لكل منهم وما عاملهم به من الإحسان

وفي سنة تسع وخمسين وسقائة ، وردت كتب النواب بدمشق يذكر
وصول الملك الصالح صاحب الموصل^(١) بأهله وفلمانه وأولاده ، فكتب السلطان
إلى النواب بدمشق بالمبالغة في خدمته وترتيب الإقامة له ولبن معه في الطرقات
من دمشق إلى القاهرة ، فوصل في شعبان من السنة ، فلقاه السلطان وأزله
في أدر أخليت له .

ثم ورد بعده بأيام الخبر بوصول أخيه الملك المجاهد صاحب الجزيرة^(٢) فاعتمد
السلطان معه نظير ما اعتمده في حق أخيه . وكان الملك المظفر أخوها قد
اعتقله الأمراء بحلب على ما ذكره ، فأفرج السلطان عنه وأحضره إلى الديار
المصرية ، وذلك قبل وصولهما إليه ، فلما وصل أخواه استأذن في تلقيهما ،
فأذن له السلطان في ذلك .

وأنعى السلطان عليهم بالأموال والخيول والخلع والحوائص لهم ولأصحابهم
وعين جماعة من البحرية برسم خدمتهم والتصرف في مهماتهم ، ثم رسم السلطان

(١) عن السلوك (ج ١ ص ٤٦٥) وعن النجوم (ج ٧ ص ٢٠٠ ، ص ٢٣٦ ص ١٢)

أنه الملك الصالح ركن الدين إسماعيل بن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل .

(٢) المقصود هنا جزيرة ابن عمر .

(٣) عن السلوك (ج ١ ص ٤٦١) وعن النجوم (ج ٧ ص ١١٥) أنه الملك المظفر علاء

الدين بن صاحب شجار .

بكتاية تقاليدهم ببلادهم . وكان الخليفة قد فوض ذلك إلى السلطان بتقليد على ما نذ كره إن شاء الله تعالى .

فكتب تقليد الملك الصالح ركن الدين إسماعيل بالموصل وولاياتها :
بالوصا ، والجزيرة [و] مدينة البسوازيج^(١) ، والزبادة : حفر [و] شوش ،
ودارا وأعمالها ، والقلاع المادية ، [و] كنعور وبلدها .

وكتب تقليد الملك المجاهد سيف الدين إسماعيل ببلاد الجزيرة وأعمالها وزبادة
حمرين .

وكتب تقليد الملك المظفر : سنجار وأعمالها .

وكتب لعلاء الملك ولد للملك الصالح تقليد بقلة المهيم .

ولما توجه السلطان إلى الشام ونجم بظاهر القاهرة سيرت هذه التقاليد
إليهم ومعها أحوال الكومات والصنائج والأموال . وأحفوا من الحضور والخدمة
عليها ، وساروا في خدمة السلطان إلى الشام فسلطتهم .

وذلك أنه أحضرهم مجلسه وجهز لهم خيل النوبة والمصائب والجمدارية^(٢) ،

(١) من معجم ياقوت أنه موضع قرب تكريت عند مصب الزاب الأسفل بنهر دجلة ، راجع
معجم ياقوت (ج ٢ ص ٢٩٧) .

(٢) من معجم ياقوت أنها مكانان متقاربان قرب جزيرة ابن عمر ، وأنها لها مكانا واحدا
وقلة مقر تعرف أيضا باسم مقر الحيدية ، وأهلها أكراة . ويضرب بينهما المثل في الصلوة فيقال :
أهل من المقر ، راجع معجم ياقوت (ج ٦ ص ١٩٤) .

(٣) المصائب جمع صابية وهي راية عظيمة من حرير أحمر مطرز بالذهب عليها ألقاب السلطان
واسمه ، راجع السلوك (ج ٤ ص ٦٧) .

(٤) الجندارية هم الذين يخدمون على شتوني السلاطين الأمراء ويجلسونهم ثيابهم ، راجع
البلوك (ج ٢ ص ٩) .

ولبسوا الخلع وقبلوا الأرض وخرجوا بشعار السلطنة ، والأتابك في خدمتهم ،
وتوجهوا بحبة الخليفة على ما نذكره .

فاتفق أنفصلهم منه في أثناء الطريق لأسباب جرت ، وتوجه كل منهم إلى
مملكته : فأما الملك الصالح فتوجه إلى الموصل وأقام بها ، فاتفق اجتماع التتار
عليها وحصارها . وأما أخواه فإنهما خافا مهاجمة العدو فعادا إلى الشام ، واستأذنا
في الحضور ، فأذن لهما السلطان فحضرا ، وسألا السلطان إجماع أخيهما فحرد
الأمير شمس الدين سنقر الرومي وجماعة من البحرية والحلقة . فتوجهوا في رابع
جمادى الأولى سنة ستين وستمائة ، وكتب [السلطان] إلى دمشق بخروج عسكرها
حبة الأمير علاء الدين طبرس ورسل العسكر المصري والشامي من دمشق في
هاشر جمادى الآخرة .

ذكر وصول الخليفة المستعصم بالله إلى الديار المصرية

ومبايعته وتجهيزه بالعساكر إلى بلاد الشرق

وما كان من أمره إلى أن قتل

قال المؤرخ : وفي العشر الآخر من جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين وستمائة^(٢)
ورد كتاب علاء الدين طبرس ، والأمير علاء الدين البندقدار مضمونه أنه وصل^(٣)

(١) راجع السلوك (ج ١ ص ٦٠٠) : هو علاء الدين الحاج طبرس طرزي .

(٢) ورد هجر جمادى مذكرا وموثقا ، والأصل التأنيث والتذكير جائز مع تقدير فقط شهر . وقد
جرت عادة المؤلف على أن يكتب جمادى الأول ، وجمادى الآخرة .

(٣) راجع السلوك (ج ١ ص ٥٩٥) : هو علاء الدين ابن كهن البندقدار أستاذ السلطان الظاهر

إلى جهة دمشق في أول النوبة رجل ادعى أنه أحمد بن الإمام الظاهر بن الإمام الناصر ومعه جماعة من عرب خفاجة في قريب من خمسين فارساً ، وأن الأمير سيف الدين قليج البغدادي عرف أمراء العرب المذكورين وقال : « هؤلاء يحصل القصد من العراق » فكتب السلطان بخدمة وتعظيم حرمة وأن يسير صحبته حجاب . فكان وصوله إلى القاهرة في يوم الخميس التاسع من شهر رجب من السنة ، فخرج السلطان للقائه وسائر أهل المدينتين ، وكان يوماً مشهوداً ، وشق القاهرة وهو لابس شعار بنى العباس ، وطلع إلى القلعة راكباً ، ونزل في المكان الذي أحلى له .

وفي يوم الاثنين ثالث عشر حضر السلطان الفقهاء والأئمة والعلماء والأمراء والصوفية والتجار وضيهم بقاعة العمدة ، وحضر الخليفة وأثبت نسبه على ما قدمنا ذكره في أخبار الدولة العباسية . ولما ثبت النسب بايعه السلطان على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد في سبيل الله ، وأخذ الأموال بحقة وأصرفها في مستحقها ، ثم قلده الخليفة السلطان الملك الظاهر البلاد الإسلامية وما سيفتحه الله من أيدي الكفار . وكتب بذلك تقليد شريف عن الخليفة للسلطان ، وبايع الناس الخليفة على اختلاف طبقاتهم . وكتب السلطان إلى سائر الأعمال بأخذ البيعة له وأن يخطب باسمه على المنابر وتنقش السكة باسمه .

ولما كان في يوم الجمعة سابع عشر شهر رجب خطب الخليفة بالناس في جامع القلعة^(١) ، واهتم السلطان بذلك ونثرت جمل من الذهب والفضة . وحصل

(١) هو جامع قديم كان في مواضع الجامع الناصري الحال القائم إلى جانب جامع محمد علي بالقلعة إلى اليوم . وقد ظل الجامع القديم قائماً إلى عام ٧٦٨ إلى أن بنى الناصر جامعته الباقي إلى الآن .

للخليفة توقيف في الخطبة .

وفي يوم الإثنين رابع شعبان ركب السلطان إلى خيمة ضربت في البستان الكبير والناس في خدمته ، وحملت الخلع محبة الأمير مظفر الدين وشاج الخالفي وخدام الخليفة . ودخل السلطان إلى خيمة أخرى ولبس الخلعة الخليفة ، وهي عمامة سوداء مزركشة ، ودُرَازَة بنفسجي ، وطوق ، وعدة سيوف تقلد منها وحملت خلفه ، ولواهان ، وسهمان كبيران ، وترص ، وغير ذلك مما جرت العادة به . وقدم له فرس أشهب في رقبة مشددة سوداء ، وعليه كنبوش أسود . وطلب الأمراء وخلع عليهم ، وعلى صاحب بهاء الدين ، وقاضى القضاة ، وصاحب ديوان الإنشاء الشريف : وهو القاضى نحر الدين بن لقمان ، وطلع ابن لقمان على منبر قد جلل بالأطلس الأصفر ، وقرئ التقليد على كافة الناس وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم^(١)

الحمد لله الذى أضفى على الإسلام ملابس الشرف ، وأظهر بهجة دوره وكانت خافية بما استحكم عليها من العصف . وشيد ما وهى من علائه حتى أنسى ذكر ما سلف . وقبض لنعمره ملوكا اتفق عليهم من اختلاف . أحده على نعمه التى تفرح الأعين منها فى الروض الأنف ، والطافه التى وقفت الشكر طيها فليس هنا منصرف^(٢) .

(١) كذا فى الأصل راجع السلوك (ج ١ ص ٤٥٢) .

(٢) الكنبوش هو البردة التى تكون تحت السرج . راجع السلوك (ج ١ ص ٤٥٢) .

(٣) نفس نص المتن وارد فى السلوك (ج ١ ص ٤٥٣ - ٤٥٤) وفى النجوم (ج ٧ ص ١١١ - ١١٢) . والنص هنا فى نسخة الأصل أضبط لثمة وأسلم نسخة .

(٤) اللغات من الخطاب إلى القبة فى هذه الجملة فقط .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة توجب من المخاوف آمنا ،
وتسهل من الأمور ما كان حزنا ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي جبر من
الدين وهنا ، وأظهر من المكارم فنونا لا تافئا ، صل الله عليه وعلى آله الذين أخت
مناقهم باقيه لا تنفى ، وأصحابه الذين محبوبه فى الدنيا فاستحقوا الزيادة من
الحسنى ، وسلم تسليما .

• وبعد : فإن أولى الأولياء بتقديم ذكره ، وأحقهم أن يصبح القلم واكما
وساجدا فى تسطير مناقبه وبره ، من سقى فاضى سعيه الحميد متقدما ، ودعا إلى
طاعته فأجابه من كان متجيدا ومتهما ، وما بدت يد من المكرمات إلا كان لها
زندا ومعصيا ، ولا استباح بسيفه حى وغى إلا أضرمه نارا وأجره دما .

ولما كانت هذه المناقب الشريفة مخصصة بالمقام العالى المولوى السلطانى
الملكى الظاهرى الركنى — شرفه الله وأعلاه — ذكرها الديوان العزيز النبوى^(١)
تنويها لشريف قدره ، واعترافا بصنعه الذى تنفد العبارة ولا تقوم بشكره ، وكيف
لا وقد أقام الدولة العباسية بعد أن أهدتها زمانة الزمان ، وأذهبت ما كان لها
من محاسن وإحسان^(٢) ، وعتب دهرها المسىء فاعتب ، وأرضى منها زمنا وقد كان
صال عليها جهولة مقضب ، وأعادها لها سلما بعد أن كان عليها حربا ، وصرف
لها اهتمامه فرجع كل مضيق من أمرها واسما رحبا . ومنع أمير المؤمنين عند
القدوم عليه حنوا وهطفا ، وأظهر من الولاء رغبة فى ثواب الله ما لا يخفى ، وأبدى
من الاحتفال بأمر الشريعة والبيعة أمرا الورامة غيره لا تمتنع عليه ، ولو تمسك

(١) انظر النجوم (نفس الموضع) حيث توجد ألقاب إضافية .

(٢) كذا فى الأصل .

بجبله متمسك لا تقطع به قبل الوصول إليه ، لكن الله أدخر هذه الحسنة لينقل بها ميزان ثوابه ، ويخفف بها يوم القيامة حسابه . والسعيد من خفف حسابه ، فهذه منقبة أبي الله إلا أن يخلدها في صحف صنعه ، ومكرمة [قضت ^(١)] لهذا البيت الشريف النبوي بجمع شمله بعد أن حصل الإيثار من جمعه .

« وأمر المؤمنين يشكر الآن [لك] هذه الصنائع ، ويترف أنه لولا اهتمامك بأمره لانسع الحرق على الرافع . وقد قللك الديار المصرية والبلاد الشامية والديار الجزرية ، والبكرية ، والنجازية ، واليمنية وما يتجدد من الفتوحات فورا ونجدا ، وفوض أمر جندها ورعاياها إليك حتى أصبحت بالكارم فردا : وما جعل منها بلدا من البلاد ولا حصنا من الحصون مستثنى ولا جهة من الجهات تعد في الأهل ولا في الأدنى » .

فلاحظ أمور الأمة فقد أصبحت لتقلها حاملا ، وخلص نفسك اليوم لك التهات ، ففى قد تكون مستولا عنها لا سائلا . ودع الاقرار بأمر الدنيا ، فما نال أحد منها طائلا ، وما لحظها أحد بعين الحق إلا رآها خيالا زائلا ، فالسعيد من قطع منها آماله الموصولة ، وقدم لنفسه زاد التقوى فتقدمته غير التقوى مردودة لا مقبولة . وأبسط يدك بالإحسان والعدل ، فقد أمر الله بالعدل والإحسان . وكرر ذكره في مواضع من القرآن ، وكفر به عن المرء ذنوبا كثبت عليه آثاما ، وجعل يوما واحدا منه كعبادة سبعين عاما ماسلمك [أحد ^(٢)] سهيل العدل واجتنت ثماره من أفنان ، ورجع الأمن بعد

(١) الإضافة بمنضها السباق وتستند إلى نفس الملوكة أيضا (نفس الموضع) .

(٢) في النجوم (نفس الموضع) : القرآنية .

(٣) إضافة بمنضها السباق مستندة إلى نفس الملوكة (نفس الموضع) .

مدعى أركانه مشيد الأركان، وتحصن به من حوادث الزمان فكانت أيامه في الأيام أبهى من الأعياد ، وأحسن من الفرر في أوجه الحيات ، وأحلى من العقود إذا حلّى بها عاقل الأحياء .

« وهذه الأقاليم المنوطة بنظرك تحتاج إلى حكم وأصحاب رأى من أرباب السيوف والأقلام، فإذا استعنت بأحد منهم في أمرك فنقب عليه تنقيا، واجعل عليه في تصرفاته رقبيا ، وصل عن أحواله ، ففى يوم القيامة تكون عنه مسئولا وبما اجترم مطلوبيا ، ولا تول منهم إلا من تكون مساعيه حسنات لك لا ذنوبا . وأمرهم بالأناة في الأمور والرفق ، ومخالفة الهوى إذا ظهرت أدلة الحق ، وأن يقابلوا الضعفاء في حوائجهم بالنفر الباسم والوجه الطلق . وألا ياملوا أحدا على الإحسان والإساءة إلا بما يستحق ، وأن يكونوا لمن تحت أيديهم من الرعية إخوانا ، وأن يوسعوهم برا وإحسانا ، وألا يستعلا حرمانهم إذا استحل لهم الزمان حرمانا ، والمسلم أخو المسلم ، وإن كان أميرا عليه أو سلطانا . فالسعيد من نسج ولاته في الخير على منواله ، واستنوا بسننه في تصرفاته وأحواله ، وتحملوا عنه مانعجز قدرته عن حمل أنقاله . »

« وما يؤمرون به أن يُنحى ما أحدث من سبى السنن ، ويجدد من المظالم التى هى على الخلائق من أعظم الحزن ، وأن يُشرى بإبطالها المحامد، فإن المحامد رخيصة بأهل الثمن . ومهما جنى منها من الأموال فإنها فانية^(١) وإن كانت حاصلة ، وأجساد الخزائن وإن أصبحت بها خالية فإنما هى الحقيقة عاطلة . وهل أشقى ممن احتجب إثمًا ، واكتسب بالمساعى القديمة ذمًا ، وجعل السواد الأعظم يوم القيامة له

(١) في الأصل : « باقية » وهو تصحيف ظاهر .

خصما ، وتحمل ظلم الناس مما صدر عنه من أعماله ، وقد خاب من حمل ظلمها .
وحقيق بالمقام الشريف السلطاني الملكي الظاهري الركني أن تكون غلطات
الأيام مردودة ببدله ، وغزائمه تخفف عن الخلائق تقلا لاطاقة لهم بجهله ^(١) ، فقد
أضحى على الإحسان قادرا ، وصنعت له الأيام ما لم تصنعه لمن تقدم من الملوك
وإن جاء آخره ، فأحمد الله على أن وصل إلى جنابك إمام هدى ، وأوجب لك
مزية التعظيم وتنبيه الخلائق على ما خصك الله به من هذا الفضل العظيم . وهذه
أمور ينبغي أن تلاحظ وترعى ، وأن توالى عليها حمد الله ، فإن الحمد يجب عليها
عقلا وشرعا . وقد تبين أنك صرت في الأمور أصلا ، وصار غيرك فرعاً .

ومما يجب ذكره : الجهاد الذي أضحى على الأمة فرضا ، هو والعمل الذي
يرجع به مسود الصفائف مبيضا . وقد وعد الله المجاهدين بالأجر العظيم ، وأعد
لهم عنده المقام الكريم ، وخصهم بالجنة لا لغوف فيها ولا تأثيم .

« وقد تقدمت لك في الجهاد يد بيضاء أسرعت في سواد الحساد ، وعرف
منك عزيمة هي أمضى ^(٢) مما تحت ضمائر الأغنياء ، واشتهرت لك مواقف في القتال
هي أبهى وأشهى إلى القلوب من الأعياد . وبك صان الله حى الإسلام من
أن يتبدل ، ويمزك حفظ على المسلمين نظام هذه الدول ، وبسيفك الذي أثر
في الكافرين قروحا لا تتدمل ، وبك يرجع أن يرجع مقر الخلافة المعظمة إلى
ما كان عليه من الأيام الأولى . فأيقظ لنصرة الإسلام جفنا ما كان هاجما ، وكن في
مجاهدة أعداء الله إماما متبوعا لاتباعها . وأيد كلمة التوحيد لما تجد في تأييدها إلا
مطيعا سامعا .

(١) في الأصل « له » .

(٢) في الأصل « ما » .

« ولا تخل الثغور من اهتمام بأسرها تنسجم له الثغور ، واحتفال يبدل ما دعى من ظلماتها بالنور ، واجمل أصرها على الأمور مقدما ، وسد منها ما قادره العدو متداعيا متهدما . فهذه حصون يحصل منها [الانتفاع] وبها تحسم الأطماع ، وهى على العدو داهية اقتراق لا اجتماع » .

« وأولاهها بالاهتمام ما كان البحر له مجاورا ، والعدو إليه ملتفتا ناظرا ، لا سيما ثغور الديار المصرية ، فإن العدو وصل إليها راجعا ، ورجع خاسرا ، واستأصلهم الله فيما مضى حتى ما أقال منهم عازرا » .

« وكذلك الأصطول الذى ترى خيله كالأهلة وركائبه بغير سائق مستقلة ، وهو أخو الجيش السليمانى ، فإن ذلك غدت له الرياح حاملة وهذا تكفلت بحمله المياه السائلة . وإذا لحظها الظرف صائرة فى البحر كانت كالاعلام ، وإذا شبهها قال هذه ليال قلع فى أيام » .

« وقد سنى الله لك من السعادة كل مطلب ، وأناك من أصالة الرأى الذى يريك المغيب ، وبسط بعد التقبض منك الأمل ، ونشط من السعادة ما كان قد كسل ، وهداك إلى مناهج الحق وما زلت مهتديا إليها ، وألمحك المرشد فلا تحتاج إلى تنبيه عليها ، والله تعالى يؤيدك بأسباب نصره ، ويوزعك شكر نعمه . فإن النعم تستقم بشكره ، بمنه وكرمه » .

ثم ركب السلطان وشق المدينة بعد أن زينت ، وحمل التقليد الأمير جمال الدين النجيبى استاد الدار العالية ، والصاحب الوزير بهاء الدين فى بعض الطريق^(٢)

(١) الإضافة بقضها السياق مع الأسقاء إلى نص السلوك (فمن الموضع) .

(٢) من النجوم (ج ١ ص ١١١ ، ص ١٢) أن الصاحب بهاء الدين حل التقليد على رأسه وأكسها ، والأمراء بمشون بن يدي .

وبسط أكثر الطريق للسلطان بالثياب الفاخرة، [و^(١) مشى عليها بفرسه، ووصل إلى القلعة .

وشرع السلطان في الاستخدام للخليفة : فكتب للأمير سابق الدين بوزبا أتابك العسكر بالف فارس ، وللأمير ناصر الدين محمد بن صبرم الخازندار بمائتي فارس ، وللأمير الشريف نجم الدين استاد الدار بمئمة فارس . وأمر جماعة من العربان ، وحملت إليهم الطلبخانة والصناجق ، وأنفق فيهم الأموال لعدة شهور . واشترى السلطان مائة مملوك^(٢) جدارية وصلاح دارية للخليفة ، وأعطى لكل واحد منهم ثلاثة أرؤس خيلا وجملا لعدته ، ولم يبق أحد ممن تدعو الحاجة إليه من صاحب ديوان وكاتب إنشاء وديوان وأئمة ومؤذنين وغلمان وحكام وجوابة إلا استخدموا . ولم تكامل ذلك كله تقدم السلطان بتجهيز العساكر .

وفي يوم الأربعاء ناسع عشر شهر رمضان من السنة ركب السلطان هو والخليفة في السادسة من النهار ، ونزل كل منهما في دهايزه ، واستمرت النفقة في أجناد الخليفة .

وفي يوم العيد ركب الخليفة والسلطان تحت الجتر ، وصليا العيد ، وفي هذه الليلة حضر الخليفة إلى خيمة السلطان وألبسه الفتوة بحضور من يعتبر بحضوره في ذلك .

(١) الإضاءة يختصها السابق .

(٢) زاد نص السلوك (ج ١ ص ٥٥٥ ص ٧) : « مائة مملوك كبارا وصغارا ورتبهم جدارية » .

(٣) زاد نص السلوك « ج ١ ص ٥٥٩ ص ٩ » : وألبسه مراريل الفتوة .

وفي يوم السبت سادس شوال رحل متوجهين إلى الشام ، فلما وصلا إلى الكسوة خرج عسكر الشام للقائهما ، ودخلا دمشق في يوم الاثنين سابع ذي القعدة . ونزل السلطان بالقلمنة ، ونزل الخليفة في تربة الملك الناصر بجبل الصالحية^(١) . وجرى الأمير سيف الدين بلبان الرشيدى ، والأمير شمس الدين مستقر الرومى إلى جهة حلب ، وأمرهم السلطان بالمسير إلى الفرات ، وأنه متى ورد عليهم كتاب الخليفة يطلب أحدا منهم إلى العراق يتوجه إلى خدمته لوقته .

وركب السلطان وودع الخليفة ، ومير إليه الملوك الذين ذكرناهم .

ثم ورد كتاب الخليفة يذكر أنه وصل إلى حديثة وعانا ، وولى فيها^(٢) ثم كان ما ذكرنا من خروج طائفة من التاروقال الخليفة لهم واستشهاده ، رحمه الله تعالى ، على ما قدمناه في أخباره ، في أخبار خلفاء الدولة العباسية .

وحسب ما أنفق في مهم الخليفة والملوك فكان ألف دينار هينا

وفي هذه السنة قبل مسير السلطان إلى الشام ، كتب منشور الأمير شرف الدين همسى بن مهنا بالإمرة على جميع العربان ، وأطلق السلطان للعربان الفلال من بلد حاب ، وذلك قبل خروج السلطان إلى الشام .

(١) زاد نص السلوك (ج ١ ص ٤٦٠ م ٢) : نزل الخليفة بالتربة الصالحية في صفيح

فاسيون .

(٢) كذا في الأصل ، وانظر النجوم (ج ٧ ص ١١٦ م ٥) وانظر السلوك كذلك (ج ١ ص

٤٦٣) لتعديد الموضع المقصود .

(٣) عن النجوم (ج ٧ ص ١١٦) هو شرف الدين همسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن فضة

ابن فضل بن دبيعة أبو مهنا أمير آل فضل .

هذا ما كان من الأخبار بالديار المصرية ، فلنذكر ما اتفق بالشام من حين ابتداء ساطنة السلطان الملك الظاهر إلى أن استقرت قواعد ملكه .

ذكر امتيلاء الأمير علم الدين سنجر الحلبي على دمشق
وسلطته بها ، وأخذها منه ، وتقرير نواب السلطان بها

قد ذكرنا أن السلطان الملك المظفر سيف الدين قطز كان قد فوض نيابة السلطنة بدمشق للأمير علم الدين سنجر الحلبي^(١) ، فلما اتصل به خبر قتل الملك المظفر وثب على السلطنة بدمشق وحلف العساكر الشامية لنفسه ، ولقب نفسه بالملك المجاهد ، وركب بشعار السلطنة ، فلما اتصل ذلك بالسلطان الملك الظاهر كتب إليه يقيع فعله ويسترجعه عنه ، فعادت أجوبته بالمغالطة . فأرسل إليه السلطان الأمير جمال الدين أقرن الحمدي يستميله^(٢) ويرده عن تعاطي ما لا يتم له ، وسير إليه محبته مائة ألف وعشرين ألف درهم وحوادث وخلا وملاص باتى دينارينا . فلما وصل ذلك إليه جلس الأمير علم الدين الحلبي مجلسا عاما للناس وأشهدهم على نفسه أنه قد نزل من الأمر الذى كان قد استعطف الناس عليه ، وأنه من جملة النواب الظاهرية .

ثم رجع عن ذلك وركب بشعار السلطنة على ما كان عليه أولا ، فركب الأمير علاء الدين ابدكن البندقدار وخرج إلى ظاهر دمشق ، ونادى باسم السلطان الملك الظاهر ومعه جماعة فساق بهم إلى جهة السواد ، فندب الحلبي جماعة لقاتلهم ، فانهزم أصحاب الحلبي ، ثم رأى انحراف الناس عنه واتفاقهم عليه ،

(١) من النجوم (ج ٧ ص ٤٤) (س ١) أنه « يلقب بالكبير » .

(٢) في الأصل ، « يستميله » . وهو موهو .

ففارق دمشق وتوجه إلى قلعة بعلبك ، ودخل الأمير علاء الدين البندقدار دمشق ، وحلف الناس للسلطان الملك الظاهر وجهز إلى بعلبك من أحضر الحلبي تحت الاحتياط . وكتب بذلك إلى السلطان ، فجدد السلطان المناشير للأمراء والجنود ، وقرر الحديث في الأموال ونيابة القلعة للأمير علاء الدين طبرص الوزير ، وورم بأحضار الحلبي ، فلما وصل إليه اعتقله بقلعة الجبل ، ثم أطلقه بعد ذلك وخلع عليه ، واستمر في الخدمة إلى أن جهزه إلى نيابة حلب . هذا ما اتفق به دمشق .

ذكر ما اتفق بحلب في أمر النيابة

كان السلطان الملك المظفر قد استناب بالملكة الحلبية الملك المظفر علاء الدين ابن صاحب الموصل ، ولقبه بالملك السعيد على ما ذكرناه ، فتوجه إلى حلب ، وحصلت منه أمور أنكروها عليه الأمراء ، وكان الملك المظفر قطز قد أقطع جماعة من الأمراء العزيزية والناصرية بالبلاد الحلبية ، فلما اتصل بهم قتل الملك المظفر اجتمعوا وقبضوا على الملك السعيد ونهبوا وطافوا ، وكان قد برز إلى الباب المعروف بباب الله للقاء التتار ، واستولوا على خزائنه فلم يجدوا فيها مالا طائلا ، فتهددوه بالعذاب إن لم يقر لهم بالمسال ، فأخرج لهم من تحت الأشجار مالا كان قد دفنته ، فقدير نحسين ألف دينار مصرية ، ففرقت في الأمراء واعتقلوا الملك السعيد بالشفر^(١) ، ثم أخرجوا عنه بعد ذلك ، وقدموا عليهم الأمير حسام الدين الجوكندار العزيزي ، فكتب السلطان إليه تفليد بنيابة المملكة الحلبية .

(١) كذا في الأصل وقد ورد بالأصل أيضا بعد بضع صفحات : « بابلا » (ص ٤٢) .

(٢) كذا في الأصل مضبوطا بضم الشين وبالفين المعجمة . أما « س » فقد رسمت الأسم

ذكر وصول طائفة من التتار

إلى البلاد الإسلامية

وما فعلوه بحلب وتقدمهم إلى حصص وقتالهم وانهزامهم

وما كان من خبر عودهم

وفي سنة تسع وخمسين وستمائة بلغ التتار أن الأسراء العزيرية والناصرية قد وقع بينهم اختلاف ، فجمعوا من كل جهة وهربوا الفرات ، ولما بلغ الملك السعيد خبرهم وأنهم وصلوا إلى جهة البيرة جرد إليهم جماعة قليلة من العسكر الحلبي ، وقدم عليهم سابق الدين أمير مجلس الناصرية ، فنهاه الأسراء العزيرية والناصرية عن ذلك ، واستقلوا العسكر المجرد ، فلم يرجع إلى قولهم ، وصمم على إرواله ، فسار سابق الدين ومن معه حتى فاربوا البيرة ، فصدتهم التتار ، فهرب سابق الدين منهم ودخل البيرة ، بعد أن قتل أكثر من معه . فكان ذلك من أكبر الأسباب التي أوجبت القبض على الملك السعيد ، ثم توجه التتار إلى جهة حلب ، فاندفع الأمير حسام الدين الجوكندار والعسكر الحلبي لين أهدبهم إلى جهة حماة ، ووصل التتار إلى حلب في أواخر سنة ثمان وخمسين وستمائة وملكوها ، وأخرجوا أهلها إلى قرينيا ، واسمها قديما مقر الأنبياء ، فسيماها العامة قرينيا ، فلما اجتمعوا بها بذل التتار فيهم السيف فقتلوا أكثرهم . وتقدم التتار إلى جهة حماة ، ففارقها العسكر الحلبي وصاحبها الملك المنصور إلى حمص ، واجتمعوا هم والملك الأشرف مظفر الدين موسى صاحب حمص ، واتفقوا على قتال التتار ، وانضم إليهم الأمير زامل بن علي أمير المربان ، ووصل التتار إلى حمص ، والتمقوا واقتتلوا في يوم

الجمعة خامس المحرم من السنة فانهزم التار أقيح هزيمة، وقتل أبطالهم وشجعانهم،
فاستشهد فيهم بقول الشاعر :

فإن كان أعجبكم حاكم فمردوا إلى حصن في قابل

فإن الحصان الصقيل الذي قتلتم به في يد القاتل

وقد شاهد جماعة كثيرة في هذه الواقعة طيورا كثيرة بيضاء تحوم حال القتال .

حكى عن الأمير بدر الدين محمد الفيضى قال : « واقع، لقد رأيت بينى طيورا بيضا وهى تضرب بأجنحتها في وجوه التار » . وقد ذكر ذلك جماعة كثيرة حتى بلغ حد التواتر، فإنا كان بأمرع من انهزام التار .

قال المؤرخ :

ثم اجتمع من سلم من التار وئزوا بسلمية ، وعادوا إلى حماة ، ورحلوا عنها إلى أفاعية ، وكان قد وصل إلى أفاعية الأمير سيف الدين الديبلى الأشرفى ومعه جماعة فأقام بقلعتها وبقى يشير على التار ، فرحلوا عن أفاعية وعادوا إلى حلب ، فأخرجوا من بها من الرجال والنساء ولم يبق إلا من ضعف عن الحركة واختفى خوفا على نفسه، ثم نادوا فيهم : من كان من أهل حلب فليعتزل . فلم يعلم الناس ما يراد بهم ، فظن الغرباء النجاة لأهل حلب ، وظن أهل حلب نجاة الغرباء ،

(١) زاد السالك (ج ١ ص ٤٤٢ ص ١٠) بذكر مكان المعركة : « على الرستن » في مصنف

الطريق بين حماة وحمص ، وراجع معجم بالوت .

(٢) كذا في الأصل .

(٣) في الأصل بـ: قط وما أنبأنا هنا من النسخة « ح » بتقديم الماء المتناهي على الماء المرحدة .

فاهتزل بمض كل من الطائفتين مع الأخرى بحسب ما أدى كل منهم اجتهاده ،
 فلما تميز الفريقان أخذ التار الغرباء وتوجهوا بهم إلى بابل^(١) فضربوا أعناقهم ،
 وفيهم جماعة من أهل حلب وأقارب الملك الناصر ، ثم أبادوا من بقى من أهل
 حلب إليها ، وسلموا كل طائفة إلى رجل من الأكابر ، ثم أحاطوا بالبلد ولم
 يمكنوا أحدا يدخل إليه ولا يخرج منه .

ثم فارق التار حلب في أوائل جمادى الأولى سنة تسع وخمسين ومئاة وكان
 سبب رحيلهم عنها أن السلطان الملك الظاهر جرد في العشر الأول من شهر ربيع
 الأول الأمير نحر الدين الطنبغا الحمصى والأمير حسام الدين لاجين الجوكان^(٢) دار
 والأمير حسام الدين العين^(٣) تآبى في عسكر لدفع التار عن حلب . فلما وصلوا إلى
 غزنة أرسل فرنج حكا إلى التار بجرهم فرجموا وفارقوا حلب .

ولما رحل التار عن حلب تغلب عليها جماعة من أحداثها خلوها من العسكر ،
 منهم نجم الدين أبو عبد الله بن المنذر ، وعلى بن الأنصارى ، وأبو الفتح ،
 ويوسف بن معالى ، فقتلوا ونهبوا ، وبلغوا أغراضهم ممن كان في قلوبهم منهم
 ضغائن ، فلما قاربوا الأمير نحر الدين الحمصى والأمير حسام الدين العين تآبى ،
 ومن معهما هرب هؤلاء عن حلب . ولما دخلها الأمير نحر الدين الحمصى صادر

(١) وترجم أيضا بابل على مهل تقريبا من مدينة حلب (من معجم ياقوت) وانظر باب الله

اللى وردت من قبل في هذا المتن (ص ٢٩) .

(٢) من السلوك (ج ١ ص ٤٢٩) : هو حسام الدين لاجين بن عبد الله الجوكندار (كذا)

الغزنى .

(٣) من السلوك (ج ١ ص ٢٩٢) : لمتاب

أهلها ومذهبهم واستخرج منهم ألف ألف درهم وستمائة ألف درهم يروتية ،
وأقام بها إلى أن وصل الأمير شمس الدين أقش البرلى ، ففارقها .

ذكر الغلاء الكائن بحلب

قال الشيخ شمس الدين بن الجزرى فى تاريخه : وفى سنة تسع وخمسين وستمائة
بعد أن توجه^(١) التتار من البلاد الإسلامية غلت الأسعار بحلب ، وقلت الأقوات
فبلغ رطل القمح سبعة عشر درهما ، ورطل السمك ثلاثين ، ورطل اللبن خمسة
عشر ، ورطل الشيرج سبعين ، ورطل الخل ثلاثين ، ورطل الأرز عشرين ،
ورطل الحب رمان ثلاثين ، ورطل السكر خمسين ، والخلوى كذلك ، ورطل
العسل ثلاثين ، ورطل الشراب ستين ، والجدى الرضيع بأربعين درهما ، والدجاجة
بخمسة دراهم ، والبيضة بدرهم ونصف ، والبصلة بنصف درهم ، وباقة البقل
بدرهم ، والبطيخة بأربعين درهما ، والتفاحة بخمسة دراهم ، ولم يذكر سعر
الخبز والقمح ، ولعل ذلك لعدمه .

قال : وكانت المكاسب كثيرة والدرهم يتيسر الحصول .

ذكر اختلاف العزيزية والناصرية ، ومفارقة الأمير

شمس الدين أقش البرلى البلاد ، وتولية الحلبي

نباية حلب وعزله ، وعود البرلى إليها

ونخروجه منها ، ونباية البندقدار وعود

البرلى إليها ثانية ونخروجه

وفى سنة تسع وخمسين وستمائة ، بعد وفاة التتار ، اختلف الأمراء العزيزية

(٢) كتابي الأصل .

(١) توجه بمعنى رحل .

والناصرية ، وحضروا إلى الساحل ، فأعطى السلطان بعضهم الإقطاعات ، وحضر
الباقون إلى الديار المصرية ، وكان الأمير شمس الدين أقمش البرلى مقطعا لمدينة
فابلس من الأيام المظفرية ، فزاده السلطان بيسان وجعل لملوكه فجقار عدة
نواحي وتوجه إلى دمشق . ثم أمر السلطان بامساك الأمير بهاء الدين بقدى
الأشرفى فنضرب البرلى لذلك ، واجتمع معه العزيزية والناصرية ، ونزلوا بالمرج
وتوجهوا إلى حلب . وكان السلطان قد استناب الأمير علم الدين الحلبي بحلب قبل
حدوث هذه الواقعة ، وأمر جماعة وقرر لهم وظائف وهم : الأمير شرف الدين
قيران^(١) الفخري وجعله استاذ الدار ، والأمير بدر الدين جناق وجعله أمير جاندار ،
والأمير علاء الدين ايدكين الشهابي وجعله شاد الدواوين . فتوجه الأمير علم
الدين ووصل إلى حلب في يوم السبت ثالث شعبان من السنة ووصلت مطالعته
إلى السلطان يذكر عبوره إلى حلب ، وأن جماعة من العزيزية والناصرية حضروا
إليه يطلبون الأمانات . ولما وصل الحلبي إلى حلب جرد جماعه من العسكر
خلف البرلى ومن معه من العزيزية والناصرية ، فعطف عليهم العزيزية والناصرية
فهزموهم ، فعزل السلطان الحلبي لذلك . وقيل إنه إنما عزله لأسباب أخر
اتفقت أوجبت عزله . ولما عزل الحلبي فارق حلب وعاد إلى دمشق ، غفلت
مدينة حلب ، فحضر الأمير شمس الدين البرلى إليها وأقام بها ، وصير الأمير بدر
الدين أيدمر الحلبي رسولا منه إلى السلطان يسئله له الطاعة ، فأبى السلطان إلا
حضوره إلى الخدمة . وأقام البرلى بحلب إلى أن وصل السلطان إلى دمشق في سنة
تسع وخمسين ، فجرد المساكرا إليها ففارقها البرلى وتوجه إلى الفرات ، وعاد العسكر

(١) درن تقط في الأصل ، والنقط المثلث منقول من « م » ج

وأغار على بلاد أنطاكية^(١) ، وكان في العسكر صاحب حمص وصاحب حماة ،
فاخذت المينا وأحرقت المراكب ، وأخذت الحواصل ، وعادت العساكر إلى
القاهرة في يوم الخميس تاسع وعشرين شهر رمضان سنة ستين وستمائة وصحبهم
ما يزيد على مائتين وخمسين أسيراً^(٢) .

ثم استتاب السلطان بحلب الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار^(٣) ، فتوجه إليها
وأقام بها . ثم خشي عاقبة عود الأمير شمس الدين أقبش البرلى ، ففارق حلب وعاد
وأقام بحماة واعتذر أنه إنما فارق حلب لشدة الغلاء وعدم الأقوات .

وكان الأمير شمس الدين البرلى قد أرسل إلى السلطان الأمير علم الدين جكم
بكتبه يسأله الصفح ، فلما فارق البندقدار حلب عاد البرلى إليها وكتب إلى
السلطان يعتذر من رجوعه إلى حلب ، وأنه مارجع إلا طائفاً ، وأن الأمير علاء
الدين انفصل عن حلب اختياراً منه ، ولو أقام لما قصده أحد ، وتوالت
كتبه بالاعتذار واستأذن في توجهه إلى الموصل ، والسلطان يغلظ له تارة
ويبين أخرى .

ثم جرد السلطان عسكراً محبة الأمير شمس الدين سقر الأشقر لمجدة لصاحب
الموصل ، وانفق فيهم الأموال . فلما اتصل الخبر بالأمير شمس الدين البرلى توجه
إلى سنجار والنق التار وقائلهم قتالا شديداً . وكان معه نحو ألف فارس وهم في
جموع كثيرة فلم تساعده المقادير ، وذلك أنه سقط من فرسه فأنكسرت رجله ،
فركبه أحد محاليكه وساق يوماً كاملاً ولم يعلم من معه أن رجله كسرت ، ثم
كان من أمره ما نذكره ، إن شاء الله تعالى .

(١) في الأصل ، يدرن نقط ويدر رأس الكاف ؛

(٢) انظر السلك (ج ١ ص ٤٧٢) .

(٣) انظر السلك (ج ١ ص ٤٦٢) ؛

هذا ما اتفق بالشام وحلب .

ذكر ما اتفق للسلطان بالشام في مسدة مقامه بدمشق

وما وقع في سفرته هذه خلاف ما قدمنا ذكره من أمر الخليفة

من ذلك أنه لما وصل إلى دمشق وصل إلى خدمته الملك المنصور صاحب حماة ، والملك الأشرف صاحب حمص والرحبة ، فلقاهما وأكرمهما وأنعم عليهما بخيل النوبة والعصائب وشعار السلطنة ، وركب كل منهما بمفرده والأمراء مترجلون في خدمته ، وكتب لهما التقاليد ، وزاد الملك الأشرف تل باشر والملك المنصور بلاد الإسماعيلية ، وتوجها إلى بلادهما .

ومن ذلك أن أمراء العريان حضروا إلى خدمة السلطان فأنعم عليهم ووصل أوزاقهم ، وسلم إليهم خضر البلاد ، والزمهم حفظها إلى حدود العراق ^(١) .

ومن ذلك أنه فوض نيابة السلطنة بالشام إلى الأمير الحاج علاء الدين طيرس الوزيري ، وكان قبل ذلك بناية قلعة دمشق ، والأموال ^(٢) .

ذكر ركوب السلطان إلى الميدان بدمشق

ولعبه بالكره ومن كان في خدمته من الملوك

قال المولوى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر في السيرة الظاهرية : ولعب السلطان في ميدان دمشق ، فرأيت في خدمته جماعة من الملوك وهم : الملك الصالح صاحب الموصل [و] ^(٣) الملك المجاهد صاحب الجزيرة ، [و] الملك المظفر

(١) زاد السلوك (ج ١ ص ٤٦٥) : « وكتب منشور الإمرة على جميع الرعايا للامير

شرف الدين عيسى بن مهنا » .

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٤٦٥ ص ٤) . (٣) إضافة وأراءت السلف للاختراع .

صاحب سنجار ، [و] الملك علاء الملك ، [و] الملك الأشرف صاحب حصص ،
[و] الملك الزاهر أسد الدين ، [و] الملك المنصور صاحب حماة [و] الملك
الأحمد تقي الدين بن الملك العادل سيف أبي بكر بن أبوب^(١) ، [و] الملك المنصور
[و] الملك السعيد ، [و] الملك المسعود ، وأولاد الملك الصالح عماد الدين
إسماعيل (و) الملك الأحمـد وأخوته أولاد الملك الناصر داود ، (و) الملك الأشرف
ابن ولد أقميس [و] الملك القاهر بن الملك المعظم ، وجماعة كثيرة منهم .
قال : وهذا ما لا رآه ملك آخر .

ذكر الصلح مع ملوك الفرنج

لما توجه السلطان إلى الشام ببربرجوان ديكين ، كند يافا ، ييذل
الطامة . ولما وصل السلطان إلى العوجا سأل الأمان المحصور إلى الدهليز ،
فتوجه الأتابك إليه وأحضره إلى السلطان . فأكرمه وكتب له منشورا بيلاده ورده
إلى بلده .

قال : ثم وردت رسل ملوك الفرنج يهنئون السلطان بالسلامة ومعهم
الإقامات الكثيرة .

فلما وصل السلطان إلى دمشق حضر رسول من عكا يسأل أمانا للرسـل
المتوجهين من سائر البيوت . فكتب إلى متولي بانياس بمحبتهم^(٢) ، فحضر أكابر
الفرنج والنمسوا الصلح ، فتوقف السلطان واشترط شروطا كثيرة فتوقفوا ،

(١) من النجوم (ج ٧ ص ٥ م ١٠) هو الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن الملك الناصر
برصق بن الملك المسعود أقميس بن السلطان الملك الكامل محمد بن السلطان الملك العادل أبي بكر
ابن الأمير نجم الدين أيوب .

(٢) في الأصل : بدون رأس الكاف .

فأهانهم وزجرهم . وكان العسكر قد توجه للإغارة على بلاد الفرنج من جهة بعلبك ، فسألوا في رجوعه وتقرير الصلح على ما كان الأمر عليه إلى آخر الأيام الناصرية وإطلاق الأسرى ، من حين انفصال الأيام المذكورة إلى وقت هذه الهدنة . وتوجهت الرسل معهم لأخذ العهد عليهم ^(١) .

وكذلك تقررت الهدنة لصاحب إفا وتملك بيروت على حكم الأيام الناصرية ، وأمنت السبل وكثرت الأجلاب .

وشرع السلطان في جمع الأسارى وسيرهم إلى مدينة نابلس حفظا للعهود ، والفرنج يكاسرون ^(٢) في أمر الأسارى . فلما طال ذلك رسم السلطان بنقل الأسارى إلى دمشق واستمالهم في العائز وبقى الحال موقفاً ^(٣) .

ذكر الغارة على العرب والفرنج

قال : ولما وصل السلطان إلى الشام جرد الأمير جمال الدين الحمدي ، وجرده معه جماعة من العسكر المنصور ، ورسم لهم بالإغارة على بلد الفرنج ، فتوجهوا ونهبوا وكسبوا ، وعادوا ساطين ^(٤) .

وجرد جماعة من البحرية وكنتم خبرهم . وكان السلطان بلغه أن جماعة من عرب زبيد قد كثر فسادهم وأنهم مخالطون الفرنج وموافقوهم في الباطن ويدلونهم على عورات المسلمين ، فساق البحرية إليهم وانهبوا أموالهم وقتلوا منهم وذبحوا جماعة كثيرة ، وكفى الله الإسلام شرهم ^(٥) .

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٤٦٣) : (٢) بمنى يخالطون بحسب التعارف في العامة .

(٣) انظر السلوك (ج ١ ص ٤٦٤ ص ٤ - ٩) .

(٤) انظر السلوك (ج ١ ص ٤٦٤ ص ٩ - ٩) .

(٥) انظر السلوك (ج ١ ص ٤٦٤ - ٤٦٥) .

وفي هذه السنة والسفرة ، عزل السلطان القاضي نجم الدين بن قاضي القضاة صدر الدين بن سني الدولة من القضاء بدمشق ، وفوضه للقاضي شمس الدين أحمد ابن بهاء الدين محمد بن إبراهيم بن خلكان البرمكي من العربش إلى سامية ، وفوض إليه النظر في جميع الأوقاف بالشام ، منها الجامع والبيمارستان والمدارس وغير ذلك ، وفوض إليه تدريس سبع مدارس وهي : العادلية ، والعذراوية ، والناصرية ، والفلكية ، والركنية ، والإقبالية ، والبهلسية . وكان تدريس هذه المدارس بيد القاضي نجم الدين المعزول ، ووكل بالقاضي نجم الدين وأمره أن يتوجه إلى الديار المصرية . وكان مذموم السيرة في ولايته . ذكر الشيخ شهاب الدين أبو شامة جملة من معانيه .

ذكر عود السلطان إلى الديار المصرية

قال : ولما استقرت هذه الأمور عاد السلطان إلى الديار المصرية ، وكان وصوله في يوم السبت سابع عشر ذي الحجة سنة تسع وخمسين وستمائة .

ذكر أخذ الشويك

كان السلطان قد جهز الأمير بدر الدين الأيدمرى وصحبته جماعة من العسكر ، وما أعلم أحدا ممن جرد بالجهة التي يتوجهون إليها ، فتوجه إلى الشويك وبذل المال والخلع فسلمت إليه . ووصل الخبر بتسليمها في سادس عشر ذي الحجة من السنة . وولى نيابتها الأمير سيف الدين بلبان المحتسبي ، واستخدم بها النقباء

(١) انظر السلك (ج ١ ص ٤٦٥ — ص ٦ — ٧) مرجم الدين أبو بكر محمد بن أحمد ابن يحيى بن السني .

(٢) كذا في الأصل واضحا ، وفي السلك (ج ١ ص ٤٤٧ ص ٤١) « المختص » .

والجنادارية ، وأفرد لخااص القلعة ما كان لها إلى آخر أيام الصالحية النجمية .
وفي هذه السنة ، كانت وفاة صاحب صفى الدين أبى إسحق إبراهيم
ابن عبد الله بن هبة الله بن أحمد بن مرزوق المسقلانى ، وكان قد وزر لذلك
الأشرف ابن الملك العادل بدمشق مدة ، ثم عزل بجمال الدين بن جرير ، وكان
تاجرا من هورا بالثروة وكثرة الأموال . وكان ابتداء أمره كما حكى عنه أنه حكاة
من نفسه قال : أرسلنى والدى إلى القاهرة من مصر لأبتاع له قمحا ، وكان له
طاحون بمصر ، فتوجهت إلى دار بعض الأمراء فاشتريت ألف أردب بخمسة
آلاف درهم ، وتسلمتها ، وبث فى تلك الليلة بالقاهرة ، وأصبحت فتحسن
سعرها فبعتها بسبعة آلاف ، فأوفيت الثمن ، وأخذت ما بقى ، وصرفت به مائة
وثلاثين ديناراً . وأتيت والدى فسألنى عن القمح ، فقلت : بته ، فقال : ولم
لا أتيت به ؟ فقلت له : لئلك لم ترسل معى الثمن ، حتى ولم تعطنى دابة أركبها ،
وهنالك مشرين دابة ، ماها ن عليك أن أركب منها دابة . وكنت قد مشيت
من مصر إلى القاهرة لحققت ذلك عليه . قال : ثم تجرت فى ذلك المسال الذى
ربحته من ثمن القمح فبارك الله لى فيه حتى جمعت منه ستمائة ألف دينار هينا ،
غير ما اشتريت من العقار والأثاث والخدم والدواب والمسفر وغيره .

وكانت وفاته بمصر ودفن بسفح المقطم . ومولده فى شهر رجب سنة سبع
وسبعين وخمسمائة . رحمه الله تعالى .

وفىها توفى الأمير مظفر الدين عثمان بن ناصر الدين منكورس بن بدر الدين
نحارديكى^(٢) ، وهو صاحب صهيون ، وجد هتقى الأمير مجاهد الدين صاحب صرخده .

(٢) انظر النجم (ج ٧ ص ٢٠٦ من ٢-٤) .

(١) كذا فى الأصل .

وكانت وفاته في ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة تسع وخمسين وستمائة بقاعة صهيون ودفن بها ، وولى بعده ولده سيف الدين محمد . وكان هو قد ولى صهيون بعد وفاة والده ناصر الدين منكورس في سنة ست وعشرين وستمائة . وخلف الأمير مظفر الدين من الأموال مالا يحصى كثرة . حكى الشيخ شمس الدين ابن الجزري في تاريخه قال : حكى لي المصاحب مجد الدين اسماعيل بن كسيرات الموصل قال : كان مظفر الدين صاحب صهيون يجلس في كل يوم في باب القلعة ويأخذ قطعاً من الشمع ويختم عليها بخطه ، فمن كان له دعوى على خصمه أو محاكمة جاء إليه وأحضر معه شيئاً من المأكول فيضعه في الدركاه بين يدي الأمير مظفر الدين ، ويأخذ قطعة من ذلك الشمع الختم وتوجه إلى خصمه ويقول هذا ختم السلطان ، فيأخذ الختم معه شيئاً أيضاً ويحضر إلى بين يديه فيحكم بينهما بنفسه . قال : فسأله عن مقدار ما يحضره الواحد منهم . قال : يأتي كل واحد بحسبه من الراس الغنم إلى خمس بيضات . ومات وقد ناف على تسعين سنة ، رحمه الله .

وفيها توفي الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن عيسى بن درباس المارداني الشافعي ، وكانت وفاته بالقاهرة في يوم السبت سادس شوال ، ودفن من يومه بسفح المقطم . ومولده في ليلة الثلاثاء ثاني عشرين شهر ربيع الأول سنة ست وسبعين وخمسة ، رحمه الله تعالى .

(١) في الأصل المارداني ، والتعديل مستند إلى النسخة م ، وإلى شذرات الذهب في وفاته عام ٦٥٩ هـ ، وأما : القاضي كمال الدين أبو حامد محمد بن قاضي القضاة صدر الدين عبد الملك المارداني المصري الشافعي الضرير ، ولقبه صاحب النجوم (ج ٧ ص ٢٠٥ ص ١٧) : المصدر المعدل .

واستهلكت سنة صتين وستمئة

في هذه السنة ، في ثالث عشرين المحرم ، أمر من الأمير بدر الدين بيليك الخزنदार الظاهري نائب السلطنة الشريفة على ابنة الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل كان ، وكان عقد النكاح قد عقد في ثالث عشر شوال سنة تسع وخمسين وستمئة ، وذلك أن السلطان كان قد استدعى الملوك لإخوتها في اليوم المذكور وعرفهم مكانة الأمير بدر الدين منه ، وأن محله محل الولد ، وخطب أختهم له ، فأجابوا إلى ذلك ، وعقد النكاح . وملكه السلطان في ذلك اليوم بانياس وقلعتها بالبيع الشرعي . ثم كان البناء بها في هذه السنة . وعمل العرس بالميدان الأسود . واحتفل السلطان به احتفالا عظيما ، وفوض إليه بعد أيام قلائل النظر في أمر الجيش : بقطع الإقطاعات ويزيد وينقص ، وفوض إليه أمر الرهايا وكشف ظلاماتهم وغير ذلك .

وفيها ، حصل الصلح بين السلطان والملك المغيث صاحب الكرك^(١) ، وكان ولده الملك العزيز في الاعتقال من الأيام المظفرية . فإن والده كان قد سيره إلى هولاكو كما ذكرنا فانفق حوده إلى دمشق عند دخول الملك المظفر إليها ، فأمر بإرساله إلى قلعه الجبل واعتقاله بها . فأطلقه السلطان الآن ، وأقطعته دبتان بمشور^(٢) ، وحلف السلطان لأبيه . ثم بعد ذلك سير السلطان له صنجقا وشعار السلطنة ، فقبل عقبه الصنجق وركب بشعار السلطنة .

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٤٦٨ ص ٥) .

(٢) كذا في الأصل ، ولم يجد الحق تبريها لهذا المكان في المراجع المتداولة .

وفيهما ، انتصب السلطان لمرض العساكر بنفسه وحلف الناس لولده الملك
السعيد ناصر الدين بركة خاقان ، فحلفوا له ، وسيرت نسغ الأيمان إلى القلاع
والجبال^(١) والناس بأجمعهم .

ذكر وصول الأمير شمس الدين سلار البغدادى وفى من أخباره^(٢)

وفى نصف شهر رجب سنة ستين وستمائة وصل الأمير شمس الدين سلار
البغدادى من العراق إلى الديار المصرية ، وكان رجلا تركيا من قبيلة دروت^(٣)
وهو من ممالك الخليفة الظاهر بأمر الله أبى نصر محمد بن الناصر لدين الله ،
ولاه واسط والكوفة والحلة . فأقام بها فى الأيام الظاهرية والمستنصرية
والمستعصمية . فلما استولى هولاكو على بغداد وقتل الخليفة ، اجتمع سلار
هذا وصاحب شسترومن انضم إليهما ، وقاتلوا التتار فلم يكن لهم بهم طاقة لكثرة
التتار ، فتوجه إلى بركة الحجاز ، فأقام بها نحو من ستة أشهر ، ثم راسله هولاكو
وكتب له فرمانا بإفراجه على ما كان عليه فى الأيام المستعصمية ، فحضر إليه فأقره ، فلما
أفضت السلطنة بالديار المصرية إلى السلطان الملك الظاهر كاتبه السلطان ، وطلب
منه الوصول إليه مرة بعد أخرى ، فتقرر حضوره إليه ، وتأخر ذلك إلى أن
يقبل لنفسه ويجمع أمواله ، فاتفق أن السلطان تحدث مع قليج البغدادى فى بعض
الأيام فقال له السلطان : خوشداك سلار يصل إلينا ؟ فقال : هذا لا يتصور

(١) الإضافة يقتضيا السياق .

(٢) انظر السرك (ج ١ ص ٤٦٨ س ١١ - ١٤) .

(٣) انظر السرك (ج ١ ص ٤٦٨ حافة ٣) .

وقوه ، لأن سلاز من الملوك بالعراق ، فكيف يفارق ما هو فيه ويحضر إلى هذه البلاد ؟ فقال السلطان : متى لم يحضر برضاء أحضرته بغير رضاه . وبعت قاصدا يكتب إليه على أنها أجوبة كتبه ، وبعت قاصدا آخر وقال له : إذا قربت من الأردو فاقتل هذا القاصد واتركه وما معه ، ففعل ذلك . ولما قتل القاصد وجده القراول ، فأحضره إلى هولاء كوفريء ما معه من الكتب فوجدت أجوبة سلاز . وكان بمقام هولاء جماعة من أولاد ممالك الخليفة أخذهم لنفسه وجعلهم خواصا عنده ، فسبروا إلى سلاز في الوقت يعلمونه الخبر ، فلم أنها مكيدة ، ورسم هولاء بطلبه إلى الأردو ، فوصل إليه الخبر قبل ورود مرسوم هولاء بطلبه . وكان حال وصول الخبر إليه يتصيد ، فلم أنه متى وصل إلى هولاء كوفريء قتل ، فساق لوقته إلى أن وصل إلى الديار المصرية . وترك جميع أمواله وذخائره وأهله وأولاده . ولما وصل أكرمه السلطان وعامله بإحسان كثير ، وأنزله بالكش ، وأمره بطلب خاياه ، وأقطعه منية بنى خصيب . فقال للسلطان : لقد ضيع السلطان على المسلمين أموالا عظيمة ، فإنك لو تركتني حتى أحضر بما جمعته من الأموال والذخائر انتفع بيت المال به ، فأني جمعت خراج سنتين . فقال له السلطان : إنما كان قصدي حضورك ، ولم أقصد الأموال ، ولا تجلس بين يدي . السلطان لا يرفع أحدا عليه . ثم جرده السلطان في مقابلة الفرنج بساحل عكا ، فكتب إلى السلطان يسأله أن يقيم بالشام فأقطعه نصف [مدينة] نابلس ، وأقام ستة أشهر ثم أعاده [السلطان] إلى الديار المصرية .

(١) مخد العبارة أن السلطان التفت إلى جماعة الحاضرين وتحدث من سلاز بصيغة الغائب .

(٢) زاد الملوك (ج ١ ص ٤٦٨ من ١٣) : « وأعطاه إمرة تحسين في الشام » .

وكان السلطان قبل وصول سلاار البغدادى قد اعتقل الأمير سيف الدين قليج لأمر صدر منه ، فأطلقه السلطان بغير شفاعه ، وأحسن إليه وأعادته إلى الإمرة ولعب معه الكرة .

ذكر عود رسل السلطان من جهة الأنبرور^(١)

وفي شعبان سنة ستين وستمائة ، وصل الأمير سيف الدين الكزى^(٢) ، والفاضى أصيل الدين خواجا إمام ، وكان السلطان بعثهما إلى الأنبرور ، وذكر أن الأنبرور أهتم بأمرهما اهتماما عظيما ، وأنه أحضرهما ساعة وصولهما وعرضت عليه الهدية ، وكان في حملتها زرافة فأعجبته إعجابا عظيما ، وشاهد التار الذين سيروا إليه [ذلك]^(٣) ، وذكر أنه جهز رسولا وهدية تحضر فيهما بعد .

وكان في جملة رسله إلى السلطان نفران من البحرية^(٤) ، فلما وصلا ، أمر السلطان بتأديبهما لما بلغه من سوء اعتادهما ، وسيرهما إلى قلعة الجزيرة يعملان فيها .

ذكر عود رسل السلطان من جهة صاحب الروم ووصول رسله

إلى السلطان ، وما قرره السلطان من بلاده .

وفي هذا الشهر ، وصل الأمير شرف الدين الجاكي ، والشريف عماد الدين الهاشمي . وكان السلطان قد سيرهما إلى السلطان عز الدين كيكاوس بن كيخسرو

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٤٦٩) .

(٢) كذا في الأصل وفي السلوك أيضا .

(٣) الإضافة يتضمنها السياق .

(٤) راجع حاشية المذكور زيادة في السلوك (ج ١ ص ٦٦٩ حاشية ٤٢) .

صاحب الروم ووصل محبتهما الأمير ناصر الدين نصر الله بن كوج^(١) رسلان أمير حاجب ، والصدر صدر الدين الخلاط^(٢)ي رسولان منه ، ومعهما كتابه إلى السلطان يذكر أنه نزل للسلطان عن نصف بلاده ، وصير^(٣) درجا فيها علام بمما يقطع من البلاد لمن يختاره السلطان ويؤمره [وسأل أن] يكتب له من جهته منشورا قرين منشور صاحب الروم . فلما وصل الرسل إلى السلطان أكرمهم وجهز جيشا نجدة لصاحب الروم . وأمر بكتب المناشير، ودين الأمير ناصر الدين أغلش السلاح دار الصالحى لتقدمة الجهش ، ودين له ثلاثمائة فارس ، وأقطعه في الروم ، وكتب للأمير ناصر الدين الرسول المذكور منشورا بثلاثمائة فارس وأقطعه آمد وأعمالها ، وتقرر سفره محبة العسكر ، وأن يتوجه صدر الدين رفيقه في البحر محبة رسل السلطان . ووقع الإهتمام في كتب المناشير وتجريد الأمراء من الشام وحلب .

وفي شهر رجب من السنة ، وصل الأمير عماد الدين ولد الأمير مظفر الدين صاحب صهيون رسولا من جهة أخيه الأمير سيف الدين ، ومحبته الهدايا الحسنة . فأحسن السلطان إليه وكتب له منشورا في بلاد حلب بثلاثين فارسا ، وكتب له منشورا آخر في بلاد الرومية بمائة طواش .

وفي هذه المدة ورد كتاب صاحب الروم يذكر أن العدو لما بلغهم اتفاهه مع السلطان ولوا هاربين ، وأنه سبى إلى قونيه يحاصرها ليأخذ من بها من أصحاب أخيه .

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٤٦٩ .

(٢) كما في الأصل ، وفي السلوك (نفس الموضع السابق) : الأخلط .

(٣) الإضافة من من السلوك للإيضاح (نفس الموضع السابق) .

وفي هذا التاريخ ، وصلت كتب الأمير علاء الدين الخزندار مقدم المسكر المتوجه إلى الصعيد بسبب العربان عندما قتلوا الأمير من الدين الهواش متولى الأحمال الفوصية يذكرون تبديد ثمنهم وأبادتهم وأنه أراح المسلمين من فسادهم .
وفي شعبان منها توالى وصول جماعة ممن كان محبة الأمير شمس الدين أفتش البرلى من العزيزية والناصرية ، فأحسن السلطان إليهم ، ولم يؤاخذهم بما كان منهم .

ذكر عود رسل السلطان من جهة الأشكرى

وخبر مسجد القسطنطينية

وفي هذه السنة ، وصل الأمير فارس الدين أفتش المسمودى الذى كان توجه رسولا إلى الأشكرى ، وكان الأشكرى قد سير رسولا إلى السلطان يلتمس بطركا للنصاوى الملكيين فعين لذلك الرشيد الكمال ، وسير إليه محبة الأمير فارس الدين المذكور ، فأكرمه الأشكرى وأكرم من محبة من الأساقفة ، وصادف وصولهم إلى الأشكرى فتح القسطنطينية ، فركب يوما ليفرج فارس الدين المذكور فيها وفي عمارتها . فربما كان وقال : هذا جامع ، وقد أبقينه ليكون ثوابه للسلطان . فلما سمع السلطان هذا الخبر استبشر به وفرح فرحا عظيما . وأمر لوقته بتجهيز الحضر العبدانى والقناديل المذهبة والستور المرموقة والسجادات والمباخر والعنبر والعود والسك وماء الورد .

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٤٧) .

(٢) كما فى الأصل ، وفى السلوك : الملكية (نفس الموضع) .

(٣) النسبة إلى عبادان وكانت مشهورة بالحجر معجم بالموت (ج ٦ ص ١٠٥) .

وهذا المسجد كانت عمارته في سنة ست وتسعين للهجرة . وكان قد وقع الصلح مع الروم على أن يبنى بها مسجد جامع^(١) فبنى . ولما طالت المدة جعلوه حوسا . وقيل : إن الصلح كان قد تقرر على أن يبنى مسجد قدر جلد بدير ، وتقررت اليهود على ذلك فعمد المسلمون إلى جلد بدير فهدوه سيورا ومدوها . فأنكر ذلك فقال المسلمون : هذا جلد بدير ، لم يزد عليه شيئا ، وعليه وقع الاتفاق . فسكنوا . وقيل : إن بانيه مسلمة بن عبد الملك في أيام أخيه الوليد . والله أعلم .

ذكر حضور الأمير شمس الدين

أقش البرلى العزى إلى الديار المصرية^(٢)

قد ذكرنا من أخباره وتردده إلى حلب وقتاله التتار في سنة تسع وخمسين وستمائة ما قدمناه .

قال المؤرخ : ولم يزل السلطان يكتابه ويرغبه ويعطيه اليهود والموائيق على الوفاء ، وسير إليه الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى في رسالة ، وشافهه باليمن ، فقال له الأمير شمس الدين : « قد جاءتني رسالة هولاكو يطلبني إليه ، وحلف لى . وهذه رسالة السلطان ويمنه ، وأنا ، والله » أعلم أن هولاكو يفتى ، وأن السلطان لا يفتى . وكان أولاده وأهله بالقاهرة فترجع عنده الحضور لحضر ، ولما وصل إلى دمشق كتب السلطان إلى النواب بمخافته وترتيب الإقامات له في جميع الطرقات والمنازل إلى أن يصل إلى القاهرة ، وكان متمرضا من

(١) سقطت من الأصل عبارة من نحو سطرين من ١٧ كلمة ، على حين تشمل النسخة « ص »

كل العبارة السابقة .

(٢) انظر السلك (ج ١ ص ٢٥٥ ، ٢٧٦) .

بحراة في رجله بفهز إليه الأدوية واهتم بأمره اهتماما عظيما ، وكان وصوله إلى القاهرة في ثاني ذى الحجة سنة ستين وستمائة ، فركب السلطان لتلقيه وحمّل إليه من الأموال والأقمشة والخلع والحيول وآلات البيوتات ما لا يكون مثله إلا للملك . ولم يترك شيئا مما يحتاجه الأمراء إلا سيره إليه . وكتب له منشورا بستين فارسا ، وأعطاه طبخانا ، وأمر من محبته من الأمراء . وأعطى كل واحد منهم بحسب حاله . قال : ولما استقر أرسل إلى السلطان يسأله زيادة في الشام^(١) أو في نابلس أو بلاد الصلت أو بعلبك أو حران ، ويتزل من البيرة ، ويقول : إن قدرته تعجز عن حفظها ، فشكره السلطان ولم يقبل البيرة منه . وقال : « أنا أرجو لك الزيادة » وصار السلطان يقربه فيسأله إذا ركب ، ويستشيريه إذا جلس ، ويسأله في كل شيء حتى فيما يكون بين يديه من الطرف ، ولازمه حتى لم يفارقه صيد ولا غيره ، ثم جدد السؤال في قبول البيرة ، فقهاها السلطان منه وأعطاه الرها وفيرها ، وأمر مماليكه . وسافر في محبة السلطان إلى الطور ثم قبض عليه لاصباب نذكرها ، إن شاء الله تعالى .

ذكر القبض على علاء الدين طيبرس

الوزيرى نائب السلطنة بالشام^(٢)

وفي سنة ستين وستمائة ، بلغ السلطان من الأمير الحاج علاء الدين طيبرس الوزيرى النائب بدمشق أمورا أنكرها عليه ، فسير الأمير عز الدين الديماطى ، والأمير علاء الدين أبغدوى الحاج الركنى فتوجها من الديار المصرية في شوال ،

(١) المقصود دمشق ،

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٤٧٢ ص ١٤ - ١٦) .

ودخلا إلى دمشق في ثالث ذي القعدة . فلما خرج اليهما ليتلقاهما ووصل إلى الأمير عز الدين الديماطى أهوى ليكارشه على ماجرت العادة به في السلام ، فقبض الديماطى بيده على عضد طيرس وبيده الأخرى على سيفه ، وأزله عن فرسه وركبوه بغلا ، وقيد وأرسل إلى السلطان . ووقعت الخوطة على أمواله وحواصله بدمشق ، وكان قد سير حملة منها مع العرب . وكان طيرس قد أساء السيرة في أهل دمشق ، وضيق عليهم ، وتسلم الأمير علاء الدين الركنى دمشق ينظر فيها إلى حين حضور نائب مستقل .

ومن عجيب ما وقع في القبض عليه ما حكاه شمس الدين الجزرى في تاريخه عن الرشيد فرج الله كاتب البيرويات بدمشق ، قال : لما وصل الأمراء الذين قبضوا على طيرس إلى الكسوة طلبنى وقال : جهز سماطا جيدا لهؤلاء الأمراء ، وأحضره أنت بنفسك واحترز عليه ، فانا لا أحضره . قلت : لأى سبب يتأخر مولانا عنه ؟ فأسر إلى وقال : إن هؤلاء جاءوا ليقبضوا على قبل دخولهم إلى دمشق . فقلت : يكفيك الله ، وبكيت . فقال : هذا أمر لا بد منه ، فأبصر أنت كيف تكون . فخرجت من عنده ، وجهزت السماط كما رسم ، وكان من قبض ما تقدم قال الرشيد : فدخلت يوما على الأمير علاء الدين الركنى وهو يحكم بدمشق ، فسالنى عن أشياء تتعلق بالديوان والسماط إلى أن ذكر الأمير علاء الدين طيرس الوزيرى وأخى عليه خيرا ، فوجدت مجالا للكلام ، فذكرت له هذه الحكاية . فقال لى : أنا أحكى لك أعجب من هذا : بينا أنا فى دارى بالقاهرة فى وقت الغايلة وإذا برسل السلطان تستدعنى إليه ، لما شككت حين طلبنى فى غير الوقت المعتاد أنه يقبض على . فأوصيت استادارى بما يعتمده ، وودعت أهلى ، وركبت إلى القاهرة ، فوافيت الأمير عز الدين الديماطى وقد طلب كما طلبت ، فصحقنا

جميعاً إننا نملك ، ثم دخلنا على السلطان فوجدناه في خلوة ، فلما أقبلنا عليه نهض قائماً ، وأكرمنا فقبلنا الأرض بين يديه وزال عنها ما كنا نجلده ، ثم أمرنا بالاقرب منه ، فقدمنا حتى التصلقت ركبتا بركبيته ، ثم أخرج من جيبه خنجر واستحلفنا أننا لا نذبح له مراً ، وأن نفعل ما يأمرنا به ، فحلفنا ، فلما تمت اليمين قال : تتوجها الساعة إلى دمشق وتستصحباً معكاً المعسكر المقيم بضرة ، وتمسكوا^(١) حلاء الدين طبرس نائب الشام ، وتكون أنت مكانه ، وإن سمعت هذا الحديث من أحد من خلق الله تعالى قبل أن تفعلاه شفتكما . فخرجنا من عنده فلما صرنا تحت القلعة إذا بحرفوش يقبضون لآخر : هؤلاء وإيهمين إلى دمشق يقبضوا على طبرس نائب السلطنة بها ، فأصفر عند ذلك لوني ولون الدمياطى ، وحلفنا جميعاً لانصل إلى يبوتنا ، وقال كل منا لاستادداره أن يلحقه بهمين وجنوب إلى البئر البيضاء^(٢) وسقنا من وقتنا إليها . فحلفنا فلما كنا وما نحتاج إليه بعد المعصر ، واستمر بنا السير حتى نفذنا أمر السلطان . وهذا شيء أجراه الله تعالى على ألسنة عوام مصر ، لا ينطقون بشيء في غالب الأوقات إلا ويكون كذلك .

ذكر وصول جماعة من التتار إلى خدمة السلطان^(٣)

قال المؤرخ : كان السلطان قد جهز كشافة من الأمراء وهم ، جمال الدين أفش الروى السلاح دار من الخواص ومعه الخيول الجياد ، ثم جهز الأمير حلاء لدين أفستغر الناصرى ، وكتب إلى الشام بأردانهم ، وأرسل أمراء

(١) كما في الأصل بالعامة .

(٢) البئر البيضاء . بن القاهرة ولبس انظر السلوك (ج ١ ص ٨٠٥) ٣

(٣) انظر السلوك (ج ١ ص ٤٢٣ - ٤٢٥) .

المصريان فساقوا إلى حدود العراق . وكانت الأخبار من جهة القصاد قد وردت أن هولاء كو جمع جمعا كبيرا ولم يعلم قصده ، فاحترز السلطان وسير هذه الكشافة . فأسكروا من وسط التارجمانة ، واستطلعوا منهم الأخبار ، وكانوا مسلمين ، فأطلقهم الأمير علاء الدين . ولما توالى الأخبار بحركة هولاء كو حمل السلطان بالحزم ، وتقدم إلى أهل دمشق بالحضور بأهاليهم لتخف ظهورهم وترخص الأسعار لحضر منهم جماعة كثيرة .

وكتب إلى النواب بحلب بحريق الأعشاب ، وسير جماعة إلى بلاد آمد ومواقع الأعشاب فأحرقوا من المروج مسيرة عشرة أيام ، وكذلك أعشاب بلاد خلاط^(١) حتى صارت كلها رمادا . ثم ورد كتاب الأمير الحاج علاء الدين أفستقر الناصرى أن الكشافة وجدوا جماعة كثيرة من التارمستامين وأفدين إلى باب السلطان ، وأنهم من أصحاب الملك بركة ، وكانوا نجدة عند هولاء كو ، فلما وقع بينهما كتب الملك بركة إليهم بالحضور إليه وإن عجزوا عن ذلك ينحازوا^(٢) إلى حسكر الديار المصرية وأنهم يذكرون أن العداوة قد استحكمت بين الملكين هولاء كو وبركة ، وأن ولد هولاء كو قتل في المصاف ، وأنهم فوق مائتي فارس ، فكتب السلطان إلى نواب الشام بإكرامهم وترتيب الإقامة لهم في الطرقات وحمل الخلع إليهم وإلى نسائهم ، وأحسن إلى مقدميهم الأربعة ، فوصلوا يوم الخميس رابع عشرين ذى الحجة سنة ستين ، وخرج السلطان للقاءهم يوم السبت السادس والعشرين من الشهر . وكان السلطان قد رسم بهامة أدر ومساكن لهم بقرب اللوق ، فسكنوها ، وحملت إليهم الخلع وسيقت الخيول ، وفرفت فيهم

(١) في الأصل : خلاصا ، ، والتصحيح مستند إلى متن السلوك (ج ١ ص ٤٧٢ ص ٧) .

(٢) حذف فعول وقع جائز في العامة ، واللفظ وارد هنا بمعنى العائى .

الأموال ، ولعبوا الكرة مع السلطان ، وأمر أكا برهم بمائة فارس فما دونها ،
ونزل بقيةهم في جملة بحريته وبماليكه ، وأفردت لهم جهات يستخرج منها
مربهم . وأسلموا وحسن إسلامهم . وبلغ التار ما قال هؤلاء من الإحسان وما
شملهم من الأنعام فتوافدوا جماعة بعد جماعة ، والسلطان يعتمد مع كل من
يحضر منهم مثل ما اعتمد مع من قبلهم .

(١) ذكر إنفاذ الرسل إلى الملك بركة

قال : ولما وصلت جماعة التار إلى السلطان ، واستطلع منهم الحال وعرف
أحوال الملك بركة ومقامه والطريق إليه جهز إليه رسله وهم : الأمير سيف الدين
كشربك^(٢) وهو رجل تركي كان جدار السلطان خوارز مشاء يعرف البلاد واللغات ،
والفقيه مجد الدين الروذ راوري ، وسير محبتهم^(٣) قريين من التار الذين وصلوا إليه
من أصحاب الملك بركة . وكتب على أيدي الرسل كتابا يستميله ويحثه على
الجهاد ، ويصف العساكر الإسلامية وكثرتهم وعدة أجناسهم من الترك وعشائر
الأكراد وقبائل العربان ومن أطاعها من الملوك الإسلامية والفرنجية ، ومن خالفها ،
ومن وافقها ، ومن هادأها وهادئها ، وأن جميعها في طاعته وسامعة لإشارته إلى غير

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ١٧٥) .

(٢) كذا في الأصل : « كشربك » بالسين المهملة والياء الموحدة ، وفي السلوك (ج ١
ص ١٧٥) : « كسربك » بالسين المهملة والياء المتناه . ومن قراءات السلوك في الحاشية « كسنتك »
بجذف الراء ، وبناء متناه فوقية .

(٣) من السلوك (ج ١ ص ١٧٣) أن اسمها « بلاغيا وطرشاه » .

(٤) كذا في الأصل والراجع أن الأسلوب كان يقتضى : « من هادأها ومن هادئها » .

ذلك من الأغراء بهولا كونه يهين أمره وتبيع الغفلة منه ، وأعلمه بوصول من وصل من التار وادعائهم أنهم من أصحابه ، وأن الإحسان إليهم إنما هو من أجله . وكان الخليفة الحاكم بأمر الله قد حضر وبويع بحضور الرسل وكتب نسبه وأذهبت وأنشد على ثبوت نسبه ، وسير ذلك إلى الملك بركة . وزود الملك الظاهر الرسل لمدة شهر ، وتوجهوا في المحرم سنة إحدى وستين . ووصلوا إلى بلاد الأشكرى فأحسن إليهم وصادف وصولهم وصول رسل الملك بركة إلى الأشكرى ، فسيرهم محبتهم ورجع الفقيه مجد الدين لمرض حصل له ، وتوجه الرسل محبة رسل الملك بركة : الأمير جلال الدين . والشيخ نور الدين ، ووصلت كتب الأشكرى أن رسل السلطان توجهوا سالمين .

ذكر تفويض نيابة السلطنة بالشام إلى الأمير

جمال الدين النجيبى الصالحى^(١)

قال : ولما تسلم الأمير علاء الدين الركنى مدينة دمشق على ما قدمناه اختار السلطان الأمير جمال الدين أفض النجيبى الصالحى لنيابة السلطنة بدمشق ، وجهز معه صاحب من الدين عبد العزيز بن وداعة وزير الشام . وكان قد حصل بينه وبين الأمير علاء الدين طبرس مفاوضات أوجبت حضوره إلى الباب السلطانى محبة الركاب الشريف فرم يهوده على وظيفته .^(٢)

وفى هذه السنة فى ذى القعدة ، خرج أمر السلطان لقاضى القضاة طاج الدين^(٣) أن يستلب نواباً من المذاهب الثلاثة ، فاستتاب القاضى صدر الدين سليمان

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٤٨٠) .

(٢) فى النسبة « من » فرم يهوده على عادة وظوفته .

(٣) انظر السلوك (ج ١ ص ٤٧٢) .

الحنفى ، والشيخ شرف الدين عمر السبكى المالكى ، والشيخ شمس الدين الحنبلى .
وفىها : اشتد الفلاء بالشام^(١) ، وأبيعت فزارة القمح بأربعمائة وخمسين درهما ،
والشعير بمائتين وخمسين ، وأبيع القمح بحماسة من كل مكوك أربعمائة درهم ،
ثم غلت سائر الأصناف ، ومات خلق كثير من الجوع .

وفىها : فى ذى الحجة ظهر بالقاهرة عند الركن المخلق معبد وفىه حجر مكتوب
عليه هذا مسجد موسى بن عمران عليه السلام ، بحددت همارته . وهو إلى الآن
يعرف بمعبد موسى .

ذكر وفاة شيخ الإسلام عز الدين أبى محمد
ابن عبد العزيز بن عبد السلام بن أبى القاسم
ابن الحسن بن أبى محمد السلبى الدمشقى
الشافعى وشىء من أخياره^(٢)

كانت وفاته ، رحمه الله تعالى ، بالمدرسة الصالحية النجمية بالقاهرة المعزية ،
فى يوم السبت قبل العصر التاسع من جمادى الأولى سنة ستين وستمائة ، ودفن
يوم الأحد قبل الظهر بسفح المقطم . ومولده تقريبا فى سنة سبع أو ثمان وصبعين
ونعمسائة ، وولى من المناصب الدينية بدمشق : تدريس زاوية الغزالي ، وخطابة
الجامع الأموى . وولى بالديار المصرية : القضاء بمصر والوجه القبلى ، وخطابة
جامع عمرو بن العاص ، وتدريس المدرسة الصالحية بالقاهرة ، والنظر فى عمارة

(١) > > (ج ١ ص ٤٦٦) .

(٢) راجع ابن العلاء ، مخدرات الذهب ط . مكتبة القدس ، القاهرة ، ١٣٥١ هـ فى وفاته
عام ٦٦٠ ، وراجع السلوك (ج ١ ص ٤٧٦) .

المساجد بالقاهرة ومصر . وكان ، رحمه الله تعالى ، أحد أئمة المسلمين ، إليه انتهت الفتيا في زمانه ، وصنف التصانيف المشهورة ، منها : الإمام في أدلة الأحكام ، وقواعد الفقه الكبرى ، والوسطى ، والصغرى ، والغاية في اختصار النهاية ، وجمع بين الحاوي والنهاية ، واختصر الشامل لابن الصباغ ، واختصر الكشف ، واختصر تفسير ابن عباس والماوردي ، وفسر سورة البقرة في مجلدة^(١) ، وفسر من سورة يس إلى سورة الناس ، واختصر صحيح مسلم في مجلدين ، وعمل عليهما حواشي مفيدة ، واختصر الرماية ، وصنف في الزهد شجرة المعارف ، وغير ذلك من التصانيف المفيدة . وكان ، رحمه الله ، كثير الزهد والإيثار ، لا يعتنى بالملابس ، ولا يكثر بها ، ولا تأخذه في الله لومة لائم ولا يخشى سطوة ملك ، لم يزل يصدع الملوك برالحق ، ويفضى بحكم الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإن خالف ذلك آراء الملوك واحتقادهم ، وكرهه منه ، ونهوه عنه فلا يرجع عما عليه ، ويطلب المناظرة عليه . وافقت له وقائع مع الملوك راموا فيها قتله ، فحماه الله تعالى منهم ، وهى وقائع تدل على صلابته دينه ، وحسن يقينه ، وتمسكه من السبب الأقوم بمنتهى . منها : واقفته مع الملك الأشرف مظفر الدين مؤيد بن الملك العادل صاحب دمشق في مسألة الكلام . وكان الملك الأشرف قد صحب جماعة من مبتدعة الحنابلة من صغره ممن يقول بالحرف والصوت ، فاستمالوه إلى مذهبهم وقرروه عنده حتى أمتزج بلحمه ودمه ، واعتقد كفر من يعتقد خلافه وأنه مباح الدم . وكان في ابتداء ملطته يميل إلى الشيخ عز الدين لمسا يبلغه عنه ، وقصد حضوره إليه ، والشيخ يأبى ذلك ويمنع منه ولا يجيب إليه . فالتقى

(١) لا يقل أن تكن مجلدة واحدة ، والراجح أن العدد الذي كان قبل التمهيد قد سقط .

إلى السلطان من صحبه من الخبايلة أن الشيخ مخالف لأيه مياين لمذهبه ، وأنه
يقدر فيمن يعتقده ويذمه ويسبه ، فأنهمهم السلطان في ذلك ، وطلب منهم
تحقيقه عنده ، فاجتمعوا وكتبوا فتيا في مسألة الكلام وأرسلوها إلى الشيخ ،
وكان قد اتصل به خبر مكيدتهم ، فلما أتته كتب عليها بما يعتقده من تعظيم
الله تعالى وتزييه وتوحيده ، وأنه حق مريد جميع بصير عليم ، قدبر متكلم قديم
أزلى ليس بحرف ولا صوت ولا يتصور في كلامه أن يتقلب مدادا في الألواح
والأوراق ، بل الكتابة من أفعال العباد ، ولا يتصور في أفعالهم أن تكون قديمة ،
ويجب احترامها لدلائها على ذاته ، كما يجب احترامها لدلائها على صفاته . وأطال
في الفتيا وبسط الكلام واستدل ، ونفى عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ،
وأكابر أصحابه خلاف ذلك ، وأخرج الفتيا من يده وقد تحقق ما يؤول أمرها
إليه ، فعرضت على السلطان ، ومن عرضها لا يشك أن فيها سفك دم الشيخ .
فلما وقف عليها امتشاط غضبا وقال : صبح عندي ما قالوه عنه ، وتكلم في حقه
باشنع الكلام ، وكفره ، وكان ذلك في شهر رمضان ، وقد اجتمع على
محااطه القضاة والعلماء ، لما استطاع أحد منهم أن يرد عليه لما عنده من
الحرج . فقال بعضهم : السلطان أولى بالعمو والصفح لا سيما في مثل هذا
الشهر ، وموّه آخرون بكلام يوههم صحة فذهب خصمه ، ثم انفصلوا من
المجلس . فنهض في ذلك الشيخ جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب المالكي ،
رحمه الله تعالى ، وهو عالم مذهب في زمانه . واجتمع بالقضاة والأعيان الذين
حضرُوا المجلس ، ووبخهم ولا مهم وشدد عليهم التكبير كونهم ما ذكروا الحق
وكبرهم سألوا العمو والصفح ، وقال : هذا يوم الذنب ، ولم يزل إلى أن أخذ

خطوطهم بموافقة الشيخ . فعند ذلك التمس الشيخ من السلطان أن يعقد مجلساً للشافعية والحنابلة ويحضره المالكية والحنفية وغيرهم من علماء المسلمين . وقال :
الذى يُعتقد في السلطان أنه إذا ظهر له الحق يرجع إليه ، وأنه يعاقب من موه الباطل عليه ، وهو أولى الناس بموافقة والده السلطان الملك العادل ، تغمده الله برحمته ، فإنه كان قد عزز جماعة من أعيان الحنابلة المبتدعة تعزيراً بليغاً رادعاً وبدع^(١) بهم وأهانهم .

فأجابهُ السلطان بخطه ما مثاله :

بسم الله الرحمن الرحيم

« وصل إلى ما التمسهُ الفقيه ابن عبد السلام ، أصلحه الله ، من عقد مجلس وجمع المفتين والفقهاء . وقد وقفنا على خطه وما أتى به ، وعلمنا من عقيدته ما أغنى عن الاجتماع به . ونحن فنتبع ما عليه الخلفاء الراشدون الذين [قال]
صلى الله عليه وسلم ، في حقهم . « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى » .
وعقائد الأئمة الأربعة فيها كفاية لكل مسلم يقلب هواه ويقبض الحق ويقتلص من البدع ، اللهم إلا أن كنت تدعى الاجتهاد فعمليك أن تثبت ، ليكون الجواب على قدر الدعوى لتكون صاحب مذهب خامس .

وأما ما ذكرته عن الذى جرى في أيام والدى ، تغمده الله برضوانه ، فذلك الحال أنا أعلم به منك . وما كان له سبب لإفتح باب السلامه ، لا لأمر ديني وجرم جرم سفهاء قوم لخل بغير جانيه العذاب . ومع هذا فقد ورد في الحديث

(١) كذا في الأصل والمعنى بحسب السياق « نكل » وفي النسخة من يرد : « ندد » .

الفتنة نائمة ، لمن الله مشيرها ؛ ومن تمرض إلى إثارتها قابله بما يخلصنا من الله ، وما يعضد كتاب الله وسنة رسوله .

فلما وصلت هذه الرقعة إلى الشيخ قرأها ، وقال للرسول : اذهب فقد وصلت . فقال : تقدمت الأوامر المطاعة السلطانية بإحضار جوابها ، فكتب الشيخ ما مثاله ؛

بسم الله الرحمن الرحيم

(قَوْرَبِكُ لِنَسَائِهِمْ أَجْمَعِينَ . عما كانوا يعملون^(١))

أما بعد حمد الله الذي جلت قدرته وعلت كلمته وعمت رحمته وسبغت نعمته ، فإن الله تعالى قال لأحب خلقه إليه وأكرمهم لديه : (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون^(٢)) وقد أنزل الله تعالى كتبه وأرسل رسله بنصائح خلقه . فالسعيد من قبل نصائحه وحفظ وصاياه . وكان فيما أوصى به خلقه أن قال : (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين^(٣)) وهو سبحانه وتعالى أولى من قبلت نصيحته وحفظت وصيته . وأما طلب المجلس وجمع العلماء فما حلني عليه إلا النصيح للسلطان وعامة المسلمين . وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدين فقال : « الدين النصيحة » ؛ قيل لمن ؟ يا رسول الله : قال : « لله ولكتابه ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم » ، فنصح الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، ولكتابه بالعمل بمواجهه ، وللأئمة بأرشادهم

(١) الحجرات آية ٩٢ ، ٩٣ .

(٢) الأنعام آية ١١٦ .

(٣) الحجرات آية ٦ .

إلى أحكامه والوقوف عند أوامره ونواهيه ، ولعامة المسلمين بدلاتهم على ما يقربهم إليه ويؤلفهم لديه . وقد أدبت ما على ذلك .

والفتيا التي وقعت في هذه القضية يوافق عليها علماء المسلمين من الشافعية والمالكية والحنفية والفضلاء من الحنابلة ، وما يخالف في ذلك إلا راع لا يبايأ الله بهم ، وهو الحق الذي لا يجوز دفعه ، والصواب الذي لا يمكن رفعه . ولوحضر العلماء مجلس السلطان لعلم صحة ما أقول ، والسلطان أقدر الناس على تحقيق ذلك . وقد كتب الجماعة خطوطهم بمدل ما قلته ، وإنما سكت من سكت في أول الأمر لما رأوا من غضب السلطان . ولولا ما شاهدوه من غضب السلطان لما أفتوا أولا إلا بما رجعوا إليه آخر . ومع ذلك فيكتب ما ذكرته في هذه الفتيا وما ذكره الغير ، ويبعث إلى بلاد الإسلام ليكتب فيها من يجب الرجوع إليه ويعتمد في الفتيا عليه . ونحن نحضر كتب العلماء المعتبرين ليقف عليها السلطان .

وبلغنى أنهم أقوال إلى سمع السلطان أن الأشعري يستهين بالمصحف . ولا خلاف بين الأشعرية وجميع علماء المسلمين أن تعظيم المصحف واجب . وعندنا أن من استهان بالمصحف أو بشيء منه فقد كفر ، وانفسخ نكاحه ، وصار ماله فينا للمسلمين ، وتضرب عنقه ، ولا يقبل ، ولا يكفن ، ولا يصل عليه ، ولا يدفن في مقابر المسلمين ، بل يترك بالقاع طعمة للسباع . ومذهبنا أن كلام الله سبحانه وتعالى قديم أزلي قائم بذاته ، لا يشبه كلام الخلق ، كما لا تشبه ذاته ذات الخلق ولا يتصور في شيء من صفاته أن يفارق ذاته ، إذ لو فارقته لبصار ناقصا ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ، وهو مع ذلك

مكتوب في المصاحف محفوظ في الصدور مقروء بالألسنة ، وصحفة الله القديمة ليست بمداد الكتّاب ولا ألفاظ الانظمين . ومن اعتقد ذلك فقد فارق الدين وخرج من عقائد المسلمين بل لا يعتقد ذلك إلا جاهل غبي ، وربنا المستعان على ما تصفون .

وليس رد البدع وإبطالها من باب إثارة الفتن . فإن الله سبحانه وتعالى أمر العلماء بذلك ، وأمرهم ببيان ما علموه . ومن امتثل أمر الله ونصر دين الله لا يجوز أن يلغنه رسول الله .

وأما ما ذكر من أمر الاجتهاد والمذهب الخامس : فأصول الدين ليس فيها مذاهب فإن الأصل واحد ، والخلاف في الفروع .

ومثل هذا الكلام مما اعتمدتم فيه قول من لا يجوز أن يعتمد قوله . والله أعلم بمن يعرف دينه ويقف عند حدوده .

وبعد ذلك فانا نزع أنا من جملة حزب الله وأنصار دينه وجنده . وكل جندي لا يخاطر بنفسه فليس بجندي .

وأما ما ذكر من أمر باب السلامة ، فنحن نكلمنا فيه بما ظهر لنا من أن السلطان الملك العادل ، تقمده الله برحمته ، إنما فصل ذلك إعزازا للدين ونصرة للحق . ونحن نمحكم بالظاهر والله يتولى السرائر ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم » .

وكتب الشيخ هذا الجواب مسترسلا بحضرة رسول السلطان ، ودفعه إليه . فلما قرأه السلطان اشتد غضبه ، وأرسل إليه أستاذه غي من الدين خليلا برسالة ،

وكان غرس الدين يحب الشيخ ويستفده ، فحضر إليه وجلس بين يديه ، وتلطف به واستأذنه في أداء الرسالة ، فقال : أدها كما قبلت لك .

فقال : يقول لك السلطان : «إنا قد شرطنا عليك ثلاثة شروط ، أحدها : ألا تنفى ، والثاني : ألا تجتمع بأحد ، والثالث : أن تلزم بيتك » . فقال له : إن هذه الشروط من نعم الله الجزيلة على^(١) ، المستوجب للشكره تعالى على الدوام . أما الفنيا : فإني والله كنت متبرما بها وأكرهها . وأعتقد أن المفتى على شفير جهنم . ولولا أنى كنت أراها متعينة على^(٢) لما أفتيت . والآن فقد سقط عنى الوجوب وتخلصت ذمتى لله الحمد والمنة ، وأما ترك اجتماعى بالناس ولزومى لبيتى : فهذا من سعادتى لتفرغى لعبادة الله تعالى . والسعيد من لزم بيته وبكى على خطيئته واشتغل بطاعة الله تعالى . وهذا تسليك من الحق ، وهدية من الله تعالى إلى أبحرهما على يد السلطان وهو غضبان وأنا بها فرحان . والله لو كان عندى خلعة تصاح لك على هذه الرسالة المتضمنة لهذه البشارة^(٣) لخلعتها عليك ونحن على الفتح ، خذ هذه السجادة صل عليها فقبها الحاجب وقبلها ، وانصرف إلى السلطان وقص عليه ما قاله الشيخ . فقال لمن حضره : قولوا لى ما أفعل به ، هذا رجل يرى العقوبة نعمة ، أتركوه ، بيننا وبينه الله .

وبقى على ذلك ثلاثة أيام إلى أن ركب الشيخ العلامة جمال الدين الحصبيرى شيخ الحنفية حماره وتوجه إلى القلعة ، وكان معظما عند السلطان وقد جمع العلم والعمل ، فلما بلغ السلطان وصوله إلى القلعة أرسل خواصه ينلقونه ، وأصرهم أن يدخلوا به إلى داره على حماره ففعل . ولما رآه السلطان وثب إليه وتلقاه ،

وأنزله من حمارة وأجاسه على تكرمته واستبشر به ، وكان ذلك عند غروب الشمس . فلما أذن المؤذن وصلوا المنرب قدم السلطان إليه ثرابا وناولوه إياه بيده . فقال : ماجئت إلى طعامك ولا إلى شراك . فقال : يرم الشيخ ونحن نتمثل أمره . فقال : أى شئ بينك وبين ابن عبد السلام ؟ هذا رجل لو كان فى الهند أوفى أقصى الدنيا كان يبنى للسلطان أن يسقى فى حلولة فى بلاده لتم بركته عليه وعلى بلاده ويفتخر به كل سائر الملوك . قال : عندى خطه باعقاده فى فتيا ، وخطه أيضا فى رقعة جواب ، رقعة سيرتها إليه . فيقف الشيخ عليهما ويكون الحكم بينى وبينه . ثم أحضر الورقتين ، فقرأهما الشيخ وقال : هذا اعتقاد المسلمين وشعار الصالحين ونفس المؤمنين ، وكل ما فيهما صحيح ، ومن خالف ما فيهما وذهب إلى ما قاله الخلف من إثبات الحرف والصوت فهو حمار . فقال السلطان : نحن نستغفر الله مما جرى ، ونستدرك الفارط فى حقه ، والله لأجملنه أخصى العلماء .

وأرسل إليه واسترضاه ، وطلب محالته ومخالته . وتقدم السلطان إلى الفريقين بالإسك عن الكلام فى مسأله الكلام وألا يفتى أحد فيهما بشئ سدا لباب الخصام .

ثم وصل السلطان الملك الكامل إلى دمشق . وكانت الواقعة قد اتصلت به ، فرام الاجتماع بالشيخ فاعتذر إليه ، فطلب أن يكتب له صورة الواقعة مستقصاة ، فأمر ولده الشيخ شرف الدين أن يكتب ذلك من أوله إلى آخره ففعل . وأرسله إلى الملك الكامل فقرأه وكتبه . ثم سأل أخاه الملك الأشرف عن الواقعة . فقال : يمنع الطائفتين من الكلام فى المسألة ، وانقطع بذلك الخصام . فقال له السلطان

الملك الكامل : ليست هذه سياسة حسنة ، تصاوى بين أهل الحق والباطل ، وتمنع أهل الحق من الأمر بالمعروف والنهي من المنكر ، وتأمروهم أن يكتنوا ما أنزل الله إليهم . كان الطريق أن تمكن أهل السنة أن يلحنوا بحججهم وأن يظهر آدين الله ، إلى غير ذلك من الكلام . وتحقق الملك الأشرف صحة ما قاله الشيخ وصرح بنجمله منه ، وصار يتراضا ، ويعمل بفتاويه ، ويأمر أن يقرأ عليه تصانيفه الصغار مثل : الملحة في اعتقاد أهل الحق ، ومقاصد الصلاة ، وكرر قراءتها عليه في يوم ثلاث مرات .

واستمر الحال على ذلك إلى أن مرض الملك الأشرف مرضة موتة^(١) وأرسل أكبر أصحابه إلى الشيخ وقال : قل للشيخ عبيك موسى بن العادل أبي بكر يسلم عليك ويسألك أن تعود وتدع له وتوصيه بما ينتفع به خدا عند الله تعالى . فأبلغه الرسول الرسالة ، فتوجه إلى السلطان فمر برؤيته ، وقال له : اجعلني في حل ، وادع لي ، وأوصني ، وأنصحني : ففعل الشيخ ذلك ، وتحدث معه في أشياء منها : إبطال المنكرات بدمشق . فأمر بأبطالها ، ونوى الشيخ إزالة بعضها بنفسه ، وأطلق السلطان له ألف دينار عينا ، فردها عليه : هذه اجتماعه لله تعالى ، لا أكرها بشئ من الدنيا . ثم مات الملك الأشرف إثر ذلك .

ولما حضر الملك الكامل إلى دمشق وانتزعها من أخيه الصالح إسماعيل كما تقدم ، حضر الشيخ إلى مجلس السلطان فأكرمه ، وفوض إليه تدريس زاوية النزالى بجامع دمشق ثم فوض إليه قضاء القضاة بعد ذلك بدمشق . فاشتراط شروطا كثيرة ولم يله . وقيل إنه تولاه مدة يسيره وعزل نفسه .

ثم كانت واقعة مع الملك الصالح عماد الدين إسماعيل [بن المأذل] صاحب دمشق [عندما أذن للفرنج في دخول دمشق وشراء السلاح ... فأتى الشيخ عز الدين ابن عبد السلام بتحريم بيع السلاح للفرنج ... وكان الصالح غائبا عن دمشق فورد كتابه بعزل ابن عبد السلام . وولى خطابة ^(١) دمشق ، بعد عز الدين بن عبد السلام ، علم الدين داود بن عمر بن يوسف بن خطيب بيت الآبار .

فلما سلم الملك الصالح صفد والشقيف وغير ذلك للفرنج وصالحهم ، كما تقدم ، امتنع [الشيخ ابن عبد السلام] من الدماء له على المنبر الجامع بدمشق فكان من خبر عزله واعتقاله وخروجه من الشام ووصوله إلى الديار المصرية وولايته الخطابة بجامع عمرو بن العاص بمصر ، والقضاء بمصر والوجه القبلي ، وعزله نفسه مرة بعد أخرى ، وغير ذلك من أحواله ما قدمناه في أخبار الدولة الصالحية النجمية .

ولم يزل الشيخ ، رحمه الله تعالى ، معظما عند الملك الصالح وغيره من الملوك بعده بالديار المصرية يرجعون إلى رأيه ويعتمدون على فتاويه ، ويقف الأكابر عند أوامره إلى أن ملك السلطان الملك الظاهر فزاد في تعظيمه وإكرامه وبره ، واستشاره في ابتداء دولته فيما يفعله مما فيه صلاح دولته ، فقال له : إن الدولة لا تقوم إلا بأمرين ، أحدهما : قيام الشرع الشريف . والثاني : تحصيل الأموال من وجوهها ، ولا أرى لمنصب القضاء مثل تاج الدين عبد الوهاب ، يريد ابن بنت الأعرز ، وللوزارة مثل بهاء الدين علي . فرجع السلطان إلى رأيه وتمسك بقوله ، وفوض المنصبين لهما ، فقام كل منهما في منصبه أحسن قيام . وحدث حاكمة هذه الولاية ، وشكر سداد هذا الرأي .

(١) الإضافة يقتضها الإيضاح ، ويؤيدها السلوك (ج ١ ص ٢٠٤) .

(٢) الإضافة مأخوذة عن السلوك (ج ١ ص ٢٠٤) بسبب تعليق سطره بين لفظي دمشق .

ولما توفي الشيخ ، رحمه الله تعالى ، تألم السلطان لفقده ، وشيع جنازته
أمراء الدولة وأكابرها ، وحملوا نعشه إلى أن وضع في قبره ، رحمه الله تعالى .
وهذا الذي أوردته من أخبار الشيخ في مسألة الكلام نقلته من خط ولده
الشيخ شرف الدين محمد ، رحمه الله تعالى . وفضائله ومناقبه ، رحمه الله تعالى ،
كثيرة . وقد أتينا منها بما يدل على مجموعها .

وفيها : أيضا توفي صاحب كمال الدين^(١) عمر ، ابن قاضي القضاة نجم الدين
أبي الحسن أحمد بن هبة الله^(٢) بن أحمد بن يحيى بن زهير بن هارون بن موسى
ابن عيسى بن عبد الله بن محمد بن أبي جراحه الحنفى المعروف بابن العديم الحلبي ،
كان فاضلا أديبا شاعرا كاتباً رئيساً مؤرخاً ، وكانت وفاته بمصر في العشرين
من جمادى الأولى سنة ستين وستمائة ، ودفن بسفح المقطم ، ومولده بحلب في
العشر الأول من ذى الحجة سنة ثمان وثمانين وستمائة .

(١) من الساروك (ج ١ ص ٤٧٦) أنه يكنى بأبي قاسم .

(٢) عن السلوك (نفس الموضع) ورد بعد أحمد بن هبة الله : محمد بن هبة الله .

واستهلت سنة إحدى وستين وستمائة

ذكر البيعة للإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد العباسي^(١)

كان وصوله إلى الديار المصرية في سنة ستين وستمائة فتلقاه السلطان وأكرمه وخدمه ، وأنزله بقلعة الجبل ، وأدر عليه النفقات ، ثم بايعه في يوم الخميس الثاني من المحرم سنة إحدى وستين وستمائة على ما قدمنا ذكره في أخبار الدولة العباسية .

ذكر القبض على الملك المغيث صاحب الكرك واعتقاله^(٢)

كان القبض على الملك المغيث فتح الدين عمر صاحب الكرك في يوم السبت السابع والعشرين من جمادى الأولى سنة إحدى وستين وستمائة . وذلك أن السلطان توجه من قلعة الجبل المحروسة لفصد الشام في سابع شهر ربيع الآخر من السنة ، وخيم بظاهر القاهرة إلى أن تجهز الناس ، ورحل في حادى عشر الشهر فوصل إلى غزة المحروسة فوجد والده الملك المغيث بها ، فأحسن إليها وأنعم عليها ، وأعطاهما شيئا كثيرا ، وحصل الحديث معها في حضور ولدهما [إلى السلطان] ، وتقررت الأمور سرا ولم يعلم أحد بما تقرر ، وأعاد عليها العطاء والإنعام وعمل كل

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٤٧٢ - ٤٧٩) .

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٤٨٩ - ٤٨٢) .

(٣) الإضاءة للإيضاح ، وهي منقولة عن السلوك (ج ١ ص ٤٨٩) .

من حضر معها ، وتوجهت ومحببتها الأمير شرف الدين الجاكي المهندس ، برسم تجهيز الإقامات للملك المغيث إذا حضر من الكرك .

ونظر السلطان في أمر أمراء التركمان وخلع عليهم . وأحضر أمراء العابد وجرم وثعلبة وضمنهم البلاد ، وأزبهم بالعداد وشرط عليهم إقامة خيل البريد في المراكز .

ثم سار من غزة ونزل الطور ، في ثاني عشر جمادى الأول . وسير الملك الأشرف صاحب حمص إلى السلطان يلتمس الإذن له في الحضور إلى الخدمة فأذن له ، فحضر في نصف الشهر فلتقاء السلطان وأحسن إليه . وصارت رسل الملك المغيث تنوّل إلى السلطان وهو ينعم عليهم . وخرج [إليه] الملك المغيث من الكرك وأقام مدة في الطريق . وأظهر السلطان من الاحتفال بأمره شيئا كثيرا وخدعه أعظم خديعة . ولما وصل الملك المغيث إلى بيسان ركب السلطان لتلقيه فالتقاء وساق الملك المغيث إلى جانبه ، فلما وصل إلى باب الدهليز ترجل ودخل إلى الخيمة فأدخل إلى خركاه واحتيط عليه وعلى أصحابه . وكان السلطان قد استدعى قبل ذلك قاضي القضاة بدمشق والعلماء وأظهر أن ذلك لمبايعته ، ولم يطلع أحدا على غير ذلك . فلما وقعت الحوطة على الملك المغيث أحضر السلطان الملوك والأمراء وقاضي القضاة والشهود والأجناد ورسّل الفرنج وأخرج كتباً من جهة العدو المخدول إليه . وقال الأتابك لمن حضر : « السلطان يسلم عليهم ويقول ما أخذت الملك المغيث إلا بهذا السبب » . وقرئت الكتب . وانصرف

(١) العدا : زكاة حنوية نفع على القطعان وتؤدى القبائل العربية والتركمانية

(٢) الإخافة للايضاح ، روى سنن أبيه من السلوك (ج ١ ص ٤٨٢) ٥

الملك الأشرف ومن حضر ، وقال للقاضى وجماعة العلماء : ما طلبتكم إلا بهذا السبب . وكتب مكتوب بصورة الحال ، وكتب فيه القاضى والجماعة . ثم جهز الملك الأشرف وركب السلطان لوداعه .

وفى اليوم الذى قبض فيه على الملك المغيث جلس السلطان بعد انقضاء المجلس وأمر بالكتب إلى الكرك : بعد من فيها بالإحسان ، ويعذرهم ما قبله من غافته . وصير الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى ، والأمير عز الدين أيدمر الظاهرى أستاذ الدار العالية إلى جهة الكرك وجهز الخلع والأموال ليلحقهما^(١) بها ، وجهز الملك المغيث عشية النهار إلى الديار المصرية محبة من اختياره لذلك ، وأطلق أهله وحاشيته ، وصير حريمه إلى مصر وأطلق لهم الرواتب .

وكان من خبر وفاة الملك المغيث ما قدمناه فى أخباره ، رحمه الله .

وفى هذه المنزلة^(٢) وصلت رسل دار الدعوة ومعهم الهدايا ووصل^(٣) ولدا الصاحبين مقدمى الدعوة ، فأحسن السلطان إليهما وتوجها .

وفىها : أغار السلطان على عكا ، وكان من أخبار الفرنج ما ذكر إن شاء الله تعالى فى غزوات السلطان وفتوحاته .

ولما رجع السلطان من الغارة توجه إلى نحو الكرك ، وكان رجله من منزلة الطور فى يوم الاثنين ثالث عشر جمادى الآخرة من السنة . وجرده محبته جماعة من المسكروطائفة أخرى محبة الأمير علاء الدين أمير جاندار إلى الصالحية .

(١) كما فى الأصل بالعامية .

(٢) المقصود منزلة الطور بحسب السياق .

(٣) فى الأصل : « وله » بالمراد بالنصيح بالفضيلة السابق .

ووصل السلطان إلى القدس الشريف في يوم الجمعة ، فزار تلك الأماكن الشريفة
وماين ما يحتاج إليه من العمارة ، وكتب إلى دمشق يتجهيز جميع ما يحتاج إليه من
الأصناف والصناعات . ثم صلى الجمعة ، وتصدق وكتب بحماية الأوقاف ، وتوجه
نحو الكرك .

ذكر أخذ الكرك^(١)

وفي يوم الخميس ثالث وعشرين جمادى الآخرة سنة إحدى وستين ومستمائة
نزل السلطان على الكرك ومحبته العساكر ، وأحضرت السلايم الخشب من الصلص
وفيرها . وكان السلطان قد استصحب من الديار المصرية جماعة من التجارين
والبنائين والتجارين والصناع على أنه يبنى الطور ، وأحضر جماعة من دمشق وفيرها
وسيروا إلى عين جالوت ، وأشاع أن ذلك لبناء جامع ، ولم يكن ذلك إلا لأجل
الكرك . وعزم على الطلوع إليها بنفسه . نفاه أهل الكرك ، ونزل أولاد الملك
المغيث ، وقاضى المدينة ، وخطيبها وجماعة من أهلها ، ومعهم مفاتيح الحصن
والمدينة ، وطلبوا العوض لخلف السلطان على ما طلبوا وأرضاهم بالعطاء ، وسير
الأمير عز الدين أيمن أستاذ الدار ، والصاحب فخر الدين لتسلم الحصن .
فعلما في ليلة الجمعة وقت المغرب وتسليمه . ودعى للسلطان في بكرة الجمعة على
أسوارها ، ونصبت المنابر السلطانية على أبراجها . وأصبح السلطان وطلع
إلى الحصن في الثالثة من نهار الجمعة وجلس في القاعة الناصرية ورتب أحوال
الحصن وأمرهم بأمره ، وهين للقلعة خاصا . وأعطى أولاد الملك المغيث جميع

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٤٩١)

(٢) عن السلوك (تقريب الموضح) أنه محمد بن الصاحب بهاء الدين على :

ماحواء الحصن من مال وقماش وأثاث ، وكذلك سائر غلمانهم وجميع الأمراء والمغادره والأجناد ، ولم يتعرض لأحد منهم في شيء ، ونزلوا جميعهم في ذلك النهار ، وحصل السلطان بها الجمعة وخطب له . ونزل وقت المغرب .

وفي يوم الأحد ، سبر إلى الملك العزيز ولد الملك المنبث الخلع والقماش ، وكذلك [إلى ^(١)] الطواشي بهاء الدين صندل والأمير شهاب الدين بن صعلوك أنابك .

وكتب السلطان إلى الشام بحمل الفلال والذخائر والأصناف إليها . وطلع إليها يوم الاثنين وكتب المناشير لمرباتها ومن بها . وكانت تزيد على ثلثمائة منشور في وقت واحد ، وعلم عليها ، وتبنت ، وسلمت لأصحابها بعد تحليفهم بين يدي السلطان ، كل هذا في بعض يوم . وجرى السلطان بها جماعة من البحرية والظاهرية ، واستناب الأمير عز الدين أيدير أستاذ الدار بالكرك ، وأضاف إليه النظر على الشوبك وأعمالها . وحلف مقدمي المدينة وحلف نصارها على الإنجيل . وحمل ما كان معه إلى الحصن من الزردخانة والأغنام والشعير وغير ذلك من سائر الأصناف والأقمشة وسبعين ألف دينار هينا ، ومائة ألف ونحسين ألف درهم ، وأعطى الأمير عز الدين أستاذ الدار ثلاثين ألف درهم وجملة من القماش .

وتوجه السلطان إلى القاهرة في يوم الأربعاء [تاسع عشر جمادى الآخرة ^(٢)] فكان دخوله إليها في صايع عشر رجب ، وزينت المدينة أحسن زينة . وشق

(١) في الأصل : « إلى » وهو غير دقيق .

(٢) الإضافة بقتضها السياق وهي منقولة عن السلوك (ج ٢ ص ٤٩٢) .

(٣) الإضافة ضرورية لفهم نهاية الخبر ، وهي منقولة عن السلوك (ج ١ ص ٥٩٢) .

السلطان المدينة ، وخلع على الأمراء والمقدمين والمقادرة وجميع حاشيته وغلماؤه وأمر ولد الملك المغيث الأكبر : مائة فارس .

ذكر القبض على الأمراء وهم : الأمير سيف الدين

بلبان الرشيدى والأمير شمس الدين أقش

البرلى والأمير عز الدين الديماطى ، ومانقل

من الأسباب الموجبة لذلك

وفى شهر رجب الفرد سنة إحدى وستين وستمائة ، قبض السلطان على الأمراء المذكورين واعتقلهم . وسبب ذلك أن السلطان كان قد أحسن إليهم إحسانا عظيما . وكان مما اعتمده مع الأمير سيف الدين بلبان الرشيدى أنه فوض إليه أمر المملكة ، وأخذ كلمته ، وأطلق له فى كل جمعة خوانين من عنده يمدان بجميع ما يحتاج إليه حتى ماء الورد ، إلى غير ذلك . ورتب له فى كل شهر كلاً من زركشا بمائة دينار مينا ، وكلبنداتها ، كل كلبند بأربعين ديناراً . كل ذلك زيادة على الإقطاعات العظيمة والمرتبات الكثيرة ، وعلى الإنعام ، حتى جامعيات^(١) البزدارية والفهادين وخلق خيلهم . واشتغل الرشيدى بالشرب واللهو .

وأما الأمير عز الدين الديماطى^(٢) فإن السلطان أعطاه وزاده ، ومن جملة ما كان بيده نصف مدينة حمزة زيادة ، وكتب له توقيعا أنه إذا سافر فى جميع المملكة لا يمنع شيئا يطلبه فى الشام من حمزة إلى الفرات .

(١) فى الأصل : « البرددارية » والتصحيح بحضه السبائي .

(٢) فى السلوكة (ج ١ ص ١٩٣) : « أنه عز الدين أليك الديماطى »

وأما الأمير شمس الدين البرلى فقد تقدم ماعامله به عند وصوله واستمر ذلك إلى آخر وقت .

ثم بلغ السلطان أن الرشيدى قد فسدت نيته بفعل عليه عيونا تحفظ جميع مايجرى منه ، فكان مما أنكر السلطان عليه أن الأمير أسد الدين أستاذ دار الملك المغيث أخبر السلطان أن كتاب الرشيدى وصل إلى الملك المغيث يقول له لا تحضر، فإن السلطان يريد أن يمسكك . وكان جواب السلطان : « إن كان الملك المغيث قد حلف للرشيدى فلا يحضر ، وإن كان حلف لى فيحضر » . ولم يظهر للرشيدى شيئا من ذلك . ولما سير السلطان الأمير بدر الدين يسرى الشمسى إلى الكرك كتب إلى السلطان يقول : « إننى أسكت كتابا من الرشيدى بالكرك يقول : « لا تسلموها » ، ويحسن لهم التوقف من التسليم ويعرض عليهم الاتفاق معه على أن يحضر هو ويتسلمها منهم ويحفظها لهم ، فكتم السلطان ذلك وأمر الأمير بدر الدين يسرى بالأحتراز والتحفظ . ولما توجه السلطان إلى الكرك جعل على الرشيدى عيونا ، فبلغ السلطان أنه لما نزل الكافرين ونمرين قصد الركوب فى أصحابه ومماليكه^(١) ويسبق إلى الكرك فدخلها هجما . فركب السلطان إليه ونزل عنده ولا طقه وما زحه ، ففاته مادبره ، وحفظ السلطان عليه الطرقات ، ثم نزل السلطان بركة زيزاء ، فبلغه أن الرشيدى قد عزم على الركوب إلى الكرك ، فقدمه السلطان بأن أرسل إليه أحد خواصه يبشره بتسليم الكرك . فلما سمع الرشيدى ذلك وقف عن فعله وخلع على المبشر . فلما رجع السلطان من الكرك ونزل غزوة قام ليسبغ الوضوء على العادة ، وتفرقت الخالصكة للوضوء

(١) فى الأصل : ، ويسبق ، والتصحيح يقتضيه تركيب العبارة

والتهبؤ لصلاة الجماعة . وقام السلطان يترقع قبل الأذان ، وإذا بالرشيدى قد أقبل فى مقدر ثلاثمائة فارس مستعدة من مماليكه والديماطى والبرلى ، فلما قضى السلطان صلاته شد ميفه ، وقال للأمير شمس الدين مستقر الروى : ما الذى رأيت ؟ فقال : « جماعة ما جاءوا فى خير » . ثم حضر الأمير سيف الدين قلاون الألفى وركب فرسا جيدا ووقف ، واجتمعت الخاصكية . وركب السلطان ، وأتى الرشيدى فوقف بالقرب من السلطان فى مكان ما جرت عادته بالوقوف فيه ، فحضر الأمير من الدين إيفان الركن فقال للرشيدى : « أراك فى هذا المكان ، ما هذا مكانك ياسيف الدين » ومازحه ومازال به حتى ساق من ذلك المكان ، وصاق الديماطى والبرلى وتفرقوا . وكان الديماطى قد جرت منه قضية أخرى وهى أن السلطان لما ملك الكرك وأنزل أولاد الملك المفيث أعطاهم السلطان خلعاً وأقمشة وإنعاماً كثيراً وأنزلهم فى المنطرة التى فى الوادى تحت الكرك بقرب منزلة السلطان : سيرا الديماطى ضوا^(١)ء وجماعة يمشون حولهم بغير أمر السلطان ، ثم حضر فى الليل إليهم جماعة من مماليكه بالسيوف متلثمين فكسروا الصناديق وأخذوا القماش الذى كان السلطان أنعم عليهم به فلما منهم أن تقوم فتنة وشوشة فى المسكرولا يعلم أنهم مماليك الديماطى ، فكشف الله ذلك ، وظهر القماش عند خواص مماليكه ، واطلع السلطان على ذلك ، وتحدث الأمير شجاع الدين المهتدار مع الديماطى فما أنصف من مماليكه ، وقال : « أنا أضرم عنهم » ، وأحضر بعض القماش ، وقرر أن تقوم بدارهم عن بقية ذلك . هذا والسلطان لا يتكلم بكلمة بل كتم ذلك إلى أن استقر بقلمة الجبل فلما أصبح طلب الرشيدى

(١) من طائفة الضرية أو المناطية أو أرباب الضو.

فاعتقله ، وطلع الأمراء إلى الخدمة في اليوم الثاني ، فأمسك الديماطى والبرلى وأحسن إلى ممالئكمم وخوادمهم وأفرهم على أخيازهم ، ولم يغير على أحد منهم ولا تعرض على بيوت الأمراء .

ذكر وصول [رسل ^(١)] الملك بركة

قال : ولما وصل السلطان إلى غزنة عند عوده من الكرك ، وصل إليه البريد من الأمير عز الدين الحلئ نائب السلطنة بالديار المصرية ، يذكر أن رسل الملك بركة وصلوا إلى نغر الإسكندرية ، وهم الأمير جلال الدين بن القاضي ، والشيخ نور الدين على ومعهما جماعة ، ونخب يوصول رسل الملك الأشكرى ، ورسلى مقدم الجنوية ، ورسلى السلطان عز الدين صاحب الروم . فكتب بالإحسان إلى جميعهم . ولما استقر السلطان بقلعة الجبل أحضرهم واجتمع بهم بحضور الأمراء وغيرهم ، وقرئت الكتب ومضمونها ، السلام والشكر وطلب الإنجاد على هولاء والإعلام بما هو عليه من مخالفة يسقى جنكرخان ، وأن جميع ما فعله من إتلاف النفوس بطريق المدوان منه ، وأننى قد قمت أنا وأخوتى الأربعة بحربه من سائر الجهات لإقامة منار الإسلام ، والتمس إتقاذ جماعة من العسكر إلى جهة الفرات لإمساك الطريق على هولاء ، ويوصى على السلطان عز الدين صاحب الروم ويستمد مساعدته . فأنعم السلطان على الرسل إنعاما عظيما ، ورسم بتجهيز الهدية إلى الملك بركة .

(١) انظر الملوك (ج ١ ص ٤٩٥)

(٢) البسى هو البابا أو القرايين المنسوبة إلى جنكرخان

قال القاضي محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر : وكان في جملة الهدية ختمة شريفة ذكر أنها خط عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ونمزلقات^(١) ، ومجادات وذكر أشياء كثيرة من جللتها زرافا ، وسافرت الرسل في سابع عشر شهر رمضان سنة إحدى وستين ومستمائة .

ذكر توجه السلطان إلى ثغر الإسكندرية^(٢)

وفي سادس شوال سنة إحدى وستين ومستمائة ، توجه السلطان إلى ثغر الإسكندرية ، وذلك بعد أن توجه نحو الصيد وتصيد . وكان دخوله إلى الثغر في يوم الأربعاء مستهل ذى القعدة ، ودخل من باب رشيد . ورسم بمكتوب برد مال السهمين ، وصلة أرزاق الفقراء ، ووضع المظالم ، ثم لعب الكرة ، وخلع على الأمراء ووصلهم بالأموال والأقمشة . وركب لزيارة الشيخ القباري^(٣) والشاطبي وجلس بدار العدل في يوم الخميس تاسع الشهر وبسط المعدلة وأمر بتطهير الثغر من الخواطي الفرنجيات . ثم رجع السلطان في حادى عشر الشهر . وفي آخر ذى القعدة من السنة نزل السلطان إلى القاهرة ، وعاد الأمير سيف الدين قلاوون الأسفى ، والأمير علاء الدين أيدى الركنى والأمير حسام الدين بركة خان .

(١) كذا في الأصل :

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٤٩٨ - ٤٩٩)

(٣) هو الشيخ المقعد محمد بن منصور بن يحيى أبو القاسم القباري (راجع السلوك ج ١ ص

وفي ليلة الأربعاء الخامس من ذي الحجة توفي الأمير حسام الدين المذكور ،
فحضر السلطان جنازته ومشى فيها .

ذكر وصول التار المستأمنين^(١)

وفي سابع ذي القعدة من السنة ، وردت الكتب من البيرة وحلب أن
جماعة من التار مستأمنه واردة إلى الباب العزيز ، يزبدون على ألف وثلاثمائة
فارس من المغل والبهادرية . فكتب السلطان بالإحسان إليهم وتجهيز الإقامة
لهم . وفي يوم الخميس السادس والعشرين من ذي الحجة كان وصولهم ، فركب
السلطان وتلقاهم ، فترأوا عندما رأوا السلطان ، وقبلوا الأرض . وكان
السلطان قد رسم بعمارة مساكن لهم فعمرت باللوق فترأوها ، وأحسن
إليهم . ثم وردت الكتب بقدم جماعة أخرى كثيرة منهم ، فاحتفل بهم وركب
لتلقيهم . ثم ورد جماعة أخرى فاعتمد معهم من الإحسان نظير أولئك . وكان
الواصل إلى الخدمة في هذه الثلاث مرار من أكابر أمرائهم من يذكر . وهم :
كزبون آغا ، وهو الذي فتح بلاد الترك جميعها ، وامتد آغا ونوكا آغا ،
وجبرائيل آغا ، وقنسان آغا ، وطيشور ، وناصفية ونهتو ، وصحني وجوجلان ،

(١) انظر السرك (ج ١ ص ٥٠١)

(٢) في السرك « إسطنة » .

(٣) في السرك « نركه » .

(٤) في السرك « جبرك » .

(٥) في السرك « ناصيه » .

(٦) في السرك « صهي » .

واجفدقا ، وأوقدق وصلاحة^(٢) ومبقتدم^(٣) ، واجتمعوا بمن كان قد وصل قبلهم
وهم : صراغان أغا ومن كان قد وصل معه . ثم عرض السلطان عليهم الإسلام
فأسلموا على يديه .

وفي هذه السنة أمر السلطان بعمل جامع خام يضرب على يمنة الخيمة السلطانية ،
وعمل له محاريب وعدة أبواب ومقصورة يرسم السلطان .

وفيها : أمر السلطان بمارة دار المدل تحت قلعة الجبل ، وتجديد بنائها .
وفيها : وصلت رسل اليمن بتقادم ومعههم هدايا الخواص الأمراء ، فأمر السلطان
بإنفادها إلى من عينت له وأذن لهم في قبولها .

وفيها : مرض السلطان العساكر ، وكان يجلس لذلك في كل خميس واثنين .
وفيها : جهز السلطان عرب خفاجة ، وسير الخلع إلى كبراء العراق ، وكتب
إلى صاحب شيراز وغيره بالاعتراف بهولاكو .

وفيها : توفي الأمير نغر الدين أبو الهيجا بن عيسى بن خشتري الأركشي^(٤)
الكردي أحد الأمراء بدمشق ، وكان شجاعا أبلى في وقعه عين جالوت بلاء
حسنا ، رحمه الله تعالى .

(١) السلوك « اذفرق » .

(٢) في السلوك « صلاحة » .

(٣) في السلوك « متقدم » .

(٤) في السلوك : « يعمل جامع من الثياب المفصلة » (ج ١ ص ٥٠٦) .

(٥) في السلوك (ج ١ ص ٥٠٢ ص ١١) : « مجر الدين » .

وفيهما : توفى الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك المسعود صلاح الدين أقبس بن الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب . وكانت وفاته بنابلس في خامس عشر ذى الحجة سنة إحدى وستين وستمائة ، ومولده بدار الوزارة بالقاهرة في سنة اثنتين وأربعين وستمائة ، وهو الذي كان قد ملك الديار المصرية في أيام الملك المعز عز الدين أيبك كما تقدم .

فلما ملك السلطان الملك الظاهر أمره بالشام ، وخلف ، رحمه الله ، ولدا اسمه ناصر الدين محمد ، ونعته بالملك الكامل .

واستهلت سنة اثنتين وستين وستمائة

ذكر تفويض أمر جيش حماة إلى الطواشي

شجاع الدين مرشد الحموي

وفي أول هذه السنة طلب السلطان الطواشي المذكور^(١) وتحدث في أشتغال صاحب حماة مخدومه بالملاذ واللهور ، وقال : « كتب إليه أو نهاه من هذه الغفلة ، وسيرت إليه شرف الدين عبد العزيز شيخ الشيوخ في ذلك لما أفاد ، وقد اعتمدت عليك في مصلحة هذا البلد ، لما فيك من الديانة والخير والشجاعة » ، والزمه بشكله الجيش والزام الجند باقامة البرك والعدة الكاملة . فالتزم بهذه الأمور . وكتب تقليده بذلك وتوجه .

ذكر عمارة المدرسة الظاهرية وترتيب الدروس^(٢)

كان الشروع في عمارة المدرسة الظاهرية التي هي بالقاهرة المحروسة بين القهصرين في ابتداء الدولة في ثامن شهر ربيع الآخر سنة ستين وتبخر بابها ودهليزها وأبوابها وكتاب السبيل في أواخر شعبان من السنة المذكور . ولم يشرع في بنائها حتى رتب أمور أوقافها . وكان المنولى عمارتها الأمير جمال الدين ابن يعمور ، ورسم له السلطان ألا يستعمل أحدا فيها بغير أجرة . وكان اجتماع

(١) زاد السلك هنا (ج ١ ص ٥٠٣) : « إلى قلعة الجبل » .

(٢) وصف السلك صاحب حماة بأنه مخدوم الطواشي (نفس الموضع) .

(٣) انظر السلك (ج ١ ص ٥٠٤) .

أهل العلم بها في يوم الأحد الخامس من صفر سنة اثنى عشر وستمائة . وفوض السلطان تدريس الحنفية للصدر مجد الدين بن صاحب كمال الدين بن المديم ، وتدريس الشافعية للقاضي تقي الدين بن رزين . وصدر الافراء للفقهاء كمال الدين المحلى ، والتصدر لإفادة الحديث النبوى للشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الديبالي شيخنا . وذكرت الدروس بها في هذا اليوم ، وحضر السلطان ، ومدت الأسمطة وأنشد الشعراء وخلع عليهم .

وفي صفر من سنة ، خرج السلطان متصيدا إلى جهة الغربية وتوجه إلى ثغر ديباط وزار البرزخ وصر في عوده ببلاد أشموم^(١) ، وتصيد بمثلة ابن حصون ، وأخذ من بلاد الشرقية .

ذكر وفاة الملك الأشرف مظفر الدين موسى

^(٢)صاحب حمص والرحبة

وفي يوم الجمعة حادى عشر صفر من هذه السنة ، توفى الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن الملك المنصور إبراهيم بن الملك المجاهد شيركوه بن الأمير ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شادى [بن مروان] رحمه الله تعالى . ولم يكن له ولد ولا أخ ولا ولى عهد ، فسير السلطان إلى نوابه بتسليمها . فوصل البريد في صباح عشرين صفر بأن بدر الدين بيليك العسلاوى أحد الأمراء قد تسلمها ، وحلف الناس بهما للسلطان .

(١) في السرك (١٥ ص ٥٠٥) : المثلة .

(٢) انظر السرك (٦ ص ٥٠٥) .

وفي هذا التاريخ ورد كتاب الأمير جمال الدين النجيبى النائب بدمشق يذكر أنه ولى حران للأمير جمال الدين الجاكي ، والرقعة للأمير آخر .

وفي هذا الشهر : سأل الفرنج نواب السلطان أنهم بأذنون لهم في زراعة البلاد وتقويتها من أموالهم وهي جملة كثيرة من الغلال ، فنقررت الهدنة معهم إلى أيام الحصاد .

وفي هذه السنة . ثمن القرط الذى قضته الخيول السلطانية وجمال المناجات فكان ثمنه خمسين ألف دينار^(١) .

وفيها : استدعى السلطان الأمير علاء الدين الشهابى النائب بحلب وأمره أن يستنيب عنه الأمير نور الدين بن محلى^(٢) ففعل ذلك . ولما وصل الملك إلى الأبواب السلطانية منزله السلطان عن نيابة حلب ، وأقر الأمير نور الدين بن محلى في نيابة حلب فأحسن السيرة ، وعمر البلاد وأعاد الفلاحين^(٣) ، وأفرد الخالص على ما كان عليه في الأيام الناصرية .

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٠٩) .

(٢) هو الأمير علاء الدين أيديكين الشهابى (السلوك ج ١ ص ٥٤٠) .

(٣) هو نور الدين على بن محلى الحكارى (السلوك نفس الموضع) . ويرد اسم محلى هنا في متن

النورى دون نقط بالحاء المهملة .

(٤) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٤٠) .

ذكر جلوس السلطان بدار العدل

وما رتبته عند غلو الأسعار^(١)

قال : وفي شهر ربيع الآخر من السنة غلت الأسعار [بمصر] وبلغ ثمن الأردب إلى قريب المائة درهم نفرة . فرسم السلطان بالتسمير طلبا للرفق . فاشتد الحال وعدم الخبز . فأمر السلطان أن ينادى باجتماع الفقراء تحت القلعة ، ونزل إلى دار العدل في يوم الخميس صباح الشهر ، فأول ما تكلم فيه إبطال التسمير . ورسم أن يباع من الأهرام في كل يوم خمسمائة أردب بما يقدره الله من ويتين فما دونها تباع على الضمفاء والأرامل . ونزل الحجاب تحت القلعة وكتبت أسماء للفقراء ، وسير إلى كل جهة حاجبا لكتابة الأسماء في القاهرة ومصر وحواضرها ، ولما تكامل حصر العالم أخذ السلطان ألوفاً ، وأعطى لنواب ولده الملك السعيد كذلك ، وأعطى لكل أمير جماعة على قدر عدته ، وفرق على الأجناد ومفاردة الحلقة والمقدمين والبحرية ، وعزل التركمان والأكراد البلدين ، ورسم أن يعطى لكل فقير مثونته مدة ثلاثة شهور ، ويسلم نواب الأسراء والأكابر والتجار الفقراء . ثم قال السلطان : « هؤلاء الفقراء جمعناهم في هذا اليوم وقد انقضى نصف النهار فليعط كل منهم نصف درهم يتقوت به خبزاً ، ومن غدا يتقرر الحال » . فانفق فيهم جملة كثيرة بهذا القدر خاصة . وأخذ الصاحب جماعة العميان والأتاك [جماعة^(٢)] التركمان ، ولم يبق أحد من الخواص والخواشي وأرباب المناصب وغيرهم إلا أخذ جماعة . فانحطت الأسعار لذلك وكثر الخبز .

(١) انظر السلك (ج ١ ص ٥٠٦ - ٥٠٧) .

(٢) الإخاة بمنزلة الإهراج .

وفي ثالث شهر ربيع الآخر من السنة رسم السلطان بمساحة بنات الأمير
حسام الدين الجوكندار العزيزي^(١) بما وجب للديوان في تركة أبيين ، أربع مائة
ألف درهم نفقة .

وفي هذه السنة ، قصد متملك الأرمن حلب المحروسة مرة بعد أخرى ، فلم
يظفر بشيء ، وخاب سعيه على ما نشرحه ابن شاه الله في غزوات السلطان
وفتوحاته^(٢) .

وفيها : رسم السلطان بحفر خليج الإسكندرية^(٣) ، وكانت قد امتدت فوخته ،
ونذب لذلك الأمير عز الدين أمير جاندار فاهتم بذلك وحفر المكان المعروف
بالنقيدي ، وأمر ببناء مسجد هناك ليكون تذكرة بآية . وجهز الأمير جمال الدين
موسى بن يعمور أستاذ الدار العالية وأمره بالأهتمام بأمر جزيرة بنى نصر لما بلغه
قلة رعيها ، فاحتفل بها كل الاحتفال .

وفيها : في جمادى الأولى ، تقدم أمر السلطان إلى الأمير سيف الدين بلبان
الزيني أمير علم بالتوجه إلى الشام للاهتمام بأمر القلاع والبلاد وعرض حساكر
حماة وحلب ورجال الثغور ، والنظر في المهمات الخاصة والعامة ، والزام الأمراء
بتكملة العدد والعدة^(٤) وإزاحة الأعداء وأخذ الأهبة للجهاد ، وكتب على يده إلى
دمشق بحمل خزانة كبيرة إلى البيرة برسم نفقاتها ، فتوجه لذلك .

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٠٨ - ٥٠٩) .

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٥١٠) .

(٣) انظر السلوك (قسم الموضع) .

(٤) في الأصل : « عدة والعدة » (بالتكرار) .

وفي العشر الأوسط من جمادى الآخرة حصل الظفر بمجاسيرين للتار، وكانت
 (١) أخبارهما وحلاتهما وصلت إلى السلطان من جهة القصاد والناصحين بالأردو ،
 وكذلك من كل جهة بصلان إليها ، إلى أن ركبنا من عكا في البحر ، فلما وصلا
 إلى ثغر دباط مسكا وأحضرا إلى بين يدي السلطان فذكر لهما الأمير ، فافترأ ،
 ووجد معهما فرمازين للأتابك من هولاء ، وهو يرغبه ويستميله . فطلب
 السلطان الأتابك وأراه ذلك ، ولم يصدق ذلك فيه ، وصرق ذلك وحرقه ، واستدل
 بذلك على ضعف هولاء .

(٢) وفي هذه السنة تنجز البرج الذي أمر السلطان بعمله في قارا ، وشرع في بناء
 برج أكبر منه لحفظ الطرقات وصون الرعية من عوادي الفرنج المجاورين .
 وفي جمادى الأول من السنة شرع النواب بالشام في بناء شقيف يبرون .
 وفي الشهر أنعم السلطان على عسكر الساحل الذين هم صحبة الأمير ناصر الدين
 القيمري بمائتي ألف درهم فرقت عليه .

ذكر جلوسه بدار العدل وما قرره من مشاركة أمتاء

الحكم للأوصياء (٣)

وفي مستهل شهر رجب سنة اثنتين وستين وستمائة ، جلس السلطان بدار
 العدل ، فتقدم رجل من الأجناد ومعه صغير ، فقال : « أنا وصي هذا الصغير »

(١) يرى المؤلف على رسم لفظ الأرد بالواد والألف وقد جربنا نحن على حذف الألف
 دائما .

(٢) قرية على ٢٦ ميلا من حصن فيا بينها وبين دمشق (منجم البلدان) .

(٣) انظر السلك (ط ص ٥١١ ، ٥١٢) .

وشكا من قضية تتعلق به . فقال السلطان لقاضى القضاة : « أعلم أن الأجناد يموت الواحد منهم فيستولى خوشدا شته على موجوده ويجعل اليتيم أوشاقية ، ويموت اليتيم فيستولى الوصى على الموجود ، أو يكبر اليتيم ولا يجد شيئا ولا يقوم له حجة على موجوده . وقد يموت الوصى فينغمس مال اليتيم في ماله ، وأنا أرى ألا يتفرد أحد من الأوصياء بوصية ، وأن يكون نظر الشرع شاملا ، وأموال اليتامى مضبوطة ، وأمناء الحكم يحافظون على المعروف وطلب نواب الأمراء وتقباء المساكر وأمرهم بذلك . واستمرت الحال عليه إلى وقتنا هذا .

ذكر وصول جماعة من عسكر شيراز^(١)

وفي جمادى الآخر ، بلغ السلطان أن جماعة من عسكر شيراز وصلوا لقصد الخدمة الشريفة ، فأمر بالإحسان إليهم . ووصلوا في ثالث شهر رجب ومقدمهم بكلك ورفقته وهم : سيف الدين أقباز جمدار السلطان جلال الدين خوارز مشاه والأمراء الأتابكية فلان أتابك سمد منهم : صغر جاه وغيره من الأتابكية . ووصل صهبتهم حسام الدين بن ملاح أمير العراق وجماعة من أمراء خفاجة ، فتلقاهم السلطان وأحسن إليهم ، وأمر الأمير سيف الدين بكلك وأعطاه طبلخاناه ، وكذلك أمراء خفاجة ، والأمير مظهر الدين وشاح بن مهرى^(٢) ، وأطلق لحسين ابن ملاح قرية في الشام ، وجهزهم إلى بلادهم .

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥١٢) .

(٢) هو سيف الدين النهار الخوارزمي (انظر السلوك في نفس الموضع) .

(٣) ورد في السلوك : مهرى بالشين المجبة (نفس الموضع) .

وفي شهر رمضان وصل رسول من الملك^(١) شارل أخى الملك افرنسيس وهو صاحب مرشيلية ، وصحبه عدة من السناقر الشهب والأمنعة . ومضمون كتابه المحبة والمشاغبة . ووصل كتاب استاد داره يقول : إن غدومه أمره أن يكون أمر السلطان نافذا في بلاده ، وأن يكون نائب السلطنة كما هو نائبه .

وفي يوم الجمعة خامس عشر شهر رمضان : قرئ مكتوب بجامع مصر بإبطال ما قرره على ولاية مصر من الرسوم وهى مائة ألف درهم وأربعة آلاف درهم [قرة^(٢)] .

وفي هذا الشهر أحضرت فلوس من جهة فوس وجدت مدفونة فأخذ منها فلس : فإذا عليه صورة ملك واقف ، وفي يده اليمنى ميزان ، وفي اليسرى سيف ، ومن الوجه الآخر رأس مصور بأذان كبيرة ، وبداير الفليس سطور ، فقرأها واهب يوناني : فكان تاريخه إلى وقت قراءته ألفين وثلاثمائة سنة . وفيه مكتوب : أنا غليات الملك ، ميزان العدل ، والكرم فى يمينى لمن اطاع ، والسيف فى يسارى لمن عصى ، وعلى الآخر : أنا غليات الملك ، أذن مفتوحة لسماع كلمة المظلوم ، وعينى مفتوحة أنظر بها مصالح ملكى .

ذكر سلطنة الملك السعيد^(٣)

وفي يوم الخميس ثالث عشر شوال سنة اثنين وستين وستمائة ، حصل الاتفاق على سلطنة الملك السعيد ، فأركبه السلطان بشعار السلطنة ، ومشى بنفسه فى

(١) المقصود : شارل انجرب ملك صقلية (راجع السلوك ج ١ ص ٥٠٢ حاشية ١) .

(٢) الإضافة بضمها الإيضاح وهى مقولة من السلوك (ج ١ ص ٥١٤) .

(٣) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٦٦) .

ركابه وحمل الفاشية . ثم أخذها الأمراء وحملوها وطهيم انطلق الفاهرة ، ورجع السلطان . ولم يزل الملوك والأمراء في خدمته إلى باب النصر ، ودخلوا القاهرة ورجالهم يحملون الفاشية ، وقد زينت المدينة أحسن زينة . وشق الملك السعيد القاهرة وأتابكه عز الدين الحسل راكب إلى جانبه . وبسط الأمراء الثياب الأطلس والمتابي وغـيرها تحت حوافر فرسه . ولم يزل إلى أن عاد إلى القلعة^(١) . وكانت [الثياب]^(٢) بحملة عظيمة تفرقها الممالك السلطانية وأرباب المنافع .

وكتب له تقليد شريف أنشأه المولى محي الدين بن عبد الله بن هبة الظاهر ، وقرئ بحضور الأمراء وقاضى القضاة والعلماء في سابع عشر الشهر .

وفي العشر الأول من ذى القعدة من السنة ، عرض السلطان الجيش^(٣) ، وكان قبل ذلك رسم بتكلمة العدة والتأهب للفتاة بالحاس في هذا اليوم على الصفة التي بجانب دار العدل عند طلوع الشمس ، وساق كل أمير في طلبه ، وطهيم لامة الحرب ، وجرروا الخنايب عليها عدة الحرب دون غيرها من النشامير والمراوات المتخذة للزينة . وهبرت العساكر خمسة خمسة . فله طال الأمر عبروا عشرة عشرة ، وهلك الناس من الزحام . وإنما قصد السلطان عرض العسكر في يوم واحد حتى لا يقال إن أحدا استمار من أحد شيئا . وكان الناس يدخلون من باب القرافة ويخرجون من جهة الجبل إلى صوب باب النصر إلى الدهليز المضروب هناك . ولما قرب وقت المقرب ركب السلطان وساق في وسط العساكر في جماعة يسيرة من سلاح داريته وخواصه ، ونزل إلى الدهليز ، ورتب

جروب
معين التاريخ
لأهل التاريخ

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥١٦) .

(٢) الإساءة يقتضها الإيضاح .

(٣) انظر السلوك (ج ١ ص ٥١٧) .

المنازل، ورجع إلى قلعته وقت المغرب . ثم اهتم الناس بعد ذلك باللعب بالقبق، ولبسوا خيولهم التشاهير^(١) والبراجم البحرية والماوات والأهلة الذهب والفضة والأطلس وغير ذلك . وساق السلطان إلى ميدان العيد^(٢) وبين يديه جناثيه العظيمة وهي مزينة . حكى القاضي محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر في السيرة الظاهرية قال : قال لي القاضي فتح الدين بن سناء الملك وهو صاحب ديوان الخزان قبل هذا الوقت بمدة سنة : إن الذي دخل في المرات من البنود الأطلس الأصفر قيمته عشرة آلاف دينار، وما تجدد بعد ذلك لا يحصى . قال : وشرط السلطان لكل أمير يصيب القبق فرسا من خيوله بما عليه من التشاهير ، ولكل مفردى أو مملوك أو جندي خلعة تليق بمثله . ودخل الناس بالراح بكزة النهار ، ثم شفع السلطان ذلك برمي الشباب . وحضر رسل الملك بركة في ذلك الوقت ووقفوا مع السلطان وشاهدوا ذلك واستعظموه ، وأقام العسكر كذلك أياما .

وفي تاسع عشر ذي القعدة خلع السلطان على الملوك والأمراء والبحرية والحجاب والمفازدة وأرباب المناصب من الوزراء والقضاة وأرباب اليسوت^(٣) . وحضر الناس بالخلع والتشريف ولعبوا بقية ذلك النهار . فقالت رسل الملك بركة للسلطان : « هذه صاكر مصر والشام ؟ » . فقال : « بل صاكر المدينة خاصة ، غير الذين في الثغور ، والمجردين والذين في إقطاعهم^(٤) » . فعجبوا من ذلك .

(١) في السلوك (ج ١ ص ١٨٠) : « البرام » وهي السروج الحربية .

(٢) ومن حاشية في النجوم (ج ١ ص ٦٧ حاشية ١) أن محل ميدان العيد هو اليوم المنطقة

الواقعة بين باب النصر وباب الحسينية ، وهي المنطقة التي يحترقها شارع نجم الدين حاليا .

(٣) تعبير السلوك (ج ١ ص ١٩٠) : « ذرى البيوت » .

(٤) تعبير السلوك (نفس الموضع) : « والذين سافروا في إقطاعهم » .

ذكر ختان الملك السعيد ومن معه

قال : وفي حاشر ذى القعدة من السنة رسم السلطان بعمل ممطاط عظيم ، ومد بالقلعة لختان الملك السعيد بن السلطان ، فأكل الناس وختن الملك السعيد ثم ختن بعده ابن الأمير عز الدين الحلى ، وابن الأمير شمس الدين ستقر الرومى ، وولد الأمير سيف الدين سكر ، وولد الأمير حسام الدين بن بركة خان ، وولد الملك المجاهد ابن صاحب الوصل ، ثم أولاد الملك المغيث صاحب الكرك الخمسة (١) وولد نغر الدين الحمصى ، وجماعة أحرمن أولاد الأمراء . وكان قد تقدم قبل ذلك بكسوة جماعة من الأيتام وأبناء الفقراء بالقاهرة ومصر ، فأحضروا إلى القلعة وختنوا . وحمل السلطان عن الأمراء والخواص كافة التقادم (٢) .

ذكر خبر غازية الخنافة (٣)

وفي هذه السنة ظهر بخليج القاهرة قتلى ، وفقد جماعة من الناس أنفسهم بهم معارفهم ، والتبس أمرهم . ودام ذلك شهورا . ثم ظهر أن امرأة حسناء وضيفة تسمى غازية كانت تتبرج بزينة فائحة وتطعم من يراها من الأحداث في نفسها ، ومعها امرأة عجوز ، فإذا رأت أحدا قد مال إليها تعرضت له وخاطبته في أمرها وقالت : هذه لا يمكنها أن تجتمع بأحد إلا في منزلها خوفا على نفسها . ففهم من يحصله الغرض على موافقتها فيتوجه معها ، فإذا حصل عندها خرج إليه وجلان

(١) هو ستقر الأذقر (راجع السلوك ، ج ١ ص ٥٢٠) .

(٢) في السلوك (نقص الموضع) : « الثلاثة » .

(٣) زاد السلوك هنا (ج ١ ص ٥٢٠) : « التي جرت العادة بها للوك في مثل هذا المهم » .

(٤) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٢١) .

فيقتلانه ويأخذان لباسه وما معه . وكانوا ينتقلون من مكان إلى آخر مخافة الشعور بهم ، ثم سكنوا خارج باب الشعرية على الخليج ، وكان بالقاهرة ماشطة مشهورة بغناها المعجوز وقالت لها : عندنا امرأة قد زوجناها ونحتاج إلى قماش وحل تحبمل به بالأجرة على العادة ، فأحضرى لها ما يمكنك ونحن نزيدك في الأجرة ، وواعدتها أن تأتيها ليلاً ففعلت الماشطة ذلك وأنها ومعها جارية تحمل القماش والمصاغ ، فوصلتها الجارية وعادت ، فلما دخلت الماشطة قتلت وأخذوا ما معها ، ثم جاءت الجارية من الغد وطلبت الماشطة فانكروها ، فتوجهت الجارية إلى متولى المدينة ، بفاء وهجم الدار ، فوجد فيها الصبية والمعجوز ، فأخذهما وقررهما ، فأقرنا على نفسيهما وعلى رجلين آخرين فحسبهما . وجاء أحد الرجلين يتفقد أمرهما في الاعتقال فقبض عليه وعوقب فأقر ودل على رفيقه وعلى رجل طواب كان يحرق لهم من يقتلونه في قين الطوب . فطولع الساطان في أمرهم ، فأمر بتسمير الخمسة فسمروا تحت القلعة ، وشفع بعض الأمراء في إطلاق المرأة فأطلقت وفكت المسامير فانت بعد أيام . وهدم هوام القاهرة الدار التي كانوا يسكنونها ويقتلون فيها . وبنيت مسجداً بمأذنة^(٥) ، وظهر في الدار حفيرة فيها قتل كثيرة .

(١) في الأصل : « يأخذان بحذو النون وهو خطأ » .

(٢) في الأصل : فأقرا على أنفسهما « بالنذكير » ، والعدل إلى التأنيث مما يقتضيه السياق .

(٣) في هذه الرواية رجل ثالث . أما في السلوك (في الموضع المماثل) فلا يوجد رجل ثالث ، بل يكون الطراب هو الرجل الثاني والثالث .

(٤) في الأصل : « ما يقتلوه » بالعامة ، وقد صحح لأن السياق لا يحتمل الاستعمال العاصي في هذه العبارة .

(٥) في الأصل : « مسجد » بالرفع .

ذكر وصول رسل الملك بركة

قد ذكرنا أن السلطان كان قد جهز الأمير سيف الدين كشمريك والفقير
مجد الدين الروذ راورى إلى الملك بركة، وأنهما توجهوا في المحرم سنة إحدى وستين
وسمائة . وذكرنا عود الفقير مجد الدين للرض الذى أصابه ، فتوجه الأمير
سيف الدين ومن معه من المفل . وكان اجتماعهم بالأشكرى في أنبه ، ثم رحلوا
إلى القسطنطينية في عشرين يوما . ومنها إلى اصطنبول ، ومنها إلى دُونُشِيَا ، وهى
ساحل السواقي من جهة الأشكرى ، ثم ركبوا في البحر إلى البر الآخرومسيرة
ما بين العشرة أيام إلى يومين ، ثم طلعوا إلى جبل يعرف بسوداق ، فالتقاهم وإلى
تلك الجهة في قرية اسمها القرم^(١) ، يسكنها عدة أجناس من الففجاق والروس واللان .
ومن الساحل إلى هذه القرية مسيرة يوم ، ثم ساروا من القرم إلى برية يوما واحدا ،
فوجدوا بها مقدم عشرة آلاف وهو حاكم على تلك الجهات ، ثم ساروا عشرين يوما
في صحراء حاصرة بالخركاهاات والأغنام إلى بحر إزل ، وهو بحر حلو سعتة سعة نهر
النيل ، وفيه مراكب الروس ومنزلة الملك بركة على طول ساحله .

قال : وحملت إليهم الإقامة في طول الطرقات . ولما قاربوا الأردن وتلقاهم
الوزير شرف الدين القزويني .

(١) راجع ما سبق ص ٦٤ / ٦٥ من هذا الجزء .

(٢) هنا يميز النص بين القسطنطينية واصطنبول .

(٣) يتحدث القلقشندي (ج ٤ ص ٦٩) عن الطريق البحري إلى هذه المناطق ويقول ان طريق
البحر يبدأ من دمياط إلى الاسكندرية إلى خليج القسطنطينية إلى بحر القلزم ثم إلى بحر الأزق (وعلل
الأصح بالقاء) ويتهى إلى آخر حيث تقع مدينة الأزق (كذا) ، وحيث يصب نهرتان (بناء من
فوق وألف مائة) أى نهر الفون الحال . ولادورد في السلوك ج ١ ص ٧٣٨ أن الظاهر بوبرس
أرسل هذا ما يرسم حمارة جامع قرم ، وأمر أن تكتب عليه ألقاب السلطان وأرسل جوارا نقش ذلك
وكتابتها بالأصغ .

ثم حضروا عند الملك بركة ، وكانوا قد علموا آدابها التي تعتمد معه ، وهي الدخول عليه من جهة اليسار، فإذا أخذت الكتب منهم انتقلوا إلى جهة اليمين، ويكون القعود على الركبتين . ولا يدخل أحد معه إلى حركاته بسيف ولا سكين ولا عدة ، ولا يبطأ برجله عتبة الحركاء ، ولا يقطع الإنسان عدته إلا على الجانب اليسار ، ولا يترك القوس في القربان، ولا يخله موترا ولا يخط في تركاشه نشابا ، ولا يأكل الثلج ، ولا ينسل ثوبه في الأردر .

قال : ووجد الملك بركة في تركاء تسع خمسمائة رجل مكسوة لبادا أبيض، مستورة من داخلها بالصنادات والخطاى^(١) مرصعة بالجواهر واللؤلؤ، وهو جالس على تحت ، وإلى جانبه الخاتون الكبرى ، وعنده خمسون أو ستون أميرا^(٢) على كراس الحركاء . ولما دخلوا إليه أمر وزيره بقراءة الكتاب ، ثم نقلهم عن اليسار إلى اليمين ، وسألهم عن النيل، وقال : « سمعت أن عظماء لابن آدم ممتدا على النيل يعب الناس عليه ؟ » فقالوا : « ما رأينا هذا »

قال : وأخذ قاضى القضاة الذى عنده هذا الكتاب وفسره وبعث به نسخة إلى القان . وقرأ كتاب السلطان بالتركي على من عنده ، فقرحوا به . وأعادوا الرسل بجوابه ، وسير معهم رسله ، فكان وصولهم في ذى القعدة من هذه السنة .

ذكر توجه السلطان إلى الاسكندرية

وتقديم سيف الدين عطاء الله على عرب بركة

قال : ولما فرغ السلطان من هذا المهم توجه إلى ثغر الإسكندرية متصيدا،

(٢) في الأصل « أمرا » .

(١) كما في الأصل .

فعدى في ذى القعدة من السنة وسار الى تروجة^(١) ، ومنها الى الحمامات ، وسار الى منزلة الكوش بالنسرب من العقبة الصغرى ، وضرب حلفة هناك ، ووصلت المسيرة الى قرب العقبة الصغرى ، وعيد عيد الأضحي ، وصلى صلاة العيد ، ونحر الأضاحي ، وبلغه أن بعض العربان قد عصوا في البراري ، فجرد إليهم جماعة ، وحضر جماعة من حرب هواة وصرب سليم فكشب عليهم الحجج بمارة البلاد ، والأا يقربوا أحدا من العربان المعصاة .

وماد السلطان الى الإسكندرية ، وصل في الجامع الغربي ، ولعب الكرة بميدانها ، وزار الشيخ الشاطبي^(٢) ، ورجع الى القاهرة فلما وصل الى تروجة دمهم بتقديم سيف الدين عطاء الله بن عزاز على حرب برقة ، وتحدث معه في أسر العربان وكونهم ينتفعون من مصر بأثمان الخيول المحلية والأضنام ، وأنهم يستنجون الأغنام ويزرعون ولا يقومون بحق الله . فالتزم المذكور بحفظ البلاد واستخراج الزكاة من العربان . وأنعم عليه السلطان بهنجنق وثقارات ، وتوجه^(٣) .

(١) موضع قرب يقع اليوم جنوب غرب دمنهور واسمة كوم تروجة ، وكان ينزل في أيام المماليك حرب تروجة (السلوك ج ١ ص ٥٠٠) وكان يبدأ منها طريق الى الحمامات (السلوك ج ١ ص ٥٢٠) .

(٢) راجع من الجامع الغربي بالإسكندرية النجوم (ج ٧ ص ٢٩١) .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن سليمان الشاطبي المتوفى بالإسكندرية عام ٦٧٢ هـ (من السلوك ج ١ ص ٦١٤) .

(٤) كذا في الأصل بزاي معجزة ثم راء . هجلة ، وكذلك في السلوك ج ١ ص ٥٢٠) .

(٥) صحنج بالصاد ، ويرد اللفظ بالسين أيضا ، وهو لفظ ترك معناه الريح ، والمراد هنا الراية .

(٦) راجع الفلفشدي (ج ١ ص ٤٧٤) من الثقارات .

(٧) زاد السلوك (ج ١ ص ٥٤٢) : « وتوجه لحفظ البلاد واستخراج الزكاة والعشور من العربان برقة » .

قال : ولما وصل الصالطان من الإسكندرية وصل ^(١) نخبة تكريت ومعه جماعة فأحسن إليهم .

ذكر الواقعة الكائنة بين المسلمين والفرنج

ببلاد الأندلس - وانتصار المسلمين

كانت هذه الواقعة في سنة اثنين وستين وستمائة . وورد الخبر بها إلى الديار المصرية في سنة ثلاث وستين بمقتضى كتاب ورد في جمادى الآخرة يتضمن انتصار المسلمين على الفرنج . وأمير المسلمين ومطاطنهم يومئذ أبو عبد الله بن الأحمر وكان الفتنش ملك الفرنج قد طلب منه الساحل من طريف إلى الجزيرة ، ومالقة إلى المربة ، وحضر بمجموعة ، فاجتمع المسلمون ولقوهم واقتتلوا ، فانهزم الفرنج مرارا ، وأخذ أخو الفتنش أسيرا . ثم اجتمع الفرنج في جموع كثيرة وزلوا على أغرقاطة ^(٢) فقتل المسلمون منهم مقتله عظيمة ، وجمعوا من رؤوسهم نحو خمسة وأربعين ألف رأس ، وجعلت تلا ، وأذن المسلمون فوقه . وأسر من الفرنج عشرة آلاف . وذلك في يوم الخميس رابع عشر شهر رمضان سنة اثنين وستين وستمائة . وانهزم الفتنش إلى اشبيلية ، وكان قد دفن أباه بجامعها فأخرجه من قبره ، خوفا من استيلاء المسلمين عليها وحمله إلى طليطلة ، واستعاد المسلمون من الفرنج اثنين وثلاثين ^(٣) بلداً من جملتها اشبيلية ومرسية وشرش وغير ذلك .

(١) الشحنة هنا مر صاحب الشرطة بحسب السلوك (ج ١ ص ٥٢٠ ج ١ حاشية ٤) .

(٢) في الأصل : « أغرقاطة » .

(٣) في الأصل : « بلد » بالرفع .

وفي هذه السنة كانت وفاة الأمير حسام الدين لاجين العزيزي الجوكندار^(١) بدمشق، ودفن بفسح قاسيون . وقيل إنه سم، وأن مملوكه جمال الدين أيدغدي واطأ عليه . وكان شجاعاً كريماً متواضعاً يحب الفقراء ويكرمهم ويتولى خدمتهم بنفسه ، رحمه الله تعالى .

ذكر مقتل الزين الحافظي^(٢)

وفي أواخر سنة اثنتين وستين وستمائة، حضر هولاكو زين الدين أبا المؤيد سليمان بن حاصر العقرياني ، المعروف بالحافظي ، وقال له ما معناه : قد ثبت هندی خيانتك وتلاعبك بالدول ، وأنت خدمت صاحب بعلبك طليبا ، نفته ، واتفقت مع ظلمانه على قتله . ثم انتقلت إلى خدمة الملك الحافظ الذي عرفته به ونسبت إليه ، فلم تلبث أن خنته ، وباطنت الملك الناصر حتى أخرجت قلعة جعبر عن يد مخدمك ، ثم انتقلت إلى خدمة الملك الناصر نفته معي ، ثم انتقلت إلى ، فأحسن إليك إحساناً لم يخطر ببالك أن تصل إلى بعضه مني ، وقد شرعت تعاملني بما عاملت به الملك الناصر . وعدد له ذنوباً أخر من خيانتته في الأموال التي كانت قد ندبه لاستخراجها من البلاد، وأمر بقتله هو وأهله ، فقتل هو وأخوته وأولاده وأقاربه ومن يلوذ بهم ، وكانوا نحو الخمسين لم ينج منهم إلا ولده مجير الدين محمد وولد أخيه اختفى بالسوق وقيل إن السلطان الملك

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٢٤) والجوكان هو المهجن الذي يضرب به الكرة ، وأنه هياوة من عصاة هوة طرطها نحو من أربعة أذرع ، ورأسها خشبة مغروطة تزيد على نصف ذراع انظر الفلقندي (ج ٥ ص ٤٥٨) .

(٢) راجع من الزين الحافظي السلوك (ج ١ ص ٤٣٢) .

الظاهر تسبب في قتله ، فإنه أحسن إلى أخيه عماد الدين أحمد ، ورتب له راتبا كبيرا ، وأمره بمكاتبة أخيه واستدعائه ، وأنه إذا وصل كان له ما يقترحه ، بشرط المواظاة على هولاءكو وإفساد من يقدر على إفساده منهم . فلما وصلت إليه الكتب حملها إلى هولاءكو وقال : إن صاحب مصر إنما يكاتبني بمثل هذا لتقع الكتب في يدك تقتلني ، وقد عازمت على أن أكاثت الأمراء القائمين بدولته والأعيان ، وأكيدته كما كادني . فأي هولاءكو ذلك ، فلم يزل يراجعهم حتى أذن له . فكاتب جماعة فعلم السلطان أنها مكيدة ، فكتب إليه يشكره على عرض الكتب على هولاءكو ، ويستصوب رأيه في عرضها لتزول التهمة عنه ، وأمر القصاص أنهم إذا وصلوا إلى شط جزيرة ابن عمر يجهردوا من ثيابهم ويحيلوا في إخفاء أنفسهم ليظن أنهم قصدوا الصبابة ففرقوا ، ففعلوا ذلك . وجاء نواب التتار فوجدوا الثياب فأخذوها وجهزوا الكتب إلى هولاءكو فقراها . وكان ذلك من أسباب قتله ، والله تعالى أعلم ،

وامتلت سنة ثلاث وستين وسمائة

في المحرم منها ، وصل الأمير جمال الدين سكر بن الدوادار ، وكان أبوه
المجاهد دوادار الخليفة ببغداد ، وكانت له نعمة عظيمة ، فأحسن إليه السلطان
وأمره بطلبه إياه .

وفي صفر من السنة ، وقف السلطان النحان بالقدس الشريف ، وقرأ
كتاب وقفه بحضور السلطان وقاضى القضاة تاج الدين .
ووقف اسطبلين تحت القلعة يعرف أحدهما بجوهر النوبى ، وجسهما على
وجوه البر .

وفيها في العشر الآخر من المحرم ، انتهى إلى السلطان أن جماعة من الأمراء
والأجناد اجتمعوا في دار على أكل ططماج وجرى بينهم كلام كثير أفض إلى
الغضب من الدولة ، فاتصل ذلك بالسلطان وعين له ثلاثة نفر وسعوا في الكلام
في ذلك فأمر بتسديرهم ، فسر أحدهم ، وكل الثانى ، وقطعت رجل الثالث .
وأفرج عن بقيتهم ، وأمر ألا يجتمع أميران في مكان ، وألا تعمل وليمة ولا
ضيافة عن غير موجب ، لحصمت مادة الاجتماعات .

وفي صفر ورد كتاب الأمير عز الدين أيذر النائب بالكرك أنه رتب
رانب الأسمطة والضيافة بمحم الخليل عليه الصلاة والسلام للوافدين . وكان ذلك
قد قطع من مدة طويلة .

وفيهما في تاسع عشر شهر ربيع الأول قطع السلطان أيدي جماعة من نواب
متولى القاهرة والخفراء وأصحاب الأرباع والمقدمين ، وكانوا ثلاثة وأربعين
رجلاً ، وكان سبب ذلك على ما حكاه صاحب عز الدين بن شداد ، ظهور
شلوح ومناسر بالقاهرة وضواحيها ينهبون ويقتلون حتى تعرضوا للعربان الذين
تحت القلعة ، فارتفعت أصواتهم حتى سمعها السلطان وسأل عن خبرهم فأخبر
بصورة الحال ، فلما أصبح أتته ورقة الصباح وليس فيها ذكر هذه الحادثة ،
فانكر على متولى القاهرة ، فاعتذر أن نوابه لم يطالعوها ، فأمر السلطان بقطع
أيديهم فمات بعضهم وسلم البعض .

وحكى غيره ، عن الأمير عز الدين أيدير الظاهري ، أن السلطان خرج
ليلة متنكراً وجعل يطوف أزقة القاهرة ، وكان يفعل ذلك ويتفقد أمور الناس
وأحوالهم ويسمع من الظاهريين ما لا ينقل إليه ، فرى بعض أزقة المدينة
فوجد بعض مقدمى الوالى قد أمسك امرأة وهو يتهددها ، وهى تقول له : اتق الله ،
واقه ما أفعل هذا [إلا] من حاجة وأنت تعلم أن مندى نحسة أيتام . فقال :
أنا ما أعرف هذا ، ولا بد أفعل وأصنع . فقالت له تقدم عنى ناحية . وخامت
لباسها وناولته إياه ، وقالت : واقه ما أمسك سواء فأخذه وأطلقها . فمره السلطان
ثم لم تكن له حمة إلا أن جمعهم وقطع أيديهم ، وشاهد فيمن قطع ، ذلك المقدم بعينه .

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٤٠) .

(٢) فى الأصل : « مقدمين » ، والتصويب ما يقتضيه النحر .

(٣) فى الأصل : « ما » ، والتصويب ما يقتضيه تركيب الجملة .

وفي هذه السنة توجه السلطان إلى الصعيد بجهة العباسية ، وذلك بعد هوده من
تفجير الإسكندرية ، فرمى البندق ، وأصرع جماعة وادعوا للسلطان ، ومن
جملتهم الملك العزيز نغر الدين عثمان بن الملك المغيث صاحب الكرك .

وتوجه السلطان من العباسية إلى قلعة الجبل فأقام ليلة واحدة ، وجهاز
العساكر ، ثم توجه هو بعدها إلى الشام وصرع بشرًا بالقرب من رأس الماء ،
وذلك في ثالث شهر ربيع الأول . وكان سبب توجهه ما بلغه من محاصرة التتار
اليرة وكان في هذه السفرة من الغزوات والفتوحات ما يذكره ، إن شاء الله
تمامي ، في موضعه .

وفي هذه السنة رجم السلطان ببطيل المزر^(٢) بالديار المصرية وأن تخرب البيوت
التي يعمل فيها وتكسر مواضعه ويسقط من الديوان ارتفاعه ، ورسم بتعويض
المقطعين عنه . وكتب بذلك إلى الأمير عز الدين الخلي فأبطلها .

ولما فتح السلطان في هذه الضفة ما يذكره من بلاد الفرنج عاد إلى مقر
ملكه ، وكان رحيله من أرسوف في يوم الثلاثاء ثالث وعشرين شهر رجب سنة
ثلاث وستين وستمائة ، ودخوله إلى القاهرة في يوم الخميس حادي عشر
شعبان من السنة ، وشق المدينة والأسارى بين يديه ، وهم الناس بالخلع والإنعام ،

(١) راجع عن : « الادعاء » السلوك (ج ١ ص ٥٢٣) .

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٢٣) .

(٣) تفرق نصوص هذا المصريح المزر والقمر والحر (راجع عن القمر السلوك ج ١ ص ٦٠٧)

من الأمراء والوزراء والمقدمين والمفاردة والخسواص حتى البرد دارية ^(١) وجميع الجاشية، وتصدق بمجملة عظيمة من الدراهم والغلال على الفقراء، وفرق كساوى بالجوامع .

ذكر خبر الحريق بالقاهرة ومصر وانهم أهل الذمة وما قرره عليهم من الأموال بسية ^(٢)

وفي هذه السنة في جمادى الآخرة ، وقعت نار بجارة الباطلية بالقاهرة ، فأوقب ثلاثا وستين دارا جامعة . ثم كثر الحريق بعد ذلك بمصر حتى احترق من رباعها المشهورة ربع فرح ، وكان وقفا على الأشراف بالمدينة ، وأكثر ربع العادل وغير ذلك . وكانت توجد لفائف من المشاق والكبريت والأصناف النفطية على الأسطحة . وشاع الخبر أن النصارى يفعلون ذلك لأجل ما فعله السلطان ببلاد الفرنج من إحراق الكنائس . فجمع السلطان عند عوده من الشام النصارى واليهود ، وأنكر عليهم هذه الأمور التي تفسخ عهدهم ، وأمر بتحريرهم . فجمع منهم عالم كثير تحت القلعة وأحضرت الأحطاب والحلفا . فسأل أهل الذمة مراحم السلطان ، فقرر عليهم حل خمسمائة ألف دينار إلى بيت مال المسلمين ، والتم بقرضهم واستخراجها بطوك النصارى ، والتزموا أنهم لا يعودون إلى شيء مما كانوا يعتمدونه من المنكرات ، ولا يخرجون عن الذمة وشرطها وحمل المال المقرر شيئا بعد شيء .

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٣٤) .

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٧٥) .

(٣) في الأصل : « ثلاثة » .

وفي هذه السنة ، اعتقل السلطان الأمير نور الدين زامل بن علي ، وكان قد حصل منه إساءات وقتن مرة بعد أخرى . وقبض السلطان عليه ثم أطلقه وأصلح بينه وبين الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا ، والأمير أحمد بن حمي ، والأمير هارون ، وحلفهم ، وأعاد إقطاع زامل إليه وإمرته . فلما توجه لم يتأن إلى أن يصل البلاد بل ساق من أوائل الرمل [وهجم على بيوت عيسى] وأفسد ، وأمسك قصاد السلطان ومملوك الأتابك المتوجه إلى شيراز ، وأخذ منهم الكتب ، وتقرب بها إلى هولاكو ، وتوجه إليه وأطمعه في البلاد فأعطاه إقطاعا في العراق . وتوجه [زامل] إلى الحجاز فنهب وقتل وانتكح حرمة الأشراف ، وحضر إلى أوائل الشام^(٢) . وكان السلطان قد أعطى إقطاعه وإمرته لأخيه أبي بكر ، فراسل زامل السلطان في طلب العفو ، فتقرر حضوره في وقت معلوم وأنه متى تأخر عنه ليس له عهد ولا أيمان ، فتأخر عن المدة المعينة ثم وصل فاعتقله السلطان .

وفيها : حضر إلى السلطان نعمة قد ولدت نروفا على صورة الفيل له خرطوم طويل وأنياب وإلية خروف .

وفيها : جهز السلطان الأخشاب والحديد والرصاص والآلات والصنائع ، فكانوا ثلاثة وتحسين رجلا لإتمام عمارة الحرم الشريف النبوي . وأفق فيهم الأموال وجهاز معهم المئونة ، ونذب لذلك الطواشي شهاب الدين محسن الصالح^(٣) ،

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٣٥) .

(٢) زاد السلوك هنا (نفس الموضوع) : « وهجم على بيوت عيسى » .

(٣) يقابل هذه العبارة في السلوك (ج ١ ص ٥٣٦) : « وماد إلى الشام » .

(٤) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٥٢) مع ملاحظة اختلاف التوقيت والتفصيل .

(٥) يرد اسمه مسافرا مع كسرة الكعبة في السلوك (ج ١ ص ٥١٢ ص ٢) .

ورضى الدين أبابكر ، والأمير شهاب الدين غازي بن فضل اليمشورى مشدا ،
ومحيي الدين أحمد بن أبي الحسين بن تمام طيبيا إلى البيمارستان الذى بالمدينة ،
ومعه أدوية وأشرطة ومعاين ومراهم وسكر لأجل من يعثره من الجماعة مريض ،
وكان خروجهم من القاهرة فى سابع عشر شهر رجب ، ووصلوا إلى المدينة فى
ثانى شوال . واستمر العمل فى العارة إلى سنة سبع وستين وصحابة . وكان
السلطان يمدهم بما يحتاجون إليه من النفقات والآلات .

وفيهما : توجه السلطان إلى بحر أشموم ، وغرق عدة مراكب لإصلاحه ،
وتولى الحفر بنفسه ، وشاهد الناس على كتفه قفة مملوءة نرابا . فلم يبق أحد
من الأمراء وغيرهم إلا يادر وفعل مثل ذلك ، فتنجز ذلك فى ثمانية أيام ، وذلك
فى شوال من السنة .

وفى حادى عشرين الشهر رسم السلطان بإبطال حراسة النهار ، وكانت جملة
مستكثرة وكتبت التوافيع بإبطالها .

وفى الشهر قرئ مكتوب بجامع أشموم بمساحة الأعمال الدقهلية والمرنجة
بأربعة وعشرين ألف درهم عن رسوم الولاية والمسال المستخرج برسم التقيدى .^(١)
وفيه توجه شجاع الدين بن الداية الحاجب رسولاً إلى الملك بركة ، فى كف
غازات الملك بركة عن بلاد الأشكرى حسب سؤاله فى ذلك ، وصير معه ثلاث

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٣٨ ص ١) .

(٢) التقيدى ، موضع قرب فم خليج الإسكندرية .

(٣) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٣٨ ص ١) .

عمر أعتربها بمكة تلك بركة . وسير معه قفحان من ماء زمزم ، ودهن بلسان
وفير ذلك .

وفي ذى القعدة وصل الأمير جمال الدين النجيبى نائب السلطنة بالشام فتحدث
السلطان^(١) معه في مهمات ، وكتب على يده تذكرة^(٢) ، وعاد في ذى الحجة .

ذكر تفويض القضاة لأربعة حكام^(٣)

وفي ذى القعدة سنة ثلاث وستين ومائة فوض السلطان القضاء بالقاهرة
والديار المصرية لأربعة قضاة ، لكل مذهب قاض . وسبب ذلك أن الأمير
جمال الدين أيدغدى العزى كان يكره قضاة تاج الدين بن بنت الأحرار
ويغض منه عند السلطان لتبنته في أحكامه وتأييده واحترازه ، فانفق أن السلطان
جلس بدار العدل فقدمت له قصة من بيت الملك الناصر تتضمن أنهم ابتاعوا
دارا من القاضي بدر الدين السنجارى وأن ورثته بعد وفاته ادعوا أنها وقفت قبل
ذلك ، فأخذ الأمير جمال الدين أيدغدى ينقص المنعمين فقال السلطان للقاضي
تاج الدين : « هكذا تكون القضاة ؟ » . فأجابه بالآية : ﴿ ولا تزر وازرة وزر
أخرى^(٤) » . قال : « فكيف العمل في هذا ؟ » . قال : « إذا ثبت الوقف يستعاد

(١) انظر السلوك (ج ١ ، ص ٦٥٠) وكذلك النجوم (ج ٧ ص ٢٨١) .

(٢) التذكرة وثيقة تصدر عن السلطان إلى نوابه بمصر أو ببلاد الشام أو إلى قضاة الدين يرسلهم
إلى المنوك — وتضمن التذكرة عادة ما يراد تكيدهم به (راجع السلوك ج ١ ص ٨٠ حاشية .
وكذلك القلائد ج ١٣ ص ١٠٤٠٧٩) .

(٣) انظر السلوك (ج ١ ص ٤٢٠٥٣٨) وكذلك النجوم (ج ٧ ص ١٢١) .

(٤) في الأصل : « وتأنيبه » ولا معنى له ، والتصويب بفرضه السياق .

(٥) فاطر آية ١٨ .

الثمن من الورثة من مال مورثهم » . فقال السلطان : « فإن عجزوا عن الثمن ؟ »
قال : « الوقف باق على أصله » . فامتعض السلطان لذلك . فلم يتم الكلام حتى تقدم
رسول صاحب المدينة النبوية وقال : « حملت كتاب السلطان إلى قاضي القضاة
أن يسلم إلى المال الذي تحت يده من الوقف ، لأن فقعه في فقراء أهل المدينة ، فلم
يفعل » . فسأل السلطان القاضي عن ذلك . فقال : « صدق هذا الرجل ، أنا لا أصرفه ،
ولا أسلم المال إلا لمن أصرفه وأثق بدينه وأمانته ، فإن تسلمه السلطان أحضرته بين
يديه » . فقال السلطان : « تخرجه من عنقك وتعمله في عنقي ، لا تسلم المال
إلا لمن تختاره وترضاه » . وتقدم بعض الأمراء في المجلس وشكى من القاضي
تاج الدين في قضية أخرى هي شهادة^(١) لم يثبتها لبعض أولاد خوشد اشينه فقال
القاضي : « لم تأتني بيئة^(٢) » . فقال الأمير : حضرت البيئة فلم تسمعها . فسأله
السلطان عن امتناعه من صماع البيئة . قال : « لا حاجة إلى ذكر الجواب » .
فقال الأمير جمال الدين أيدغدى المزيلى للقاضي نحن نترك مذهب الشافعي لك
ويولى السلطان من كل مذهب قاضيا ، فرجع السلطان إلى قوله ، وفوض النظر
في الأحكام والقضايا إلىحكام أربعة وهم : قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب
المشار إليه ، قاضي الشافعية . والشيخ شرف الدين أبو حفص عمر بن عبد الله
ابن صالح بن عيسى السبكي ، قاضي المالكية ، والقاضي صدر الدين صليان
قاضي الحنفية والشيخ شمس الدين محمد بن الشيخ عماد الدين إبراهيم المقدسي ،

(١) الإضافة للايضاح وهي منقولة من السلوك (ج ١ ص ٥٢٩)

(٢) في الأصل : « لم تأتني » ، وهو خطأ

(٣) في الأصل : قاصد وهو خطأ

(٤) انظر النجوم (ج ٧ ص ١٢٢)

قاضى الخنابلة . وجعل لم السلطان أن يولوا في الأعمال نوابا عنهم . وخص فاضى
القضاء ، تاج الدين الشافعى ، بالنظر في أموال الأيتام والأوقاف بمفرده بالديار
المصرية ، بتقليد ساطاني نسخته بعد الإسملة ، ومثال العلامة السلطانية
بين السطرين المستعمل بالله .

والحمد لله مجرد سيف الحق لمن اعتدى ، وموسع مجاله لمن راح إليه وأغتنى ،
وموضح طريقة لمن اقتاد به واقتدى ، ومزين ممانه بنجوم تستمد الأنوار من شمس
الهدى ، الذى أعذب لشرعة الشريعة المحمدية ينبوعا ، وأقامها أصلا مد بشمار
الرشد فروعا . نحمده على نعمة التى ألزمتنا النشيد [فى] مباني الإنصاف شروعا .
« ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة نعمل بها من القلوب والأفواه
ربوعا . ونصلى على سيدنا محمد الذى بعثه الله إلى العالم جميعا ، صلى الله عليه وعلى
آله وصحبه ، صلاة يباحى القائل بها بصيرا جميعا » .

« وبعد : فإن أحق من استوعبت كليات المحامد له بالتبويض ، وطافت
المساح من كعبة العلم بركن منه طواف المفروض لاطواف المفيض وخلد له إرضاء
الأحكام ولمضاء التفويض ، وريش جناحه وإن لم يك بالمهيض ، وفسح
مجاله وإن كان الطويل العريض ، ورفع قدره على الأقدار ، وتقسمت من
مخائبه الأنواء ، ومن أشعته الأنوار ، ووغزرد مده بلحرت منه فى رياض الرشد
الأنهار ، وغدا تخشع لتقواء القلوب ، وتنصب لفتواء الأسماع وترنو لهيأه
الإبصار ، من أوفد من إرشاده للامة وللأمة لطفًا فلفظًا ، وأوقد من حابه جذوة
لا تحبوا ، ومن عدله قبسا بالهوى لا يطفأ ، وفات النظراء والنظار فلا يرسل أحد

معه طرفاً ، ولا يمد إليه حياء منه طرفاً ، وقد جاز واحتوى من العلوم على ما تفرق
 في غيره وفذاً خير دليل إلى الحق ، فلا يقنطى في المشكلات إلا برأى اجتهاده ،
 ولا يهتدى في المذاهب إلا بسيرة ، وأصبح لفلك الشريعة المحمدية قطباً ، وبخشمانها
 قلباً ولدوارها قلباً ، وأضى لدليلها برهاناً ، ولإنسانها عيناً ، ولعينها إنساناً ، فكـ
 أرضى بعدله وفضله بنى الأيام عن الأيام ، وكـ أغضى مع قدوته على الانتقام ،
 وكـ أمضى حكماً لا انفصال لعروته ولا انفصام ، وكـ أنضى بالجور إلى ماله
 وبالعدل إلى الأيتام ، فأوامتعداه الليل على النهار لأنصفه من تعديه ، ولم يداجه
 لكونه يستر عليه تعبده في دياجيته ، فهو الحاكم بالحق ولو على نفسه ، والمسترد
 الحقوق الذاهبة حتى لفده من يومه وليومه من أمسه .

« ولما كان المجلس السامى القضائى الإمامى ، العالمى العالمى ، الأشرف
 الزاهدى الأثيرى المساجدى الذخيرى الأفاضل الجلالى التاجى ، حجة الإسلام ،
 شرف الأنام ، مجد الأمة ، نحر الأئمة ، صدر الشريعة مقتدى الفرق ، رئيس
 الأصحاب ، لسان الحق ، ذنر الملوك والسلاطين ، ولى أمير المؤمنين ، قاضى
 القضاة ، عبد الوهاب بن القاضى الأجل الأوحى الأهمز أبى القاسم خلف ،
 حرم الله جلالة ، ممن هو فى أحسن هذه السمات بتصور ، وله أنوار بركات
 تعدّ ونجوم السماء بها تتكثر ، وقد تجوهر بالعلوم فأصبح التاج المجوهر ، وله
 مزايا السؤدد التى لا يشك فيها ولا يرتاب ، وبجايها الذبابة التى إذا دخل غيرها
 إليها من باب واحد دخل هو إليها من عدة أبواب ، وهو شجرة الأحكام ومصعد
 كالم الحكم ، ومطلع أنجم شرائع الإسلام ، ومهبط وحى التقديمات والارتسام
 ومكاظ قضايا الحلال والحرام » .

(١) فى الأصل ، وهذا ، ذلك أن الجلة هنا تحتاج إلى فعل لا إلى اسم الفاعلة

«خرج الأمر العالي المولوى السلطانى الملكى الظاهرى الركنى ، لا زال ماضيا
وبالسداد قاضيا : بتجديد هذا التقليد الشريف له بقضاء الفضاة بالديار المصرية
فليحكم جميعها بما أراه الله من مذهب الإمام الماطلى محمد بن إدريس الشافعى ،
رضى الله عنه ، وأموال البتائى على اختلاف أجناسها هى ودائع الأموات ،
ودخائر كل ممنوع من التصرفات ، وقد أوصى الله بها ، وأوسع المتعدى عليها
إنكارا وتحذيرا ، وخوف من أكلها ظلما ، فقال جل وععالى : ﴿ إِن الَّذِينَ
يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝ ﴾^(١)
وقد رأينا أن تخصص المجلس السامى بالنظر فى جميع أمورها وإذ قد غدت ذخر
كل منقطع فنجمه من ذخرها ، فليُنظر^(٢) فى جميع أموال الأيتام على اختلاف
أجناسها بالقاهرة ومصر المحروستين والديار المصرية بمفرده وبمن يستنبه عنه ،
وليحفظها بنظره ، ويضبطها بحسن تأديبه وأثره ، وكذلك ما يختص بمذهبه من
الجوامع والمناصب والمساحد والربط والتصدقات والأوقاف ، ينظر فى جميعها
ويولى فى أصولها وقروعها ، والأوقاف العامة من الصدقات وغيرها ، ينظر
فيها بنفسه وبنوابه ، حافظا لأمرها وملاحظا لتدبيرها ، ومجتهدا فى صلاحها
وتثميرها ، وليستصحب من ذلك ما هو ملى باستصعابه ، وليستمر على
إقامة منار الحق الذى هو موقى عراء ومؤكده أسبابه ، عالما بأن كل إنارة
أضأتها من نفسه وأن استضاءنا بها فى دياجى المنى ، وكل ممره من مغترسه وإن
مددنا إليها يد لإجتناءه وكل جدول هو من بحره وإن بسطت إليه راحة الاغتراف
وكل منهج هو من جادته وإن ثبت إليه أعنة الاستطلاع للافادة والاستكشاف

(١) النساء آية ١٠ .

(٢) فى الامل فينظر : والتصحيح يحسنه السهاقي .

وهو محمد الله المجتهد المصيب ، والمادة للعناصر وإن كان يعنيه منها أوفر
تصويب ، والصادق الذي ينبيء بالحق إذا وأمرته^(١) المراسيم ، ولا ينزك مثل
خير ، ووصاياه منها يسترشد ، فلا يفارض فيها ، ومنه تعلم فلا نكرر عليه
ما يستفاد منه من معانيها ، والله تعالى يسد بأحكامه الذريعة ، ويحمي به حى
الشرعية إن شاء الله تعالى ، وكتب في ثامن وعشرين ذى القعدة سنة ثلاث
وسمائة بالاشارة العالية المولوية الأتابكية الفارسية وأمرها الله ، الحمد لله وحده
وصلاته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه .

ولما فوض السلطان القضاء بالديار المصرية لحكام أربعة ، فعل مثل ذلك
بدمشق^(٢) ، وجهاز التقاليد إلى الحكام الذين وقع الاختيار عليهم ، وهم : القاضي
شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان الشافعى ، على عادته ، والشيخ زين الدين
عبد السلام الزراوى المالكى قاضى المالكية ، والقاضى شمس الدين عبد الله
ابن محمد بن عطاء الأذرعى الحنفى قاضى الحنفية ، والشيخ شمس الدين عبد الرحمن
ابن الشيخ أبى عمر الحنبلى قاضى الحنابلة ، ووصلت تقاليدهم بذلك فى سادس
جمادى الأول سنة أربع وستين وسمائة ، فامتنع المالكى والحنبل من قبول الولاية
والدخول فى باب القضاء ، فطوّل السلطان بذلك ، فورد جوابه بالزامهما ،
وأنها إن استقرا على الامتناع وصحما عليه يعزلا عما بأيديهما من المناصب ويخرجوا
من بلاد السلطان ، فقبلا الولاية ، وامتنعا من قبول المعلوم المقرر للقضاة وقالوا :
« نحن فى كفاية عن قبول المعلوم » .

(١) كذا فى الأصل ، وأمرته (بمعنى أمرته) .

(٢) انظر السلك (ج ١ ص ٥٤٢) .

ذكر القبض على الأمير شمس الدين سنقر الأفرع

وفي ذي الحجة سنة ثلاث وستين وسقانة ، قبض السلطان على الأمير شمس الدين سنقر الأفرع . وسبب ذلك أن رسول الملك بركة أحضر معه رجلا ادعى أنه الملك الأشرف بن الملك المظفر شهاب الدين غازي ، فطلب السلطان من يشهد له بصحة ذلك ، فشهد له المذكور ، فبحث السلطان عن أمره ، فوجد الأمير شمس الدين المشار إليه بعث إليه واستدعاه من عند الملك بركة لفرض كان في نفسه ، فقبض السلطان عليه واعتقله ، واعتقل من شهد له بخزانة البنود .

ذكر القبض على الأمير شمس الدين سنقر الرومي^(١)

وذنبه السالفة

وفي رابع وعشرين ذي الحجة من السنة ، أمسك السلطان الأمير شمس الدين سنقر الرومي . وسبب ذلك ؛ أنه كان له مملوك جميل الصورة ، فبلغه أن السلطان ربما تعرض إليه بفعل ، فغضب لذلك ، وشفع السلطان عنده فيه فلم يقبل شفاعته ، وضربه وحمل سقودا من الحديد وجعله في دبره فمات ، فطلبه السلطان من وقته واعتقله . وأما ذنبه السالفة فإنه كان جدار الملك الصالح ، وكان مؤانئ الملك الظاهر لما كانا في الخدمة الصالحة وبينهما صداقة ، ولما كان من أمر البحرية ما قدمناه كانا جميعا وكان الملك الظاهر يتفقده بالمال والقماش ، ولما قتل الملك المظفر لم يكن شمس الدين حاضرا ، وأعطاه السلطان الإقطاعات المظليحة فصار يخلو بجماعة بعد جماعة ويفرق عليهم المال الذي ينقسم

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٤٠)

به السلطان عاينه ، فانصل ذلك بالسلطان فأرسل إليه يحذره مع خوشداشيتيه ، فلم يفد ذلك شيئا ، وبقي ذلك في خاطر السلطان ، فلما قتل الآن مملوكه وقبض عليه أرسل يقول : « اشتهى أهراف ذنبي » ، فسير السلطان إليه من « مدد ذنوبه » ، فتحسر وقال : « آه » ، لو كنت حاضرا قتل الملك المظفر حتى أعاند السلطان في الذي جرى ، وكان قد تكلم بهذا الكلام وشافه السلطان به في حال إحسانه إليه ، واستمر في الاعتقال إلى أن توفي ، وكانت وفاته في يوم الأحد عاشر جمادى الأول سنة ست وسبعين وستمائة .

ذكر وفاة قاضي القضاة بدر الدين السنجاري

ومني من أخباره^(١)

وفي هذه السنة في يوم السبت رابع عشر شهر رجب : كانت وفاة قاضي القضاة بدر الدين أبي المحاسن يوسف بن الحسن بن علي بن الخضر السنجاري الشافعي ، رحمه الله تعالى ، بغاة ، وكان قد أكل بطيخا أصفر وسلنجنينا عقب^(٢) خروجه من الحمام . ودفن في يوم الأحد بمدرسته بالقرافة بجوار تربة الإمام الشافعي ، وصلى عليه قاضي القضاة تاج الدين بن بليث الأعز . ومولده بسواد إربل في رابع عشر شهر ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وستمائة ، وكان قاضيا بسنجار ، وكان له على السلطان الملك الصالح من الخدمة بسنجار ما قدمنا ذكره ، فلما ملك الملك

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٤١) والنجوم (ج ٧ ص ٢١٩ عام ٦٦٢) ، وشذرات الذهب (ج ٥ ص ٢١٤ أخبار عام ٦٦٣) ، وينسب هذا للقاضي أيضا إلى جد له اسمه ذرارة فيقال الزراري .

(٢) المقصود نوع من المأكولات لم يستطع المحقق قراءة اسمه أو التعرف عليه ومن الممكن قراءة اللام كافا بحسب عادة الناسخ .

الصالح دمشق كما تقدم ، ولاء قضاء بعلبك وأعمالها وقرره معلوما كثيرا ، وكان قد وصل في صحبته ، ولما ملك الديار المصرية حضر إليه فأكرمه ، وفوض إليه القضاء بمصر والوجه القبلي ، ثم بالقاهرة والوجه البحري كما تقدم ذكر ذلك . وولى الوزارة كما تقدم أيضا في أيام الملك المنصور نور الدين بن الملك المعز ، وكان رحمه الله تعالى ، مكينا عند السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وكان الأمير نغر الدين بن الشيخ يكرهه ، فكتب إلى السلطان الملك الصالح يذكر عنه أنه يأخذ من نوابه الأموال ، ومن يعدله من اليهود ، وأشبه ذلك ، فأجابه السلطان في طرة كتابه : « بأننى نغر الدين : للقاضى بدر الدين على حقوق عظيمة لا أقوم بشكرها ، والذي وليناه قليل فى حقه ، وما قت له بما يجب على من مكافأته » ، فلم يعاوده الأمير نغر الدين فى أمره ، وبقيت هذه الورقة عنده فى جملة أوراقه ، فلما قتل وخلف بنتا صغيرة ، احتاط ديوان الأيام على موجوده فوجدوا هذه الورقة فحملوها إلى القاضى بدر الدين ، فأوقف الناس عليها ، وكان رحمه الله تعالى ، كريما كثيرا لاحتجال ، كثير المروءة ، حسن العشرة ، يقبل الاعتذار ، ولا يكافى على السيئة بمثلها ، بل يحسن لمن ظهرت أساءته ، ويبره بآله ويستميله بإحسانه ، إلا أنه شهر عنه فى ولاية القضاء قبول هدايا النواب ، حتى قيل إنه ربما كان قرر على كل منهم ما لا يحمله فى كل مدة فى مقابلة ولايته على قدر الولاية ، وكذلك أيضا من يقصد لإنشاء عدالته حتى كثرا المعدلون فى أيامه ، ووصل إلى العدالة من ليس من أهلها ، ولما ولى قاضى القضاة تاج الدين أسقط كثيرا من مدوله ، ولقد جاء بعد ذلك زماننا وأدركت بقايا مدوله فكانوا أسيز العدول وأجل الناس ، ومنهم من لى قضاء القضاة وبلغ ، رحمه الله تعالى ، خمسة وثمانين سنة وثلاثة أشهر ، رحمه الله تعالى .

وفي هذه السنة في يوم الاثنين مستهل شعبان توفي الأمير جمال الدين موسى ابن شرف الدين بقمور بن جلدك بلقان^(١) بن بقمور استاد دار السلطان الملك الظاهر ، وهو الذي كان ينسب من الملك الصالح نجم الدين أيوب بدمشق ، وكان على المنزلة عند الملوك الأيوبية ومن بعدهم ، ودفن بسفح المقطم ، وكان مولده بالقسرية البيغورية بقرب سمهود من الأعمال القوصية^(٢) في جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، وهو ياروق الأصل ، : وكان عفيفا كريما سمحا جوادا ، كوسا لطيفا ، متواضعا حسن العشرة والسيره ، كثير الإبر والصدقة ، رحمه الله تعالى .

وفي ذى القعدة سنة ثلاث وستين ومستمائة أيضا : أمر السلطان بشنق الشريف حصن الدين بن ثعلب الجعفرى بالإسكندرية ، فشنق خارج باب البحر ، وكان السلطان قد اعتقله بها ، وسبب شنقه أن الشريف السرسناى أحد مدول الثغر كان يتردد إليه في معتقله لتأنيسه وقضاء حوائجه ، فأتصل بالسلطان أنه أعمل الحيلة في هروبه ، وكان الشريف قد حضر إلى مصر لقضاء حوائج حصن الدين فأحضره السلطان وسأله عن ذلك ، فأنكره ، فأراه الخطوط الواردة من الإسكندرية بالشهادة عليه بذلك ، وأمر بشنقه فشنق تحت قلعة الجبل . وسير السلطان عن الدين أيبك الأغا حصارى^(٣) إلى الإسكندرية فشنق الشريف حصن الدين .

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٦٩ ص ١٧) والنجوم (ج ٧ ص ٢١٨) .

(٢) راجع حاشية النجوم (ج ٧ ص ٢١٨ حاشية ٣) حيث تقول إن الاسم الحالي هو كرم بقمور وهو اسم قرية تقع مركز تجمع جمادى بين سمهود وبخايس إلى الجنوب من سمهود .

(٣) راجع السلوك (ج ١ ص ٢٨٨) .

(٤) كما بالأصل .

واستهلت سنة أربع وستين وستمائة

في هذه السنة توجه الملك السلطان الظاهر إلى الشام في مستهل شعبان^(١) ،
واستتاب بقلعة الجبل الأمير عز الدين أيدمر الحلبي ، وجعله في خدمة ولده الملك
السميد هو والمصاحب بهاء الدين ، وتوجه . وكان في سفرته هذه من فتوح صفد
والغارات على بلاد الفرنج ما نذكره ، إن شاء الله تعالى .

ذكر عمارة جسر دامية^(٢)

وفي جمادى الأولى سنة أربع وستين وستمائة ، رسم السلطان بناء جسر على
نهر الأردن ، وهو النهر الذي يشق غور الشام ، ويسمونه الشريعة . وهذا
الجسر هو بقرب دامية ، فيما بينها وبين فراوى . وافق فيه أعجوبة لم يسمع
بمثلها : وذلك أن السلطان ندى الأمير جمال الدين بن نهار المهندس لعمارته ،
ورسم أن يكون خمس قناطر . واجتمع الولاة لذلك ومنهم : الأمير بدر الدين
محمد بن رجال متولى نابلس وحصلوا الأصناف وجمعوا الصنائع ، وعمره على
ما رسم به السلطان . فلما تكاملت عمارته وتفرق ذلك الجمع اضطرب بعض
أركان الجسر ، فلقى السلطان لذلك وأنكر عليهم وأعادهم لإصلاح ذلك . فتمعذر
عليهم لزيادة الماء وقوة جريانه ، فأقاموا كذلك أياما وقد تيقنوا العجز عنه .
فلما كان في الليلة المسفرة عن السابع عشر من شهر ربيع الأولى سنة ست وستين

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٥٥ س) .

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٣٨١ س ٥٤٩) - حيث تقول الحاشية إن الجسر باق إلى اليوم .

انقطع ماء الشريعة حتى لم يبق بها شيء منه ، فبادروا وأشعلوا الزيران الكثيرة
والمشاهل واغتنموا هذه الحادثة وأصلحوا الأركان وقووها ، وأصلحوا منها
ما لا كان يمكن عمله . وركبوا من يكشف خبر هذه الحادثة ، فافقوا الخيل
فوجدوا كئيباً مرتفعاً كان يشرف على الشريعة من الجانب الغربي ، والكثائر
شيء يشبه الجبل وليس بجبل لأن الماء يحمله بسرعة كالطين ، قد سقط في الشريعة
فسدما ، وانسكر الماء وتحامل على جهة النور مما وراء السكر ، فعادوا بالخبر ،
وانقطع الماء من نصف الليل إلى الرابعة من قنار ، ثم تحامل الماء وكسر ذلك
الكثائر ، وجاء طول رمح فلم يؤثر في ذلك البناء لإتقانه ، وحمل الماء ما كان هناك
من آلات العارة . وهذه الحادثة من عجائب الانفاق . وهذا الجسر باق إلى
وقتنا هذا .

وفي جمادى الأولى أيضاً تكاملت عمارة الدار الجديدة المرسوم بعمارتها عند
باب السر المطل على سوق الخليل . وهمل بها دعوة للأمراء .

وفي هذه السنة أهتم السلطان بحفر خليج الإسكندرية ، وندب الأمير علم الدين
المسروري لذلك . ثم توجه السلطان بنفسه وبأشر الحفر وأزيلت الرملة التي كانت
على الساحل بين النقيدى وفم الخليج ، ثم عدى إلى بر أيار ، وغرق المراكب
هناك وجنى عليها بالمجارة ، ثم رجع إلى القاهرة .

وفي شهر رمضان من السنة وصل إلى دمشق ولد الخليفة المستعصم بالله
المسمى بالمبارك^(١) الذي كان عند هولاكو ، وصحبته جماعة من أمراء العربان .

(١) كذا في الأصل ،

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٤٤٤ ص ٩) .

(٣) انظر السلوك (ج ١ ص ٤٤٩ ص ١١ - ١٥) .

فأنزله الأمير جمال الدين النجيبى فى أعز مكان ، فلما وصل السلطان إلى دمشق سبر إليه جمال الدين بن الدوادار والطواشى مختار ، فسا عرفاه . وظهر أنه بخلاف ما ادعاه ، فسير إلى مصر تحت الاحتياط .

وفى ذى القعدة وصل شخص آخر أسود ادعى أنه من أولاد الخلفاء ، فسير إلى مصر أيضا .

ذكر الوثوب على الأمير عز الدين الحللى^(١) وضربه بالسكين

وسلامته وقتل الأمير صارم الدين المسعودى

قال : لما كان فى يوم الاثنين متصرف ذى الحجة سنة أربع وستين وستائة جلس الأمير عز الدين الحللى بدار العدل ، ومعه الصاحب بهاء الدين والقضاة ، وإذا بإنسان يمتشق الصفوف - ويده قصة - ، فوقف قدماه ، وكان بيده سكين بين أنوابه ، فضرب بها حلق الأمير عز الدين . فأمسكها بيده فجرحت يده ، ثم نفسه برجله ونام على ظهره وقصد أن يضربه مرة أخرى أو يضرب الصاحب . فلما رفع يده جاءت السكين فى فؤاد الأمير صارم الدين قايمآز المسعودى فمات لحاقته . وكان نحر الدين متولى الجديزة حاضرا فأمسكه ورماه . فوقع على قاضى القضاة ، وضرب بالسيف فمات . وعرف الضارب أنه من الجانداريه . وكانت به شعبة من الجنون . ولما وصل الخبر بسلامة الحللى إلى السلطان وهو راجع من أنابية أعطى مملوك الحللى ألف دينار عينا ، وأعطى رفيقه ثلاثة آلاف درهم ، وأحسن إلى ورثة المسعودى .

(١) فى الأصل : د الحللى ، والتصحيح من السلك (ج ١ ص ٥٥٠) حيث يرد نفس الخبر .

وفي هذه السنة فتحت صفد على ما نذكره ، إن شاء الله تعالى . ورجع
السلطان منها إلى دمشق ، وأنعم على أمرائها وقضاتها وأرباب المناصب
بالتشريف .

ونظر السلطان في أمر الجامع الأموى ومنع من مبيت الفقراء به ^(١) .
وفيها : أبطل السلطان ضمان الحشيشة وأمر بتأديب أهلها ^(٢) .

وفيها : في ثالث ذى القعدة توفي الأمير كرمون أغا بدمشق بعد منصرفه من
فتح صفد ^(٣) فشهد السلطان جنازته ، ودفن برأس ميدان الحصا عند قباب الزركان .
وفيها : في ليلة عرفة ، كانت وفاة الأمير جمال الدين أيدغدى الميزرى ^(٤)
وكان قد جرح على صفد وبقى مدة والألم يتزايد به إلى أن مات ، رحمه الله
تعالى .

وكان من أكابر الأمراء ، وصنع الحديث ، وحدث ، وكان مشهورا
بالشجاعة والكرم والديانة وسمة الصدر وكثرة الصدقة ، وكان قدرته على
نفسه صلبة للفقراء من أرباب البيوت والزوايا في كل سنة تزيد على مائة
ألف درهم وألوف أرادب غلة ، هذا غير صدقاته . وكان مقتصدًا في ملبسه
يلبس الثياب القطن من الهندى والبعلبكى وغيره مما يباح ولا يكره لبسه . وكان
من السلطان بالمتلة العلية لا يخرج عن رأيه ومشورته سيما في الأمور الدينية وأحوال

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٥٩ ص ٧) :

(٢) إجراءات مائة خاصة بالإسكندرية واردة في السلوك (ج ١ ص ٥٥٣) :

(٣) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٤٩ ص ٦) .

(٤) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٥٤ ص ٧) :

القضاء . ومما يدل على ذلك : ما تقدم من إشارته بتولية الحكم لأربعة قضاء .
فرجع السلطان في ذلك إلى رأيه ، وفعله لوقته . وكان رحمه الله من حسنات
الزمان ، وقد ختم له بالشهادة ، فإنه مات من ألم تلك الجراحة . ودفن في مقبرة
الملك الناصر يوسف قاسيون ، رحمه الله .

واستهلّت سنة خمس وستين وستمائة

ذكر عود السلطان إلى الديار المصرية

وبناء الجامع الظاهري^(١)

كان خروج السلطان من دمشق في يوم الاثنين ثاني المحرم سنة خمس وستين وستمائة . فلما وصل إلى منزلة القوارق العسكرة وتوجه إلى الكرك . ولما وصل إلى بركة زيزاء تقنطر عن فرسه ، وذلك في يوم الأحد ثامن المحرم ، فتأخر هناك أياما ، ونزل إليه الأمير عز الدين نائبه بالكرك فأعطاه ألف دينار ، وخلع عليه وسير الخلع إلى من بالكرك . ثم توجه في محفة حملها الأمراء والخواص على أكتافهم إلى غزة . ووصل إلى بلبس في ثالث عشر صفر فلقاه ولده الملك السعيد والأمير عز الدين الحلبي ، وزينت المدينة لمقدمه .

وفي أول شهر ربيع الأول ركب السلطان فرسه وضربت الهشار لذلك ، ونزل بباب النصر وأقام هناك إلى خامس الشهر ، ثم توجه إلى بركة الحب لرمي البندق .

وفي شهر ربيع الآخر ، سير السلطان الأتابك والصاحب نجر الدين ولد الصاحب لكشف مكان يعمل به جامعا بالحسينية . فاتفقا على مناخ الجمال السلطانية . فقال السلطان : « أولى ما جعلت ميداني الذي هو نزهتي جامعا »^(٢) . وركب في ثامن شهر ربيع الآخر وصحبته الوزير والقضاة ونزل إلى ميدان قراقوش ،

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٥٥) من حودة السلطان .

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٥٦) من بناء جامع الحسينية .

ورب أمور بنائه جامعا ، وأن يكرن بقية المبدان وقفا عليه ، ورجع ودخل مدرسته بالقاهرة .

وفي هذه السنة أمر السلطان بإنشاء القناطر على بحر أبي الرجا^(١) فأنشئت ، وتولى عمارتها الأمير عز الدين إيبك الأفرم أمير جاندار فحصل الرفق بها للسافرين وكانوا يجدون شدة وإزدحاما بسبب المعادى .

وفي سابع وعشرين شهر ربيع الآخر وصل الملك المنصور صاحب حماة^(٢) ، وكان السلطان قد توجه إلى العباسة فتلقاء إلى رأس الماء وسير له ولمن معه التشاريف ، وعاد السلطان إلى قلعة . وطلب صاحب حماة التفرج في الإسكندرية فسير إليها وسير في خدمته الأمير شمس الدين ستقرجاء الظاهري ، فوصل إليها وعظم تعظيما كثيرا ، ثم عاد ، وتوجه في خدمة السلطان إلى غزة ثم توجه إلى مملكته .

وفي جمادى الآخرة وصلت رسل صاحب الدعوة وصحبتهم جملة من الذهب وقالوا : هذا المال الذي كنا نحمله قطيعة للفرنج قد حملناه لبيت مال المسلمين ، وكان السلطان قد شرط ذلك عليهم عند وصول رسالهم وسؤالهم الصلح وشرطه على بيت الاستار في جملة ما اشترط عليهم .

(١) خبر مائل في السلوك (ج ١ ص ٥٦١) من نقطة على بحر أبي النجا ، وانظر هنا ينطق بقناطر على بحر أبي الرجا (بالجمجمة من تحت) .

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٥٦) .

(٣) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٦٠) .

ذكر إقامة الجمعة بالجامع الأزهر بالقاهرة المحروسة

وشي من أخباره^(١)

وفي يوم الجمعة ثامن شهر ربيع الأول سنة خمس وستين وستمائة أقيمت صلاة الجمعة بالجامع الأزهر . وسبب ذلك أن الأمير عز الدين الحل خاطب السلطان في أمره وتبرع بجملة من ماله في عمارته ، واترع أشياء من أوقافه كانت مقصورة في أيدي جماعة ، وشرع في عمارته ، فمسر ما وهى من أركانه وجدرانها وبيضه وبلطه ، وأصاح سقفه وفرشه . واستجد به مقصورة حسنة ، وعمل الأمير بدر الدين بيليك الخازن دار الظاهري فيه مقصورة كبيرة ورتب فيها مدرسا وجماعة من الفقهاء الشافعية ، ورتب فيها محدثا يسمع الحديث النبوي والرفائقي^(٢) ، وسبعا لقراءة القرآن . ووقف على ذلك أوقافا ، وولى خطابته زين الدين أدريس ابن صالح بن وهيب المصري القليوبي ، فاستمر به إلى أن توفي . وكانت وفاته في ليلة السبت رابع عشرين شهر ربيع الآخر سنة إحدى وثمانين وستمائة ، ومولده سنة ثمان عشرة وستمائة^(٣) .

وهذا الجامع هو أول مسجد جامع وضع للناس بالقاهرة المعزية ، وفرغ من بنائه وأقيمت فيه الجمعة في شهر رمضان سنة إحدى وستين وثمانمائة . فلما ولي العزيز بن المعز جدد به أشياء وعمر به عدة أماكن . ويقال إن به طلسم لا يسكنه بسببه عصفور ولا يفرخ فيه . وفي سنة ثمان وسبعين وثمانمائة سأل الوزير

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٥٦) مع اختلاف في التوقيت .

(٢) من الرفائق راجع حاشية السلوك (ج ١ ص ٥٥٧ ص ٧ حاشية رقم ١) .

(٣) في الأصل : « سنة ثمانية عشر » وهو خطأ .

أبو الفرج يعقوب بن كلس الخليفة أن يأذن له في صلة رزق جماعة من الفقهاء ، فأذن له . فاطلق لكل منهم كفايته واشترى لهم دارا إلى جانب الجامع ، فإذا كان يوم الجمعة حضروا إلى الجامع وذكروا فيه دروس فقه وكان أبو يعقوب قاضي الخندق ، وكانوا نيافا وثلاثين فقيها لأن دولة العبيد بن ما كان يستقل فيها بفقهاء ، ولما عمر الحاكم الجامع نقل الخطبة إليه .

ذكر إنشاء القصر الأبلق بالميدان بظاهر دمشق^(١)

وفي سنة خمس وستين وستمائة ، أمر السلطان الملك الظاهر بإنشاء القصر الأبلق بالميدان الأخضر بظاهر دمشق ، فعمر على ما هو عليه الآن . واتفق في عمارته واقعة ضريبة ، حكى بعض من كان يباشر عمارته ، قال : لما اتمت عمارة القنطرة التي بالإيوان ولم يبق من ختها إلا وضع حجر واحد أسود ، فرفع بالحبال بعد أن نحت وجهاز ليوضع في مكانه وتشد به القنطرة ، فانقطع الحبل وسقط الحجر إلى أرض الإيوان فانكسر ، فآلم المهندس لذلك ، ثم دخل إلى مرحاض القصر العتيق لقضاء الحاجة ، [فرأى^(٢)] في أحد كراسيه حجرا أسود منحوتا ، فقامه فوجده قدر الحجر الذي انكسر سواء ، فاستأذن المهندس ، الأمير جمال الدين النجيبى على قلعه ووضع في رأس القنطرة ، فأذن في ذلك ، فقلع من كرمى المرحاض وجعل في رأس القنطرة بالإيوان فختمت به . وجاء كأنه عمل لها ، ووضع الحجر الذي انكسر مكانه . وهذا من عجيب الإنفاق ، وقد وقع نظير هذه الواقعة في أساس سور بغداد وهبة جامع غزنة ، وتقدم ذكر ذلك .

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٦١ ص ٢) .

(٢) الإضافة للايضاح وهي منقولة من النسخة ٥ ص ٥ .

ذكر توجه السلطان إلى الشام

^(١) وعمارة قلعة صفد

وفي العشرين من جمادى الآخرة توجه السلطان إلى الشام في جماعة من أمراءه وأراح بقية العسكر . ولما وصل إلى غزوة وردت إليه رسل الفرنج^(٢) بهدية وجماعة من أسرى المسلمين . وتوجه السلطان إلى صفد بقصد عمارتها فرتب أمورها . وتوجه إلى دمشق معمرًا عندما بلغه أن التار عزموا على قصد الرحبة ، فأقام بها خمسة أيام واهتم بأسر الرحبة^(٣) وعاد إلى صفد في رابع وعشرين شهر رجب ، فقسم الخندق على الأمراء ، وأخذ نصيبا وافرا لنفسه وماليكه وحاشيته ، وحصل السلطان بنفسه ويده ، فلم يتوفر أحد من العمل . ولما اكملت عمارة قلعة صفد رزم السلطان أن يكتب على أسوارها :

(ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون^(٤))
 (أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون^(٥)) أمر بتجديد هذه القلعة المحروسة وتحصينها ونكالة عمارتها وتحسينها ، من خلصها من أيدي الفرنج الملاعين ، وردّها إلى أيدي المسلمين ، ونقلها من مسكن إخوة الداوية إلى مسكن إخوة المؤمنين ، فأعادها للإيمان كما بدأها أول مرة ، وجعلها للكفار خسارة

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٥٨ ثم ص ٥٦٣) .

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٥٨ ص ٨ - ٩) من قدم رسل الفرنج .

(٣) من معجم قوت أن الرحبة تقع على القراة في جنوب نهرها .

(٤) الانبياء آية ١٥٥

(٥) المجادلة آية ٤٢

وحمرة ، ولم يزل بنفسه يجتهد ويجاهد حتى عوض عن الكنائس بالحدائق والبيع بالمساجد ، وبذل الكفر بالإيمان ، والناقوس بالأذان ، والإنجيل بالقرآن ووقف بنفسه التي هي أعز النفوس حتى حمل تراب خنادقها وحجارتها منه ومن خواصه على الرءوس ، سلطان الإسلام والمسلمين ومسترده صوال الدين ، مبد التار ، فاتح القلاع والحصون والأمصار ، وارث الملك ، سلطان العرب والمعجم والترك ، إسكندر الزمان ، صاحب القرآن أبو الفتح بيبرس قسيم أمير المؤمنين ، خلد الله سلطانه ، فن صارت إليه هذه القلعة من ملوك الإسلام ، ومن سكنها من المجاهدين المتأخرين على الدوام فليجمل لهذا السلطان فاتحها ومجددها نصيبا من أجره ، ولا يخله من الرحمة في سره وجهه في طول عمره ، فإنه جعلها دار بين وأمان ، بعد أن كانت دار كفر وطغيان ، وصار يقال عمر الله صرحها ، بعد أن كان يقال عجل الله فتحها ، والعاقبة للؤمنين إلى يوم الدين ^(١) .

ولما كملت العمارة طلع السلطان إلى القلعة فرأى بالبرج صنما كبيرا كان الفرنج يقولون إن القلعة في خفارته ويسمونه أبا جرج ، فأمر بقلعه وتكسيبه ، وعمر مكانه محرابا .

ورسم بتجديد عمارة حرم الخليل ، وكتب بذلك إلى دمشق ، وتوجه الأمير جمال الدين بن نهار لذلك ، لحدد الأخشاب والمقاصير والأبواب ، ودهن ما يحتاج منها إلى الدهان ، وجددت الصرائح المقدسة .

(١) في الأصل : « ولا يخله » ص ١٣٢ .

(٢) وردت في نسخة النسخ في الملوكة (ج ١ ص ٥٩٣) مع اختلافات بسيطة .

ووصلت رسل الفرنج إلى السلطان وهو على صفد ، وتحدثوا معه فأسر بلادهم ، وأجابوا إلى ما قاله من مناصرة صيدا وهدم الشقيف . ثم أغار على عكا على ما نذكره إن شاء الله ، ولم ينتظم أسر الصلح .

ثم حضرت رسل سيس ورسول بيروت^(١) ومعهم جماعة من أسرى المسلمين ، وردوا مال التجار .

وفيها : توفي القاضي صدر الدين موهوب بن عمر بن إبراهيم الجزري الشافعي وهو الذي كان ينوب عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام بمصر ، وولى القضاء بعده كما قدمنا ذكر ذلك ، وكان فاضلا عالما بمذهب الشافعي ومشاركاً في غيره من العلوم . وكان في مبدأ أمره على قضاء جزيرة ابن عمر . وكان كثير المال مرزوقا في التجارة ، فاكتمسب مالا جزيلا فد صاحب الجزيرة حينه إلى أمواله وقصد أخذها ، فبلغه ذلك ، فأرسل أكثر أمواله إلى مصر والشام محبة لتجارهم هرب واخفى ، ووصل إلى الشام ثم إلى الديار المصرية . ولما ولي صاحب بهاء الدين الوزارة قصد أذاه نخافه خوفا شديدا .

حكى عنه أنه قال : لما خفت صاحب بهاء الدين وأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فسألني عن حالى فقلت : يا رسول الله ، إني خائف من صاحب فقال لي : لا تخف منه وقل له بأمانة كذا وكذا لا تؤذني ، فإن رسول الله قد شفع في عندك ، قال : فالتبته فرحا بمقابلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما صليت

(١) انظر السلك (ج ١ ص ٥٥٩ س ١٥ ثم حاشية رقم ١ بنفس الصفحة) من رسل بيروت

وميس .

(٢) رددت تفاصيل أبلول في شذرات الذهب (ص ٢٢٠ ونهايات عام ٩٩٥) :

الصبح ركبت دابتي ووقفت للصاحب في طريقه إلى القلعة ، فسلمت ، عليه وقالت له : معي رسالة ، فقال : ممن هي ؟ قلت : من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يقول لك : بأمانة كذا وكذا لا تؤذي فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد شفع في منك ، فقال : صدقت أنت ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت اليوم فقد بقيت أتشفع بك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله لأحصل لك مني سوء أبدا ، فالمولى يرسم والمملوك يمثل ، ومن اطاع عليه مولانا وله حاجة^(١) من مضرور أو مظلوم ترسل إلى تعرفني حتى أفضي حاجته بنفسي ، واعتذر إليه ، وبقي يعظمه ، ولو فسح في أجله لولاه القضاء بعد القاضي تاج الدين ولكنه مات قبله . وكانت وفاته في مستهل شهر رجب سنة خمس وستين وثمانئة . وقيل بل كانت وفاته بخافة في تاسع الشهر ، ودفن بسفح المقطم . ومولده في النصف من جمادى الآخرة سنة تسعين وثمانئة بالجزيرة . ولما مات ترك ما يقارب ثلاثين ألف دينار ، وكان له إبتان : إحداهما بالجزيرة ، والأخرى زوجة القاضي بدر الدين ولد القاضي تقي الدين بن رزين ، فورثاه وشركهما بيت المال ، وكان رحمه الله كثير المروءة والإحسان إلى أهل بلده ومن يقصده .

ذكر وفاة قاضي القضاة تاج الدين بن بنت الأعز^(٢)

ونبذة من أخباره رحمه الله ومن ولي قضاء

الشافعية وغيره من مناصبه بعد وفاته

وفي الساج والعشرين من شهر رجب الفرد سنة خمس وستين وثمانئة ،

(١) كذا في الأصل .

(٢) في الأصل : فورثاه وهو خطأ .

(٣) انظر السلك (ج ١ ص ٥٦١) والنجوم (ج ٧ ص ٢٢٢) وشذرات الذهب (٣١٩)

ونبات عام ١٦٦٠ .

كانت وفاة قاضى القضاة ، تاج الدين أبى محمد عبد الوهاب بن القاضى الأعر
 أبى القاسم خلف بن رشيد الدين أبى الشتاء محمود بن بدر العلانى ^(١) — وبنو علامة
 بطن من نلهم — وهو المشهور بابن بنت الأعر والأعر هذا هو جده لأمه ، وهو
 الصاحب الأعر نلخر الدين أبو الفوارس مقدم بن القاضى كمال الدين أبى
 السعادات أحمد بن شكر ، أحد وزراء السلطان الملك العادل سيف الدين أبى
 بكر محمد بن أيوب ، وقد تقدم ذكره فى أخبار الدولة العادلية . ومولد القاضى
 تاج الدين بالقاهرة فى مستهل شهر رجب سنة أربع وستمائة . ولما مات والده
 الأعر خلف — رحمه الله تعالى — ترك دنيا عريضة ، فىقال إنه خلف اثنى
 عشر ألف دينار عينا ، وقيل سبعة آلاف ، فانفقت والدته ابنة الصاحب الأعر
 بجمع ذلك على نفسها ومن يلوذ بها من أهلها ، ونشأ فلم يجد شيئا من ذلك ،
 فما شافها فيه بكلمة ، وكان بارابها ، واشتغل بالعلم ، وولى إعادة المدرسة المعروفة
 بزبن التجار بمصر ، وولى شهادة بيت المال فى الدولة الكاملية . وكان سبب
 ذلك أن الشريف شمس الدين الأرموى نقيب السادة الأشراف ، رحمه الله تعالى ،
 كان يلى تدريس المدرسة المذكورة فتوجه من جهة السلطان الملك الكامل
 فى رسالة واستناب القاضى تاج الدين هذا فى التدريس والنظر ، فأحسن الخلقة
 منه وعمر الوقف وقام بالوظيفة أحسن قيام ، فلما عاد الشريف ووجد الأمر
 على ذلك ، أنهاه إلى السلطان وشكره وأثنى عليه ، فرمى السلطان الملك الكامل
 له بمباشرة شهادة بيت المال فباشر ذلك ، وكان إذ ذاك على غاية الفاقة ،
 وسلك طريق الضبط والأمانة ، وهذه الوظيفة هى أول مناصبه الديوانية ،

(١) فى الأصل : « بنو » وهو خطأ .

فاشتهر بحسن المباشرة والأحتراز ، فتقدم في الأيام الصالحية النجمية وما بعدها ،
 وولى نظار بيت المال ، ثم ولى نظار الدواوين بالديار المصرية في أيام الملك
 المعظم غياث الدين تورانشاه ابن الملك الصالح ، بتقليد معظمى ، تاريخه لخمس
 بقين من ذى القعدة سنة سبع وأربعين وستمائة ، نعت فيه بالحضرة السامية :
 القاضي ، ثم كتب له منشور كريم خاتوني بإقطاع لخاصه ولأربعة اتباع . وقد
 رأيت أن أشرح هذا المنشور بنصه وأبين وضعه ليعلم منه كيف كان الرسم والمصطلح
 في مثله ، وهو أن الموقع كتب عن يمين الدوج ما مثاله : (الصالحية) بقلم
 أغلظ من قلم المنشور ، ثم كتب البسملة بعد هذه اللفظة بقدر أصبعين وكتب
 تلو البسملة ما مثاله : نخرج الأمر العالى المولوى السلطانى الخاتونى الصالحى
 الجلالى المعصى الرحيمى ، زاده الله شرفا ونفاذا ، أن يجرى في إقطاع المجلس
 السامى ، القاضي الأجل ، الصدر الكبير ، الرئيس الفقيه ، العالم الإمام ، العاضل
 الأوحد ، العامل المرتضى ، الكامل المجتبى ، المختار تاج الدين مجد الإسلام بهاء
 الأنام اختيار الدولة ، مجتنبى الملوك السلاطين ، نحر الرؤساء ، علم العلماء ،
 شرف الفقهاء ، رضى أمير المؤمنين عبيد الوهاب بن خلف الناظر بالدواوين
 المعمورة أدام الله رفعة ونعمته ، ما رسم له به الآن من الإقطاع لخاصه ولأربعة
 اتباع معه في السنة ما يأتى ذكره .

خاصه : الثلاثان من أبواب الهلالى بمدينة الفيوم . مكفور سبط رشين خارجا
 عن بنى شريان^(١) ، ومعصرة أبى دخان ، وديس ، وهى منشأة ابن مليح ، كوم

(١) كذا في الأصل ، بدير فقط ، والنقط منقول من النسخة (ص) .

بني مؤمنة ، كرم الحجير ، كوم مغنين ، منشأة حراز ، فزونة ، قبالة الجحاف .^(١)
وذلك في الإنقطاع لإستقبال مغل سنة سبع وأربعين وستمائة بعد الإعتداد على
غاية بما قبضة من الجامكية لإستقبال المدة من جملة ما يعوض به ، وفي الخدمة
مستهل المحرم منها .

أثبانه وعدتهم أربعة في السنة : ستة عشر ألف درهم ناصرية جهة ذلك من
متحصل السدس من بحيرة تنيس لإستقبال تاريخ عرَضهم بالديوان المعمور
بعد الخط الشريف ، أعلاه الله ، وثبوته حيث ثبتت مثله .

كتب في ثامن ربيع الأول سنة ثمان وأربعين وستمائة ، وبين السطرين
الأول والثاني بخطها ما مثاله : والده خليل .

ورأيت في هذا المنشور أشياء تستغرب ويستنكر مثلها في وقتنا هذا :
وهو أن بيت العلامة الذي هو بين السطرين كتيب فيه الملكة ، وفيه تحت
خطها بين السطرين : خط ناظر الدواوين ومثاله : ليثبت بديوان النظر على
الدواوين المعمورة إن شاء الله تعالى ، وخط شاد الدواوين : امتثل الخط
الشريف ، ويثبتهما في بيت العلامة أيضا : خط ناظر القيوم ومثاله : ليثبت
إن شاء الله تعالى بديوان نظر القيوم . وما معه وفي سائمة السطر الثاني ما مثاله :
ليثبت بالديوان المعمور مما يختص بالوجه القليل ، وأسفل منه ما مثاله : ليثبت

(١) كذا في الأصل ، مع فقط القين المعجمة والنون ، أما النسخة (م) فنقول : كوم مغنين
بدون همزة ونون .

(١) كذا في الأصل ، مع افعال فقط النون . أما النسخة « م » فترجم ثروبة بالنهاء المعجمة
لصحة .

(٢) كذا في الأصل بغير نقط .

بالديوان المعمور بالوجه البحرى ، وإلى جانبه عن يساره ليثبت بديوان الجيوش المنصورة إن شاء الله تعالى ، ثم بعد ذلك خطوط الكتاب ، ولعل ناظر الغيوم الذى كتب فى هذا الموضع هو شرف الدين هبة الله الفايضى الذى ولى الوزارة فيها بعد ، فإنه كان ناظر الصناعات والفيوم فى ذلك الوقت ، والله أعلم .

ثم ولى القاضى تاج الدين نظريت المال فى الأيام المعزية ، بتوقيع تاريخه ثالث شهر صفر سنة إحدى وخمسين وستمائة ، وقرره فى كل شهر خمسون ديناراً ، وفى السنة مائتا أردب واثني عشر أردباً نصفين ، ثم ولى بعد ذلك نظير الدواوين . فهذه مناصبه قبل أن يلى القضاء والوزارة . ثم ولى قضاء القضاة بمصر والوجه القبلى فى تاسع شهر رمضان سنة أربع وخمسين وستمائة ، عوضاً عن القاضى بدر الدين السنجارى ، وجمع له القضاء بالقاهرة والوجه البحرى فى الشهر المذكور ثمان بقين منه ، وعطل القاضى بدر الدين السنجارى عن القضاء . ولما ولى القضاء شدد على المدول وأسقط كثيراً منهم ، فكان يكتب الإصحالات بأسقاط عدالة جماعة بعد جماعة من عدول السنجارى ، ويشهد على نفسه بما تضمنته ، فقلق الناس لذلك ، ولم تطل مدة ولايته هذه ، فإنه عزل فى بعض شهور سنة خمسة وخمسين وستمائة كما قد تناذكر ذلك ، ثم فوضت إليه الوزارة بالديار المصرية كما تقدم ذكره ، ثم عطل عن الوزارة والقضاء فى الأيام المظفرية - قطز - إلى أن كانت الدولة الظاهرية الركنية ، ففوض السلطان الملك الظاهر له قضاء القضاة بجميع الديار المصرية فى السابع عشر من جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وستمائة ، عوضاً عن القاضى بدر الدين السنجارى . ثم أفردت عنه مصر والوجه القبلى فى السنة المذكورة ، وفوض ذلك إلى القاضى

برهان الدين الحضرمي السنجاري ، ثم أعيد ذلك إليه في الثامن من صفر سنة ستين وستمائة . وقد شرحنا مضمون تقاليد هذه الولايات في مواضعها . وفوض إليه تدريس المدرسة الصالحية النجمية ، بتوقيع ظاهرى تاريخه ثانى عشر جمادى الأولى سنة ستين وستمائة بعد وفاة الشيخ عز الدين بن عبد السلام . ثم فوض إليه النظر العام على الأشراف والأوقاف والأحباس ، ومشهد السيد الحسين ومدرسة الإمام الشافعى ، والخانكاه والمشاهد بالباب الشريف وبجميع أعمال الديار المصرية بتوقيع ظاهرى تاريخه السابع من جمادى الآخرة سنة ستين وستمائة . وفوض إليه تدريس مدرسة الشافعى بتقليد تاريخه نصف ذى الحجة سنة إحدى وستين . ثم قسم القضاء بين أربعة حكام ، فكتب له تقليد كما تقدم ، تاريخه ثامن عشر من ذى القعدة سنة ثلاث وستين ، وخص بالنظر في جميع أموال الأيتام بالقاهرة ومصر والديار المصرية بمفرده والأوقاف ، وقد شرحنا ذلك . واستمر كذلك إلى أن مات رحمه الله تعالى . وكان رحمه الله ، كثير الاحتراز والتحفظ ، وضبط تاموس الشرع ، وإقامة الحسمة ، وكف الأبدى العادية ، والتطلع على جهات الأوقاف ، وأخبار المدول ، وغير ذلك مما هو متعلق بمنصب الشرع الشريف . ولما مات ، رحمه الله تعالى ، قسم قضاء الشافعية بعده ، ففوض قضاء مصر والوجه القبلى للقاضى محيى الدين بن الصلاح ^(١) عبد الله بن قاضى القضاة شرف الدين محمد ابن عين الدولة الصفراوى ^(٢) . وفوض قضاء القاهرة والوجه البحرى للقاضى

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٦٢ ص ٢ - ٣) حيث يرد أنه محيى الدين عبد الله بن شرف

الدين محمد بن عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن حل بن صدقة بن حفص المعروف بابن عين الدولة .

(٢) كذا في الأصل.

تقى الدين محمد بن الحسين بن رزين^(١)، وولى النظر على ديوان الأحياس القاضى
تاج الدين أبو الحسن على بن الشيخ أبي المباس أحمد المعروف بالقسطلاني، وولى
تدريس المدرسة الصالحية القاضى صدر الدين أبو حفص عمر ولد قاضى القضاة
تاج الدين المشار إليه . وولى نظر الحائقاء قاضى القضاة شمس الدين الحنبلى ،
وولى تدريس مدرسة الإمام الشافعى فعز الدين محمد بن صاحب بهاء الدين .
وفىها أيضا: توفى الأمير ناصر الدين الحسين بن عزيز بن أبي الفوارس القيمرى
مقدم الجيش بالساحل^(٢) ، وكانت وفاته فى ثالث شهر ربيع الأول بالساحل ،
ومولده فى سنة ستمائة بقمير ، وهو الذى بنى المدرسة الشافعية بدمشق بتاحية
مادته فيروز . وكان جوادا كريما جليلا مقداما تقدم على جيوش الشام فى
الأيام الصالحية والناصرية ، وكان جميع الأكراد فى طاعته وخدمته . وكان أمره
فى الأيام الناصرية أنفذ من أمر السلطان لاقبياد الجيوش إليه ، ثم حمل فى
الأيام الظاهرية إلى أن أقطعه السلطان الملك الظاهر إقطاعا بالساحل ، وقدمه
على أمراء الساحل ، فصلحت حاله ، وكان مقامه بمجنين ، رحمه الله تعالى .

ذكر وصول الشريف بدر الدين مالك بن منيف^(٣)

وإعطائه نصف إمرة المدينة النبوية على ما كانها

أفضل الصلاة والسلام

وفى سنة خمس وستين وستائة : وصل الشريف بدر الدين مالك بن منيف

(١) انظر السلوك (١٣ ص ٥٦٢ ص ١) .

(٢) سماء السلوك (١٣ ص ٥٦٢ ص ٧ - ٨) : « نائب السلطنة بالساحل » .

(٣) كلفا فى الأصل .

(٤) انظر السلوك (١٣ ص ٥٥٨ ، ٥٦٠) .

ابن شبيعة ، وكان السلطان حل صند ، فشكى من الشريف عز الدين حماز ، وقال : إن المدينة كانت بين أبى وبينه نصفين ، وتوفى والدى وأنا صغير ، فظلمنى وأخذ نصيبى ، وقد جئت مستجيرا بالسلطان فى رد حقى . فكتب السلطان إلى الشريف حماز بأمره بتسليم النصف الذى كان لمنيف لولده مالك ، وكتب تفليده بنصف إمرة المدينة ونصف الأوقاف ، وسلم إليه نصف الأوقاف التى بمصر والشام ، وتوجه . وورد جواب الشريف عز الدين حماز إلى السلطان بامتنال الرسوم ، وأرسل خادمين من خدام الضريح النبوى يشهدان بذلك ، فكتب السلطان إليه يشكره على ذلك .

ثم عاد السلطان إلى مقر ملكه بقلعة الجبل . وكان وصوله إليها فى يوم الثلاثاء رابع شهر ذى الحجة سنة خمس وستين وستائة .

ذكر تسمير من يذكر بالقاهرة

وفى العشرين من ذى الحجة من السنة بعد عود السلطان إلى الديار المصرية أمر بتسمير جماعة كانوا معتقلين بخزانة البنود منهم : أفضى الففجاقى أحد المماليك الصالحية ، وكان قد ادعى النبوة . وأحضر فى شهر رمضان إلى دار العدل ، فأمر نائب السلطنة باعتقاله . فلما حضر السلطان من الشام أنهى إليه أمره فاستحضره وسمع كلامه وأمر بتسميره .

ومنهم : الناصح الواحى كان فى ابتداء أمره ضامن الواحات ، ثم ترقى إلى أن ولى نظر أنجم وأسيوط وغير ذلك بالوجه القبلى . وكان يركب بالطلبخاناه ، وقويت نفسه وكثرت أتباعه وانسدت أموانه . فأرسل السلطان وقبض عليه

وأمر باعتقاله بجزائه البنود ، فأنهى إلى السلطان الآن أنه انفق مع الملك الأشرف
ابن شهاب الدين غازى ومسح وجل نصرانى على أن يتقبوا خزانة البنود ويخرجوا
منها ويتوجهوا إلى الواحات فيتسلطن بها الملك الأشرف ويكون الناصح وزيه
والنصرانى كاتبه ، فأمر السلطان بتسميهم ، فسمروا فى يوم واحد .

وامتثلت سنة ست وستين وستمائة

ذكر أخذ الزكاة من عرب الحجاز

كان السلطان قد اهتم بأمر الزكاة من سائر الجهات حتى المغرب والحجاز ، وأذن عريان بلاد برقة لذلك وقاموا بالزكاة .

وفي صفر سنة ست وستين وستمائة : وصل الأمير ناصر الدين بن محيى الدين الجزرى الحاجب من المدينة النبوية ، وكان قد توجه لاستخراج الزكاة والعشر ، فأحضر محبته مائة وثمانين رجلا وعشرة آلاف درهم فاستقلها السلطان وأمر بردها عليه ، ثم وصل بنو صخر ، وبنو لام ، وبنو عزة وغيرهم من عريان الحجاز ، والتزموا بزكاة الغنم والإبل ، وتوجه معهم مشدون لاستخراج ذلك . هذا والسلطان على صفد لمزارتها .

ذكر ظهور الماء بالقدس الشريف^(٢)

وفي سنة ست وستين وستمائة : ورد كتاب قاضى القدس أن المساء اترج من بئر السقاية وعظمت مشقة الناس ، فنزل رجل إلى البئر وشاهد قناة مسدودة من زمن بخت نصر الذى هدم البيت المقدس ، فأحضر الأمير علاء الدين الحاج الركنى [نائب القدس^(٣)] بنائين وكشف القناة السلمانية ، ومشوا فيها تحت

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٥٨ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣) .

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٦٠) .

(٣) الإضافة للايضاح وهو مقولة عن السلوك .

الأرض إلى الجبل الذي تحت الصخرة المقدسة فوجدوا بابا مقنطرا ففتحوه ،
فخرجت من ماء كادت تفرقهم . وكان خروج الماء في ذي الحجة سنة
خمس وستين .

ووردت كتاب الأمير الحاج علاء الدين الركني أنه نقص ماء السقاية الذي
ظهر وزج ، ودخل الصناع إليه فوجدوا سدا ، فنقب فيه الحجارون مقدار
عشرين يوما ووجد سقف مقلط به مائة وعشرون ذراعا بذراع العمل ، فخرج
الماء وملا القناة .

وفي هذه السنة : وصلت هدية صاحب التين^(١) ورسله ، وأحضر فيها من الخيل
المسومة عشرون فرسا بالبركسطوانات الأطلس المزركشة وفيلة وحمار وحش
كتابية اللون ، وغير ذلك من المسك والعنبر والعود والصيني وغيره ، فقبلت هديته ،
وجهازت له هدية وصنّج وخلمة وشعار السلطنة وجوشن وكيش وغيره من آلة
الحرب ، وسير إليه طيور جوارح . وكوّن^(٢) بالمقام العالي المولوى السلطاني ،
وكاتبه السلطان بالملوك . وتوجه بالهدية فخر الدين المقرئ^(٣) ووصل محبة أحد
رسوليّه - وهو ابن الماكساني التاجر - بها ، وذكر أن والده صاحب التين^(٤)

(١) انظر الملوك (ج ١ ص ٦٣ ص ١٧ وما بعده) .

(٢) كما في الأصل .

(٣) كما في الأصل .

(٤) في الأصل ، كبير ، وما هنا من الملوك (ج ١ ص ٦٣) حيث ورد أن الكيش امم آلة
من آلات الحرب .

(٥) في الأصل : ، كتب ، والتصحيح يقتضيه السابق .

(٦) كما في الأصل

(٧) كما في الأصل ، مع أن الرواية لم تذكر الابن قبل ذلك .

سير به للمجاهدين ولوجوه البر ، فأودع ثمنه بالخزانة . ولما توجه السلطان إلى الغزاة أنفق منه جملة في إقامة مجانيق ألفردها لها ، وأنتك يقيته جماعة من أصارى المسلمين .

ذكر خبر الحبيس النصراني ومقتله

هذا الحبيس من نصارى مصر ، وكان في ابتداء أمره من كتاب صناعة الإنشاء ، ثم تهرب وانقطع في جبل حلوان . فيقال إنه وجد في مقبرة منسية ما لا للحاكم العبيدى كان قد وضعه هناك ، فتصدق هذا الحبيس على الفقراء من سائر المال . واتصل بالسلطان خبزه فطلبه ، وطلب منه المال ، فقال : « أما أنى أعطيك من يدى إلى يدك فلا يتصور ، ولكنه يصل إليك من جهة من تصادره ولا يقدر على ما تطلبه منه ، فأساعده بمال يحمله إليك » وشفع فيه ، فأطلقه السلطان .

ولما كانت واقعة النصارى المتقدمة ، كان بحضوره عند مشهد المستخرج ، ومن عجز عن أداء ما قرر عليه ساعده به وأداء عنه ، نصرانيا كان أو يهوديا . وكان يدخل إلى الحبوس ويطلق منها من عليه دين ويقوم بما عليه . وكان يعطى ما يتأخر العقول . وتوجه إلى العميد ، ودفع عن أهل الذمة أكثر ما قرر عليهم ، وتوجه إلى الإسكندرية ، وعامل أهلها بما هالم من بذل الأموال . فوصلت فتاوى الفقهاء إلى السلطان بقتله ، وهابوا ذلك : « خوف الفتنة » . فوافق ذلك رأى السلطان فأحضره في سنة ست وستين وسبعمائة ، وطلب منه المال وأن يعرفه من ابن أصله ، وكيف حصل له ، فلم يعرفه وجعل بغالطه وهدأته ، إلى أن أبس السلطان منه فعذبه حتى مات . وأخرج من القلعة ورمي

بظاهرها على باب القرافة، وذكر أن مبلغ ما وصل إلى بيت المال وما وصى به من مدة سنين : ستمائة ألف دينار عينا ، مما أحصى بقلم الصيارفة الذين كان يحمل الأموال عندهم ويكتب إليهم أوراقه بما يعطيه . وذلك غير ما كان يعطيه سرا من يده .

ذكر بناء القرية الظاهرية قرب

العباسة

وفي سنة ست وستين وستمائة : مر السلطان على وادي السدير قرب العباسة فأعجبه ، فأختار منه مكانا بنى به قرية سماها الظاهرية ، وعمرها جامعا . وفيها : توجه السلطان إلى الشام . وكان ما تذكره إن شاء الله تعالى من الفتوحات .

ذكر إيقاع الحوطة السلطانية على الأملاك

والبساتين وما تقرر على أربابها من المال

وفي سنة ست وستين وستمائة : لما كان السلطان نازلا على الشقيف أمر بإيقاع الحوطة على البساتين والقرى والضياع التي بأيدي أهل دمشق ملكا وحسبا . وقال : « نحن فتحنا هذه البلاد بالسيف ، وانتزعناها من أيدي التار » . وكان قد تحدث بذلك في السنة الخالية . وعقد مجلس حضره السلطان والقضاة والفقهاء ، فقال قاضي القضاة شمس الدين بن عطاء الحنبلي : « هذا لا يحل ولا يجوز لأحد أن يتحدث فيه » . وقام منضبا ، فتوقف السلطان ثم تقدم الآن بإيقاع الحوطة على البساتين . فاتفق وقوع صقمة باردة على البساتين فأحرقت أكثر أشجارها ، فظن أهل

دمشق أن هذه الحادثة بمرث السلطان على الإفراج عنها فلم يفعل ، ولما وصل إلى دمشق ومنزم على العود إلى الديار المصرية عقد مجلسا بدار العدل حضره القضاة والفقهاء وأهل البلد ، وأجرى ذكر البسائين وأخرج فتاوى الفقهاء من الحنفية باستحقاقها ، فتوسط الصاحب نضر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين ضد السلطان على أن يقرر على أصحاب البسائين ألف ألف درهم ، فامتنعوا من ذلك . وقالوا : « لا طاقة لنا بها معجلة » ، وسألوا أن يقسطها ، فامتنع السلطان ، وتمحذى الحال إلى أن خرج من دمشق ، ولما وصل إلى منزلته الجيون عاوده الصاحب نضر الدين والأقارب والأمراء ، فاستقر الحال أن يعجلوا منها أربعة آلاف درهم ويقدم لهم بما قبضه نواب السلطان من المقل ، ويقسط ما بقي ، في كل سنة مائتي ألف درهم ، وكتب بذلك توقيع وقرئ على المنبر بدمشق .

ذكر وصول الأمير شمس الدين سنقر الأشقر من بلاد التتار

والصلح مع التكتفور هيتوم صاحب سيس

كان السلطان قد جهز المساكر إلى سيس ، وأمروا ليفون بن هيتوم ولد صاحب سيس على ما نذكره ، إن شاء الله تعالى ، فترددت الرسل منه إلى السلطان بعرض عليه كل ما تقرر عليه من مال وقسلاخ . فاقترح السلطان عليه أمورا ، منها أن يحضر الأمير شمس الدين سنقر الأشقر من بلاد التتار ، وأن يرد القلاع التي أخذها من المملكة الحلبية ، فسأل مهلة سنة إلى أن توجه إلى الأردن ، وكشف خبره وأجيب إلى إطلاقه . ثم ورد كتاب صاحب سيس يذكر أنه حمله . وورد كتاب الأمير شمس الدين المذكور بهلائم وأماير . فتوقف

صاحب سيس في الإجابة إلى رد بعض القلاع ، فرد السلطان رساله وكتب إليه : « إنك إذا كنت تسوت على ولدك وولى عهدك ، أنا أقسو على صديق ما بينه وبينى نسب ، ويكون الرجوع منك لامنى . ونحن خلف كتابنا . ومهما شئت افعل بسنقر الأشقر » . فلما وصل إليه هذا الكتاب والسلطان إذ ذاك على أنطاكية خاف وبذل مارعهم به السلطان ، وتقرر الصلح على تسليم قلعة بهسنا والدربسالك ومزريان ورجبان والروب وشيخ الحديد^(١) وجميع ما كان أخذه من بلاد الإسلام ، وردها بمواصلها كما تسلمها ، وإطلاق الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، وأن يطلق السلطان له ولده وولد أخيه وغلمانهما . وأنه يحضر رهينة باسال أخ الملك ، ويسير ريمسون أخ زوجة الملك ليفون ، ويقيم باسيل الماسورين كندا مطبل هو وهؤلاء وهاتين على تسليم القلاع . وكتبت المدة بذلك في شهر رمضان بأنطاكية .

وأرسل السلطان الأمير بدر الدين بجكا الرومى على خيل البريد إلى قلعة الجبل ، فأحضر ليفون وتوجه به إلى أبيه على خيل البريد فى حادى عشر شوال . ثم توجه الأمير سيف الدين بلبان الرومى الداودار إلى سيس لتقرير فصول رسم بها السلطان . ولما وصل ليفون إلى أبيه أطلق الأمير شمس الدين سنقر الأشقر . وكان السلطان يتصيد بجروود بالقرب من بلاد حمص مما إلى دمشق ، فلما بلغ السلطان قربه ، وكب مخفيا والتقاء وأحضره معه إلى الدهليز وباتا جميعا . ولما أصبح واجتمع الناس المقدمة خرج إليهم السلطان والأمير شمس الدين فى خدمته ، فبهت الناس لرؤيته . وأنعم عليهم السلطان بالأموال والخلع والحوائص والخيول

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٦٨ - ٩) حيث ورد ذكر نفس القلاع ماعدا الروب .

(٢) كما في الأصل بدون فقط ، وما هنا منقول عن قراءة السلوك .

والبغال والجمال والمساكن وجميع ما يحتاجه الأمراء . ولما حضر إلى الديار المصرية أمره ، وبنت له دار بقلمة الجبل . وأما القلاع المذكورة قسمها نواب السلطان ، وأطلقت الرهائن .

ولما ترتبت هذه المصالح وفتحت هذه الفتوحات العظيمة التي نذكرها، رجع السلطان من أنطاكية ووصل إلى شيزر، وتوجه منها في البرية إلى حصن للصبد . ووصل السلطان إلى دار النائب بمحس في ثلاثة نفر وهم : الأمير بدر الدين بصرى ، والأمير بدر الدين الخزندار ، والأمير حسام الدين الدوادار . ثم دخل دمشق في سادس عشرين شهر رمضان والأمري بين يديه ، وخرج منها في ثامن عشر ذى القعدة ، وعيد في أم البارد [وهي السعيدية] ورحل إلى قلعة في حادي عشر ذى الحجة وحل عن الناس كلفة الزينة .

وفيا : توفي الصاحب عز الدين عبد العزيز منصور بن محمد بن محمد ابن محمد بن وداعة الحلبي . وقبل إنه كان في ابتداء أمره خطيبا بجملة ، ثم اتصل بالملك الناصر وصار من خواصه ، فولاه شد الدواوين بدمشق ، وكان يعتمد عليه . فلما ملك السلطان الظاهر ولاء وزارة الشام ، فوقع بينه وبين الأمير علاء الدين طبرس نائب السلطنة مفاوضة اقتضت حضوره إلى الديار المصرية ، ثم أعيد إلى الوزارة بالشام عندما فوض السلطان نيابة السلطنة بدمشق للأمير جمال الدين النجيبى كما تقدم ، فوقع بينه وبينه [خلاف] أيضا ، فكان يهينه ، فكتب إلى السلطان يذكر أن الأموال قد انكسرت ، وأن الشام يحتاج إلى مشد تركى شديد

(١) في الأصل : « بصرى » والصحيح من رسم الاسم في قس التبر في مواضع كثيرة .

(٢) الإضافة من السلوك (ج ١ ص ٥٧١ ص ١١) .

(٣) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٧٢) .

المهاجرة مهسوط اليد وتكون أمور الأموال والولايات والعزل راجعة إليه ، وقصد بذلك رفع يد الأمير جمال الدين النجيبى عن الأموال ، وظن أن المشد يكون بحكمه ولا يتصرف إلا عن أمره . فرتب السلطان في المشد الأمير علاء الدين كشتغدى الشقىرى وبسط يده حسب ما افترح ابن وداعة ، فلم يلبث أن وقع بينهما [خلاف] وكان يهينه بأنواع [الإهانات] وبسبه ، فيشكو ذلك إلى النجيبى فلا يلبى دعوته ، ويقول له : « أنت طلبت مشدا تركيا ، وقد جاء ما طلبت » . ثم كاتب الشقىرى في حقه ، فورد الجواب بمصادوته ، فصادره وضربه بالمقارع وعصره وحلقه ، فكان كالباحث من حنقه بظلفه ، وباع موجوده وأما كن كان قد وقفها وحمل ثمن ذلك ، ثم طلب إلى الباب السلطانى فتوجه ، وحدث نفسه بالعود إلى منصبه ، فأدر كته منيته ، فمات في ذى الحجة من السنة ، ودفن في مستهل المحرم سنة سبع .

(١) في الأصل : « كشتغدى » وما هنا مقول عن السلوك تقىي الموضع .

وامتلت سنة سبع وستين وثمانئة

في هذه السنة في أولها ، جهز السلطان من كان عنده من رسل الملوك فتوجهوا إلى مرسلهم

ذكر تجديد الحلف للملك السعيد

وفي يوم الخميس تاسع صفر سنة سبع وستين وثمانئة : جلس السلطان في مرتبه ، وجلس الأمير فارس الدين الأتابك والأمير عز الدين الحلبي بين يديه ، والصاحب بهاء الدين ، وكاتب الإنشاء . وكان قبل ذلك يتحدث مع الأمراء في أمر ولد الملك السعيد وتفويض الأمور إليه فأجابوا بالسمع والطاعة . وحلف الأمراء في هذا اليوم وسائر العساكر المنتصرة .

وفي ثالث عشر الشهر ركب الملك السعيد في السوكب كما يركب والده ، وجلس في الإيوان ، وقرئت عليه الفصوص . وفي العشرين من الشهر قرئ تقليده بتفويض السلطنة إليه . وهو من إنشاء المولى نضر الدين بن لقمان^(١) وخطه .

ونسخته بعد الهسملة والعلامة السلطانية الظاهرية :

« الحمد لله الذي أجزل العطاء والمواهب ، وضاعف النماء التي يفيض شهابها ، وأمواء العيون نواصب ، وضاعف عزها لا يعز معه مقصد ، ولا يتعذر معه المطالب ، وحل عطل الأيام بالمحاسن التي تستر بها ما ظهر من المعاييب . أحمد على نعمه التي

(١) نشر نفس هذا التقليد الأسعاذ الله كثرة زيادة ملحقا بآخر الجزء الأول من السوكب

تجلى بنورها ظلم الغيايب ، والأنطاف التى نظمت من المجد عمدة المتناسق ودره^(١)
المتناسب .

« وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تبلغ بها يوم الإشهد
قاصيه المنى ، وتجعل كل صعب هينا . وأشهد أن محمدا عبده الذى صدع بالحق
معلنا ، ورسوله الذى أظهر الإسلام وما يتاحد عزمه ولا انثنى ، صلى الله عليه
وعلى آله الذين شيدوا من المعالى البنا ، وأصحابه الذين أحسنوا واقه يحب من
من كان محسنا . »

« وبعد: فلما لحا أنا الله تعالى من السلطان الذى ملك به من العزما جمع ،
والقدرة التى قربت من الآمال ما نزع ، والمهابة التى ملأت هيون الأهداء بالذل^(٢)
لا الوطف ، والمسازيم التى أذكرت من مواقف المهاجرين والأنصار ماسلف ،
والهمم التى نهضنا بها لفتح معقل الكفار ، والجهاد الذى كانت أثارنا فيه من
أحسن الآثار ، والغزوات التى كان معروفها منكرا ، والوقائع التى نصر الله فيها
حزب الإيمان فأخفى الدهر ينشر حديثه متعظرا ، وشهد أزرنا بولادنا المملك
السميد الأجل الكبير العالم العادل ناصر الدين بركه خاقان ، امتع الله الإسلام ببقائه ،
وأقر عيون المجد بنصر لوائه ، وتوسمنا فيه مخايل السعادة بأدية الفرر ، وظهرت
فيه أدلة النبابة ، والأدلة إذا ظهرت لا تفتتر ، وبدت فيه مساع أوجبت له
مزية التكريم ، وعم فيها فضله فتعين أن يخص بالتعظيم ، ولاحت منه إشارات
يعرب عن الرشد ، وتدل أنه فى تدبيره حسن القصد ، وسما نوره لاله فأنفقت

(١) فى الأصل : « ذررة » .

(٢) « الأصل » « فرث » .

النفوس أن يكون بدرا كاملا ، ووثقت الآمال أن يرجع حاليا كل ما كان عاطلا ، رأينا أن نفوض إليه حكم كل ما أمضى الله فيه حكما من البلاد ، وتحققنا أن رائد نظرا في أمره يصدق فيما اختار من الارتياح . وقلدها أمر الديار المصرية والبلاد الشامية والقلاع والحصون ، وهي : الديار المصرية ، البلاد الشامية ، البلاد الحليية ، البلاد الحوية ، البلاد الحمصية . فهذا الملك إليه متمد الرواق ، ودور نظامه يتزين بحسن الإنساق^(١) ، ونواحيه مع اتساعها محروسة بهممه ، فكانه خصر اشتمل عليه النطاق ، ونعم الله محروسه معه بالشكر ، مقيدة عنده بالإطلاق ، والدين الحنيفي من عزمه على المنار ، والنفوس واثقة أن تكون بناصره دائمة الانتصار ، وأخبار نصره تحفظها الليالي مما تكره السن الصيار ، ومهابته تسرى إلى قلوب الأعداء فتحول منها الأفكار ، والدولة الزاهرة به محاطة^(٢) الأرجاء ، ومحائب إحسانه متدفق الأنواء ، وآثار نعمة الله فيما ظاهرة ، والله يحب أن يرى على عبده أثر النعماء . والشرعية المطهرة بتأييده نافذة الأحكام ، وأمورها مرعية بهممه التي أضحت المعالي أنها لاتنام . وأطلقنا تصرفه وحكمه في التلذذ والأموال ، وتعيين الإقطاعات في الغيبة منا والحضور . وأمرنا أن لا يرد أمره في جميع ما يقتضيه رأيه الشريف من الأمور . فبيديه الحل والعقد ، وإلى أبوابه ينتهي القصد . فقد أضحى بحمد الله حلية للجد ، والأيام تزهر به كما تزهر الدر بواسطة العقد ، وإليه في الأمور النقض والإبرام . وعليه المعتمد في فصل

(١) كذا في الأصل ، بغير نقط .

(٢) في الأصل : « وافقة » وهو تصحيف .

(٣) في الأصل « مخصصة » د د ع

(٤) جملة اعتراضية موصولة عاطفة .

الأحكام . وإليه ترجع الولاية والعزل ، وهو الفرع الذى زكا ، ولا يزكو الفرع إلا إذا كان طيب الأصل . ومن شيمته الاقتداء بنا فى بسط الإحسان والمعدل وإحياء سنتنا مما يضيفه على الأولياء من ملابس الفضل ، واقتفاء آثارنا فى غزو بلاد الكفار ، والمجاهدة التى تطول بها أيدى الحكمة بالسيوف القصار ، وإلى الله نرغب أن يوفقه لمراضيه ، ويلهمه رشده فيما يستقبل من أموره ، ويمضيه ويؤيده بالنصر الذى تروى أحاديثه وتتل ، ويمده بتوفيقه الذى يرشده من الضلال ناشئا وكهلا ، ويساعده بالتأييد الذى يستجد له ذكرًا خالدا لا يبلى ، والظفر الذى تستحل أحاديثه إذا أميدت ، وإن كان الحديث المستعاد لا يستحل . ونسأل كل واقف على هذا التقليد أو من يسمع به من الأمراء والنواب والعساكر المنصورة - أيدهم الله تعالى - امتثال أمره ، والقيام بما يجب عليه من طاعته فى سره وجهره ، والنهوض فى خدمة ركابه ، والاجتهاد فى تسييل ما يصعب من طلابه ، والمسير عند سيره تحت علمه ، والإلتجاء فى انسراء والضرء إلى حرمه ، والوفود إلى جنبه المنيع المريع ، فهو بحمد الله كعبة تفتح إليها الآمال ، وحرم يخفف ما على الأعناق من أعباء الخدم الثقال . والإعتماد على الخط الشريف أهله ، وكتب فى حاشر صفر سنة سبع وستين ومائة .

وقرى هذا التقليد بالإيوان بحضور الأمراء وأعيان الدولة واستمر جلوس الملك السعيد وركوبه .

وفى ثانى عشر جمادى الآخرة ، توجه السلطان إلى الشام واستصحب أكابر الأمراء وجماعة من العسكر المنصور . وفى غرة شهر رجب شرع السلطان فى اللقطة فى الأمراء الذين صحبته ، ونزل أرسوف لكثرة مراحيها .

ووصل إليه رسل أبناين مولا كوه، فقرأ على السلطان كتابه ، ومعناه الرغبة في الصلح ، وأعاد الرسل بالجواب ، وكاتب أبنا نظير ما كاتبه به .

فكر توجه السلطان على خيل البريد إلى الديار

متنكرا وعوده إلى مخيمه بخربة اللصوص ولم يعلم من به بتوجهه

قال القاضي عبد الله بن عبد الظاهر في السيرة الظاهرية عن هذه الواقعة حميا أمله السلطان من لفظه : لما خرج السلطان من دمشق ، بعد تجهيز رسل أبنا ، ودع الأمراء كلهم وتوجهوا إلى الديار المصرية ، ولم يبق معه من الأمراء الأكابر غير الأتابك ، والمحمدي ، والأيدمرى ، وابن اطلس خان ، وأقش الرومى ، توجه إلى القلاع ، فابتدأ بالصبيبة ومنها إلى الشقيف وصفد ، وبلغه وفاة الأمير عز الدين الحل ، فكتب إلى الأمير شمس الدين آفستقراستاد الدار بالحضور بالانقال والعساكر إلى خربة اللصوص والسكر قد خيم بها . وخطر له التوجه إلى الديار المصرية ، فكتب إلى النواب بالشام بمكاتبة الملك السعيد والإعتماد على أجوبته ، ورنب أنه كلما جاء بريد يقرأ عليه ويخرج علامة على دروج بيض تكتب عليها أجوية البريد ، واستقرت هذه القاعدة مدة .

وفي رابع عشر شعبان أظهر تشو يشا ، وأحضر الحكماء إلى الخيمة ، وحصل احتفال ظاهر بهذا الأمر ، وأصبح الأمراء فدخلوا وشاهدوا مجتمعاً في صورة مثالم ، وكتب إلى دمشق باستدعاء الأشرية .

وتقدم إلى الأمير بدر الدين الأيدمرى ومسيف الدين بكتوك جرمك الناصرى ، بأنهما يتوجهان إلى حلب على خيل البريد ، وودعاه وصحبتهما بريدى ،

وتوجهها في ليلة السبت سادس عشر شعبان ، وأوصاهم أنهم إذا ركبوا يجيدون إلى خلف الدهليز ليتحدث معهم مشافهة .

وجهاز آفستقر الساقى في البريد إلى الديار المصرية وأعطاه تركاشة^(١) ، وأمره بالوقوف خلف خيمة الجندارية خلف الدهليز . ولبس السلطان جوخة مقطعة وتعمم بشاش دخانى عتيق ، وأراد أن يخرج ولا يعلم به الحرس ، فأخذ قماش نوم لأحد الممالك ، وطلب خادما من خواصه وقال له : ها أنا خارج بهذا القماش فامش أمامي ، فإن سألك أحد فقل : هذا بعض البابية^(٢) معه قماش أحد الصبيان حصل له مرض وما يقدر يحضر إلى الخدمة هذه الليلة ، وهذا غلامه خارج إليه بقماشه .

فخرج بهذه الحيلة ، وتوجه إلى الجهة التي واعد آفستقر إليها . وكان قد سير بهاء الدين أمير آخور ومعه أربعة أرؤس من الخيل ، وأمره أن يقف بها في مكان ، فتوجه إليه ، وأخذ آفستقر الخيل ، وسير بهاء الدين أمير آخور إلى التل فأحضر الأيدمرى ورفقته ، وناق بهم السلطان وهم لا يعرفونه فلما اختلطوا قال للأيدمرى : « تعرفنى ؟ » قال : « أى واقه » ، وأراد النزول لتقبيل الأرض فتمعه . وقال : بلحرمك « تعرفنى » ، فقال : « إيش هذا يا خوند ؟ » فقال له : « لا تتكلم » وكان معهم علم الدين شقير مقدم البريدية فصاروا خمسة ، معهم أربعة جنائب من خيل السلطان الخاص .

(١) في الأصل : « دركاشه » وما هنا في المتن مقول عن السلوك (ج ١ ص ٥٧٥) .

(٢) أى الذين يعملون في الطست خاناه .

وساقوا إلى جهة مصر ، فوصلوا إلى القصير المعينى نصف الليل ، فدخل
السلطان ليأخذ فرس الوالى ، فقام إليه يهاوشه بأربعين خمسين راجلا ، وقال له :
« هذه الضيعة ملك السلطان ما يقدر أحد يأخذ منها فرسا ، فإن رحم وإلا قاتلناكم » .
فتركوه وتوجهوا إلى ييسان فاتوا دار الوالى وقالوا : « نريد خيلا للبريد » .
فقال : « انزلوا خذوا » ، فزلوا ، وقعد السلطان عند رجل الوالى وهو نايم .
ثم قال للأيدمرى « الخلائق على بابى وأنا على باب هذا الوالى لا يلتفت إلى ،
ولكن الدنيا نوب » . وطلب من الوالى كوزا فقال : « ما عندنا كوز ، إن كنت
عطشان اخرج واشرب » فأحضر له الأيدمرى كوزا شرب منه . وركبوا فصاحبوا
جنيين ، فوجدوا خيل البريد بها حرجا معقرة ، فركب السلطان منها فرسا ما كاد
يثبت عليه من رائحة عقوره . ولما وصلوا المريش قام السلطان والأمير
سيف الدين جرمك وقيا الشعر . فقال السلطان للأيدمرى : « أين السلطنة ،
واستاد الدار ، وأمير جاندار ، وأين الخلق الوقوف فى الخدمة ؟ هكذا تخرج الملوك
من ملكهم ، وما يدوم إلا الله سبحانه وتعالى » .

ووصلوا إلى قلعة الجبل ليلة الثلاثاء الثالث الأول ، فأوقفهم الحراس حتى
شاؤروا الوالى . وُرِّل السلطان فى باب الأسطبل وطلب أمير آخور ، وكان قد
رتب مع زمام الأدر^(٢) أنه لا يبيت إلا خلف باب السر ، فدق السلطان باب السر ،
وذكر علامي لزمام الأدر ، ففتح الباب ، وأحضر السلطان رفقته إلى باب السر ،
وأقام هو وهم يومى الثلاثاء والأربعاء وليلة الخميس لا يعلم بهم أحد إلا زمام الأدر ،

(١) القصير المعينى هو قصر معين الدين ، بغور الأردن انظر السلوك (ج ١ ص ٥٧٦) .

(٢) أصله من زمام دار يحسب حاشية فى السلوك (ج ١ ص ٥٧٧) .

وهو ينظر إلى الأمراء وغيرهم في سوق الخليل . فلما قدم الفرس للملك السعيد يوم الخميس قدم أمير آخور للسلطان فرسا . ولما خرج الملك السعيد ما أحسن إلا والسلطان قد خرج إليه ، تخاف ، فلما عرفه قبل الأرض ، وركب السلطان ونرج الوقت مغلس ، فانكر الأمراء ذلك ووضعوا أيديهم على قبضات سيوفهم وطلعوا في وجه السلطان فلما حققوه قبلوا الأرض . وساق السلطان إلى ميدان العبد ، وعاد إلى القلعة ، ففقد أشغال الناس ، ولعب الكرة يوم السبت . وتوجه يوم الأحد إلى مصر لرمى الشوائف ، وركب في الحراريق .

وسافر ليلة الاثنين على البريد . ولما قربوا من الدهليز المنصور رد الأيدمرى وجرمك إلى خيامهم ، وأخذ السلطان جراب البريد على يده وفي كفه فوطه ، وتوجه راجلا ودخل من جهة الحراس ، فأنعه حارس وأمسك الحارس أطواقه ونقشه ، فالتجذب منه ودخل من باب الدهليز . وركب عصر يوم الجمعة ، وحضر الأمراء إلى الخدمة ، فأظهر أنه كان متغلب المزاج ، وضربت البشائر بالعافية ، ولم يدر بهذه الأمور إلا الأتابك وأستاد الدار وخوادم الجندارية .

وفي هذه السنة في تاسع جمادى الآخرة رسم السلطان بإبطال الخواطى من القاهرة ومصر والديار المصرية ، وأمر بحبسهم وتزويجهم .

وفيها أيضا وردت الأخبار أن زلزلة حدثت ببلاد ميس أنحبت قلاعها مثل سرفند كار ، وجر شعلان ، وقتل بسببها جماعة حتى سال النهر دما .

(١) كما بالعامة ، أما السلوك فإنه أردو « وظهر » (ج ١ ص ٥٧٧ من ٩)

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٧٨) ٥

(٣) انظر السلوك نفس الموضع .

ذكر وفاة الأمير عز الدين أيدير الحلي

[الصالحى نائب السلطنة]

لما خرج السلطان لسماع رسالة الملك أبنا خرج الأمير عز الدين المذكور في خدمته ، فلما استقر السلطان طلب دستوراً وتوجه إلى دمشق لملاحظة أملاكه ، فلما دخل السلطان إلى دمشق أطلق له شيفاً كثيراً ، وزار السلطان فقيراً بجبل الصالحية ومعه الأمير عز الدين ، فقام عز الدين ليجدد الوضوء ، فقال الشيخ للسلطان : « هذا يموت في هذه الأيام ولا يخرج من دمشق » ، وكان إذ ذاك كالأسد قوة ، فرض في اليوم الثاني ، وتوفي في أوائل شعبان سنة سبع وستين . وحضر ولده ^(١) إلى الدهليز بخربة اللصوص فأحسن السلطان إليه وسيره إلى القاهرة . ولما وصل السلطان إلى القاهرة أمره بأربعين فارساً .

وفيها: توفي الأمير أسد الدين سليمان بن الأمير عماد الدين داود بن عز الدين موسك الدوادى الهذلي ، من بيت الإمرة وله اختصاص كبير بالملوك والتقدم عندهم . وجده الأمير عز الدين من أكابر الأمراء الصالحية ، وترك أسد الدين هذه الخدمة وتزهد ولازم مجالس العلماء ، وليس الخشن من الثياب ، وكانت له نعمة عظيمة ورثها من أبيه فأذهبها ، ولم يبق له سوى ريع أملاكه ، فكانت تقوم بكفايته إلى أن توفي في يوم الثلاثاء مستهل جمادى الأولى بدمشق ، ودفن بقاسيون ، وله شعر حسن ، رحمه الله تعالى .

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٨٢) .

(٢) في الأصل : « وله » وهو موهوب .

(٣) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٨٢) .

ذكر توجه السلطان الملك الظاهر إلى الحجاز الشريف^(١)

قال: لما قوى عزيم السلطان على الحجاز الشريف كتم ذلك، وأنفق ونفى من جيشه، وجرّد جماعة صحبة الأمير جمال الدين أفض الرومي السلاح دار، وهم المتوجهون صحبة السلطان، وجرّد المساكن التي بقيت صحبة الأمير شمس الدين آفستقر أستاذ الدار إلى دمشق. فتركوا بظاهرها.

وتوجه السلطان إلى الكرك في صورة أنه يتصيد، فوصل إلى الكرك في مستهل ذي القعدة، وكان رسم تجهيز جميع ما يحتاج إليه برسم الحجاز هناك. فسير النفل في رابع ذي القعدة، وتوجه السلطان في السادس من الشهر إلى الشوبك، وتوجه منه في حادى عشر الشهر، ووصل إلى المدينة النبوية، على ما كتبنا أفضل الصلاة والسلام، في الخامس والعشرين منه، فزار ورحل في السابع والعشرين. فقدم مكة، شرفها الله تعالى، في خامس ذي الحجة، فتصدق بصدقات وافرة وكساوى كثيرة، وبقي كأحد الناس بغير حاجب، ثم غسل الكعبة، وبقي في وسط البيت، ومن رمى له إحرامه فسله له بما ينصب من الماء في الكعبة ويرميه إلى صاحبه، ثم جلس على باب الكعبة وأخذ بأيدي الناس ليطلع بهم إلى الكعبة. وتعلق أحد العوام به، فلم يصل إلى يده لازدحام الناس عليه، فتعلق بإحرامه وكاد يرميه إلى الأرض وهو مستبشر بهذا الأمر، وعلق كسوة البيت الشريف ورفعها بيده على أركان البيت الشريف هو وخواصه. وسبل البيت الشريف^(٢)

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٨٠).

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٨٢ من ٦ - ٧) وكان السبيل في مقابل مال وغلل أعطيت

لسائر الناس ، وتردد إلى الصالحين . وكان قاضى القضاة صدر الدين سليمان معه في طول الطريق يستفتيه . وكتب إلى صاحب اليمن كتابا يتكرر عليه أموراً وكتب فيه : « سطرته من مكة وقد أخذت طريقها في سبع عشرة خطوة » يريد بالخطوة المنزل . وقضى السلطان فرض الحج ومناسكه كما يجب ، وحلق ، ونحر ، وأحسن إلى أميرى مكة ، شرفها الله تعالى : الأمير نجم الدين أبى نعى ، والأمير إدريس بن قتادة ، وإلى صاحب ينبع و [أمير] خليص ، وزعماء الحجاز كلهم . وطلب أميراً مكة نائباً من السلطان ، فرتب شمس الدين مروان . وزاد أميرى مكة حملة من الغلال في كل سنة بسبب تسهيل البيت الشريف ، وزاد أمراء الحجاز ، إلا جماعاً ومالك أميرى المدينة ، لأنهما انتزعا من بين يديه . وخرج السلطان من مكة ، شرفها الله تعالى ، في ثالث عشر ذى الحجة ، ووصل إلى المدينة في العشرين منه ، وخرج في بكرة النهار الثانى ، ووصل إلى الكرك في يوم الخميس سلف ذى الحجة .

(١) في الأصل : « يذكر » . (انظر الملوك ج ١ ص ٥٨١)

(٢) في الأصل : « سبعة عشر خطوة » .

واستهلت سنة ثمان وستين وستمائة

واستهلت سنة ثمان وستين وستمائة والسلطان الملك الظاهر بقلعة الكرك ، فأقام بها حتى صل الجمعة ، وركب من الكرك بعد الصلاة مستهل المحرم في مائة فارس جريدة ، وعلى يد كل واحد من أصحابه جنيب ، وساق إلى دمشق . فلما قاربها والناس لا يعلمون شيئا من حاله ولا يحسب أحد يتكلم ، سير أحد خواصه في البريد بكتب الشاير سلامته وقضاء حجة إلى دمشق . فاحضر الأمير جمال الدين التجيبي الأمراء وغيرهم ليقروا عليهم كتاب البشرى ، فبينما هم في ذلك وقد بلغهم أن السلطان في الميدان . فتوجه إليه الأمير جمال الدين التجيبي فوجد السلطان قد نزل بالميدان بمفرده وروى فرسه لإنسان من منادبة سوق الخيل صرفه وقبل الأرض بين يديه ، وحضر الأمراء إلى الخدمة وأكلوا شيئا ، وتوجهوا ليستريح السلطان ، فقام وركب في جماعته البسيطة وتوجه إلى حلب ، فعادوا إلى الخدمة فلم يجدوا أحدا . ودخل السلطان حلب والأمراء في الموكب فساق إليهم فسا عرفه أحد ، وبقي ساعة ثم عرفه الصروري^(١) ، فنزل الأمراء وقبلوا الأرض ، ونزل بدار السلطنة بحلب ، وشاهد قلعتها ، وعاد منها ، فوصل إلى دمشق في ثالث عشر المحرم ، ولعب الكرة وركب في ليانه وتوجه إلى القدس واخلى عليه الصلاة والسلام فزار تلك الأماكن المقدسة وتصدق . وكان

(١) ردت هذه النسبة مرات ولعلها نسبة إلى الصرورات من سواد مدينة الحلة .

(١) المعسكر المصرى قد سبقه محبة الأمير شمس الدين آفستقر استاد الدار إلى تل المعجول . هذا كله . وما غير عيائه التي عليه ، وذلك كله في عشرين يوماً . وركب من تل المعجول ووصل إلى قلعة الجبل في ثالث صفر .

ثم توجه إلى نفر الإسكندرية في ثاني عشر صفر ودخل النفر في الحادى والعشرين من الشهر . وكان الصاحب بهاء الدين قد سبقه إلى النفر وجهاز الأموال والتعابى من الأقشة ، فخلع على الأمراء وأنعم عليهم بالتعابى والنفقات . ولعب الكرة بالإسكندرية . وخرج منها إلى الحمامات ، ونزل بالليونة (٢) ، وابتاعها من وكيل بيت المال .

وبلغه حركة التار فعاد إلى قلعه ، فوصل إليها في ثامن ربيع الأول سنة ثمان وستين وستائة .

(٣) ذكر توجه السلطان إلى الشام جريدة

قال : ولما بلغ السلطان حركة التار . وأنهم تواعدوا مع فرنج الساحل ، وإن التار أغاروا على الساجور بقرب حلب ، وعلى جهة أخرى وأخذوا مواشى العربان ، فأراح المعسكر وجرى الأمير علاء الدين أيد كين البندقدار بجماعة من

(١) في الأصل : « المعسكر » .

(٢) تذكر حاشية في السلك (ج ١ ص ٥٨٤ حاشية ٢) أنها بلدة من أعمال مهابط .

(٣) انظر السلك (ج ١ ص ٥٨٤) .

المسكر ليقيموا في أوائل البلاد الشامية . وركب في جماعة يسيرة من قلعتة ، وذلك في ليلة الاثنين حادى عشرين شهر ربيع الأول ووصل إلى حمزة ، وتوالت الأمطار ، فوصل إلى دمشق في سابع شهر ربيع الآخر ، ووردت إليه الأخبار برجع التارلسا بلقهم خروجه ، فأغار على عكا ، واحتل على بلاد الإسماعيلية على ما ذكره إن شاء الله تعالى . وأقام السلطان بالشام بقية سنة ثمان وستين وستائة .

وفي هذه السنة نصب الدرازين على الحجرة الشريفة النبوية . وذلك أن السلطان لما توجه إلى الحجاز رأى الضربح النبوى والزوار تقف إلى جانب الحائط ، فرأى أن يعمل درازينا ليكون حرا حول الحجرة ، فأمر بعمله ، فعمل وكل ، وسير إلى المدينة في سنة ثمان وستين محبة الشيخ مجد الدين عبد العزيز بن الخليل ، فنصب .

وفيها : كانت وفاة قاضى القضاة محيى الدين أبى الفضل محيى بن قاضى القضاة محيى الدين أبى المعالى محمد بن قاضى القضاة زكى الدين أبى الحسن على ابن قاضى القضاة مجد الدين أبى المعالى محمد بن قاضى القضاة زكى الدين أبى الفضل محيى بن على بن عبد العزيز العثمانى^(١) . وكانت وفاته بضطاط مصر في رابع عشر شهر رجب سنة ثمان وستين . ودفن بالقرافة .

ومولده بدمشق في ليلة الجمعة الخامس والعشرين من شعبان سنة ست وتسعين وخمسمائة ، ورياسته وأصالته أشهر من أن يأتى عليها .

وفيها : توفى الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على ، وزير الصعبة ، ضمنى يوم الاثنين الحادى والعشرين من شعبان ودفن بكرة نهار الثلاثاء

(١) يذكر السلوك (١٤ من ٨٩٩ ص ٧) أنه المعروف بابن الزكى القرشى الأسمى الشافى .

بترتهم بالقرافة ، ومولده في اثنين وعشرين وستمائة بفسطاط مصر ، وفوضت
وزارة الصحبة بعده لولده صاحب تاج الدين محمد .

وفيها: توفي صاحب الوزير زين الدين أبو يوسف يعقوب بن عبد الرافع
ابن زيد الزيمى، المعروف بابن الزير نسبة إلى الزير بن العوام الأسدى رضى الله
عنه . وكانت وفاته في ليلة الأربعاء رابع عشر شهر ربيع الآخر . ومولده سنة
ست وثمانين وخمسمائة . وكان عالما فاضلا رئيسا يتكلم باللغة التركية . ووزر
للك المظفر فظفر ، ثم وزر بعده للسلطان الملك الظاهر أياما ، ثم عزله ، فلزم
داره إلى أن مات ، رحمه الله تعالى ، وكان له شعر حسن رقيق .

وفيها: توفي الشيخ الإمام الخطيب أصيل الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم
ابن عمر بن علي العوفي الأسعردى المولد . قدم دمشق في الدولة الصالحية وولى
الخطابة بها . ثم عزل بالشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وعاد ثم عزل
بالقاضى عماد الدين بن الحرسثانى . وانتقل إلى الديار المصرية بحجة الملك
المظفر في سفرته التي قتل فيها ، وتولى خطابة الجامع الصالحى خارج بابى زويلة .
وتولى نيابة الحكم بالشارع الأعظم نيابة عن قاضى القضاة بدر الدين السنجارى .
واستمر على الخطابة والحكم إلى أن توفي في يوم الجمعة رابع عشر جمادى الآخرة
سنة ثمان وستين في بيت الخطابة قبل صلاة الجمعة ، وجاء ريس المؤذنين كما
بحرت العادة فوجده ساجدا وعليه ثياب الخطابة وقد قضى نحبه ، فاحضر ولده
في تلك الساعة وأعلم بموت والده ، فطلع المنبر وخطب وصلى بالناس . ودفن
الخطيب في بكرة يوم السبت بسفح المقطم بقسرافة مسارية . وكان لطيفا حسن
المباداة والعبوت . وله تصانيف ونظم وثر ، رحمه الله تعالى .

واستهلّت سنة تسع وستين وستمائة

في هذه السنة ، توجه السلطان إلى عسقلان في صايع صفر فهدمها ^(١) وهنى
آثار عمارتها ورمى حجارتها في ميناها ، وهاد فوصل إلى قلعتها في ثامن شهر
ربيع الأول .

وفيها : هلك الملك الحجير هيتوم بن قنسطنطين صاحب سيس ، ووردت مطالعة ^(٢)
ولده ليفون في صايع عشرين شهر ربيع الأول مضمومها : أنه لما كان في
خامس عشرين تشرين الأول تهرب والده وانتقل إلى الدير وخرج من أمور
الدنيا . فلما كان في نهار الثلاثاء ثامن عشرين تشرين الأول وهو حادى
وعشرين ربيع الأول مات وقت مغيب الشمس ، وصال شموله بالمراحم
السلطانية في ضمه إلى جناح الرحمة . فكتب بتمزيته بأبيه ونهنته بما صار إليه
من الملك ، وإطابة قلبه .

ذكر القبض على الملك العزيز فخر الدين

عثمان بن الملك المغيث صاحب الكرك

والأمراء الشهرزورية ^(٣)

قد ذكرنا أن السلطان لما تسلم الكرك من المشار إليه بمض القبض على
والده أمره بمائة فارس . واستمر المذكور في الخدمة الشريفة ولازم السلطان

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٩٥) .

(٢) انظر السلوك (نفس الموضع) .

(٣) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٩٥) .

في أسفاره وغزواته . وكان يلعب معه الكرة ، ويحضر معه في أوقات الصيد وغير ذلك من مشاهد العامة . وظهرت منه شهامة ، وأحسن رماية الشباب وأخذ نفسه في ذلك بماخذ الفرمان الشجمان . ولما كان السلطان على هدم عسقلان أفرده جانباً يهدمه ، فر السلطان عليه في بعض الأيام وهو قائم يستعمل الرجال ويحثهم على الهدم ويجهدهم فيها هو فيه . فبينما السلطان ينظر إليه ويتأمله إذا انهدم ما تحت من البناء فوثب من مكانه وألقى نفسه إلى الأرض ووثب أخرى فسلم والسلطان ينظر إليه . فمجبب السلطان من اهتمامه مع حداته منه . ثم عاد إلى ما كان عليه من الهدم ولم يتأثر لذلك . وبينما السلطان في أواخر هدم عسقلان ورد عليه كتاب نائبه الأمير بدر الدين الخزندار يستحثه على العود إلى قلعة الجبل ، ويعلمه أنه لا يأمن ونوب الأمراء الشهرة زورية ، وأن قدرته تضعف من مقاومتهم في قبة السلطان . وحال ورود كتابه أمر الناس بالرحيل ورجع لوقته إلى الديار المصرية . ولما رجع رعى الملك العزيز بقرة وحش بيده في أنشاء الطريق وحملها إلى السلطان والأمير شمس الدين سنقر الأشقر وغيره من الأمراء عنده . فقال السلطان للأمير شمس الدين المذكور : انظر إلى هذا الصغير وما هو عليه ، واقه ما يقصر ! . فقال له سنقر الأشقر : لقد ريت حبة صغيرة بين ثيابك تنفع بها إذا كبرت . وكان سنقر الأشقر يكره لقبض أبيه عليه وتسليمه لملك الناصر واعتقاله كما تقدم ، فأراد مكاناته في ولده . ولما وصل السلطان إلى قلعة الجبل في ثامن شهر ربيع الأول ، كما تقدم ، نزل إلى الميدان في يوم الثلاثاء الثاني عشر من الشهر ولعب بالكرة ، ودخل الملك العزيز على عادته إلى الميدان ولعب بالكرة ، فجاء الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ليأخذ الكرة منه ، والملك العزيز يجتهد في ضربها ، ورفع جوكانه ليضربها فوق

في رأس الأمير شمس الدين ولم يقصد ذلك ، فكاد أن يسقط إلى الأرض لولا
 [أن] اعتنق عنق فرسه حتى سكن ما به من ألم الضربة . بقاء السلطان إليه وهو
 يمازحه ، فقال له : « كاد هذا الصغير أن يريك عن فرسك حتى اعتنقت رقبتك . »
 فنظر إلى السلطان وقال : « والله إن كان اليوم ما رماني ، فندا يريك أنت ،
 وهذا الصبي والله لك بشئ الذخيرة . » فلما كان في يوم الخميس رابع حشر الشهر
 جلس السلطان في مجلسه واستدعى الأمراء الشهرزورية وهم عشرة منهم : الأمير بهاء
 الدين يعقوباً ، وتوتل ، وستقران وقبض عليهم ، وقبض على الملك العزيز معهم
 واعتقلوا ، ثم أحضر الأمراء الشهرزورية وغيرهم وقرروهم ، فاعترفوا أنهم قصدوا
 قتل الملك السعيد ابنه ، وقيامهم بالأمر فإن أطاعهم الناس وإلا أفاموا الملك
 العزيز ، فسألهم : « هل كان هذا الأمر من مباطنته ؟ » فحلفوا أنه لم يطلع على
 ما عزموا عليه ولا باطنهم فيه . واستمر الملك العزيز في الاعتقال إلى آخر أيام
 الملك السعيد عندما حوصر بالقلعة فأفرج عنه وعن الأمراء الشهرزورية وغيرهم .
 وكان قد رزق أولادا في اعتقاله في الدولة الظاهرية ، فلما أفرج عنه الملك السعيد
 أمره أن ينصرف في حال نفسه ويتوجه إلى الأمراء إن أحب ذلك ، أو يقيم
 بالقلعة إلى أن ينفصل الأمر . وخرج بعض من أفرج عنهم إلى الأمراء فقبضوا
 عليهم واعتقلوهم ، فغشى الملك العزيز من ذلك فسأل أن يرجع إلى معتقله ويقيم
 مع أولاده فرجع إليهم ، فاستمر في الاعتقال إلى أن ملك الملك الأشرف خليل
 ابن السلطان الملك المنصور قلاوون فأفرج عنه في سنة تسعين وستمائة على ما ذكره
 إن شاء الله تعالى .

ولنرجع إلى سياقة أخبار الدولة الظاهرية :

وفي عاشر جمادى الآخرة من السنة توجه السلطان إلى الشام ومحبته ولده الملك السعيد^(١) ، فكان دخول الملك السعيد إلى دمشق في ثامن شهر رجب . وخرج هو والأمير بدر الدين الخزندار من جهة القطيعة . وكان السلطان قد توجه من جهة بعلبك ووصل إلى طرابلس ، فأغار وقتل وفتح صافيتا وحصن الأنكراد وحصن عكا وبلاد الإسماعيلية ، وغير ذلك على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

وفيها في تاسع شوال : دخل الشيخ خضر شيخ السلطان إلى دمشق ، وجاء إلى كنيسة اليهود وأخرجهم منها وجعلها زاوية ، وهمل لأصحابه بسيسة مقصورة قناطير بالدمشق ، فأكلوا منها ، وحضر المغاني تعمل سماعا ورقصوا على بقية البسيسة بأرجلهم ، فأفزع بعد ذلك . فاجتمع اليهود وخرجوا عن مظالم كانت بينهم ورفعوا أصواتهم بالدعاء وقالوا : يا محمد بن عبد الله ، نحن في ذمتك وعهدك ، لا دولة لنا ولا سلطان ، فانتصر لنا . فكانت حادثة السيل ، ونروج الشيخ خضر من الكنيسة على صورة منكورة .

ذكر حادثة السيل بدمشق^(٢)

وفي ثاني عشر شوال سنة تسع وستين ومائة ، وهو يوم عيد منصرة اليهود ، جاء سيل عظيم إلى دمشق في الساعة الثامنة من النهار ، وهلا على سور دمشق قدر

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٩٠ ص ١٦ ، ٩٢ ، ٩٣) .

(٢) أورد الأستاذ الدكتور زيادة (السلوك ج ١ ص ٩١ حاشية ٣) نص كتاب يورس إلى صاحب حصن الأزد الذي مر في الوقت رئيس فرسان الإسميتار .

(٣) انظر السلوك (ج ١ ص ٩٦) .

ريح ، وفي بعض المواضع أحد عشر ذراعا ، ودخل من باب القراديس بعد أن
نحرب جسره ، وأحرب جسر بابي السلامة وتوما ، ووصل إلى المدرسة الفلكية
وصار فيها مقدارا قامة وبسطة . واستمر ثلاث ساعات من النهار وهبط . وكان
مبدأ هذا السيل أنه انعقد على جبال بعلبك فيم متكاتف فسمع لرحله دوى هائل
في يوم السبت حادى عشر شوال ، وكان بذلك الوادى تلوج كثيرة ، فوقع المطر
على التلوج خلفها ، وصال في يوم الأحد من جهة عين الفيحة بعد أن رى فيها مخفورا
عظيمة ساقها بين يديه ، واقتلع أشجار جوز مادية ، وانتهى إلى دمشق ونحرب
هذه كثيرة من دور العقبية ، ونحرب حيطان الميدان وقطائر^(١) البساتين ، وأهلك خلقا
كثيرا من الروم والمعجم كانوا قد قدموا هجاءا وزلوا بالميدان ففرقوا من آخهم
هم وجماعهم ودوابهم ، وأغرق من الحيوانات على اختلاف أجناسها مما لا يعد
كثرة ، وردم الأنهار بطين أصفر ، واقتلع الأشجار من أصولها . ودخل السلطان
بعد ذلك بأيام إلى دمشق فما وجد بها ماء ولا حماما يدور ، وشرب الناس من
الصهاريج والآبار . ويقال إنه هلك بهذا السيل عشرة آلاف نفس ، وأخذ
الطواحين بمجارها .

وحكى أن فقيرا يعرف بالخبر حضر إلى دار نائب السلطنة بدمشق قبل هذه
الحادثة وقال : « عرفوا الأمير أنى أريد أعدوا إلى بعلبك » . فقال له الأمير :
« رح ، اجر » . فضحكوا منه . فتوجه ، وماد وهو ينذر الناس بالسيل .
فضحكوا منه ولم يعبأوا بكلامه . فما أحسوا إلا بالسيل قد هجم .

(١) اللقطاير جمع مفردة قطرة بضم القاف في العامة ، وهي جسور تستعمل في رى البساتين .

(٢) كذا في الأصل ، بدون قط .

وفي هذه السنة: عزل قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان عن قضاء دمشق، وخرج منها فى ذى القعدة . وكانت مدة ولايته عشر سنين سواء .
وقلّد القضاء بعده بالشام قاضى القضاة، عز الدين أبو المفاخر محمد بن عبد القادر المعروف بابن الصايغ . وكان تقليده قد كتب والسلطان على طرابلس ، وتأخر إلى أن حضر السلطان إلى دمشق ، وكان وصول السلطان إلى دمشق فى يوم الأربعاء خامس عشر شوال^(١) .

ذكر سفر الشوانى الإسلاميه إلى قبرص

وكسرها وأسر من كان بها وخلاصهم

وفى شوال سنة تسع وستين وستمائة : كتب السلطان من الشام إلى الديار المصرية بتفسير الشوانى لقصد قبرص، فأشار ابن حسون برأى كان ينس الرأى، وهو أنه قال : « لو دهنت الشوانى سوادا تشبها بشوانى الفرنج ، وعمات لها أعلام بصلبان حتى إذا دخلت إلى بلاد الفرنج يعتقدونها لهم ، فنغتنم الفرصة منهم » فاتبع رأيه . وتطايّر الناس بذلك ، وصافرت الشوانى فانكسرت بالقرب من قبرص . فورد كتاب صاحب قبرص إلى السلطان وفيه تقرير : « إن الشوانى كسرها الرياح وأخذتها ، وهى أحد عشر شيليا ، وأمريت من فيها » . فكتب السلطان إلى الديار المصرية وهو بالشام بإنشاء عشرين شيليا ، وإحضار خمس شوانى كانت بقوص . وأجاب [السلطان] صاحب قبرص بتقرير وتوبيخ ،

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٩٣) .

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٩٣) .

(٣) انظر كتاب السلطان إلى الملك أرك صاحب قبرص وقد أوردّه الدكتور زبادة فى حاشية

السلوك (ج ١ ص ٥٩٤ حاشية ٣)

ويعلم أنه فتح القرين، في كلام كثير تركنا إirاده اختصارا . وبقى القواد في الأسر هم والزماة . ففادى بهم الفرنج أمري ، وبقى الإحتياط على الرؤساء وهم ستة نفر ، منهم ريس الإسكندرية ، وريس دمياط ، وأبو العباس المغربي وغيرهم . واستمروا في الأمر إلى سنة ثلاث وسبعين وثمانئة . وقصد السلطان ابتياعهم وصير الأمير نغر الدين المقرئ الحاجب إلى صور بسبب ذلك ، فتغالى الفرنج فيهم . وكانوا قد نقلوا إلى حكا وحصل الإحتراز عليهم ، وجعلوا في حبس حصين . فرسم السلطان للأمير سيف الدين بن خطلبا — أحد النواب بصفد — بسرقتهم ، فأرغب الموكلين بهم بالمال حتى دخلوا إليهم بمبارد ومناشير ، وسرقوا من جب القلعة ، ونرجوا في مركب . وكانت خيل مهيأة ، فركبوا ووصلوا إلى القاهرة ولم يدر بهم أحد بمكا . ثم قامت فتنة بمكا بسببهم .

ذكر هود السلطان إلى قلعته ووصول رسل اليمن،

واهتمامه بأمر الشواني، وما أنعم به من الخلع والخيول

على الأمراء والأجناد

قال : وسار السلطان إلى الديار المصرية فدخل قلعة الجبل في ثاني عشر ذي الحجة سنة تسع وستين، وعند وصوله جهز الأمير شمس الدين آفستقر استاد الدار بالعساكر إلى الشام ، ونرجوا في الشهر المذكور .

ووصلت هدية صاحب اليمن في الشهر [المذكور] وفيها التحف الثمينة وقيل ودب أسود .

ووالى السلطان النزول إلى مصر بنفسه والأمراء في خدمته لمباشرة عمل الشواني .

وفي الشهر المذكور خلع وفرق بالميدان على ألف وسبعمئة نفر من الأمراء والحلقة آتمان خيل، وفرق ألفا وثمانمئة وخمسين رأسا، وذلك في ثاني عشرين الشهر. ثم أعاد العطاء في الثالث والعشرين منه حتى فرغ الناس وعمهم بالعطاء، ولازم صناعة الإنشاء عدة أيام بسبب الشوائب.

ذكر القبض على من يذكر من الأمراء^(١)

وفي هذه السنة في خامس عشر ذي الحجة أمر السلطان بالقبض على جماعة من الأمراء، منهم الأمير علم الدين سنجر الحلبي الكبير، والأمير جمال الدين أفسح الممدي، والأمير جمال الدين أيدغدي الحاسبي الناصري، والأمير عز الدين إيفان الركني سم الموت، والأمير شمس الدين سنقر المساح، والأمير سيف الدين بيغان^(٢) الركني، والأمير علم الدين سنجر طردوح^(٣) الأمدى وضيهرهم، وحبسوا في قلعة الجبل.

وسبب ذلك أن السلطان بلغه منهم وهو بالشقيف أنهم قد عزموا على القبض عليه، فأمرها في نفسه إلى أن وصل إلى القاهرة وقبض عليهم واعتقلهم، ثم أفرج بعد ذلك عن بعضهم.

وفيها في سابع عشر ذي الحجة تقدم أمر السلطان بإقامة الخمر في سائر بلاده، والوهيد لمن يعصرها بعد ذلك بالقتل والنهب. فأهريقا بأعمال بالديار المصرية

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٩٥).

(٢) كما في الأصل.

(٣) كما في الأصل.

(٤) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٩٥ ص ١٣ - ١٤).

وأبطل ضمانها ، وكان في كل يوم بالديار المصرية خاصة يزيد على ألف دينار .
وكتب بذلك توقيع قريء على الناس بالفاخرة ومصر .

وفي هذه السنة : أمر السلطان بإنشاء جامع بمنشأة المهراني ، وهي التي على
نهر النيل ، والخليج الحاكي فارق بينهما وبين مصر ، فعمّر .

وفيها : توفي قاضي القضاة الشيخ شرف الدين أبو حفص عمر بن عبد الله بن
صالح بن عيسى السبكي المالكي قاضي قضاة المالكية بالديار المصرية . وكانت
وفاته بالفاخرة في ليلة الأحد الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة تسع وستين
وسمئانة . ودفن من القصد بمقابر باب النصر . ومولده بالصالحية من الأعمال
القليوبية في ذي الحجة سنة خمس وثمانين ونعمسمائة . وكان رحمه الله تعالى عالما ،
وكان قد ولي الحسبة بالفاخرة مدة عقود الأنكحة ، ثم ولي نيابة الحكم بالفاخرة
عن قاضي القضاة تاج الدين بن بنت الأعز . ثم فوض إليه القضاء أحد الأربعة
كما تقدم ذكر ذلك ، رحمه الله تعالى . وولي بعده قضاء المالكية القاضي نفيس
الدين أبو البركات محمد بن القاضي المخلص هبة الله بن القاضي كمال الدين أبي
السعادات أمد بن شكر .

وفيها : أيضا توفي القاضي شمس الدين أبو إسحق إبراهيم بن المسلم بن هبة الله
ابن البارزي قاضي حماة الشافعي ، رحمه الله ، وولي قضاء حماة في سنة اثنتين ونعمسين
وسمئانة ، واشترى إلى أن توفي الآن .

وفيها : كانت وفاة الملك الأجدد تقي الدين أبي الفضائل عباس بن السلطان
الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب . وهو آخر من مات من أولاد الملك

العادل ، وكان محترما عند الملوك الأيوبية ، معظما عند السلطان الملك الظاهر ، لا يرتفع عليه أحد في المجلس ولا الموكب . وكان رحمه الله دمث الأخلاق سمحا كريما عاقلا حازما . وكانت وفاته بدمشق في يوم الجمعة ثاني عشرين جمادى الآخرة ودفن بسفح قاسيون ، وليس له عقب .

وفيها : توفي القاضي كمال الدين أبو السعادات أحمد بن الوزير نغر الدين الأضر الجليل مقدم بن القاضي كمال الدين أبي السعادات أحمد بن شكر . كان أحد الأكابر المشهورين بالديار المصرية متأهلا للوزارة وغيرها . وهو خال قاضي القضاة تاج الدين بن بنت الأضر ، ورحمهما الله تعالى ، وكانت وفاته بالقاهرة في السادس والعشرين من شهر رمضان . ودفن من الغد من يوم وفاته بسفح المقطم ، وكان يومئذ ناظر بيت المال ، رحمه الله تعالى .

وفيها : توفي الأمير علم الدين سنجر الصيرفي^(١) وكان من أعيان الأمراء بالديار المصرية ، فلما تمكن السلطان الملك الظاهر أنحره إلى الشام وأقطعه إقطاعا جيدا وزاده عدة قرى ببعلبك ، فتوجه إليها ، مات في يوم الأربعاء سادس صفر وهو في عشر السنتين رحمه الله تعالى .

وفيها : توفي الشيخ العارف قطب الدين أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد ابن نصر بن محمد بن سبعين المرمسى الزقوطي^(٢) ، أحد المشايخ المشهورين بسعة العلم ، وله تصانيف عدة وجماعة كثيرة ينسبون إليه ، وأقام بمكة سنين كثيرة إلى أن

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٩٦ س ١١) .

(٢) ترجمته في شذرات الذهب (وفات عام ٦٦٩) وفي السلوك (ج ١ ص ٥٩٧ حاشية ١)

وفي النجوم (ج ٧ ص ١٢٤) .

توفي بها في الثامن والعشرين من شوال من هذه السنة، ومولده في سنة أربع عشرة وستمائة . والزقوطى نسبة إلى حصن من عمل مرسية يسمى زقوطلة ، رحمه الله تعالى .

وفيهما : توفي العدل الرئيس زين القضاء أبو المكارم عبد الوهاب بن القاضي الرئيس فخر القضاء أبي الفضائل أحمد بن المرتضى أبي عبد الله محمد بن الجليس أبي المعالي عبد العزيز بن الحسين بن عبد الله بن الحباب التميمي السعدي الأظلي ، سمع وحدث ، وهو من بيت الرابطة والعدالة والفضل بالديار المصرية منذ سكنوها ، وهم من ذرية زيادة الله بن الأغلب آخر ملوك بني الأغلب بأفريقية .

وكانت وفاته بمصر في التاسع والعشرين من جمادى الأولى من السنة . ومولده في غرة المحرم سنة تسع وثمانين وخمسمائة .

وفيهما : توفي الطوائشي الأمير شجاع الدين مرشد الخادم المظفرى عتيق صاحب حماة ومقدم جيشها ، وكان من الشجعان الأبطال ، وكان إذا حمل في جيش العدو يقول : أين أصحاب الحصى . وكان السلطان الملك الظاهر يعتمد عليه لأمانته وشجاعته . وكان يتصرف في المملكة الحموية تصرف ملوكها للوثوق به .

واستهلّت سنة سبعين وستمائة

ذكر توجه السلطان إلى الكرك ثم إلى الشام وهزل

الأمير جمال الدين النجيبى عن نيابة دمشق وتولية

الأمير عز الدين أيدير نائب الكرك نيابة السلطنة

بالشام واستنابة الأمير علاء الدين أيديكن

أستاذ الدار بالكرك

وفي سنة سبعين وستمائة: بلغ السلطان أن الأمير شرف الدين حمى بن مهنا وغيره من العربان تغيرت نياتهم وهزموا على الإنضمام إلى التتار . فعلم أنه إن استدعاهم لا يحضرون وينكشف الحال ، وإن قصد الشام تسحبوا ، فنزل إلى الميدان في صباح المحرم وفرق على خواصه أربعمائة ألف درهم ، وأثنى عشر ألف دينار حينئذ ، وستين حياصة ذهبا ، وأمر بتجهيز المسافر إلى حكا بعد الربيع . وتوجه السلطان من قلعته بعد المغرب من ليلة تسفر عن صباح وعشرين المحرم في جماعة يسيرة من خواصه ، ونخرج من الزقفة^(١) في البرية إلى الكرك وأخفى مقصده ، فوصل في سادس صفر ، وطلع إلى قاعة الكرك ، وكتب تقليد الأمير عز الدين أيدير نائب الكرك بنيابة الشام ، ولم يعلمه بذلك [حتى تسلم أيديكن نيابة الكرك] بل أفهمه أنه يستنبيه بحصن الأكراد ، وتوجه إلى دمشق فوصل إليها في ثالث عشر الشهر وسير للأمير جمال الدين النجيبى [نائب دمشق] تشريفا وأمره أن

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٩٨) حيث ترد إضافات إضافية :

أن يتوجه إلى الديار المصرية، وولى الأمير عز الدين أيدمر الظاهري نيابة السلطنة بالشام . وركب السلطان في ليلة سادس عشر صفر وتوجه إلى حماة ونزل بظاهرها بالجوسق ، ونزل صاحب حماة في خيمة أسوة الناس ، ورتب استاد داره وأمير جانداره وحواشيه في خدمة السلطان لأنه كان جريده . فكان أول ما شرع فيه أمر العريان . وكان سبب نفورهم أشياء من حماة أخذ أولادهم رهائن .

ولما وصل إلى حماة وجد عثمان بن مانع وعمرو بن مخلول وجماعة من أكابر العريان بفتة فأكرمهم، وما أظهر لهم شيئا، وكتب إلى الأمير شرف الدين عيسى ابن مهنا يطلب منه فرس فلان ، والفرس الفلاني تسكيناً له . وكان عيسى قد كتب إلى السلطان قبل خروجه من الديار المصرية يستأذن في الحضور خديعة، فخذعه السلطان ورسم أن لا يحضر حتى يطلب . فكتب إليه الآن : « إنك كنت طلبت الحضور ، ونحن الآن بحماة، فإن أردت الحضور فاحضره . فحضر فسأله السلطان عما نقل عنه العريان ، فأعترف به ، فرعى له حق الصدق . وأحسن إليه وإلى أمراء العريان ، وأطلق رهايتهم ، وأطلق لعبسى نصف خبزه الذي كان أخذه منه في سنة ثمان وستين من سلمية وغيرها ، وهو مائة ألف وثلاثون ألف درهم ، وأطلق له من حلب ألف مكوك غلة إنعاماً ، وأطلق لغيره من العريان من خمسمائة مكوك إلى ما دونها .

وفي مستهل شهر ربيع الأول ، ركب السلطان من حماة بعد العشاء الآخرة ولم يعلم بقصد ، وسار على طريق حلب ، ثم عرج فأصبح بظاهر حمص ، وتوجه إلى حصن الأكراد ومكار فكشفت^(١)هما ، وتوجه إلى دمشق .

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٩٩ ص ١٢ - ١٣) .

وورد الخبر أن جماعة من التتار أغاروا على عين تاب ، وتوجهوا إلى عمق حارم^(١) في نصف شهر ربيع الأول ، فكتب [السلطان] إلى الديار المصرية بقبر يد الأمير بدر الدين بيسرى بثلاثة آلاف فارس ، وتوجه بذلك صارم الدين المشرقي ، وخرج من دمشق الثالثة من نهار الأحد ثامن عشر شهر ربيع الأول ، ودخل القاهرة الثالثة من ليلة الأربعاء حادي عشره ، فخرج الأمير بدر الدين بيسرى والعسكر بكرة نهار الأربعاء المذكور .

ووصل الأمير شمس الدين أستاذ الدار بالعسكر المجرى وكانوا على جبين وهم محصانة فارس . وكان التتار قد أغاروا على حارم والمروج وقتلوا جماعة ، وتآخر ابن مجل والعسكر الحلبي إلى حماة ، وجفل أهل دمشق ، وبلغت قيسة الجمل ألف درهم ، وأجرته إلى مصر مائتي درهم .

ووصل الأمير بدر الدين بيسرى والعسكر إلى دمشق في رابع شهر ربيع الآخر ، وتوجه السلطان بالعسكر إلى حلب ، وجرى الأمير شمس الدين أستاذ الدار وجماعة معه إلى مرعش ، وجرى الأمير الحاج علاء الدين طبرس الوزيري والأمير شرف الدين عيسى بن مهنا إلى حران والرها ، فتوجهوا ووصلا إلى حران ، فاتصل الخبر بمن فيها من نواب التتار فخرجوا فالتقاهم الأمير شرف الدين عيسى وطارداهم وطاردوه ، ثم وصل العسكر فخرج عليهم كمينه ، فلما رأوه نزلوا من خيوطهم ، وقبلوا الأرض ، وألقوا سلاحهم ، فقبضوا من آخرهم ، فكانوا ستين رجلا . ثم سار الأمير علاء الدين طبرس إلى حران ، فلما أشرف عليها أطلق من فيها أبوابها وزكوا بابا واحدا ، فخرج منه الشيخ محاسن أحد أصحاب الشيخ

حياة ومعه جماعة كثيرة ، وذلك في يوم الثلاثاء سادس عشر شهر ربيع الآخر ، وأخرج لهم طعاما قليلا لأجل البركة ، فتلقاه الأمير علاء الدين وتوجّل له . فلما اجتمع به أخرج له الشيخ مفاتيح حران وقال له : « هذا بلد السلطان فتسلمه » . فقال له : « طيب قلوب الجماعة ويكونون على ما هم عليه إلى أن يصل السلطان » . وعصى برج باب يزيد وفيه شحنة التتار فطلبه فامتنع ، وقال : « إذا جاء السلطان خرجت إليه » ، فعاد الأمير علاء الدين طبربرس ولم يدخل حران ، وهرب الفرات سباحة .

وبعد توجهه فارق أكابر أهل حران البلد ووصلوا إلى دمشق مثل : أمين الدين بن شقير ، وخطيبها الشيخ شهاب الدين بن تيمية ، وأولاد بشر ، وابن علوان وغيرهم . وأقام جماعة كثيرة من أهل حران بحلب وحماة وحمص ونفروا في البلاد ، وبقي جماعة بحران .

فلما كان في الخامس والعشرين من شهر رمضان من السنة ، وصل جماعة من التتار إلى حران ، فأزبوا أسوارها وأكثروا سوافها ودورها ونقضوا جامعها وأخذوا أخشاب سقوفه ، واستمتعوا معهم من بقى فيها ، فخربت وأخلت ودثرت إلى الآن . وكانت من المدن الجليلة .

ذكر عود السلطان من حلب ورجوعه إلى

الديار المصرية وعوده إلى الشام^(٢١)

وفي آخر شهر ربيع الآخر بلغ السلطان أن الفرنج أغاروا على قاقون ، وقتل

(١) في الأصل : « ويكون » .

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٦٠) .

الأمير حسام الدين استاد الدار ، وجرح الأمير ركن الدين بـبرس المعجمي الجاني وجرح [بجكا الملائي] والى قاقون . فرحل السلطان من حلب ، ودخل دمشق وبين يديه التار الذين أسروا من حران . وأما الفرنج فأنهم لما قصدهم المعسكر المجرد بقاقون تأخروا عنها ، ووصل الأمير جمال الدين أفضى الشمسى بعسكرين جالوت ، قولوا مدبرين ، ولحقهم المعسكر واسترجع منهم تركمانا ، وقتل من رجالهم وعرقب من خيولهم [نهمائة رأس] . ونخرج السلطان من دمشق في ثالث جمادى الأول وصحبته العساكر بنية الغارة على الفرنج ، وقصد عكا فتوالت الأمطار وهو على مرج برغوث حتى كاد الناس يهلكون . فالتقى عزيمه من الإغارة . ورد المعسكر الشامي وصار إلى الديار المصرية . فوصل إلى قلعة الجبل في الثالث والعشرين من جمادى الأول وأقام بقلعته أياما .

ثم توجه إلى الجليزية للتنزه في يوم الأربعاء ثالث جمادى الآخرة في جماعة من أمرائه وخواصه ، فحضر إليه مطالبه ، وأخبروه أن بناحية بوسير الصدر من الجليزية مغارة بها مطالب . فتوجه إليها وأمر بحفرها . فجمع متولى الجليزية جماعة ، حفروا وأعمقوا ، فأخرجوا قطاطا ميتة ، وكلاب صيد ، وطيوراً وغير ذلك من الحيوانات ، وهي ملفوفة في نرق ، فإذا حلت اللغائف عنها وأصابها الهواء صارت تراباً تذرره الرياح ، ولم يوجد فيها خلاف ذلك . وعاد السلطان من الجليزية في يوم الثلاثاء العشرين من الشهر .

ذكر إيقاع الخوطة على القاضي شمس

الدين الحنبلي واعتقاله^(١)

وفي سنة سبعين وستمائة : أمر السلطان بإيقاع الخوطة على منزل قاضي القضاة شمس الدين محمد بن محمد بن الشيخ حماد الدين إبراهيم المقدسي الحنبلي .

وسبب ذلك أن تقي الدين شيبب الحراني كان أخوه ينوب عن قاضي القضاة المشار إليه بالحقلة فمزله ، فنضب أخوه المذكور لذلك ، وكتب رقعة إلى السلطان يقول : « إن القاضي شمس الدين عنده ودائع للتجار من أهل بغداد وحران والشام وغيرهم جملة كثيرة ، وقد مات بعض أهلها واستولى عليها » . فاستدعاه السلطان وسأله عن ذلك فأنكره وجحد ، فطلب منه اليمين فحلف وتأول يمينه . فعند ذلك أمر السلطان بهجم داره ، فهجمت ووجد فيها كثير مما ادعاه شيبب ، بعضه قد مات أربابه ، فأخذت زكاة ما وجد مدة ستين . وسلم ما بقي لأصحابه . فنضب السلطان عند ذلك على قاضي القضاة ، وأمر باعتقاله ، وتوجه السلطان إلى الشام وهو في الاعتقال ، فسلط شيبب عليه حينئذ وادعى أنه حشوى وأنه يقدح في الدولة . وكتب بذلك محضرا ، فأمر الأمير بدر الدين الخزندار نائب السلطنة بمعد مجلس ، فمعد له يوم الاثنين حادي عشر شعبان من السنة واستدعى من شهد في المحضر ، فنكل بعضهم عن الشهادة فأطلقوا ، وشهد الباقون ، فأحرق بهم وجرصوا . ثم تبين للأمير بدر الدين الخزندار تحامل شيبب لما ظهر له من إساءته على القاضي شمس الدين والقدح فيه ، فأمر باعتقاله

(١) كذا في الأصل بدون نقط ، انظر السلك (١ ص ٦٠٢) .

والخوطة على موجوده . وأعاد القاضي إلى الاعتقال فاستقر به إلى أن أفرج عنه
في النصف من شعبان سنة اثنتين وسبعين وثمانئة ، [ولم يول السلطان بعده
قضاء الخبايلة أحدا]^(١)

ذكر توجه السلطان إلى الصيد ثم إلى الشام^(٢)

قال : ولما عاد السلطان من الجيزة ، أقام بقلعة الجبل إلى شهر رجب من
هذه السنة ، وخرج متصيدا إلى جهة الصالحية ، فبلغه حركة التار فرجع إلى
القلعة وتجهز .

وخرج إلى الشام في ثالث شعبان من السنة ، ونزل بمخرج قيسارية
وحصلت الهدنة مع الفرنج^(٣) .

ونزل السلطان بمقتلة الروحاء وعيد بها عيد الفطر ، ورحل منها في ثاني
شوال إلى خربة اللصوص ، ثم توجه إلى دمشق .

ووردت رسل التار ، وهم رسل صمغار مقدم مسكر التار بالروم ، ورسل
البرواناء ، فحضروا بين يدي السلطان وسمع مشافهتهم ، وتضمن الكتاب الذي على
أيديهم الرغبة في الصلح وطلب رسل من السلطان . فجهز إليهم الأمير مبارز
الدين الطورى أمير طبر ، والأمير فخر الدين المقرئ الحاجب ، فتوجها هما

(١) الإضافة لتلك الخبر من السلوك (ج ١ ص ٦٠٣) .

(٢) انظر للسلوك (ج ٢ ص ٦٠١ ، ٦٠٢) .

(٣) المقصود فرنج كما حسب نص السلوك (نفس الموضع) .

والرسل في نصف شوال سنة سبعين، واجتمعا بصمغار، بين سيواس والجزر،
فأكرمهم وأوصلوه ما كان معهم من الهدية، وهي: قسي تسعة، مدبايس
تسعة. واعتذروا عن قتلها كونهم حضروا على خيل البريد. وفي اليوم الثاني
اجتمعا بالبرواناء وأعطياه قاشا فانرا كان السلطان قد سيره إليه خفية، وسير
معهما هدية لأبنا بن هولأكو، وهي جوشن ريش قنفذ، وخوذه. كذلك،
وصهف، وقوس، ودر^(١)كاش، وتسع فردات نسابا، وتوجهوا بحبة البرواناء إلى
الأردو، وأوصلوا إلى أبنا هديته. وقال له الأمير مبارز الدين الطوري:
«السلطان يسلم عليك ويقول: إن رسل منكوتر وردوا إليه مرارا، أن
السلطان يركب من جهته. ويركب الملك منكوتر من جهته، وأين
وصلت خيل سلطانتا كان له، وأين وصلت خيل منكوتر كان له» فارتجح
أبنا انزاجا عظيما، وقام وركب وخرجت الرسل إلى خيامهم، ثم طلب أمراء
الشورة^(٢)، وبعد ذلك خلع على الرسل وأذن لهم في السفر فعادوا.

وأما السلطان فإنه أقام بدمشق حتى غشى بها، وأحسن إلى صاحب حماة،
وأمر بجلوسه معه بطراحة ومسند وكرسي في رأس الدياط مسامتا للسلطان.

ثم توجه بعد ذلك إلى حصن الأكراد وعك^(٣)ار وشاهد العارة بهما، وعمل
بيده، وخلع على من بحصن الأكراد من الأمراء وأرباب الوظائف.

وعاد فتصيد في الطريق وخلع مقدار نهمائة تشريف على من أحضر
صيدا، ورجع إلى دمشق فدخلها في خامس المحرم سنة إحدى وسبعين.

(١) كما في الأصل، والمؤلف يختار الدال دانا بدل التاء.

(٢) في الأصل، المشهور، والتصحح يقتضيه السياق.

(٣) انظر السلوك (ج ١ ص ٦٠٢).

وفي سنة سبعين وستمائة : كانت وفاة الملك الأجدد أبي الحسن بن الملك الناصر صلاح الدين داود بن الملك المعظم شرف الدين عيسى بن السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب^(١) ، رحمه الله تعالى ، بدمشق بغاة في يوم الاثنين سادس عشر جمادى الأولى ، ودفن بسفح قاسيون وله من العمر ما ينيف على خمسين سنة تقريبا . وكان من الفضلاء ، وله مشاركة في العلوم ومعرفة بالأدب ، وتنقلت به الأحوال في عمره ، ومحبة الفقراء والمشايخ ، وانتفع بهم وأخذ عنهم . وكان كثير البزلمن يصعبه من المشايخ . وكانت همته عالية ونفسه ملوكية ، وله صبر على المكاره . وكان جميع أهل بيته يعظمونه ويعترفون له بالتقدمة ، حتى هم أبيه الملك الأجدد نقي الدين الذي قدمنا ذكر وفاته . وكان حسن الخط والترسل ، وكان واسطة عقد هذا البيت . فإن أمه ابنة الملك الأجدد مجد الدين حسن بن السلطان الملك العادل الكبير ، تسمى باسم جده . وإلى جده لأمه المذكور ابن الملك العادل ينسب الغور الأجدد وهو الخليفة ، والنويعمة^(٢) ، ودامية ، والحمام ، وورثة أولاد الملك الناصر عن أمهم . وتزوج الملك الأجدد هذا ابن الملك الناصر داود ، ابنة الملك العزيز غياث الدين بن الملك الظاهر . أخت الملك الناصر صاحب الشام وأولدها ولدا سماه صلاح الدين محمود .

وفيها : توفي الصدر الكبير وجيه الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن سويد بن معالي بن محمد بن أبي بكر الرعي التغلبي التكريتي التأجر المشهور بسعة المال والثروة

(١) راجع النجوم (ج ٧ ص ٩٧٠) مع اختلاف في الاسم .

(٢) كذا في الأصل ، وفي النسخة « س » : « البريمة » .

(٣) انظر النجوم (ج ٧ ص ٣٢٨ ص ٢٠٢) .

والجاء ونفوذ الكلمة ، [بلنم] مالم يبلغه أحد من أمثاله . وكانت كتبه تنفذ عند سائر الملوك ، حتى عند ملوك الفرنج بالساحل . وكانت النجاريون تأتيه من بغداد إلى دمشق في مهمات تتعلق بالخلافة . وكانت متاجره لا يتعرض إليها . وكان خصيصا بالملك الناصر صاحب الشام لا يخرج عن إشارته ورأيه . وأنبسط يده في دولته . وكان عنده فضة كثيرة ، مراود وجسرا ، فاستأذن الملك الناصر على ضربها دراهم فأذن له ، وجعل دار الضرب بدمشق بيده ، فضرب منها شيئا كثيرا ، وكانت مفضوشة ، فحسر الناس فيها أموالهم . ولما ملك هولاء البلاد وصل إليه فرسان من جهة يتضمن تأمينة على نفسه وماله فأتى به . وفارق دمشق إلى الديار المصرية . وغرم جملة مقارب ألف ألف درهم بسبب الدراهم المفضوشة وغيرها . ثم تمكن في الدولة الظاهرية تمكنا كبيرا ، ووكله السلطان الملك الظاهر ، وجعله وصيه على أولاده من بعده وناظر أوقافه ، وخطب في مكاتباته بالمجلس السامي المنولوى . وكان مع تمكنه من الملك الناصر لا يكتب له عنه إلا الصبر الأجل . وكان سبب تمكنه من السلطان الملك الظاهر ما حكاه شمس الدين محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الجزرى في تاريخه من والده ، رحمه الله تعالى ، قال : كنت عند وجيه الدين في داره في أيام الملك الناصر ، وقد جاء إليه الملك الظاهر وهو يومئذ في خدمة الملك الناصر من أمرائه ، وشكى إليه ضعف إقطاعه ، وأنه قد ركب دين كثير ، وليس عنده كسوة لصناره ، وسأله أن يتحدث له مع الملك الناصر ، وكان قد وصل إلى وجيه الدين في تلك الساعة من عكا جوخ سقلاط وغيره ، فأعطاه منه كفاية

(١) كذا في الأصل كأنه جمع «مررد» وجمع «جسر» .

هشرة أقيية، وخرق كتان فرنجي مائتي دراع، وخمس تقاطيع سكندري، ونفصيلتين حرير، وألف درهم . وقال له : « ياخوند^(١) مهما كان لك من حاجة أو خدمة أطلب ذلك مني ، ولا حاجة بقول السلطان » . قال : والله لقد رأيت الملك الظاهر وقد أهوى إلى أقدام وجيه الدين ليقبلها ، فرعى له السلطان الملك الظاهر حق هذا الإحسان . وملك وجيه الدين المذكور عدة من ضياع دمشق وأملاكها . وكان مع ذلك كله فيما حكى عنه شجعاناً على طعامه ، لكنه كان يتكرم بماله . وكانت وفاته بدمشق في ليلة الجمعة التاسع والعشرين من شوال سنة سبعين وستمائة . ومولده بتكريت في ذى القعدة سنة تسع وستمائة ، رحمه الله تعالى .

(١) في الأصل : « ياخوند » .

واستهلت سنة إحدى وسبعين وثمانئة

ذكر توجه السلطان إلى الديار المصرية على خيل البريد

وعوده إلى الشام

قال : لما عاد السلطان من كشف الحصون في خامس المحرم من هذه السنة ، استشار خواص الأمراء في أن التار تواترت الأخبار بحركتهم ، وأنهم متى قصدوا البلاد والمساكر والخزائن فير حاضرة صعب الأمر ، وعرفهم أنه يتوجه إلى الديار المصرية على البريد .

وركب ليلة السادس من المحرم بعد عشاء الآخرة ، وصحبه الأمير بدر الدين بيمرى ، والأمير جمال الدين أقش الرومى ، وجبرك السلاح دار ، وجرمك الناصرى ، ومنقر الألفى السلاح دار ، وعلم الدين شقير مقدم البريدية . فدخل قلعة يوم السبت ثالث عشر المحرم ، ولم يشعر الناس إلا وهو داخل من باب القلعة ، فدخل وتوجه إلى الميدان ولعب الكرة ، وكتب إلى الأمراء المقيمين بالشام أنه سطرها من البيرة ، وصير ملامح بخطه ليكتب عليها أجوبة البريد من دمشق إلى الأطراف . وكان الأمير صيف الدين الدوادار بقلعة دمشق لتجهيز الكتب والبريد . وفي يوم الاثنين توجه إلى مصر وركب في البحر ولعبت الشوانى . وفي ليلة الأربعاء سابع عشرين المحرم جهز العسكر المجرد إلى الشام ،

(١) كذا في الأصل ، انظر السلك (ج ١ ص ٦٠٤) ،

وتوجه هو إلى الشام في ليلة التاسع والعشرين من الشهر هو ومن كان معه من الأمراء . ووصل إلى دمشق في ثالث صفر ، ودخل قلعتها ليلا .

وحضر إليه رسل أبقا وكان مضمون مشافهتهم طلب الاتحاق .

ثم توجه السلطان إلى قلعة البيرة عندما نازلها التار . وكان من انهمامهم ما تذكره إن شاء الله تعالى في الغزوات والفتوحات .

ثم عاد السلطان إلى الديار المصرية فدخل قلعته في الخامس والعشرين من جمادى الآخرة سنة إحدى وسبعين وستمائة .

وفي السابع والعشرين من الشهر : أفرج عن الأمير عز الدين الديبأطى^(١) وأزله بدار الوزارة ورتب له الرواتب ، وكان في الاعتقال من شهر رجب سنة إحدى وستين وستمائة .

وفي شهر رجب : خلع السلطان على الأمراء والوزراء والقضاة والمقسدين ، وهم بذلك المسافرين والمقيمين .

وفي هذه السنة : نجزت عمارة قبة الصخرة الشريفة^(٢) ، وذلك في يوم هرفة ، وكان السلطان قد توجه إليها وجميع الصناع لمهارتها كما قدمناه .

ذكر اعتقال الشيخ خضر^(٣)

والأسباب التي أوجبت ذلك

وفي يوم الاثنين ثاني عشر شوال سنة إحدى وسبعين : أحضر الشيخ خضر

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٦٠٧) . (٢) انظر السلوك (قصر الموضع) .

(٣) انظر السلوك (ج ١ ص ٦٠٨ ص ١٢) . (٤) انظر السلوك (ج ١ ص ٦٠٨) .

ابن أبي بكر بن موسى العدوي المهراني شيخ السلطان إلى قلعة الجبل ، وأحضر جماعة خائفوه على أشياء كثيرة منها اللواط والزنا وغيره ، فتقدم أمر السلطان باعتقاله . وكان سبب ذلك أنه تعاطى أموراً منكراً والفحش ، ثم شرع يفض من الأمير بدر الدين بيليك الخزندار نائب السلطنة ، والصاحب بهاء الدين ، وانتقل إلى حد المهاجرة لهما بالقول بحضرة السلطان ، وهو أن السلطان أطلق له شيئاً فتوقف الأمير بدر الدين في إمضائه ، فذلل له بين يدي السلطان : « كأنك تتفق على السلطان وعلى أولاده ، كما فعل قطز بولاد الملك المعز » . فغشى عاقبة ذلك . فاتفق هو والصاحب بهاء الدين على التذير عليه وإطلاع السلطان على ما خفى عنه من حقيقة حاله ، ووافقه على ذلك الأمير عز الدين أيدير نائب السلطنة بالشام ، ورتبه ، وذلك أنه طلب إسماعيل ومظفر نائبه بدمشق وآخر من أتباعه اسمه محمد بن بطيخ وتهدهم أولاً ، ثم وعدهم أنهم متى اعترفوا على شيخهم بما يعتمدونه أحسن إليهم وجعل لهم الرواتب . فذكروا عنه أشياء كثيرة وأشهدوا على أنفسهم بذلك . فكتب السلطان في أمره ، فأمر بإرسالهم على خيل البريد فأرسلوا . ولما حضروا بين يدي السلطان سمع كلامهم . ثم أحضره وقال له : « هؤلاء نوابك بالشام ، ما تقول فيهم ؟ » فذكر من خبرهم وصدقهم وأنه رضى بما يقولونه فيه . فذكروا عنه من القبائح والمنكرات وارتكاب المحرمات شيئاً كثيراً ، وخائفوه على ذلك . فأطلقهم السلطان وأمر بإيقاع الحوطة على موجوده .

وحكى الشيخ قطب الدين اليوناني في تاريخه : أنه لما حضر أولئك لحاققته كان ذلك بحضور الأمير فارس الدين أقطاي المستعرب الأتابك ، والأمير سيف الدين قلاوون ، والأمير بدر الدين يسري ، والأمير سيف الدين قشتمر

المجمل ، فخافه أصحابه على كل عزيمة لاتصدر من مسلم . فقال : « ما أمرت
ما تقولون . ومع هذا ، أنا ما قلت إني رجل صالح ، أتم فتم هذا . فإن كان
الذى تقولون صحيح فأنتم كذبتهم . فقام السلطان وقال للأمرء : « قوموا بنا لئلا
نحترق بمجاورته . فقاموا وانتقلوا إلى طرف الإيوان . فانتشار السلطان الأمرء
في أمره ، فقال له الأتابك : « هذا مطلع على أمرار الدولة وبواطن أحوالها وما
يلبثني إبقاؤه ، ووافقه من حضر من الأمرء على هذا الرأي ، وقالوا : ببعض
ما قيل عنه يباح دمه . ففهم ما هم فيه ، فقال للسلطان : « اسمع ما أقول لك ،
أنا أجل قريب من أجلك ، وما بيني وبينك إلا مدة أيام يسيرة ، من مات منا لحقه
الأخر عن قريب » . فلما سمع السلطان كلامه وجهم ، وقال للأمرء : « ما تشيرون
في هذا ؟ فسكتوا . فقال السلطان : « أرى أن يحبس في مكان لا يصل إليه أحد
ولا يسمع كلامه ، فيكون كمن قبر وهو حي » . ثم أمر به فحس في مكان منفرد
بقلعة الجبل ، ولم يدخل إليه إلا من يثق السلطان به غاية الوثوق . وكان يرسل
إليه الأطعمة الفاخرة والفواكه والملابس ، واستمر في الإعتقال إلى أن توفي في
سنة ست وسبعين وستمائة قبل وفاة السلطان بأحد وعشرين يوما . وسند كزبان
شاه الله تعالى ، مبدأ أمره وسياقة أخباره عند ذكر وفاته .

وفينا : هرب الأمير عمرو بن مخلول من آل فضل من قلعة عجولون هو وحامد
رفيقه . وكان السلطان قد اعتقاهما في برج من أبراج القلعة ، فحفر حفيرة
ملاصقة للسور ووقدوا النار حتى تكلس حجر السور ، فنباه وخرجا منه ، وقد
كانت أهدت لهما خيل سوابق فركبها وتوجها إلى بلاد التار ، ثم ندما على
ما فعلوه ، فكتبوا إلى السلطان يسألان مراحه ، فحلف أنه لا يرضى عنهما إلا أني

يعودا إلى قلعة مجلون وبضما وأجلهما في القيود على ما كانا عليه ، ففعل ذلك .
وكان عودهما من بلاد التتار في ذى الحجة سنة اثنين وسبعين وستمائة . ولما رجعا
إلى الطاعة وفعلوا ما أمر السلطان به عفا عنهما وأطافهما وأحسن إليهما .

وفي هذه السنة في رابع عشرين ذى الحجة : توفي الملك المغيث فتح الدين عمر
ابن الملك الفاتح إبراهيم بن الملك السلطان العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب ،
رحمهم الله تعالى ، في معتقله بحجب خزانة البنود ، ودفن بترتيم بالقرافة بجوار
الإمام الشافعي . ومولده في صفر سنة ست وستمائة ، رحمه الله تعالى ^(١) .

وفيها : كانت وفاة الأمير سيف الدين محمد بن الأمير مظفر الدين عثمان
ابن الأمير ناصر الدين منكورس بن بدر الدين محمد بن ^(٢) صاحب صهيون
وبرزية في شهر ربيع الأول . وكانت وفاته بصهيون وقد نال على ستين سنة ،
ودفن بترية والده . وتسلم صهيون وبرزية بعده ولده الأمير سابق الدين سليمان ،
ثم أخذهما السلطان منه في هذه السنة على ما ذكره إن شاء الله تعالى .

وفيها : كانت وفاة الخافظ الخطيب نحر الدين أبي محمد وأبي الفرج عبد القاهر
ابن الشيخ علاء الدين عبد الغنى بن محمد بن تيمية الحراني . وكانت وفاته بدمشق
في ثانی عشر شوال من هذه السنة . ودفن بمقابر الصوفية . ومولده في سنة ثنى
عشرة وستمائة ، سمع الحديث من جده ومن ابن اللقي ، وخطب بمجامع حران
وكان فاضلا دينيا ، وهو من بيت معروف بالعلم والفضيلة ، رحمه الله تعالى ^(٣) .

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٦٠٩ حاشية ٢) .

(٢) لا ترجع له في السلوك ولا في النجوم ، وله ترجمة في هذرات الذهب (ج ٥ ص ٢٢٥
وفيات عام ٦٧٠) .

(٣) ترجمته في هذرات الذهب (ج ٥ ص ٢٢٤ وفيات عام ٦٧٥) .

واستهلّت سنة اثنتين وسبعين وستمائة

ذكر الطلسم الذى وجد بباب القصر بالقاهرة

قال المولى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر ، رحمه الله تعالى ، فى السيرة
الظاهرية : لما كان يوم عاشوراء من هذه السنة وجد ما سنذكره ، وذلك أنه
كان قد رسم بنقش ^(١) لو أحد أبواب القصر المسمى بباب البحر قبالة دار الحديث
الكاملية ، لأجل قل عهد منه لبعض المائر السلطانية ، فظهر صندوق فى سائط
مبنى عليه ، ولوقت أحضرت الشهود وجماعة كثيرة وفتح الصندوق . فوجد فيه صورة
من نحاس أصفر مفرغ على كرسى شكل الهرم ، ارتفاعه قدر شرله أربعة أرجل تحمل
الكرسى ، والصنم جالس عليه متوركا ، وله يذنان مرفوعتان ارتفاعا جيدا ، يحمل
صفحة يكون دورها قريب الثلاثة أشبار ، وفى هذه الصفحة أشكال ^(٢) بآنية ،
الأوسط صورة رأس بدير جسد ، وعليه دوائر مكتوب عليها كتابة بالقبلى
بالقلطيرات ^(٣) ، وإلى جانبها فى الصفحة شكل له قرنان يشبه شكل السنبلة ،
وإلى الجانب الآخر شكل على رأسه صليب ، وآخر فى يده عكاز وعلى رأسه صليب
ونحت أرجلها أشكال طيور . وفوقه دوس الأشكال كتابة كثيرة أكثر من

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٦٠٩) . ^{حزب} معين التاريخ
لأهل التاريخ

(٢) فى الأصل : « باب » .

(٣) كما فى الأصل ، من الممكن قراءة « نانة » مع اقتراض وجود تصحيف .

(٤) فى الأصل « بلقد نظرات » ، وبعد صفحة « بالقلطيرات » والفرق وجود دال أدواء

فى نفس الموضع . ويحتم وضع الكلمة فى الجملة أن يكون أولها حرف وال التعريف . ويبقى أصل
الكلمة : قد نظرات أو قاطرات . ولم يستطع المحقق تحديد المعنى .

نصف الصفحة . وعلى الأشكال كتابة . ووجد مع هذا الصنم في الصندوق لوح من الواح الصبيان التى يكتبون فيها فى المكاتب مدهون وجهه الواحد أبيض ، ووجهه الآخر أحمر ، وفيه كتابة قد تَكْشَطُ أكثرها من طول المدة وقد يلى اللوح وما بقيت الكتابة تلتئم ولا الخط يفهم .

قال : والوجه الأبيض مكتوب بقلم الصفحة القبطى . وذكر ما ظهر من الكتابة على الوجه الأحمر وهى ثلاثة عشر سطرا ، ذكر الفاظا غير ملثمة ، إلا أن المفهوم منها على غير التامة : « الإسكندر ذو الملك يزجر » . وذكر ما ظهر فى كل سطر ، وأخل لما تكتشط منه مما لا فائدة فى ذكره ، والذي شرحه من السطر الثانى عشر ما صورته : « شد أيضا كل أمار^(٢١) أشدبه » . قال : وقيل إن هذا اللوح بخط الحاكم خليفة مصر . وأعجب ما فيه اسم السلطان وهو بيبرس . قال : ولما شاهد السلطان ذلك أمر بقراءته ، فعرض على قراء الأفلام ، فقرأ ، وهو بالفلم القبطى ، ومضمونه طلسم عمل للظاهر بن الحاكم ، وفيه أسماء ملائكة وعزائم ورُقَى وأسماء روحانية وصور ملائكة ، وأكثره حرس للديار المصرية ونفورها وصرف الأعداء وكفهم من طروقهم إليها ، وإبتهاال إلى الله بأقسام كثيرة بحماية الديار المصرية ، وصونها من الأعداء ، وحفظها من كل طارق ومن جميع الأجناس .

قال : وتضمن هذا الطلسم كتابه بالقلفطريات وأوقاف وصور وخواص^(٢٢) لا يعلمها إلا الله تعالى . وحمل هذا الطلسم إلى السلطان فبقى فى ذخائره .

(١) فى الأصل « الآخر » ، وهو لفظ غير مناسب للسياق .

(٢) كذا فى الأصل ، مع نقص النقط ، والجسلة كلها غامضة ، ويحتمل أن تحوى إشارة إلى الأسديين الذين اختارهما بيبرس ومنها برسم على أسلحته . (٣) كذا فى الأصل .

قال القاضي عبي الدين بن عبد الظاهر : رأيت في كتاب حنبل رث سماه مصنفه : وصية الإمام العزيز والد الإمام الحاكم لولده المذكور ، وقد ذكر فيه الطلسمات التي على أبواب القصر . وقال : إن أول الكواكب الحمل ، وهو قلب المريخ ، وشرف الشمس ، وله القوة على جميع سلطان الفلك ، لأنه صاحب السيف ، وله الأمر والحرب والسلطان والقوة ، والمستولى لقوة روحانيته على مدينتنا عندما بنيناها . وقد أقننا طلسماً لساعته ويومه لقهر الأعداء وذل المنافقين ، في مكان أحكناه على شُرَافَةٍ عليه ^(١٢) والحصن الجامع لقصره مجاور لأول باب بنيناه . هذا نص ما في الكتاب ، والله أعلم .

ذكر توجه للسلطان إلى الشام ^(١٣)

وفي سنة اثنتين وسبعين وستمائة : وردت الأخبار بحركة أبنا بن هولكو ملك التار ، فخرج السلطان في ليلة السادس والعشرين من المحرم ، وصحبته جماعة من أمرائه الخواص ، منهم الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، والأمير بدر الدين بيسرى الشمسي ، والأمير سيف الدين أوتامش السعدي . فلما وصل إلى هسقلان بلغه أن أبنا وصل إلى بغداد وقد خرج إلى الزاب متصبداً ، فكتب إلى القاهرة يستدعي المسافر . فخرج منها يوم السبت حادي عشر صفر أربعة آلاف فارس [مع] مقدميهم ، الأمير علاء الدين طبرص الوزير ، والأمير جمال الدين أقبش

(١) كذا في الأصل دون نقط اللام .

(٢) كذا في الأصل .

(٣) انظر السلوك (ج ١ ص ٦١٠) .

(٤) كذا في الأصل دائماً . ويجرى السلوك (نفس الموضع) على عدم إثبات الواو .

الرومي، والأمير شمس الدين أفضى المعروف بـ ^(١) طليعا، والأمير علم الدين سنجر طردح ^(٢).
ورحلوا من البركة في يوم الاثنين . ثم قويت الأخبار ، وهو في أثناء الطريق
بمركبة التار ، فكتب السلطان بخروج المساكر جميعها والعربان من الديار
المصرية محبة بدر الدين يليك الخزندار ، ورسم بأن جميع من في مملكته ممن
له فرس يركب إلى الغزاة ، وأن يُخرج أهل كل قرية بالشام من بينهم خيالة على
قدر حال أهل البلد ، ويقومون بكلفتهم . ودخل السلطان إلى دمشق في صابع
عشر صفر . وكان رحيل المساكر من القاهرة في العشرين من صفر ، فوصلوا
إلى يافا ، وورد المرسوم بنزلهم قريبا منها ، وركب السلطان من دمشق في نحو
أربعين فارسا بجرائد ، ولم يستمتع بحبوا ركاب دار السلطان ولا غيره ^(٣) . فوصل
وقد طُلبت المساكر وقاربوا المنزل ، فاعترضهم السلطان وجماعته وقد ضرب
كل منهم على وجهه لثاما ، فظن الحجاب أنهم من التركمان ، فرسموا لهم
بالترجل فسا ترجلوا ^(٤) . وساق السلطان منفردا وجاء من خلف الصنابقي وحمر
اللاثام من وجهه ، فعرفه السلاح دارية فأفرجوا له ، فدخل وساق في الموكب
فتزل الناس وقبلوا الأرض ، وساق السلطان ونزل بدلهلزة فرتب المصالح .
وأصبح في اليوم الثاني وركب في موكبه ، ونزل فقضى حوائج الناس وركب
عند المساء ، هو ومن حضر معه وعاد إلى دمشق .

(١) كذا في الأصل ، وكذلك في السلوك (ج ١ ص ٦١٠) .

(٢) كذا في الأصل . وقراءات السلوك نفس الموضع هي : طردح ، طردح ، طليح ،
والأرجح هو استبعاد وجود وار في مكان الدال أو الطاء .

(٣) في الأصل : لغيره .

(٤) في الأصل : « بالترجل فارتحلوا » والتصحيح منقول من السلوك (ج ١ ص ٦١١) .

ذكر وصول الملك شمس الدين بهادر

صاحب شميمصا^(١)ط وشيء من أخباره

هذا المذكور هو الملك شمس الدين بهادر بن الملك فرج^(٢) ، أمير الطست
 للسلطان جلال الدين خوارزم شاه منكربرى ، وكان والده قد ملك بعد
 السلطان جلال الدين قلعة كيران^(٣) وست قلاع أخرى في ناحية نقجوان^(٤) . ووصل
 إلى بلاد الروم فأقطع أقصرا^(٥) ، فكتب شمس الدين هذا السلطان وراسله ،
 وتقرب إليه بإعلامه بحقيقة أخبار العدو ، وذلك في سنة إحدى وسبعين
 وستمائة . وافق السلطان معه على نكتة غريبة قتل بسبها الجاثليق النصراني ،
 وكان قد أهان المسلمين ببغداد وسكن مواطن الخلافة وأفسد أمور المسلمين .
 فكتب السلطان كتابا إلى الجاثليق مضمونه : عرفنا محبتك وتوصيتك على
 النصارى الذين يبلادنا ، وقد أكرمناهم لأجلك ، وصرفنا أخبار المفل الباطنة
 التى أشرت إليها . وذكر فى الكتاب أمورا موهمة لا أصل لها ، منها : الذى
 النمسته لمن أشرت قد أجبتنا إليه ، وتسليم الأمكنة لمن عثت قد حلفنا على
 تسليمها ، والدواء الذى تقرر السعى فى استعماله لمن أشرت إليه قد علم ، والله
 يقدر ذلك ، والذى طلبته من دهن البلسان والآثار المسيحية^(٦) قد سيرناها ،

(١) كذا فى الأصل : ويختلف الهجاء من مؤرخ لآخر ، راجع السلوك (ج ١ ص ٦١١) .

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٦١١) .

(٣) كذا فى الأصل ، مع رسم الون الثابتة كالباء الثابتة .

(٤) كذا فى الأصل ، بغير نقط .

(٥) كذا فى الأصل .

(٦) كذا فى الأصل .

وسيرنا قطعة من صليب الصليبيوت ، وسيرنا ذلك إلى الرحبة ، وهرقنا
 النائب بها الأمانة التي قررت . فأرسل من تنق إليه بالأمانة ليتسلم ذلك .
 وسير السلطان هذا الملقب^(١) إلى النائب بالبيرة ، ورم له أن يجهزه بحبة أرمني
 يوصله إلى الجليلي ، وأنه إذا جهزه يرسل إلى الملك شمس الدين بهادر يعرفه
 بخبره وحليته . ففعل ذلك ، وأرسل بهادر من أمسك هذا القاصد وسيره
 إلى أبنا . فلما وقف أبنا على الملقب كان فيه هلاك الجليلي ، وتقرب
 شمس الدين بهادر إلى السلطان بأشياء كثيرة مثل ذلك . فشعر التار به فأمسكه
 وتوجهوا به إلى الأردن ، وهربت حاشيته ومالكيه ، فوصلوا إلى باب السلطان
 وهم يزيدون على ألفي نفر من ممالك وأجناد وغيرهم ، فأحسن إليهم ورتب لهم
 الرواتب . وأما الملك شمس الدين بهادر فإنه هرب ونجا بنفسه ووصل البيرة
 فتلقاء أهلها ، وسير إلى السلطان . وذكر أنه أقام سهمة أيام لم يأكل شيئا .
 ولما وصل تلقاه السلطان وأكرمه وأعطاه الإقطاعات بالديار المصرية وأحسن
 إليه .

ذكر الظفر بملك الكرج

وفي سنة اثنين وسبعين وستمائة : ظفر السلطان بملك الكرج . وذلك أنه
 حضر لزيارة بيت المقدس ، فالتصل ذلك بالسلطان ، فأرسل من يعرف حليته
 فأمسك هو وثلاثة نفر من أعيان الكرج من بين الزوار ، وسير [وا] إلى السلطان
 وهو بدمشق فطيب قلوبهم ، وهرقهم أنه متيقظ لمن يدخل إلى بلاده ، واحترز
 عليهم .

(١) الملقب بحسب السياق : رسالة وحسب المتن القوي : ما يبلغ المراه بلطف (القاموس

المهبط) ، دراجع من الملقبة السلوك (ج ١ ص ٨٥٢ حاشية ٢) .

ولما سكنت الأخبار عاد السلطان والعساكر فدخل إلى قلعته في رابع عشرين جمادى الآخرة من هذه السنة .

وفي شعبان من هذه السنة : رسم السلطان بعمارة جسرين قناطر بالقرب من الرملة لعبور العساكر ، فعمرت .

وفيها : في يوم السبت عاشر ذي القعدة حضر متولى القرافة إلى مستنبيه الأمير سيف الدين أبي بكر بن اسباسلار متولى مصر ، وأخبره أن شخصا دخل إلى تربة الملك المعز وجلس عند القبر يبكي ، فسأله من المكان من بكائه ، فأخبرهم أنه قادم بن الملك المعز ، وكان الملك المظفر قد أرسله مع أخيه الملك المنصور إلى بلاد الأشكرى كما تقدم ، فأحضر وقيد واعتقل . وطولع السلطان بأمره ، فأحضره وسأله عن أمره ، فذكر أنه عاد إلى الديار المصرية منذ ست سنين ، وأنه يتوكل للجنود . فطلب منه من يعرفه ، فذكر أن رجلا معتقلا بالإسكندرية كان يتردد إلى بلاد الأشكرى ، فأمر السلطان بإحضاره واعتقال قادم ، فحبس في حبس اللصوص بمصر ، وأجرى عليه بعض ماليك المعز نفقة .

وفيها : أفرج السلطان عن الأمير سيف الدين الجوكندار ، وكان له مدة في الاعتقال .

وفي ثاني عشر شهر رمضان من السنة : توجه الملك السعيد إلى الشام ، ووجد السلطان في خدمته الأمير سيف الدين أسناد دار وجماعة من أكابر الأمراء والخواص . ودخل إلى دمشق في سادس عشرين الشهر ، ولم يشعر به نائب السلطنة إلا وهو بينهم في سوق الخليل ، فزلوا وقبلوا الأرض ، ودخل الملك

(١) انظر الملوك ، (ج ١ ص ٦١٢) .

السعيد القلعة وخلع على الأمراء في ليلة العيد ، وخلع أيضاً على المقدمين والمفارقة والأكابر ، وخرج متعبداً بالمرج ، ثم توجه إلى الشقيف وصفد ، وعاد إلى مصر في حادي عشر شوال منها .

ذكر ختان الملك المسعود نجم الدين خضر ولد السلطان الملك الظاهر^(١)

كان ختانه في يوم عيد الفطر سنة اثنين وسبعين ومائة ، وحمل السلطان عن الناس كلفة التقدّم والهدايا وشملهم بالخلع والإنعام والمطاء .

ذكر نكتة غريبة^(٢)

وفي هذه السنة : ورد كتاب الفرس بن شاوور وإلى الرملة يذكر أنه في هذه السنة حصل لأهل البلاد مرض وحمايات^(٣) من شرب مياه الآبار وزاد ذلك ، فحضر إليه رجل نصراني فقال : « هذه الآبار قد حاضت كما جرى في السنة التي جاء التار فيها إلى الشام ، وأن الفرج أنفذوا إلى قرية تسمى حابور^(٤) في الجبل أخذوا من مائها وسكبوه في الآبار فزال الوخم . » فلما سمع ابن شاوور ذلك سبر إلى الضيعة المذكورة وأخذ من مائها وصبه في الآبار التي بياقا ، وكان الماء قد كثر فيها . فلما سكب الماء فيها نقصت إلى حدها المتعارف^(٥) . وقيل : إن هذه الآبار إناث تحيض ، وآبار الجبل ذكور .

(١) انظر السلوك (ج ٢ ص ٦١٢) . (٢) انظر السلوك (نفس الموضع) .

(٣) كما في الأصل .

(٤) كما في الأصل ، وفي السلوك (ج ١ ص ٦١٢ ص ٢٢) بالبدال الزا .

(٥) في الأصل : « المتعارف » .

ذكر ورود كتاب ممالك الحبشة^(١)

قال القاضي محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر في السيرة الظاهرية : في هذه السنة وصل كتاب ممالك الحبشة إلى السلطان عطف كتاب صاحب اليمن . وهو يقول : « إن سلطان الحبشة قد قصدني في حاجة عند السلطان ، وقد سيرت كتابه عطف كتابي » فكان مضمون كتاب ممالك الحبشة إلى السلطان^(٢) : — « أقل الممالك ، محمرا ملك يقبل الأرض وينهى بين يدي السلطان الملك الظاهر ، خلد الله ملكه ، أن وصولا وصل من [جهة] وإلى قوص بسبب الراهب الذي جاءنا ، فنحن ما جاءنا مطران وبلادنا بلاد مولانا السلطان ونحن هيبده . فيرم مولانا يأمر الأب البطرك بعمل لنا مطرانا رجلا جيدا عالما لا يحب ذهب ولا فضة ، ويسيره إلى مدينة عوان وأقل الممالك يسير إلى أبواب^(٣) الملك المظفر صاحب اليمن ما يلزمه ، وهو يسيره إلى أبواب السلطان . وما كان سبب تأخر الرسل عن الحضور إلى السلطان إلا أنني كنت في بركات . والملك داود توفي ، وقصد ملك ولده ، يامولانا . وعندى في عسكري

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٦١٥) .

(٢) نقل الأستاذ الدكتور زيادة نص نفس هذا الكتاب من ابن أبي الفضائل في التهج السديد وقد انتفع الحق به .

(٣) كذا في الأصل .

(٤) كذا في الأصل واضحا ، ويقترح الأستاذ الدكتور زيادة قراءة (أسران أرمدين) راجع

السلوك (ج ١ ص ٦١٦ حاشية ١) .

(٥) في الأصل « بواب » مع اسقاط الألف الأولى .

(٦) في الأصل « ذلود » وما هنا نقلا من قراءة الدكتور زيادة في السلوك (نفس الموضع) .

مائة ألف فارس مسلمين . وإنما النصراني كثير لا تعد . وكلهم فلانك وتحت
أوامرك . والمطران [الكبير^(١)] هو يدهو لك ، وهذه الخلق^(٢) كلهم يقولون : آمين
بطول بقاء عمر سلطاننا مالك مصر ، ويهلك الله عدوه ، ويقول الخلق آمين .
وكل من يصل^(٣) من المسلمين إلى بلادنا أقل المالك يحفظهم ويسفرهم كما
يجب^(٤) . وإنما الرسول الذي سيره إلى قوص بقدر وهو مريض . وبلادنا
بلاد ونحة أى من مرض ما يقدر أحد يدخل إليه ، وأى من شم رائحته يمرض
 ويموت . والراهب قال : ما يروح [بغير^(٥)] رفيق . ونحن فنحفظ كل من يأتي من
المسلمين ، وارسموا فسيروا مطرانا يحفظهم . « انتهى ذلك .
هذا نص كتابه ومخاطبة ملك اليمن له بالسلطان^(٨) .

قال : فكتب جوابه عن السلطان :

« ورد كتاب الملك الجليل الهمام العادل في مملكة عطى ملك الحمير ، أكبر
ملوك الحبشة ، الحاكم على ملهم من البلدان ، نجاشى عصره [وفريد مملكته
في دهره] سيف الملة المسيحية ، عضد [دولة] دين النصرانية ، صديق

(١) الإضافة للإيضاح وهي منقولة عن السلوك (نفس الموضع) .

(٢) كما في الأصل .

(٣) في الأصل « مولانا » ثم شطب اللفظ ووضح بدله « سلطاننا » .

(٤) في الأصل « مهل » .

(٥) في الأصل « يجهوا » .

(٦) في الأصل : « فيجور » .

(٧) الإضافة لآخرها وهي منقولة عن السلوك نفس الموضع .

(٨) المهارة تحدد كيفية مخاطبة ملك اليمن لملك الحبشة ☪

الملك والولاطين سلطان الأعره ، حرس الله نفسه ، وبني على الخير أسه .
فوقفنا عليه وفهمنا ما فيه فأما طلب المطران ، فلم يحضر من جهة الملك رسول
حتى كنا نعرف الفرض المطلوب ، وإنما كتاب مولانا السلطان الملك المظفر
ورد . مضمونه : أنه وصل من جهته كتاب وقاصد ، وأنه أقام عنده حتى يسير
إليه الجواب . وأما ما ذكره من كثرة عساكره وأن من حملتها مائة ألف
فارس مسلمين ، فأخبار البلاد عندنا ، ولا تخفى عنا ، فانه يكثر عساكر المسلمين .
وأما وخم بلاده ، فالأجل مقدرة من الله ، وما يموت أحد إلا بأجله ، ومن
فرغ أجله مات ، وكل من جريح بالسيف عاش وصحبح مات ، والأمر لله في
الجميع . »

وفي هذه السنة : كانت وفاة صاحب محبي الدين أبي العباس أحمد بن
الصاحب بهاء الدين علي بن محمد ، في ليلة الأحد التاسع والعشرين من شعبان ،
ودفن من الغد بسفح المقطم ، سمع من جماعة ، وحدث ودنس بمدرسة والده
[التي أنشأها بزقاق القناديل بمصر ^(١)] وكان منقطعاً عن المناصب يحب التخل
والإنفراد كثير الصدقة ، وبني رباطاً بمصر ، ومولده بالفسطاط في سنة ست
وثلاثين وستمائة ، رحمه الله تعالى .

وفيها : في ليلة الثلاثاء رابع عشر الآخر توفي الشيخ العالم الزاهد الورع أبو محمد
عبد الله بن عمر بن يوسف الحميدى القصرى ، ودفن من يومه بالقرافة الصغرى .
كان أواحد أهل زمانه في أصول الدين والفقه ، وله معرفة بكلام الفقهاء وأحوالهم
رحمه الله تعالى .

(١) الإحاطة للإيضاح ومى مقولة من النجوم (ج ٧ ص ٢٤١) :

وفيهما : في ليلة الاثنين الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر توفي أبو الحسن يوسف بن عبد الله بن نهار البكري ، خطيب جامع ابن طولون ، ودفن بالقرافة . ومولده بالقاهرة في سنة ثلاث وستائة ، رحمه الله تعالى .

وفيهما : في يوم الأحد رابع عشر المحرم توفي الصدر الرئيس الأصيل مؤيد الدين أبو المعالي أسعد بن مظفر بن أسعد بن حمزة بن أسد بن علي بن محمد النخعي الدمشقي ، المعروف بابن القلانسي^(١) رئيس دمشق وكبيرها والمشار إليه . وكان متواضعا كريما سمحا جوادا متصدقا حسن السيرة جميل الطريقة طاهر اللسان . وكان السلطان الملك الظاهر قد عرض عليه نظر الشام فلم يقبل ، فالزمه بوكالاته الخاصة والنظر في ديوان ولده الملك السعيد ، فباشر ذلك . وكانت وفاته بدمشق ودفن بترتبه بسفح قاسيون ، ومولده بدمشق في سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى ، وهو والد صاحب الرئيس عز الدين حمزة .

وفيهما : في ليلة الأربعاء ثالث عشر شعبان توفي الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ النخاعة جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي^(٢) الحلياني . وكانت وفاته بالمدرسة العادلية بدمشق ، ودفن بقاسيون بترية بني الصايغ ، له التصانيف المفيدة في علم العربية ، وشهرته أكثر من أن يؤتى على شرحها ، رحمه الله تعالى .

(١) انظر النجوم النور (ج ٧ ص ٢٤٤) .

(٢) في الأصل : « نصبا » .

(٣) انظر النجوم (ج ٧ ص ٢٤٣) .

واستهلّت سنة ثلاث وسبعين وستمائة

في هذه السنة : وصل الملك المنصور صاحب حماة إلى خدمة السلطان^(١) ، فاحسن إليه وإلى ولده وأخيه وعاد إلى بلاده .

وفي ثامن صفر منها : توجه السلطان إلى الكرك على المحجن من الطريق البَذَرِيَّة ، فوصل إلى الكرك والشوبك . وأقام بالكرك ثلاثة عشر يوما ، وعاد إلى قلعته في ثاني عشرين شهر ربيع الأول^(٢) .

وفيها : في سادس عشر شهر ربيع الآخر توجه السلطان إلى العباسية ، وفي صحبته ولده الملك السعيد ، فصرع الملك السعيد أوزة خبيّة^(٣) ، وقيل له : « لمن تدعى ؟ » فقال : « لمن أدعو بحياته » . فقبّله السلطان . وعاد السلطان بعد خمسة أيام .

وكان سبب عوده أنه ظفر بكتب من جماعة من الأمراء إلى التتار ، وهم : بَقْمَقَاد الحموي^(٤) ، وتوغان بن منكو ، وسريغا ، وطَنْغَرِي يورِي ، وطَنْغَرِي يَزْمَسَ ، وأنوك ، و بَرْمَش ، و بلبان مجل ، و البغلائي المارتد ، و بلاغا ، و طَنْغِي^(٥) ، وأيبك ، و سَنَجَر الخواشي^(٦) . وقبض عليهم وقرّروهم فأقروا . وكان آخر العهد

بهم .

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٩١٤) .

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٦١٤) .

(٣) في الأصل : « جنه » انظر السلوك (ج ١ ص ٦١٥ من ١ وحاشية و) .

(٤) كذا في الأصل : وقرأة السلوك « بقماز » .

(٥) كذا في الأصل ، وفي النسخة « من » طمس .

(٦) كذا في الأصل . ومن المحتمل قراءة : « الطراشي » .

وفيها : أقبل السلطان على الأمير شهاب الدين يوسف بن الأمير حسام الدين الحسن بن أبي الفوارس القيّمري ، وهو من أعيان الأسماء في الدولة الصالحية النجمية والدولة الناصرية . وكان السلطان قد نغم عليه ، فإنه تخيل أنه كان يثبط الملك الناصر عن قتال التتار ، فواخذه بذلك وقطع خبزه ، وعُطِّل ، وأطلق له في كل يوم عشرين درهما ، ودام على ذلك فأعطاه الآن إمرة أربعين .

وفيها : توجه السلطان إلى الشام في شعبان بجميع العساكر واستخلف بقلعة الجبل الأمير شمس الدين أفسنقر الفارقاني ، والصاحب بهاء الدين ، واستصحب معه الصاحب تاج الدين وزير الصحبة . وكان في هذه السفرة غزاة سبب على ما نذكر ذلك .

وفيها : رعم السلطان بهارة ما كان تداعي من منارة الإسكندرية .

وفيها : في يوم السبت تاسع جمادى الآخرة توفي الأمير فارس الدين آقاي المستعرب الصالحى الأتابك ، ودفن بالقرافة بالقرب من تربة الإمام الشافعى ، ومضى السلطان في جنازته ، وحضر دفنه ، وحن عليه وبكى بكاء شديدا . وكان يستحق ذلك منه ، رحمه الله تعالى .

وفيها : توفي قاضى القضاة شمس الدين عبد الله بن [محمد بن الحسن بن عطاء ابن الحسن] عطاء الأذرى الحنفى بدمشق في يوم الجمعة تاسع جمادى الأولى . ولما مات عزل قاضى القضاة زين الدين الزواوى المالكى نفسه من القضاء حال دفنه ، فإنه أخذ بيده من تراب القبر وحناء عليه وقال : « والله لاحكت

(١) انظر السلك (ج ١ ص ٦١٩) ، وفي النجوم (ج ٧ ص ٢٤٦) وهو مبيد الله

ابن محمد بن الحسن بن عطاء بن الحسن .

بعدك ، فإن لك أربعين سنة تحكم ، ثم هذه مآلك . ومنزل نفسه من الحكم ،
وبقى نائبه القاضي جمال الدين يوسف الزواوي يحكم على حاله .

وفوض السلطان قضاء الحنفية بعده للقاضي مجد الدين أبي المجد عبد الرحمن
ابن الصاحب . جمال الدين عمر بن العديم الحنفي^(١٢) فوصل إلى دمشق في يوم الاثنين
صلح ذي القعدة ، وحكم في ذي الحجة من السنة .

وفيهما : توفي الحافظ جمال الدين أبو الحسن يوسف بن أحمد بن محمود^(١٣) الأسد
اليفموري^(١٤) بالهجرة في ليلة الأربعاء الحادي والعشرين من شهر ربيع الآخر . كان
فقيها أصوليا مشاركا في علوم كثيرة ، ومحب الأمير جمال الدين بن يغمور
فعرف به . وكان قد توجه لزيارة الأمير شهاب الدين بن يغمور بالهجرة فأت .
ومات الأمير شهاب الدين بعده بشهرين ويومين ، رحمهما الله تعالى .

وفيهما : توفي الأمير سليمان بن الملك السعيد بن الملك الصالح إسماعيل بن الملك
العاقل سيف الدين أبي بكر بن أيوب ، وكانت وفاته بدمشق في حادي عشر صفر
رحمه الله تعالى .

(١) هكذا في الأصل .

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٦٥١) .

(٣) هكذا في الأصل : « محمود » انظر السلوك (ج ١ ص ٦١٩) .

(٤) ترجمته في النجوم (ج ٧ ص ٢٤٧) وهو الشهير بالحافظ اليفموري ، وابن الطعان أيضا ،
وهو تلميذ المجد ، موصل الأب ، ودمشق المولد ، محل الوفاة : واسمه أبو الحسن يوسف
ابن أحمد بن محمود (٢) بن أحمد بن محمد .

واستهلّت سنة أربع وسبعين وستائة

استهلّت سنة أربع وسبعين وستائة والسلطان بالشام ، فرسم بإحضار ولده الملك السعيد ، فتوجه الأمير بدر الأمير بيليك الخزندار نائب السلطنة على خيل البريد لذلك ، في الرابع والعشرين من المحرم . ووصل إلى قلعة الجبل ، فأرسل إليه الملك السعيد ألف دينار وتشريفا . وكان السلطان أيضا قد رسم للاسمراء بإحضار أولادهم فتجهزوا .

وتوجه الملك السعيد على خيل البريد ، في صلح المحرم ووصل إلى دمشق في سادس صفر ، وركب السلطان للقاءه ، وحضر بعد ذلك طلبه وماليكه .^(١)

وفي هذه السنة: وصلت رسل بروانا، وأخبر بقصد التار البيرة ، وقال إنه اتفق هو وجماعة على أن العساكر إذا أقبلت من بر الشام وشاهدوا الصناجق السلطانية يضع السيف في التار ، فلم يف بذلك .^(٢)

ثم بلغ السلطان حركة التار ، وأن قصدهم البيرة ، فجمع العساكر من جميع البلاد ، وأقام ينتظر خبرا محققا ، فوصل الخبر أن التار ، نزلوا البيرة ، في يوم الخميس ثاني جمادى الآخرة ، وأنهم أقاموا في تلك الليلة أحد عشر متجيقا ، واهتموا بالحصار ونصب المجانيق ، وكان مقدمهم إيتاي^(٣) ، فاتفق السلطان في

(١) طلب ، والجمع أطلاب ، بمعنى فرقة صغيرة من الجيش (راجع السلوك ج ١ ص ٢٤٨

حاشية ٢) .

(٢) القائل : كناية « د » والمضى : أخبر كتاب البرواناة بكذا وكذا .

(٣) كذا في الأصل .

العساكر وتولى النفقة بنفسه . وخرج بالعساكر ، فلما وصل إلى القُطَيْفَة بلغه رجيل التار لا تقطاع الميرة عنهم ، فوصل إلى حصص ، ثم عاد إلى دمشق في مستهل شهر رجب متوجها إلى الديار المصرية ، فدخل إلى قلعة الجبل في ثامن عشر الشهر .

ذكر شقيق الطواشي شجاع الدين عنبر المعروف

بصدر الباز وغيره^(١)

كان هذا الطواشي المذكور قد كن في الدولة الظاهرية وكبر شأنه ، وتعاظم في نفسه ، وصار في غيبة السلطان يركب إلى الميدان ويلعب بالكرة ويعود إلى القلعة ، ثم تعاظم بعد ذلك ، فيما نقل ، إمدان شرب الخمر في دور السلطان ، ويجتمع على ذلك مع الخدام : فاتصل ذلك بالسلطان ، فلما عاد أحضره بين يديه ليلا ، وقام السلطان إليه بنفسه ولكنه وقصده أن يؤديه بالضرب والإحراق^(٢) ليرتدع بذلك . وكان لهذا الخادم على السلطان إدلال كبير ، فعمله إدلاله على أن خاطب السلطان بما لا يليق أن يخاطب به ، فكان مما قال له : « هذا الضرب لا يفيدك ، ولكن اشتغني » . فغضب السلطان وأمر بشنتقه ، فشق بالميدان الأسود تحت قلعة الجبل في ليته ، وشنق إلى جانبه خمسة من الأجناد كانوا قد تخلفوا عن العرض بمحض ، وشُفع في جماعة آخر من الجند ، فحسوا بخزاة البنود .

(١) اسم عنبر من الأسماء الشائعة ، والمشار إليه هنا غير عنبر « بهتار الملك الظاهر الوارد ذكره في النجم » (ج ١ ص ١٧٩ م ٣) ، وعنبر عنبر مملوك شجر الدر الوارد ذكره في السلوك (ج ١ ص ٤٠٣) ، وإنما هو نفسه المذكور في السلوك في النجم الموازي (ج ١ ص ٦٢٣) لنفس هذا الخبر .

(٢) الإحراق من إحداث الدمشقي من عرق أو حياء (القائم من الهبط) .

وأمر السلطان بمن كان يحضر مع صدر الدين^(١) من الخدام على الشراط فقطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف وسمت أعينهم .

وقد حكى لي حكاية عجبية عن هذا الخادم وهى : أن السلطان ، قبل وصوله إلى الديار المصرية ، كان قد كتب إلى النائب بقلعة الجبل أن يتقدم بنصب مائة خشبة بالميدان الأسود للشق فنصبت ، وما علم لمن هى ، فكان الطواشي إذا توجه إلى الميدان يمر على الخشب فينظر إلى خشبة منها ، ويقول : أجد قلبى بمن إلى هذه الخشبة ، وتكرر ذلك منه ، فشقق عليها . وهذا من عجيب الإنفاق فى إحساس الخواطر .

ذكر متجددات اتفقت بعد وصول السلطان

إلى الديار المصرية غير ما تقدم ذكره

منها : وصول هدية صاحب آيمن^(٢) ، ومن حملتها الفيل والكركدن والحمار الوحشى العنابي وأصناف من التحف والبهار وغير ذلك ، فعرض ذلك على السلطان ، وجهاز [السلطان] له هدية سنية وسيرها محبة رسله .

ومنها : تجهيز رسل الملوك ، وهم : رسل الملك منكوتمر ملك البلاد الشمالية ، ورسل الأشكرى ، ورسل الفلش ، ورسل جنوة ، وإرسال الرسل إلى أشبيلية .

(١) المقصود : صدر البازكا ورد فى صدر الخبر نفسه .

(٢) انظر السرك : (ج ١ ص ٦٢١) .

ذكر توجه رسل السلطان إلى أشبيلية

وما كان من خبرهم

كان الفُشُّ صاحب أشبيلية قد سير رسولا إلى السلطان اسمه دينار ، ومعه
 يده هدية سنية ورسالة ، مضمونها : استدعاء مودة السلطان ، وذلك قبل هذا
 التاريخ . فسير السلطان إليه الآن رسلا ، وهم : الأمير سيف الدين الجَلْدُكي
 والأمير عز الدين أبيك الكبكي ، والفقير العدل (١) الدين الحسين
 ابن همام بن مرعش ، وعلى أيديهم هدية سنية وعقاقير . فتوجهوا من القاهرة في
 العشر الآخر من شوال وتوجهوا إلى الإسكندرية ، وتوجهوا منها في البحر في
 ذى القعدة ، فوصلوا إلى صقريس ، فعوقهم صاحب برشنة أيا ما ثم أفرج
 عنهم ، فساروا حتى وصلوا إلى مرعش ، وهي من جملة مملكة الفش ، فأعلم
 بوصولهم فاستدعاهم ، وكان يومئذ بنطورية فتوجهوا إليه ، فكانوا كلما مروا
 ببسطة خرج إليهم أهل البلد وتلقوهم بالأفراح ، إلى أن وصلوا إلى بنطورية ،
 فخرج جميع من بها من الخيالة والرجالة والتقوهم بظواهرها ، ثم استدعاهم الملك
 بسد ثلاث وأكرمهم غاية الإكرام ، واستحضرهم في اليوم الثاني وأحضروا

(١) الوارد هنا : الفش ، والمصطلح عليه : ادفنش .

بالدال أو القال . وهو لقب يطلق على كل ملوك الفرنج بطليّة و برشونة انظر السلوك (ج ١ ص

٩٢١ حاشية ٢٠)

(٢) راجع السلوك (ج ١ ص ٩٦١ ، ٩٦٢) وكانت وفاة عام ٥٧٤٣ .

(٣) جاض في الأصل .

(٤) كذا في الأصل .

(٥) مرعش في بلاد الأندلس وهي غير مرعش الثغور الجزرية .

(٦) كذا في الأصل .

المدية ، فاستنشر وطابت نفسه وقبلها ، ثم جهز لهم مركبا ببريشنونة فتوجهوا^(١) في البر إليها ، ثم ركبوا منها في المركب في آخر ذى الحجة ، فوصلوا إلى الإسكندرية في صفر سنة خمس وسبعين ومائة .

ذكر اتصال الملك السعيد بابنة الأمير صيف الدين قلاون^(٢)

وفي هذه السنة : في يوم الخميس ثاني عشر ذى الحجة ، عقد نكاح الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة قان بن السلطان الملك الظاهر على [غازية خاتون] ابنة الأمير سيف الدين قلاون الألفى الصلاحي . وكان العقد بالإيوان بقلعة الجبل على صدق مبلغه خمسة آلاف دينار ، المعجل منه ألفا دينار ، ومعاملة صرف الدينار ثلاثة عشر درهما وثلث درهم . وكان الوكيل عن الملك السعيد في قبول النكاح ، الأمير بدر الدين بيليك الخزندار نائب السلطنة ، والوكيل عن الأمير سيف الدين قلاون ، الأمير شمس الدين أفسنقر أستاذ الدار العالية ، بعد أن ثبت التوكيل في المجلس عند قاضي القضاة صدر الدين سليمان الحنفي . وجرى العقد بين الوكيلين بحضوره ، وحضر السلطان والوزراء والقضاة والأكابر وأعيان الأمراء والمقدمين . وكان الصداق بخط القاضي محي الدين عبد الله ابن الشيخ رشيد الدين عبد الظاهر ، وإنشائه ، وقرأه في المجلس ، فخلع عليه وأعطى مائة دينار . ونسخه :

(١) برشونة تكتب أيضا برشونة راجع السلوك (ج ٢ ص ١٦٣ حاشية ٢) .

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٩٢٤) .

(٣) كما في الأصل . ويشمل هذا الإعمال يتكرر ويؤكد النزوع إلى تخطيب العامة .

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله موفق الآمال لأسعد حركة ، ومصدق القال لمن جعل عنده أعظم
بركة ، ومحقق الإقبال لمن أصبح بشبه سلطانه وصهرة ملكه ، الذى جعل
للأولياء من لدنه سلطانا ونصيرا ، وميز أقدارهم باصطفاه تاهيله حتى حازوا نعيمًا
وملكا كبيرا ، وأفرد نفاذهم بتقربته حتى أفاد شمس آمالهم ضياء وزاد قمرها
نورا ، وشرف وصلاتهم حتى أصبح فضل الله عليهم بها عظيما وأفضاله كثيرا ،
مهيء أسباب التوفيق العاجلة والآجلة ، وجاعل ربوع كل أملاك من الأفلاك^(١)
بالشموس والبدور والأهلة أهلة ، جامع أطراف الفخار لذوى الإيثار حتى
وصلت لهم النعمة الشاملة ، وحلت عندهم البركة الكاملة . »

« نحمده جل [أن] أحسن عند الأولياء بالنعمة لاستيداع وأجل لتأجيلهم^(٢)
الاستطلاع ، وكُل لاختيارهم الأجناس من الفرر والأنواع ، وآتى آمالهم ما لم^(٣)
يكن فى حساب أحسابهم من الإبتداء بالتخويل والابتداع . »

« وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة حمسة الأوضاع ملية
بتشريف الألسنة وتكريم الأصماع . »

(١) كذا فى الأصل .

(٢) الإضافة يقتضيهما تركيب العبارة .

(٣) كذا فى الأصل . وكان الأفضل أن يقال من « الفرع » لكن يتحقق الازدواج بين

المترادفين المتقاربين فى المعنى .

(٤) كذا فى الأصل بدون نقط .

« ونصل على سيدنا محمد الذي أملا الله به الأقدار وشرف به الموالي والأصهار ، وجعل كرمه دارا لهم في كل دار ، ونفخه على من استطلعه من المهاجرين والأنصار مشرق الأنوار ، صلى الله عليه وعليهم صلاة زاهية الأزهار يانعة الثمار . »

« وبعد ، فلو كان إفضال كل شيء بحسب المتصل به في تفضيله لمسا استصلح البدر شيئا من المنازل لتزوله ، ولا الفيت شيئا من الرياض لمطوله ، ولا الذكر الحكيم لسانا من الألسنة لثقله ، ولا الجوهر الثمين شيئا من التيجان لخلوله ، ولكن لينشرف بيت بحل به القمر ، ونبت يزوره المطر ، ولسان يتعوذ بالآيات والسور ، ونضار يتجمل بالآلآء والدرر . وكذلك تجملت برسول الله صلى الله عليه وسلم أصهاره من أصحابه ، وتشرفت أنسابهم بأنسابه ، تزوج صلى الله عليه وسلم منهم ، وتمت لهم به منزلة الفخار حتى رضوا عن الله ورضى عنهم . والمرتب على هذه القاعدة إفاضة نور يستمدده الوجود ، وتقرير أمر يقارن سعد الأجنة^(١) منه سعد السمود . وإظهار خطبة يقول الثريا لا تنظام عقودها كيف ، وإبراز وصلة^(٢) يتجمل بترصيع جوهرها متن السيف ، الذي يغطيه^(٣) [على] إبداع هذا الجوهر به كل سيف ، ونسج صهارة يتم بها إن شاء الله تعالى كل أمر شديد ، ويتفق بها كل توفيق ، تتخلق الأيام وهو جديد . ويختار لها أبرك طالع ، وكيف لا تكون البركة في ذلك الطالع وهو السعيد ، وذلك أن المراحل الشريفة

(١) في الأصل : « إصال » ، والتصحيح يقتضيه السياق .

(٢) كذا في الأصل ، بدون نقطة الضاد المعجمة .

(٣) في الأصل : « الأهمية » .

(٤) وصلة بضم الواو ، بمعنى إلمامة صلة (القاموس المحيطة) .

(٥) في الأصل : « يغطيه » .

السلطانية أرادت أن تخص المجلس السامى الأمير - وذكر نعوته - بالإحسان المبشكر، وفردته بالمواهب التى تُرْفَعُ بها منه الحد المتظفر، وأن ترفع من قدره بالصَّهارة، مثل ما رفعه صلى الله عليه وسلم من قدر صاحبيه أبى بكر و عمر، فخطب إليه أسعد البرية وأمنع من تحميتها السيوف المشرفية، وأعز من تسبل عليها مستور العيون الخفية، وتضرب دونها خدور الجلال الرضية، وتتجمل بنعوتها المفود. وكيف لا، وهى الدرة الألفية. فقال والدها الأمير المذكور: هكذا ترفع الأقدار وتزان، وكذا يكون قران السعد وسعد القران. وما أسعد روضا أصبحت هذه المراحم الشريفة السلطانية له نخيلة^(١٢)، وأشرف سيفها غدت منطقة بروج سمائها له نخيلة، وما أعظمها معجزة آتت الأولياء من لدنها سلطانا، وزادتهم مع إيمانهم إيمانا، وما أغفرها صهارة يقول التوفيق لإبراهيم: ليت، وأشرفها عبودية كرمت سليمان بأن جعلته من أهل البيت. وإذا قد حصلت الاستخارة فى رفع قدر المملوك، وخصَّصْتَهُ^(١٣) بهذه المزية السنية تفاصرت عنها آمال أكابر الملوك. فالأمر للملك البسيطة فى رفع درجات عبده كيف يشاء، والتصدق بما يتفوه به هذا الإنشاء، وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا كتاب مبارك تحاسدت رماح الخط وأقلام الخط على تحريره، وتنافست مطالع النوار ومشارك الأنوار على نظم سطوره، فأضاء نور الجلاله وأشرق،

(١) فى الأصل: « . بصرف دونها حدود » .

(٢) كما فى الأصل .

(٣) فى الأصل: « المملوك » .

وهطل نوره بالإحسان فأعطق. وتناهت فيه أجناس من تجنيس لفظ التفضيل، فقال الاعتراف، هذا ما تصدق، وقال العرف، هذا ما تصدق حولانا السلطان — وذكر نعوته وألقابه — أصدقها ما ملأ خزائن الأحساب نفارا وشجرة الأنساب ثمارا، ومشكاة الجلالة أنوارا، وأضاف إلى ذلك ما لولا أدب الشرع لكان أقالم ومدائن وأمصارا. فيذل لها من العين المصرى ما هو بإسم والده قد تشرف، وبنعوته قد تعرف، وبين يدي هباته وصدقاته قد تصرف.»

ثم كان الدخول بها في شهر ربيع الأول سنة خمس وسبعين وسبعمائة.

واهتم السلطان بذلك اهتماما لم يسمع بمثله، وخلع على جميع أكابر دولته من الأمراء والمقدمين والوزراء والقضاة والكتاب. وأنعم على الأمير سيف الدين قلاوون بقرى كامل بشرىوش كان السلطان قد لبسه ثم خلعه عليه.

ذكر توجه السلطان إلى الكرك

^(١) واستبداله بمن فيها من الرجال وعوده

وفي يوم الخميس تاني عشر ذى الحجة من هذه السنة: حالة انقضاء العقد، ركب السلطان على الميكن وتوجه إلى الكرك في جمع يسير من جهة البرية، فوصل إلى قلعة الكرك في ثالث وعشرين الشهر. وكان سبب ذلك أنه بلغه عن بعض رجال القلعة أنهم عزموا على إثارة فتنة وتقل دولة، وأنهم عزموا على الوثوب بنواب السلطان بالكرك فيقتلونهم ويسلمون الحصن لأخ كان للسك القاهرة ابن الملك المعظم لأمه، كونه ينسب إلى الملك الناصر، وكان مقيا بالكرك لا يؤبه

له . فدخل السلطان إلى الكرك بنته ، واستدعى الرجاله ، وكانوا زهاء ستمائة ، وأمر بالقبض عليهم وشنقهم ، فشفع ما كان معه فيهم ، فأخرجهم من الحصن وقطع أيدي وأرجل ستة نفر منهم من خلاف ، كانوا سبب الفتنة . وكان السلطان قد استخدم رجالا يثق بهم ، وسفرهم إلى غزة ، ولم يعرف أحدا قصده بهم ، فأحضرهم إلى الكرك ورتبهم عوض من كان بها من الرجال . واستدعى السلطان الطواشي شمس الدين صواب المصيل الصالحى — وكان يتولى صناعة الإنشاء بمصر — وسلم إليه الحصن ، وفوض إليه النظر في أمواله وحواصله وذخائره . وخرج متوجها إلى دمشق في يوم الجمعة ثامن عشرين ذى الحجة سنة أربع وسبعين وستمائة .

وافئق للسلطان في هذه السفرة أمور، وشاهد أبنية ومنازل غريبة في مسيره من الديار المصرية إلى الكرك . وقد ذكرها المولى محيى الدين بن عبد الظاهر واعتذر في بسط القول فيها لغرابتها . فأحبنا أن نذكر ذلك تلخيصا .

قال : رحل السلطان من قلعته يوم الخميس المذكور فتزل ببليس ، وأقام إلى قرب وقت العصر ، ورحل فتزل رأس الماء بوادى السدير، ورحل منه في نصف ليلة السبت ، فتزل الكراع وأقام إلى غروب الشمس ، وحل الماء لكفاية يومين ، وتوجه على طريق البدرية ، وساق سوقا عنيفا إلى وقت الفجر من يوم الاثنين ، لم يرح ولم يسترح إلا بقدر ما تشرب الخيل الماء وتستوفى العليق ، فتزل جبل بدر ، ثم ركب بعد الإسفار لشدة الوعر فوصل إلى بدر ، ونزل عند العين .

(١) في الأصل « لوق » ع

(٢) في الأصل « فيها »

قال : وهى عين تخرج من جبل أخضر ليس فيه نبات ، منبعها من جهة الغرب تحت جبل شاهق ، وهى شكل مغارة متقوبة ، يدخل الإنسان منها مقدار عشرة خطى ، فيجد بيتا تقع عن يسرة الداخل إليها .

وكان السلطان قبل وصوله إلى العين قد بعث جماعة من العرب وأمرهم أن يجمعوا من ماء العين ما يكون حاصلا للورود ، فصنعوا حول العين حياضا فى الأرض شكلَ البرك محوطة بالحجارة ، وملأوها من ماء العين ، فوردما السلطان ومن معه ، وارتفقوا بها ، ولولا ذلك لهلكوا من الأزدحام على الماء . ثم دخل السلطان بنفسه إلى المغارة ، وجلس عند العين ، وكان يملأ من ماء قريتهم بيده ويتناول كل قربة لصاحبها حتى ملأوا ما معهم . ثم رحل من بدر فتزل حسنة ، وهى بئر واحدة . ورحل منها حتى انتهى إلى عين تعرف بالمليحة فوردها . ورحل وبات تحت جبل يعرف بنقب الرباعى ، فلما أصفى الصبح صعد إلى الجبل وإذا هو جبل عظيم به عقاب صمبة — وهى حجارة رخوة تشبه الرمل المتجمد ، متفجرة الألوان إلى الحمرة والزرق والبياض — وثم نقوب فى الجبل يعبر الراكب منها ، وبها أمكنة تشبه السلام من حجارة . وبها قبر هارون نبي الله أخى موسى ابن عمران ، طيها السلام ، على يسرة السالك المتوجه إلى الشام . وثم قلعة تعرف بالأصوت صعدا السلطان وشاهدها ، فوجدها من أعجب الحصون وأمنها لا يكون أحصن منها . ونزل من نقوب الرباعى إلى مدائن بنى إسرائيل ، وهى نقوب فى الجبال من أحسن الأشكال ذات بيوت بالعمد وأبواب ، وظواهر البيوت مصوقة بالنقوش فى الحجارة بالإزميل ، وكلها مخربة ، بها صور أشكال

(١) لم يستدل المحقق على تعريف هذه القلعة .

(٢) لعل المعنى هو : مزودة من التزيين والزخرفة .

وهي على قدر دور الناس المبذبة الآن ، وداخل هذه البيوت الأواوين المنورة المعقودة والصفى المتقابلة والخزائن والدهاليز والحرميات ^(١) . وليس ذلك مبغيا بل جميعه منحوت بالحديد أشكال المفاير ^(٢) .

قال : وقد خلق الله تعالى جبالين متقابلين ، بينهما طريق ، وكل جبل منهما كأنه شكل سور مرتفع ، والدور متصلة يمينا وشمالا . ثم خرج السلطان من تلك الأمكنة إلى وادى المدرة ، ثم منه إلى قرية تعرف بالمذبا ^(٣) ، عرفت بذلك لأن بها العين التي بجسمها موسى بن عمران عليه السلام بمصاه ، وكانت تجري دما ، فقال : « عد بأمر الله ماء عذبا » فعادت العين ماء حلوا رائقا باردا . فبات السلطان بها ، ورحل منها ليلة السبت حادى عشرين الشهر ، فوصل قلعة الشوبك نصف نهار الأحد ، وخيم هناك ، وحضر أمراء بنى عقبة وغيرهم من أمراء العربان ، وقدموا الحبول والمجن وغير ذلك ، ثم رحل من الشوبك نصف نهار الاثنين على طريق الحصا ، فوصل إلى الكرك نصف نهار الثلاثاء ثالث عشرين الشهر .

قال : ولما كان فى سابع وعشرين الشهر يوم الجمعة خرج السلطان إلى باب قلعة الكرك ، وأحضر رجالها ، وذُكر من خبر إنراجهم نحو ما تقدم .

وفى هذه السنة : توفى الملك المسعود جلال الدين عبيد الله بن الملك الصالح حماد الدين إسماعيل بن الملك العادل سيف الدين أبى بكر محمد بن أيوب .

(١) الحرميات بحسب سياق الكلام : أجنحة متكاملة من الدور واللفظ موله غير موجود فى القاموس .

(٢) المفاير هى المفايرات .

(٣) كذا فى الأصل ، وأمم العين بحسب السياق يجب أن يكون « المذبا » كما ورد هنا أم « الدبا » كما ورد فى النسخة « ح » .

وكانت وفاته بدمشق في خامس عشر جمادى الآخرة ودفن بسفح قاسيون . وكان من أجل الناس صورة وأطفالهم خلفا وأكثرتهم أدبا ، كثير المكارم وحسن العشرة ، رحمه الله تعالى .

وفيهما : توفي الصاحب موفق الدين أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد المذحجي الآمدي ، وكان من أعيان الأكابر ممن يرشح للوزارة ، وولى نظر الدواوين ثم رتب آخرنا ناظر الكرك والشوبك ، فباشر ذلك مكرها ، واستقر على ذلك إلى أن مات بالكرك . وكانت وفاته في ثامن عشر ذى الحجة ، ودفن قريبا من مشهد جعفر التيار رضي الله عنه .

وفيهما : في يوم الأحد ثالث عشر شهر ربيع الأول كانت وفاة الأمير ركن الدين خاص ترك الكبير بدمشق ودفن بقاسيون ^(١) .

وفيهما : في العشرين من شهر رمضان توفي الشيخ الإمام الفاضل تاج الدين أبو الحسن علي بن الأنجب البغدادي - المعروف بابن الساعي - المؤرخ خازن كتب المدرسة المصنعية ^(٢) . كان فاضلا ، وله تاريخ مذيّل على تاريخ ابن الأثير الحزري ، رحمهما الله تعالى .

(١) انظر الملوك (ج ١ ص ٩٢٤ ص ٩٠٨) .

(٢) راجع بذرات الذهب (ج ٣ ص ٣٤٤ - ٣٤٤ وفات عام ٩٧٤ هـ) .

وامتلت سنة خمس وسبعين وستمائة^(١)

ذكر وصول جماعة من أمراء الروم إلى

خدمة السلطان وطاعتهم له^(٢)

قال : ووصلت الأخبار أن جماعة من أمراء الروم اظهروا طاعة السلطان وتجاهروا بذلك . وأن البرواناه أنفرد عنهم وتقرب إلى التتار ورجع عما كان مشتركا معهم فيه من طاعة السلطان ، وتوجه إلى الأردو وطلب من أكابر أمراء الروم النجاة بأنفسهم^(٣) ، وأخذ الأمير شرف الدين مسعود بن الخطير وأخوه ضياء الدين محمود : السلطان غياث الدين صاحب الروم ونوجها به إلى قلعة^(٤) نكبدة ، وكتبوا السلطان . وكذلك الأمير حسام الدين بختجار وولده الأمير بهاء^(٥) وأولاده ، وجماعة من الأمراء وهم اثنا عشر أميرا ، وطلبوا من السلطان أنه

(١) في الأصل : « وسبعائة » وهو مبرور .

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٦٢١ ، ٦٢٥ في أخبار عامي ٦٧٤ ، ٦٧٥) .

(٣) في الأصل : « لأنفسهم » .

(٤) مفعول أخذ هو السلطان كيكاوس بن كيخسرو غياث الدين صاحب الروم ، وقارن أيضا عبارة السلوك (ج ١ ص ٦٢٩) .

(٥) في الأصل : « بلدة » بدون رأس الكاف . وكذا برا ما يحذف الناصب ورأس الكاف .
أما ما قرئت فإنه يرسم « نكبدا » بالالف ، ويقول أنها مدينة قديمة صغيرة بينها وبين هراقله ثلاثة أيام ورجها وبين هراقله ثلاثة أيام من جهة الشمال .

(٦) وينبغي في السلوك بالرومي (ج ١ ص ٦٢٥ ص ٥) - وضبط الام مفعول من السلوك .

(٧) كما في الأصل .

يتداركهم بعسكره . فركب [السلطان] من الكرك كما تقدم ، ووصل إلى دمشق في رابع عشر المحرم ، فوصل الأمير حسام الدين بختيار والأمير بهاء الدين بهادر وولده [أحد] ^(١) ، ثم وصل بعدهما الأمير سيف الدين حيدر بك صاحب الأبلستين ^(٢) ، والأمير مبارز الدين [سواربن] الجاشنكير وجماعة من أمراء الروم ، فتلقاهم السلطان بنفسه وأحسن إليهم ووصل حرّهم وأولادهم ، فجهزهم إلى الديار المصرية . وكتب السلطان إلى الأمير بدر الدين بيسرى والأمير شمس الدين أفش [البرلى] [و] قطلجبا ، فحضرا إلى دمشق على خيل البريد ، فطلب الأمير شمس الدين سنقر الأشقر . وتوجه السلطان إلى حاب ، وجهز الأمير سيف الدين بلبان الزينى الصالحى وصحبته جماعة من العسكر ، فوصلوا إلى عين تاب ، وقرر معهم التوجه إلى القلعة التى بها السلطان غياث الدين وابن الخطير . فورد كتاب الزينى أنه وصل إلى كرسو ^(٣) ، فبلغه أن التار وصلوا إليها أيضا ، وبقي بينه وبين العدو النهر ، وجالوا بين العسكر وبين قلعة نكبدة ، فرجع العسكر إلى

(١) الإضافة من السلوك (ج ١ ص ١٢٥ ص ٩) .

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٦٢٥) .

(٣) أبلستين : بالفتح ثم الغم ولام مضبوطة ودين مهملة ساكنة ، وناء مفتوحة وهى مدينة

قرية من مدينة أصحاب الكهف (معجم ياقوت ج ١ ص ٨٦) .

(٤) الإضافة من السلوك (ج ١ ص ٦٢٥ ص ٨ - ٩) .

(٥) كذا فى الأصل .

(٦) مر ذكره من قبل فى هذا المتن وهو غير أفش البرلى ولهذا أضفنا وار العطف .

(٧) كذا فى الأصل . وتبدل الجملة ناقصة .

(٨) ويرسم الامم أيضا بالقاف « فراعصو » : وهو من روافد الفرات .

عين ناب ، وهرب شرف الدين بن الخطير^(١) إلى بعض القلاع فتقرب إلى العدو بتسليمه [السلطان] إليهم . وبقي أخوه ضياء الدين في خدمة السلطان [الظاهر بيبرس] لأنه كان حضر إليه مستنجدا وسير هذا العسكر بسبب حضوره . وأما السلطان غياث الدين فلم التار أنه محكوم عليه ففعلوا عنه ، وسلموه إلى صاحب البرواناه .

وعاد السلطان إلى دمشق ومنها إلى الديار المصرية ، فدخل قلعة الجبل في رابع عشر شهر ربيع الأول سنة خمس وسبعين وستمائة ، فأقام إلى شهر رمضان من السنة وتوجه إلى الشام في العشرين من الشهر ، فكانت غزوة الروم ، حل ما ذكر ذلك إن شاء الله تعالى ، في الفزوات .

ذكر ظهور المسجد بجوار دير البغل

واقامة شعائر الإسلام به

وفي التاسع عشر من شوال من هذه السنة : خرج جماعة إلى دير البغل المعروف بدير البغل ظاهر مصر ، فأرأوا أثراب بجوار الدير ، فدخلوا المكان فأرأوا آثار محارب المسلمين ، فأنهوا ذلك إلى صاحب بهاء الدين ، فتقدم إلى القاضي بهاء الدين ناظر الأحباش أن يتوجه وصحبته نواب الحكم والمدول والمهندسون ومن يعتبر حضوره في مثل ذلك . فتوجه وصحبته القضاة [و] المشايخ : وجيه الدين البهنسي ، وظهير الدين الترميقي ، وعلم الدين السمنودي نائب الحكم ، ونظام الدين الخليلي ، وجماعة من المهندسين ، فشاهدوا المكان ورأوا به من

(١) في الأصل : ابن الخطيب ، والتصحيح من النص نفسه في صدر الخبر .

(٢) انظر السيرة (ج ١ ص ٦٢٩) .

من الأتار ما يدل على أنه مسجد، وشهدوا بذلك عند القاضي نجم الدين السعيد بنودى فائتبه ، ونقل الحكم إلى قاضى القضاة محيى الدين بن عين الدولة . وطولع الملك السعيد بذلك ، فأمر صاحب بهاء الدين بعمارته وإقامة من يحتاج إليه من إمام ومؤذن وزيت وفرش ، فرتب ذلك له ، وهو باق إلى يومنا هذا .

وفى هذه السنة فى رابع شوال : كانت وفاة صاحب بدر الدين جعفر بن محمد بن على بن محمد المذبحى الآمدى ^(١) بدمشق وهو يومئذ ناظر النظار بها ، ودفن بقاصيون . ومولده فى سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، وكان هو وأخوه موفق الدين من أمته المباشرين وأرباب السر على الكتاب ، ولقب كل منهما بالصاحب ، ولم يلها وزارة . ولما حضرا من بلاد آمد فى سنة ثلاثين وستمائة هما وابن اختهما شمس الدين ، لما نقل الملك الكامل أهل آمد منها . فلما عبرا الفرات قال موفق الدين لهما : « اعلمنا أننا نقدم على بلاد لا نعرف فيها أحدا ، وليس لنا فيها معين إلا الله تعالى ، فتعاهدنا بالله تعالى ، على الأمانة والأخون السلطان ولا الناس . فتعاهدوا على ذلك ودخلوا إلى الديار المصرية . وولوا المناصب فوفيا بما عاهدوا عليه ، وتكثرت ابن اختهما شمس الدين ، فسلما فى مباشرتهما . وكان شمس الدين كثير النكبات والمصادرات .

وقبها : كانت وفاة الشيخ الصالح برهان الدين أبى إسحق بن سعد الله بن جماعة ابن على بن جماعة الكنتانى الحموى بانقدهم الشريف يوم عيد الفطر ، رحمه الله تعالى .

(١) ردد ذكر أخيه فى قسم هذا المتن فى رفاة السنة الماضية .

وفيها : كانت وفاة القاضي شرف الدين محمد بن يشكور المصري الكاتب ،
 ولى مناصب جليلة ، منها : نظر الجيش ونظر الدواوين بالديار المصرية . وكان
 بينه وبين الصاحب بهاء الدين مصاهرة ووحشة . وكانت وفاته بداره على الخليج
 بالقرب من مصر في ليلة الأحد خامس عشرين جمادى الأولى . ودفن يوم الأحد
 بالقرافة الصغرى . ومولده سنة ست عشرة وستمائة .

وفيها : توفى الأمير عز الدين إيفان ولا دمر الركنى المعروف بدم الموت في
 محبسه بقلعة الجبل ، وسلم إلى أهله في يوم الخميس ثامن عشر جمادى الآخرة ،
 فدفن من يومه بمقابر باب النصر . وكان من الأمراء الأكابر ، وقد تقدم ذكر
 اعتقاله .

هذا آخر ما لخصناه من الحوادث في الأيام الظاهرية ، فلنذكر الفزوات
 والفتوحات الظاهرية .

(١) كذا في الأصل . وراجع السلوك (ج ١ ص ١٢٢ ص ١٦ ، ص ٥٢٣ حاشية ٢)

أما وصف « ولا دمر » فلا يوجد له نظير في السلوك .

(٢) راجع ما تقدم ص ١٨٠ من هذا الجزء .

ذكر غزوات السلطان الملك الظاهر وفتوحاته

وما استولى عليه من البلاد الإسلامية

ولنبدا من ذلك بذكر ما استولى عليه من البلاد الإسلامية مما كان بيد غيره من الملوك وأصحاب الحصون . ثم نذكر الغزوات والفتوحات على مساقها بمقتضى ما يقدمه التاريخ ويؤثره توفية للشرط الذى شرطناه .

ذكر ما استولى عليه من القلاع والحصون والبلاد الإسلامية

وأضافه إلى ممالكه

كان مما استولى عليه السلطان الملك الظاهر من القلاع والحصون والبلاد بعد أن استقر فى الملك : الشوبك ، والكرك ، وقاعة البيرة ، وحصص ، والرحمة . وقد تقدم ذكر ذلك فى أثناء أخباره فلا فائدة فى إعادته . واستولى على خلاف ذلك مما نذكره الآن وهو : سواكن من بلاد اليمن ، وخير من بلاد الحجاز ، وقرقيسيا ، وبلاطنس ، وصهيون ، وبرزية ، وحصون الدعوة من الشام وما والاها .

ذكر فتوح سواكن

كان فتحها فى سنة أربع وستين وستمائة . وسبب ذلك أن صاحبها [الشريف] علم الدين أسبغاني كان قد تعرض للتجار ، وأخذ ميراث من مات^(١)

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٠٦ ص ١٢ ص ٥٥٠ ص ١٠ — ١٤ ص ٥٥٨ ص ٢

منهم في البحر ومنع أولادهم منه ، وكونب في ذلك وحذر من العود إليه ، فلم تنف المكاتبات شيئا . فوَّسم الأمير علاء الدين الخزندار متولى الأعمان القوسية والأعمال الإنجمية ، فقصده ، فورد كتابه أنه وصل إلى نهر عيذاب وصير مسكرا إلى سواكن فهرب صاحبها ، ثم توجه علاء الدين المذكور إليها من عيذاب في عشرة أيام ، وكان معه من المراكب الكبار والصغار نيف وأربعون مركبا ، ووصل إليه من القصير كلالين ^(١٢) موسقة بالمقاتلة ، ودخل سواكن وأقام بها ومهدا وقرر أحوالها ، ثم رجع إلى مدينة فوس . ولما فارق سواكن عاد صاحبها إليها فقاتله من بها أشد قتال ، وعاد منها .

ذكر فتوح خير ^(١٣)

كان فتحها في سنة اثنتين وستين وستمائة ، وذلك أن أصحابها عبيد عل بن أبي طالب ، رضى الله عنه ، وصلت كتبهم إلى السلطان يبذلون الطاعة والخدمة ، فسير نجابين ^(١٤) تستصح الأخبار ، وندب الأمير أمين الدين موسى بن التركمانى ، وجهز الزمارة والمقاتلة ، وأنفق فيهم الأموال وجهز الخلع للقدمين والمشايخ وكتب إلى نائب الكرك تجهيز أسراء العربان وجماعة من البحرية صحنه ، وجهز الغلال والذخائر لهذه القلعة ، فتوجه الأمير أمين الدولة وافتتحها .

(١) نوع من السفن .

(٢) انظر الملوك (ج ١ ص ٥٢٠ - ٥٢١) .

(٣) كذا في الأصل .

ذكر فتوح قرقيسيا^(١)

وقرقيسيا هذه من أقدم المدن ، وكانت تعرف بالزباء الملكية . وفيها يقول

ابن دريد :

فاستقر الزباء قمرها وهي في عقاب لوح الجو أعلا مشعا^(٢)

وكان السلطان قد راسل أهلها ، وسير إليها الأمير كمال الدين الطووي وملكها وأقام بها مدة ، فقصدها التتار ، فعاد كمال الدين إلى السلطان وتركها . وفي شهر رمضان سنة ثلاث وستين وستمائة ، أرسل مقدموها إلى عز الدين السكندري النائب بالرجبة^(٣) ، وسأله عفو السلطان وسيروا رهائنهم . فتوجه إليها جماعة من الخيالة والأخبة ، وساقوا من أول الليل إلى نصفه وبانوا على ماكسين^(٤) ، فلما أصبح الصبح أحاط بها المسلمون والعسكر وقتلوا من كان بها من عسكر التتار والكرج ، وأمسروا من المرتدة نيفا وثمانين نفرا ، وتسلموا الجسر ومراكبه والسلسلة ، في نصف الشهر .

(١) قرقيسيا ، بالفتح ثم السكون ، ويقال ياء واحدة ، وهي مغرب كركيسيا ، وعندها نصب

الخابور في الفرات (معجم باقوت ج ٧ ص ٥٨) وراجع أيضا السالك (ج ١ ص ٥٢٧) .

(٢) بيت شعر .

(٣) إذا نزل الرجبة دون وصف آخر فالمقصود رجبة مالك بن طوق وهي على الفرات أسفل قرقيسيا وقد خصص باقوت لذكرها التاربخة والطبيعة الرجبة الجغرافية عدة صفحات (ج ٤ ص ٢٤٩) .

(٤) ماكسين بكسر الكاف بلد بالخابور قرية من الرجبة من ديار ربيعة معجم باقوت (ج ٧ ص ٢٩٩) .

ذكر أخذ بلاتنس وخبرها^(١)

كانت بلاتنس جارية في مملكة الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام ، فلما دخل التار البلاد استولى عليها الأمير مظفر الدين عثمان صاحب صهيون^(٢) ، فطلب السلطان منه رد هذا الحصن ، فصار يدافع ويقول : « أنا من جملة النواب » . فلما توجه السلطان إلى أنطاكية سير إليه هدية ردها السلطان عليه ، وسير جماعة من عسكر حلب أغاروا عليها . فتوالت رسله بالإذعان بالتسليم ويطلب قرية توقف عليه ، فعين السلطان له قرية الحلمة^(٣) من بلد شيزر، ووقفها عليه وعلى أولاده ، وقرر أن يعطى صاحب بلاتنس شيئاً من بلد صهيون فقرر له السلطان منها بلادا تغل ثلاثين ألف درهم، وتسلمت بلاتنس منه في سادس عشر شهر رمضان سنة سبع وستين ومستمائة .

وهذا الحصن من جملة معاقل الإسلام الحصينة لأنه يرى بحرى مهلى ، ما أخذ بالسيف قط ، بناه رجال يعرفون بنى الأحمر من أهل الجبال وحصنوه ، فلما جمع بهم قطبان أنطاكية المسمى ببقيطا عاجلهم قبل إتمامه فملكه بالأمان ، وأخذ في تحصينه وإتمام بنائه ، وذلك في سنة اثنين وعشرين وأربعمائة . فلما كان

(١) عن بلاتنس راجع السلوك (ج ١ ص ٥٧٩ ، ٩٤٥) .

(٢) صهيون بكسر الصاد ، حصن حصين في طرف جبل استرده صلاح الدين من يد الصليبيين عام ٥٨٨ هـ ، راجع معجم ياقوت ، (ج ٥ ص ٤٠٢) .

(٣) هنا اضطرب ترتيب الصفحات أثناء التجليد ، وقد صحح الترتيب على أساس التوثيق والدياق والمقارنة بمثل السلوك .

(٤) الحلة أو الحكمة موضع لم يستطع المحقق التعريف به ، من الكتب الجغرافية المتداولة .

(٥) في الأصل : « تعمل » .

في سنة إحدى عشرة وخمسمائة ، خرج روجار صاحب أنطاكية فدخل بلاد الإسلام ، وقصد حصن بلاطس وفيه بنو ضليعة أولاد أنى القاضي شرف الدين ، فقتل على بلاطس في يوم الثلاثاء ثامن عشرين ذى الحجة من السنة ، وأجلب عليه قتلته في يوم السبت ثاني عشر المحرم سنة ثلث عشرة ، وعرضهم عنه بأنطاكية ثلاث قرى . فلما كان في يوم السبت سابع وعشرين شعبان سنة ثلاثين وخمسمائة وثب أهل بلاطس على من فيه من الفرنج فقتلوه ، فاحتمت عليهم القلة . فأرسل أهل الجبال إلى منكجك التركمانى صاحب بكرمرايل^(١) يستجدونه فأتاهم وأقام يحاصرها مدة . فعمل الفرنج الذين بها حيلة عليه ، وراسلوه وبذلوا له تسليمها على شرط أن يخفف نساءهم وأولادهم حتى يصلوا إلى جبلة أو إلى صهيون . فإذا جاءت لهم العلامة بوصولهم سالمين سلموها له ، فلما وصلهم امتنعوا من التسليم . وكان ذلك حيلة منهم ، فإن الأقوات ضاقت عندهم وضائق الغلة عليهم ، فاستراحوا بخروجهم عنهم وقويت نفوسهم . وانصل الخبر بأنطاكية فسيروا إليها عسكريا فدفعه عنها . واستقرت بأيديهم إلى أن ملكها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب على ما قدمناه .

^(٢) ذكر تسليم صهيون وبرزية

وفي سنة إحدى وسبعين وثمانمائة : تسلم السلطان صهيون وبرزية ، وذلك

(١) في الأصل : « بكرمرايل » والصحيح من مجسم ياقوت ، والمقصود حصن من سواحل

حصن مقابل جبلة ، وادم صاحبه المذكور هنا لم يرد في الأعلام المذكورة في السلوك .

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٦٠٩) ومن مجسم ياقوت (ج ٢ ص ١٢٦) أن برزية هي نطق

للغامة أما الأصل فهو برزوية . وهو حصن على سن جبل شاهق قرب الساحل يضرب به المشل

في الحصانة . وقد استرده صلاح الدين من الصليبيين عام ٥٨٨ هـ .

أن صاحبها الأمير سيف الدين محمد بن الأمير مظفر الدين عثمان بن ناصر الدين منكورس بن بدر الدين نمردين توفي في هذه السنة كما تقدم ، وكان السلطان يومئذ بدمشق فاستدعى ولده الأمير سابق الدين سليمان فحضر^(١) ، وأقطعته إمرة باريمن فارسا ، فكتب إلى عمه جلال الدين بتسليم القلعة إلى نواب السلطان بذخاثرها ، فسلموا ذلك في ثاني عشر شهر ربيع الأول منها . وأقطع السلطان عميه جلال الدين مسعود ومجاهد الدين إبراهيم ، كل منهما إمرة عشرة طواشية ، ووصل أهل صاحب صهيون إلى دمشق .

ذكر أخبار الإسماعيلية وابتداء أمرهم

والاستيلاء على حصونهم

أول من قام بدعوتهم الحسن بن الصباح المعروف بالكيال ، وهو من تلامذة ابن عطاءش الطيب . قدم مصر في زمن المستنصر العيسى في ربي ثمانين وأربعمائة ، ودخل عليه وخاطبه في إقامة الدعوة ببلاد المعجم فأذن له . وكان الحسن كاتباً للرئيس عبد الرزاق بن بهرام بالوى . وادعى أنه قال للمستنصر : « من إمامي بعدك ؟ » فأشار إلى نزار : فن هتاسموا بالترارية . وقال ابن الصمغاني في تاريخه : إسماعيل بالإسماعيلية لأن جماعة من الباطنية ينسبون إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق لانتساب زعيمهم المصري إلى

(١) كذا في الأصل . وهو في السلوك (نفس المرضع) : « أحمد » .

(٢) كذا في الأصل . وهو في السلوك (نفس المرضع) : « منكورس » .

(٣) في الأصل : « سليمان » والأرجح سليمان لأن أسماء المعروفين من آخره وأسماء المذكورين هنا كلها أسماء عربية .

(٤) كذا في الأصل . دون نقط .

محمد بن إسماعيل المذكور . وكان أول إظهار دعوتهم بالأموت وطلوع أعلامه في سنة ثلاث ومائين وأربعمائة . وجرى لنزار ما قدمناه بعد وفاة أبيه ومسك من الإسكندرية وجرى به إلى القصر فكان آخر المهدي . وافصل أهل الأموت من العبيدين من ذلك الوقت . وشرع الإسماعيلية في افتتاح الحصون ، فأخذوا قلعة وبنوا أخرى وأظهروا شغل السكين . وأول حملهم بالسكين : أن ابن الصباح كان ذا دين في الظاهر ، وله جماعة من نسبه يتبعونه ، فلما حضر من مصر إلى الأموت وهي حصينة وكان أصحابها ضعفاء ، فقالوا لأصحابها : « نحن قوم زهاد نعبد الله ونشتري بكم نصف هذه القلعة ونقيم معكم نعبد الله » . فاشتري نصفها بتسعة آلاف دينار . ثم قوى واستولى عليها وصاروا جماعة ، فبلغ خبرهم ملك تلك البلاد ففصدهم بمساركة . فقال وجل منهم يعرف بعلي اليعقوبي : « أى شيء يكون لى عندكم إن كفيتم أمر هذا الجيش ؟ » قالوا : « نذكرك في تسايحنا » . فقال : « رضيت » . فنزل بهم وقسمهم أرباعا في أرباع المسكر وجعل معهم طبولا . وقال : « إذا سمعتم الصايح فاضربوا الطبول وقولوا يا آل علي » . ثم هجم بهم على المملك فقتله فصاح أصحابه ، فضرب أولئك الطبول ، فامتلات قلوبهم خوفا وهربوا لا يلوى منهم أحد هل أحد ، وأصبحت خيامهم خالية ، فنقلوا ما فيها إلى القلعة . وصنوا السكين من ذلك الوقت .

(١) في الإحالة السابقة تحدث أنوف عن ابن الصباح رحله بصيفة الغائب ثم عطف هذه الإحالة

على السابقة متحدثا عن ابن الصباح وعن جماعته بصيفة جمع الغائب .

(٢) في الأصل : « وقول » . والهاء يحتاج إلى جمع المخاطب في صيغة الأمر .

(٣) في الأصلي : « فلقروا » .

ثم بعثوا داعياً من دعائهم يعرف بابي محمد إلى الشام فملك قبالاً من بلاد
الناصرية .

ثم ملك بعده مسنان : وهو مسنان بن سليمان بن محمد البصري ، وأصله من
قرية من قرى البصرة تعرف بعقر السدن^(١) . وأقام في الشام نيماً وثلاثين سنة ،
وكان يلبس الخشن ، ولا يراه أحد يأكل ولا يشرب ولا يبول ولا يبصق ، بل
يجلس على صخرة ، فاعتقدوا فيه التآله .

ثم ولي مكانه أبو منصور بن محمد وكان ابن الصباح ، الذي قدمنا ذكره .
[و] لما قتل نزار طالبوه به ، فقال : « إنه بين أعداء كثيرة والبلاد بعيدة ولا يمكنه
الحضور ، وقد عزم على أن يختفي في بطن امرأة ويجيء سالماً ويستأنف
الولادة » . ففطنوا بذلك ، وأحضروا لهم جارية قد أحباها وقال : « إنه قد اختفى
في هذه » ، فمظموها فولدت ابناً سماه حسناً . وقال : « نغير الاسم لتغيير الصورة » .
ومات حسن في سنة خمس عشرة وخمسمائة ، وخلف ولده عمداً . ولمحمد ولد
اسمه حسن خلف أباه بعد موته . ولما سمع ملك خوارزم شاه قصد بلادهم .
فاظهر محمد بن حسن هذا أنه رأى على بن أبي طالب في المنام يقول له : « تميد
شعار الإسلام وفرائضه وسنة » فعرّف جماعته بذلك . ثم قال لهم : « الدين
لنا ، نتصرف تارة بوضع التكليف عنكم ، وتارة نأخذها منكم » . فقالوا :

(١) عقر السدن من قرى البصرة (راجع معجم القوت ج ٩ ص ١٩٩) .

(٢) الإضافة بفتحها الساق .

« السمع والطاعة » فكتب إلى بغداد وسائر البلاد بذلك ، واستدعى القراء والفقهاء واستخدم أهل قزوين في ركابه . وسير الخليفة رسولا صحبة رسوله إلى حلب بتقوية يد نوابه وأن يقتل النائب القديم وبولى هذا الواصل ، فخلصوا بذلك من صولة خوارزم شاه .

هذا ابتداء أمر هذه الطائفة . وقد ذكرنا طرفا من أخبارهم فيما تقدم ، فلنذكر سبب الاستيلاء على بلادهم ، وكيف انتزعها السلطان الملك الظاهر منهم .

ذكر استيلاء السلطان على بلاد الإسماعيلية

وشيء من أخبارها^(٢)

وهي مصياف والعليقة والرصافة والكهف والمنيقة والقُدُموس والخوابي^(١) .

وكان السلطان الملك الظاهر ، رحمه الله ، قد كمر شوكة هذه الطائفة الإسماعيلية ، وأبطل رسومهم التي كانت مقررة لهم من ملوك الديار المصرية ،

(١) يفتح ثم سكون ، مدينة مشهورة غربى الزى (طهران الحالية) ، وبينها وبين بلاد الديلم فى الشمال جبل . وتوجد أحداث كثيرة فى الحث على المقام بقزوين لكونها من النفوس (مجمع ياقوت ج ٧ ص ٨١) .

(٢) كذا فى الأصل بدون نقط .

(٣) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٨٦ — ٥٨٧) .

(٤) أو مصياف بحسب قول ياقوت (ج ٨ ص ٨٩) وهو حصن مشهور للإسماعيلية قرب طرابلس .

(٥) كذا فى الأصل ، بتقديم النون على الياء . وفى السلوك بالعكس بتقديم الياء على النون ، راجع السلوك (٢ : ص ٥٧٨) .

وقرر عليهم قطعة^(١) يحملونها إلى بيت المال . ثم لم يرضه ذلك إلى أن استولى على حصونهم واقتربها من أيديهم .

وأول ما استولى عليه من حصونهم مصياف : استولى عليها في العشر الأوسط من شهر رجب سنة ثمان وستين وستمائة . وذلك أن السلطان كان قد حضر في جمادى الآخرة من هذه السنة إلى حصن الأكراد^(٢) وأغار على البلاد الساحلية ، ونزل بالقرب من البلاد الإسماعيلية ، وحضر إلى خدمته صاحب حماة وصاحب صهيون ، ولم يحضر نجم الدين [حسن]^(٣) ابن صاحب الإسماعيلية ولا ولده شمس الدين . وسيروا يطلبون أن ينقصوا من القطعة التي كانوا يقدمون بها للفريج وأبطلها السلطان وتفررت لبيت المال . وكان السلطان قبل ذلك قد غضب على صارم الدين ابن [مبارك] الرضى صاحب العليقة لأجلهم ، فتوصل صاحب صهيون في إصلاح أمره ، فحضر إلى السلطان فرضى عنه وقبلة بلاد الدعوة استقلالاً ، وأعطاه طلبخانة ، وعزل نجم الدين وولده من نيابة الدعوة . ونعت صارم الدين بالمسحورية على عادة نواب الدعوة ، وتوجه في سابع عشر جمادى الآخرة

(١) القطعة ضريبة . راجع السلوك (ج ١ ص ٢٨٨ حاشية ٩) .

(٢) من معجم يا قوت (ج ٣ ص ٢٨٤) أن حصن الأكراد حصن منيع على الجبل الذي يقابل حصن من جهة الغرب ، وأمامه جبل الجليل . وكان بعض أمراء الشام جعل في موضعه قوما من الأكراد طلبية بينه وبين الصليبيين ، وأجرى لهم أدواً إلى أن صار الموضع قلعة حصينة سماها باسم ساكنيها . وراجع أيضاً السلوك (ج ١ ص ٥٨٦ حاشية ٢) من نزول الإسماعيلية به مقبلة الاعتلاء على القدس .

(٣) الإضافة ضرورية للتعريف ، وهي منقولة عن السلوك (ج ١ ص ٥٨٦) .

(٤) العليقة من حصون الإسماعيلية ، والضبط هنا وفي كل فلاح الإسماعيلية منقول عن السلوك

وما ورد فيه من مصادر (نفس الموضع ص ١٤) §

(٥) بلاد الدعوة هي بلاد الإسماعيلية .

وصحبته عز الدين العديبي أحد مفاردة الشام لتفسير أمره ، وجرده صحبته جماعة من شيزر^(١) وغربها ، فوصلوا إلى مصياف وتحدثوا مع أهلها ، فامتنعوا ، فسير السلطان إليهم ، فسلموها في العشر الأوسط من شهر رجب .

ومصياف هذه كرمى مملكة الدعوة ، وبها أكابرهم ، ومنها رسلهم إلى الملوك ، فلما علم نجم الدين بولده سرعة هذا الاستيلاء سألوا الحضور . وحضر الصاحب نجم الدين [حسن] وعمره تسعون سنة ، فرح به السلطان وعفا عنه وولاه النيابة شريك لابن الرضى لأنه صهره ، وكان أبوه هو المشار إليه . وقرر حل مائة وعشرين ألف درهم في كل سنة . وتوجه نجم الدين وبقي ولده ملازما باب السلطان ، وتقرر على صارم الدين بن الرضى حل ألفى دينار في كل سنة .

وكانت مصياف قديما بيد الأمير وثاب بن محمود بن نصير بن صالح بن مرداس^(٢) من أمراء بني كلاب في سنة خمس وتسعين وأربعمائة ، فلما ولد ناصر الدين سابق ، فباهاها لمر الدين أبي العساكر سلطان بن منقذ في سنة إحدى وعشرين وخمسمائة ، وجعل فيها الخاجب مستقر ، فقتله الباطنية وملكوا الحصن في سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ، وبقي في أيديهم إلى الآن .

ذكر فتوح العليقة والرصافة

هذا الحصن من أمع الحصون ، وكان مخصصا بالرضى ، ثم بولده صارم الدين ، فاجرت من المذكور أمور أوجبت اعتقاله بمصر ، ورسم للمسكر المقيم

(١) شيزر بتقديم الزاى ونفعها ، قرب الممر ، معجم ياقوت (ج ٥ ص ٢٢٤) .

(٢) في الأصل : « برداس » ، وهو اسم غير معروف في الأسماء العربية .

ببيلاطس بمنازلتها ، وسير إلى عبد الظاهر النائب بها وإلى جماعة من أهلها بالترغيب والترهيب ، فتسلمها نواب السلطان في يوم السبت حادى عشر شوال سنة تسع وستين وثمانية ، واستخدم بها الرجال ، ثم هجم نواب السلطان على الرصافة ، وملك في آخر الشهر المذكور .

ذكر فتوح بقية حصون الدعوة

كان قد تقرر على صاحب نجم الدين عند وصوله إلى السلطان مائة ألف وعشرين ألف درهم في كل سنة ، واستقر أن يكون هو وولده في خدمة السلطان ، واستقر شمس الدين في محبة ركاب السلطان ، فنسب إليه أنه كاتب الفرنج . فحضر والده نجم الدين في سنة تسع وستين وثمانية عند فتوح حصن الأكراد فاعتذر عنه ، وتحدث هو وولده المذكور مع الأتابك في تسليم القلاع ، وأنهما يحضران إلى باب السلطان ، فأجابهم إلى ذلك . وتوجه شمس الدين إلى الكهف لتدبير أمور أهله في عشرين يوما ويعود ، وسافر أبوه في الخدمة إلى القرين ثم إلى الديار المصرية ، فحضر ولده وصار يعتذر عن الحضور . فكتب إليه السلطان : « أن الذى كنتم سألتموه من تسليم القلاع كأنكم رجعتم عنه ، والوعد الذى وعدناكم نحن ما نخلفه ، من أننا نعطيك إمرة بأربعين فارسا ، وقد تسلم والدك الإقطاع » . فورد جوابه يعتذر عن الحضور ويطلب حصن العليقة ،

(١) هكذا ضبط في السلك (ج ١ ص ٥٧٩) نقلا من معجم البلدان ، وهو حصن بين اللاذقية وحلب .

(٢) في النسخة « س » : أن ولده هو شمس الدين .

(٣) القرن قرب صدد ، وكان من كراقرم رحان البهتوتون ، راجع السلك (ج ١ ص ٩٢٢) .

حاشية (٣) .

(٤) نسي الأصل لإنهاء الرأى .

وأنه يسلم بقية الحصون . فأجيب إلى ذلك . وسير السلطان الأمير علم الدين
 صنجر الدوادارى وقاضى حصن فتحاً شمس الدين بحصن الكهف ، ثم طالبوه
 من التسليم^(١) فامتنع أهل الكهف من ذلك باتفاق منه ، فمادت الرسل بذلك . ثم
 أهدى إليه الأمير علم الدين الدوادارى وعلم الدين شقير مقدم البريدية ، فتمنا من
 الدخول إلى الكهف ، ولم تؤخذ منهم الكتب . فأمر السلطان بمضايقتهم ،
 فندم شمس الدين ونزل من الكهف ، وجاء إلى السلطان بظاهر حماة فى سادس
 وعشرين صفر سنة تسع وستين ، فأكرمه السلطان ، فسير ورقة إلى السلطان
 يقول : « إن أهل الكهف كانوا جهزوا فدوية إلى الأمراء . » فغضب
 السلطان وأمر بإمساكه فى الوقت وإسأك أصحابه ، وسيروا إلى مصر .
 واستمرت مضايقة حصونهم ، وأُسيك وإلى الدعوة والناظر بسرين^(٢) ، وكان
 لهم أقارب بالخوابى ، فأشار عليهم الأمير سيف الدين بليان الدوادار بمكاتبة
 أقاربهم بالتسليم . فحضر منهم جماعة ، وأعطاهم السلطان الخلع والنفقات
 وأجراهم على رسومهم ، فسلموا حصن الخوابى فى سنة تسع وستين وستائة .
 واستمر امتناع أهل الكهف والمنيقة والقدموس من التسليم ، فرسم السلطان لللك
 المنصور بمضايقة الكهف . واستمر ذلك إلى أواخر سنة إحدى وسبعين وستائة .

فأما المنيقة : فتسلمها نواب السلطان فى ثالث ذى القعدة من السنة .

والقدموس : حضر جماعة من أكابر أهلها وبذلوا الطاعة وتسلَّمت فى ذى

القعدة .

(١) كما فى الأصل ، والأصح طالبوه بالتسليم .

(٢) سرين : بفتح السين وكسر الميم ، من أقاليم حلب ، وأهلها فى ذلك الوقت من الإسماعيلية

وابن معهم يافوت (ج ٩ ص ٢٥) .

وأما الكهف : فتسلمه الأمير جمال الدين أفش الشهابي أحد أمراء الشام في ثاني وعشرين ذي الحجة من السنة ، وسيرت مفااتيحه صحبة رسلهم ورسل صاحب حماة ، وتكل بذلك قلاع الدعوة .

وأقيمت بها الجمع وترضى عن الصحابة رضى الله عنهم ، وأظهرت شعائر الإسلام بها .

ذكر أخبار هذه الحصون

فأما حصن الكهف : فقد ذكر في الكتب أنه الكف بغيرها ، وصممت أكثر أهل تلك البلاد لا ينطقون في اسمه بالهاء . وكان هذا الحصن في يد نواب العبيديين ملوك مصر ، فانزعجه الأمير ليث الدولة بن عمرو وأخذه ، وبقي إلى ولاية سيف الدولة بن حمرون^(١) ، فذبح على فراشه في سنة تسع وعشرين ونعمسمائة . وتولى ولده الحسن وهو خائف مما جرى على أبيه ، فالتجأ إلى الإسماعيلية ، واستدعى قوما منهم وأماكنهم معه في الحصن ليتقوى بهم على بني عمه الذين يقصدونه . فأخرجوه من الحصن وملكوه إلى هذا الوقت .

وأما القدموس : فإنه كان في يد بني محرز بعد ولاية العبيديين ، وكان آخر بني محرز ، منير الدولة حمدان بن حسن بن محرز ، فتوفى وملكه بعده ولده علم الدولة يوسف ، فضعف من حفظه ، فسلمه للإسماعيلية في سنة ثلاث وعشرين ونعمسمائة .

وأما حصن المنبة : وهو في جبل الرواديف ، وبانيه رجل اسمه نصر بن مشرف الروادفي كان قد استولى على جميع المسلمين الساكنين بجبل الرواديف وما يليه ،

(١) كذا في الأصل .

واستقل أمره ، فأخذ وحمل إلى أنطاكية ، فاستتب وأطلق ، فعاد إلى أذية المسلمين والروم ، فأخذ وطلب العفو ، وأعطى ولده رهينة . وتنصح للروم وقال : « إن في آخر عمل الروم من آخر جبل الرواديف ضيعة تعرف بالمنيفة ، ومكانها يصلح أن يكون به حصن ليحفظ على جميع الأعمال » . فأجابوه إلى ذلك . فقال : « إن المسلمين لا يمكنونكم من بنائه ، وإنما أنا أدفع المسلمين عنه ، وأفهمهم أني أبنيه لنفسي ، فإذا بنيت سلمته لكم » ، فافتر الروم بقوله وأعانوه ، فلما بناه استعصى به ، وشرع في بناء حصن آخر امتنع منه . ثم إن نقيطا قطبان^(١) أنطاكية أتى إلى الحصن وحاصره في سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ، فلم يظفر به ، ثم عاد إليه وملكه وخرب أبرجته إلى الأرض ، ثم همرت وصارت بعد ذلك للإسماعيلية .

وأما حصن الخواري : وهو من جبل بهراء^(٢) ، فإن محمد بن علي بن حامد سلمه للروم في سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، ثم صار للإسماعيلية .

هذا ما أمكن إيراده من أخبار هذه الفتوحات وابتداء أمر هذه الطائفة . فلنذكر خلاف ذلك من الغزوات الظاهرية والفتوحات ، وما يتخلل ذلك ويناسبه من الصلح والمهادنات إن شاء الله تعالى .

(١) تخطا قطبان أنطاكية ، مر ذكره في هذا المتن .

(٢) كما في الأصل ، بغير قط .

ذكر غزوات السلطان وفتوحاته وما وقع من المصالحات والمهادنات

ولنبدا من ذلك بالأمور التي أوجبت انحراف السلطان عن الفرنج بالبلاد الساحلية^(١) وأخذ بلادهم .

قد ذكرنا ما كان قد تقرر من المدينة عند وصول السلطان إلى الشام في سنة تسع وخمسين وستمائة ، وأن الفرنج لم يفوا بما تقرر من إطلاق الأمرى . فلما وصل السلطان إلى جهة الطور^(٢) على ما قدمناه في سنة إحدى وستين عند القبض على الملك المغيث صاحب الكرك ، وكان الفرنج قد شرعوا بمحيدون من الحق ويطلبون زرعين ، والسلطان يجاوبهم « إنكم أخذتم الموضع منها في الأيام الناصرية ضياعا من مرج هيون ، وقايض^(٣) بها صاحب تبين^(٤) » . ثم وردت رسلهم الآن يهتثون بالسلامة ويقولون : « ما عرفنا بوصول السلطان » . فأجابهم : « إن من يريد يتولى أمرا ينبغي أن يكون فيه بقلعة ، ومن خفى عنه هذه العساكر وجهل ما عليه الوحوش في القلعة والحيتان في المياه من كثرة هذه العساكر ، التي لعل بيوتكم ما فيها موضع إلا ويكنس منه التراب الذي أثارته خيل هذه العساكر ، ولعل وقع سناجكها

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٨٣) .

(٢) هو جبل مطل على طبرية الأردن عند قلعة أيربية راجع معجم ياقوت (ج ٦ ص ٦٧)

(٣) مرج هيون مكان على الساحل في مجال كبير للرعى معجم ياقوت (ج ٨ ص ١٥)

(٤) في الأصل : « وقايضوا » بالعامية .

(٥) تبين بكسر أوله : بلدة في جبال بني عامر مطلة على بلد بانياس بين دمشق وصور ، معجم

ياقوت (ج ٢ ص ٢٦٤)

قد أتم سماع من وراء البحر من الفرنج وفي موغان من التار . فإذا كانت هذه العساكر تصل إلى أبواب بيوتكم ولا تدرون بها فأى شيء تعملون . » . وافضل الوصل على هذا الحال .

ووصلت نواب ياقا ، ونواب أرسوف بهدية أخذت منهم^(١) ، وكانت كتبهم وردت قبل ذلك مضمونها : طلب فسخ الهدنة والتدم عليها ، فصار تزد الآن يقاتهم عليها وتمسكهم بالمواثيق .

وجرت أمور ومراسلات يطول شرحها اقتضت تغير السلطان ، ثم كاتبهم السلطان يقول : « أتم في أيام الملك الصالح إسماعيل أخذتم صفد والشقيف على أنكم تنجدونه على السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وخرجتم جميعا خدمته ونجدته ، وجرى ما جرى من خذلانه ، وقتلكم وأمركم وأسرملوكمكم ومقدمكم . وقد تقضت تلك الدولة ولم يؤخذكم السلطان الشهيد عند فتوحه البلاد وأحسن إليكم ، فقابلتم ذلك بأنكم رحتم إلى الريد افرانس وأتيتم محبته إلى مصر وساعدتموه حتى حوى عليكم ما جرى من القتل والأسر ، فأى مرة وفيتم فيها لمملكة مصر . وبالجملة فأنتم أخذتم هذه البلاد من الصالح إسماعيل لإمانة مملكة الشام وطاعة ملكها ونصرته ، وقد صارت مملكة الشام وفيها إلى وأنا لا أحتاج إلى نصرتكم ، فتردون ما أخذتموه بهذا الطريق ، وتفكون جميع أمري

(١) في الأصل : « يزان » ، وهو تصحيف موغان ، والتصحيح يستمد على متن السلوك (ج ١ ص ٤٨٣ ص ١٦) .

(٢) أرسوف ، بين نيسابور وياقا ، وكان بها خلق من الموابطين أيام الحرب العلية ، معجم المآثور (١ ص ١٩٢) .

(٣) على متن السلوك (ج ١ ص ٤٨٤) يقول الهدية بأنه كان : « عطيا » لقلوبهم ونسكنها لهم .

المسلمين، وغير ذلك لا أقبله . « فلما سمعوا هذه المقالة قالوا : « نحن لا ننقض الهدنة ونطلب مراحم السلطان في استدامتها، ونفك الأسرى » . فقال السلطان : « كان هذا قبل خروجي في هذا الشتاء ووصول هذه المسألة^(١) . وانفصلوا على هذه الصورة، وأمر أنهم لا يبيتون في الوطاق^(٢) . ورسم يهدم كنيسة الناصرة وهي أكبر مواطن عبادات النصرانية . فتوجه الأمير علاء الدين طبرس الوزيري إليها وهدمها إلى الأرض ، فلم يجسر أحد من سائر الفرنجية أن يخرج من باب عكا . ثم جرد السلطان الأمير بدر الدين الأيدمرى وصحبته جماعة فتوجهوا إلى جهة عكا وهجموا إلى أبوابها ، ثم توجه الأمير المذكور مرة أخرى فأغار على المواشى واستباح منها شيئا كثيرا ، وأحضر ذلك إلى الخيم المنصور .

ذكر مسير السلطان إلى عكا

وفي ليلة السبت رابع جمادى الآخرة سنة إحدى وستين : ركب السلطان وجرده من كل عشرة فارسا وصحبته ، واستناب الأمير شجاع الدين الشبلي أمير مهندار في الدهليز ، وساق من منزلة الطور نصف الليل . فلما أصبح وقف قريب عكا في الوادي الذي بقربها ، ومنه يشرف عليها . وأمر الناس بلبس السلاح ورتب المسافر وساق وطاف بمكان جهة البر ، وسير جماعة إلى برج

(١) انظر السلوك (ج ٩ ص ٢٨٤) حيث يرد الخبر مسهباً : « رحيث ترد حجة جديدة »

في : « اتفاق الأموال التي لو جرت لكافيت بحارا » .

(٢) الوطاق مفرد ، وهو الخيمة راجع السلوك (ج ١ ص ١٠٤ حاشية ٦) .

(٣) انظر السلوك (ج ١ ص ٤٥٨) .

(٤) هو صاحب دار الضيافة ومهته استقبال الرسل الواردين على السلطان راجع السلوك (ج ١ ص ٤٧٣ حاشية ٣) .

كان قريبا منها فيه جماعة لحاصروه ، ولوقت عملت فيه الثغوب إلى قرب وقت المغرب والفرنج ينظرون من أبواب المدينة وتل الفضول^(١) . ثم رجع السلطان إلى الدهليز قريب البرج المذكور عند المساء . ولما أصبح ركب وفاق إليها ، وكان الفرنج قد حفرُوا خنادق حول تل الفضول وجعلوها معارث في الطريق . ووقف الفرنج صفوفًا على التل ، ورتب السلطان المعسكر للقتال بنفسه ، وردمت تلك الخنادق بحوافر الخيل وأبدى الفلمانيون والفقراء المجاهدين . وطلع الناس إلى تل الفضول وانهمز الفرنج إلى المدينة . وحرق الناس ما حول عكا من الأبراج والأسوار وقطعوا الأشجار . وساق العسكر إلى أبواب عكا يقتلون ويأسرون ، نفقت جماعة كثيرة من الفرنج في ساعة واحدة ، وأسرت جماعة بنجيولهم ، وجرح أكابرهم ووقعوا في الخندق بنجيولهم ، وهرب من بقي من الفرنج إلى الأبواب . ثم ساق السلطان وقت العصر إلى البرج الذي كان النقاؤون علقوه ، ووقف حتى رمى وأخرج منه بالأمان أربعة خيالة أخوة ، ونيف وثلاثين راجلا [وبات السلطان على ذلك]^(٢) . وأصبح السلطان وكشف بلاد الفرنج مكانًا مكانًا ، وعبّر على على كنيسة الناصرة^(٣) ، ثم رجع وجلس على مسطبة كان قد أمر ببنائها قبالة الطور^(٤) ، وأوقد الشموع وأحضر الصاحب فسر الدين وزير الصحبة^(٥) ، وجماعة

(١) كما في الأصل .

(٢) الإضافة يقتضيا الإيضاح وهي مقولة عن السلوك (ج ١ ص ٤٨٩ ص ٦) .

(٣) في الأصل : « لناصرية » .

(٤) كما في الأصل . والطور في كلام العرب الجبل ولا يقال للجبل الأجرد طورًا ، معجم باقوت (ج ٧ ص ٦٦) .

(٥) هو وزير ملازم للسلطان ، راجع السلوك (ج ١ ص ٦٢٧ حاشية ٢) .

كتاب الدرج^(١) ، وكتاب الجيش ، والسديد المعز مستوفى الصحة^(٢) . وجعل الأمير سيف الدين بلهان الزينى أمير علم جالسا عند ديوان الجيش لكتابة الأمثلة^(٣) وتجهيز الطلبخاناها ، والأتابك^(٤) بين يدى السلطان . واستدعى من جشاراته خمسمائة فرس برسم الطلبخاناها وخيول الأمراء ، وأحضرت الخلع الكثيرة ، ولم تزل المثالات والمناشير تكتب والسلطان يعلم ، وكتب بين يديه فى تلك الليلة ستة وخمسون منشورا كبارا بخطب وهو يعلم ، والنائب يكتب ، و [كتاب^(٥)] ديوان الجيش يشئون ، ومستوفى الصحة يزل حتى كملت بين يديه . وأصبح السلطان غفلا بنفسه وجهاز الطلبخاناها والصنائج والخيل والخلع للأمراء ، وجعل الأمير ناصر الدين القميرى نائب الساطنة بالفتوحات الساحية ، ورحل من الطور وتوجه إلى الكرك وفتحها على ما قدمنا ذكره .

ذكر قصد متملك الأورمن حلب المهروسة

وفى سنة اثنتين وستين وستمائة : وصل هيتوم بن قسطنطين متملك الأورمن

(١) من كتاب الدرج وكتاب الدست وغيرهم من موظفى ديوان الإنشاء راجع السلوك (ج ١

ص ٤٨٩ حاشية ٣) .

(٢) الأصل : « الماهر » والمطلوب بحسب السياق لقب من ألقاب مستوفى الصحة .

(٣) راجع من المستوفى حاشية السلوك (ج ١ ص ١٩٢ حاشية ٢) .

(٤) راجع من أمير علم السلوك (ج ١ ص ٤٩٠ حاشية ١) .

(٥) كذا فى الأصل ، ويغير السلوك فى الموضع الموازى : بالناشير (ج ١ ص ٤٩٠ س ٤)

(٦) لفظ الأتابك مفعول جمل .

(٧) الجشارات هى المرمى انظر السلوك (نفس الموضع س ٥) .

(٨) الإضافة للإيضاح .

من جهة هولاء ، وتوجه قبل دخوله إلى بلاده إلى السلطان ركن الدين صاحب الروم ، فعزم [صاحب الروم^(١)] على الإيقاع به على غرة ، ثم ينسب ذلك إلى التركان ، فشمر هيتوم^(٢) بذلك ، وكان قد استصحب معه قاضي بلاد هولاء ليصلح بينه وبين صاحب الروم ، وأعطاه عطاء كثيرا واستأله ، فقال له هيتوم : ولا أقدر على دخول بلاد الروم حتى تحضر جماعة من التتار يخفرونني . فكتب القاضي إلى التتار الذين بالروم ، فحضر منهم أربعمئة فارس ، فتوجه بهم إلى السلطان ركن الدين ، فخرج إليه وتلقاه مترجلا لأجل القاضي ، والأرمني لم يترجل ، وقدم كل منهما للآخر مقدمة ، لكن كانت مقدمة صاحب الروم لهيتوم أكثر ، ثم جاءوا جميعهم إلى هرقل^(٣) ومخالفا واتفقا ، واهتم هيتوم بجمع المساكر لقصد البلاد الإسلامية . وكان في عسكره من بني كلاب ألف فارس فقصد عين تاب . وكان السلطان قد اطلع على هذا الأمر لاهتمامه بالاستطلاع على الأخبار ، فسير إلى مسكر حماة وعسكر حمص بالتوجه إلى حلب ، فتوجهوا ، وتوجه جماعة من العسكر المصري ، فأغاروا على الأرمن وأسر أمير من أمراء هيتوم ، وأخذ له مائة رجل من البغاتي فولوا منهزمين ، وقتل منهم جماعة ، وجرح صاحب حمص^(٤) قرابة هيتوم الملك بجراحة شديدة ، فكتب الأرمني إلى التتار الذين بالروم ، وهم

(١) ذكر القائل هنا ضروري للإيضاح .

(٢) صاحب أرمينية الصغرى في بلاد قيليقية ، راجع السلوك (ج ١ ص ٤٥٠ حاشية ١) .

(٣) في الأصل : « يخفرون » .

(٤) هرقل مدينة رومية في آسيا الصغرى غزاها الرشيد وقتلها . ويريد حصن بنفس الاسم على

الفرات بين الرافقة وبالس ، معجم ياقوت (ج ٨ ص ٤٥٤) .

(٥) ويريد الاسم في السلوك حمص (راجع السلوك ج ١ ص ٤٤٤ حاشية ١) .

سبعائة ، فحضروا إليه لقصد الشام ، فلما وصلوا إلى مرج حارم وقعت تلوج شديدة ، وكان الأرمني قد كتب إلى أنطاكية يطلب نجدة ، فأجند منها بمائة ونحسين فارسا ، ولبسوا كلهم السراقجات تشبها بالنار ، واجتمعوا كلهم بالقرب من مرج حارم فكادوا يهلكون من كثرة الثلوج والأمطار ، ونخرج العسكر المنصور لقصدهم ، وانقطعت عنهم الميرة فتأخروا راجعين ، فعدم من أصحاب الأرمني مائة وعشرون فارسا، وثلاثون تريا، ومئة من خيالة أنطاكية وجماعة من رجالهم .

ثم أهتم هيتوم بعد ذلك وجمع العساكر وفصل ألف قباء أتري وألف مرافوج ألبسها أصحابه ، ليوهم أنهم نجدة من النار . فجرد السلطان عسكرا من دمشق إلى حصص وجماعة من حماة ، وتوجه الأمير حسام الدين العين تاي فأغار على مرزبان وقتل وأسر وعاد سالما . ونالت الفارات من جميع الجهات، فنفرك جمع هيتوم ، وعدل العسكر الإسلامي إلى أنطاكية فغنم وقتل وأسر .

وفي جمادى الآخرة منها : أغارت العساكر التي بالساحل محبة الأمير ناصر الدين القيمري ووصلت إلى أبواب هكا .

وفي شهر رمضان من السنة : وصل كتاب الأمير ناصر الدين المذكور، يذكر أنه بلغه أن الفرنج توجهوا إلى جهة يافا ، فأمره السلطان بالفسارة على قبصارية^(١)

(١) حصن كبير مشهور بين حلب وأنطاكية ، معجم باغوث (ج ٤ ص ١٩٩) .

(٢) يشير السلوك في نهضة مصطلحات الجسر الأول إلى السراقجات وهو من الشباب بحسب السياق هنا وهناك .

(٣) مرزبان بأرمينية الصغرى .

(٤) قبصارية المقصود هنا نفع قباله طرية . أما غلبت فلها تسمى أحيانا بالحصن الأحمر وهي حصن ساحلي كان مركزا رئيسيا للدواية (راجع السلوك ج ١ ص ١١٢ حاشية ٢٠١) .

وعثيث ، فساق إلى باب عثيث فنهب وقتل وأمر ، ثم ساق إلى قيسارية
واعتمد فيها مثل ذلك . فرجع الدين بإفا .

ذكر محاصرة التار البيرة

وتجريد العساكر وانهازم العدو^(١)

كان السلطان قد توجه إلى جهة العباسية^(٢) ، في أوائل سنة ثلاث وستين
وسمئانة ، للصيد ورمى البندق كما قدمناه ، فأنته الأخبار أن التار قد جمعوا ونازلوا
البيرة ، ولوقت أمر الأمير بدر الدين الخزندار بالركوب على الخيل السوابق إلى
القلعة ، وأنه ساعة وصوله يجرد أربعة آلاف فارس من العسكر الخفيف . ورجع
السلطان إلى القلعة فبات ليلة واحدة ، وجهز الأمير عز الدين إيفان ، ورم
له بتقدمة العساكر وصحبته الأمير نغر الدين الحمصي ، والأمير بدر الدين بيليك
الأيديمرى ، والأمير علاء الدين كشتغدى الشمسى وجماعة من الأمراء والحلقة^(٣) .
وتوجهت هذه العساكر في رابع عشر ربيع الأول ، وأمر الأمير جمال الدين أيديغدى
الحاجي بالسفر في أربعة آلاف فارس آخر ، فخرجوا بعد العسكر الأول بأربعة
أيام ، وشرع السلطان في التجهيز ، وخرج في خامس شهر ربيع الآخر ،

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٢٣ وما بعدها) ويفرق الجغرافيون بين البيرة الأندلس ويعتبرون
ألفها أصلا تحتها كمر . أما البيرة الشام فإن أولها ال التعريف وهي بلد قرب ميساط بين حلب
والنعمود الشامية (راجع معجم ياقوت ج ١ ص ٣٢٢ ، ج ٢ ص ٢٢٠) .

(٢) بلدة على طريق الشام ومصر سميت بعباسه عمة فطر الندى بنت نحارية ، ثم صارت العباسية
منزها ومتصفا أيام الأيوبيين (راجع معجم ياقوت ج ١ ص ١٠٧) .

(٣) الحلقة طائفة من الطوائف المتأخرة من الأجناس (راجع السلوك ج ١ ص ١١٩) .

ورحل في سابع الشهر ، ووصل إلى غزوة في العشرين منه ، فوصلت كتب
 النواب : إن العدو نصب على البيرة سبعة عشر منجنيقا . فكتب إلى الأمير
 عز الدين إيفان يستحثه على سرعة الحركة ، ويقول : « متى لم نذكر كراهة هذه القلعة ؟
 وإلا سقت إليها بنفسى جريده » . فساق السكروحت السير ، فلما كان
 في السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر ، ورد البريد من جهة الأمير
 جمال الدين النجبي نائب السلطنة بالشام وعطف كتابه بطاقة^(١) من الملك المنصور
 صاحب حماة مضمونها : أنه وصل إلى البيرة بالعساكر المنصورة محبة الأمير
 عز الدين إيفان ، وأن التار عندما شاهدوهم هربوا ، وزموا مجانيقهم وغرقوا
 مراكبهم ، وانهمزوا لا يلوى أحد منهم على أحد . ثم وصلت أربعة من مماليك
 الأمراء بالبشارة . وورد كتاب الأمير جمال الدين أفوش المفتي النائب بالبيرة
 يذكر صورة الحال ، وأنه لما كثرت العدو على القلعة وطم الخندق ، حفر أهل البيرة
 حفيرا قدر قامه ، وحملوا منه سردابا نافذا إلى الأحطاب التي كان العدو رماها في
 الخندق فأضرموا فيها النار ، فاحترقت جميعها ، ثم صد المسلمون السرب المفقور .
 وذكر مصابة أهل الثغر ، وأن نساءهم فعلن من حسن البلاء في مصابة الأعداء
 ما لم يفعله الرجال . ومن جملة ما وصف أن برجا واحدا كان عليه خمسة عشر
 منجنيقا وثبت شهرين . فكتب السلطان بإطابة قلوب من بالثغر ، وعينت أمثلة^(٢)

(١) البطاقة نوع خاص من الأوامر الديوانية (راجع السلوك ج ١ ص ٢٨٢ حاشية ٢)

ويقالها في الإدارة البيزنطية بيتاكون .

(٢) من مادة النسخ أن يحذف ورائش غير هذه المرة الوحيدة .

(٣) المثال هو أول سلسلة الأوامر الديوانية الخاصة بمنح الإنقطاع وآخر هذه السلسلة المنقورة ، وقد

يستعمل الإنفان « أدفين من باب التجوز » (راجع السلوك ج ١ ص ١٩٠ حاشية ٣) .

بالإقطاعات لمن جاهد من البحرية وغيرهم بالبيرة ، واستشهد صارم الدين بكناش الزاهد^(١) أحد الأمراء المجريين بها بحجر منجنيق ، وترك موجودا كثيرا وبنات واحدة ، فرمى السلطان بجميع ميراثه لابنته . واهتم السلطان بأمر القلعة ، وكتب إلى جميع القلاع والولايات^(٢) بما يحملونه إلى هذا الثغر من الأموال والغلال والأسلحة والعدد وغير ذلك ، مما يحتاج أهل هذه القلعة إليه لمدة عشر سنين . وكتب إلى الأمراء والملك المنصور صاحب حماة أنهم لا يتحركون من مكانهم حتى ينظفوا الخندق وينقلوا الحجارة التي فيه ، ففعلوا ذلك وأقاموا مدة بسببه . ووردت كتب الأمراء يخبرون أنه لما كانت نوبة الأمير عز الدين إيفان والأمير نحر الدين الحمصي والأمير بدر الدين الأيدمرى وجماعة من البحرية ، وكانت خيلهم ترمي في الجانب الشامي وهم يعملون ، فأحاط بهم فرقة من التار المغل^(٣) ملبسين ، فأجمعوا ورموهم بالنشاب وأنكروهم بالجراحات فولوا منهمزمين ، وساق المسكر خلفهم فوجد منهم جماعة قسد هلكوا في الطريق من الجراحات ، وقتل جماعة في ذلك اليوم . فاستدعى السلطان من الديار المصرية مائتي ألف درهم ومائتي تشريف ، وكتب إلى دمشق بتجهيز مائة تشريف ودراهم ، وجهاز ذلك إلى البيرة ، وكتب إلى الأمير عز الدين إيفان بأن يحضر أهل القلعة جميعهم من

(١) راجع لسلوك (ج ١ ص ٢٥٠) عن استشهاده .

(٢) في الأصل : والولاية ③

(٣) في الأصل : لا يتحركوا .

(٤) كذا في الأصل ، ولعل المراد هو أن هذه الفرقة تحمل ثيابا وعدة خاصة ، وهذا أنصب

لإعدادات الحرب ، وقد يكون المعنى أنهم أحاطوا بالمسلمين كأنهم بلا بسوئهم ويحاطونهم .

الأمراء والجند والعوام ويخلع عليهم وينفق فيهم المال حتى الحراس والضوية^(١) .
ثم عاد الأمراء بعد أن نظفوا الخندق ونقلوا إلى القلعة زلطا كثيرا . ولما وصلوا
رسم السلطان أن يكون الأمير جمال الدين المحمدي مقدما على المساكر المصرية
والشامية لكبر سنه ، والأمير عز الدين إيمان يتحدث في المهمات وإطلاق الأموال
وترتيب أمور البلاد .

هكذا ما أنفق من أمر البيرة . فلنذكر ما افتتحه السلطان من البلاد الساحلية
في هذه السفرة .

ذكر الفتوحات بالبلاد الفرنجية في هذه السفرة

قال : لما وصلت الأخبار إلى السلطان وهو بالساحل بانضمام التار ، واستقر
خاطره من تلك الجهة ، شئ أخته إلى جهة الفرنج وجرى العزائم نحوهم . وركب
من العوجاء بعد رحيل الأطلاب للصيد في غابة أرسوف . ورتب الحلقة ودخل
الغابة وتصيد . ثم ساق إلى أرسوف^(٢) وقيسارية وشاعدهما وماد إلى دهليزه^(٣) ،
فوجد أخشاب المجانيق قد وصلت محبة زرد خاناه . فأمر الأمير عز الدين أمير
جاندار أن ينصب عدة مجانيق مغربية وفرنجية ، فعمل في ذلك اليوم أربع منجنيقات
كبارا وعدة من الصغار . وكتب إلى القلاع يطلب المجانيق والصناع والنجارين

(١) هم المكلفون بالإضاءة (راجع السلوك ج ١ ص ٥٢٥ حاشية ٢) .

(٢) من الصيد في غابة أرسوف راجع السلوك (ج ١ ص ٥٢٥ ص ١٧) .

(٣) الدهليز هو الخيمة التي ترائق السلطان في الحرب (راجع السلوك ج ١ ص ٢٤٨ حاشية ١) .

ورسم للعسكر بعمل سلايم وهين لكل أمير عدة منها ، ورحل إلى قريب هيرن الأساور وأمر العسكر بعد العشاء الآخرة بلبس السلاح وأخذ أهبة الحرب ، وركب قريب وقت الصبح وساق إلى قبسارية على حين غفلة من أهلها .

ذكر فتوح قبسارية^(٢)

نزل السلطان عليها في يوم الخميس تاسع جمادى الأولى سنة ثلاث وميتين وستائة ، ولوقت طاف بها وهاجمها الناس ، وألقوا نفوسهم في خنادقها ، وعمدوا إلى سكك الحديد والحديد والشبج والمقاود فتعلقوا فيها وطمعوا من كل جانب ، ونصبت عليها الصناجق ، وحرقت أبوابها ، فهرب أهلها إلى قلعتها . فنصبت المجانيق على القلعة وهي من أحسن القلاع وأحسنها ، وتعرف بالحضراء . وكان الريدا فرانس حمل إليها العمدة الصوان وأنقنها ، ولم ير في الساحل أحسن منها عمارة ولا أمنع ولا أرفع ، لأن البحر حاف بها ، وجاز في خنادقها ، والنقوب لا تعمل فيها للعمدة الصوان المصلبة في بنائها ، حتى إذا علفت لا تقع . فاستمر الزحف عليها ورمى المنجنيقات وحملت دبابات وزحافات . وكان السلطان يركب في بعض الدبابات وتجر من

(١) زاد السلوك (ج ١ ص ٥٢٦ ص ٥) أن ميون الأساور من رادى عارة وهرمرة ، وداجع من الأساور الحاشية رقم ١ بنفس الموضع من السلوك .

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٢٥ - ٥٢٧) .

(٣) العبارة المقابلة في الخبر الموازي من السلوك أوضح ، قال : « وأخذوا السكك الحديد التي برسم الخيول (السلوك ج ١ ص ٥٢٦) . »

(٤) الشج بضم الشين جمع شجرة وهي سلسلة يربط بها قدم الحصان (السلوك نفس الموضع) .

(٥) عن الدبابات وكتابها راجع السلوك (ج ١ ص ٥٦ حاشية ٨) وهي أبراج متحركة ذوات طوابق .

(٦) في الأصل : « زحافات » ولانهم يرجع من السلوك (ج ١ ص ٥٢٦ حاشية ٥) :

محمته بالمجمل حتى يصل إلى الأسوار ويرى النقب . وأخذ في بعض الأيام بيده ترسا وقائل ، وما رجع إلا وفي ترسه عدة سهام . وفي ليلة الخميس منتصف الشهر حضر الفرنج وسلموا القلعة بما فيها ، وتسلى المسلمون إليها من الأسوار وحرقوا الأبواب ودخلوا من أعلاها وأسفلها ، وأذن بالصبح عليها . وطلع السلطان إلى القلعة وقسم المدينة على أشرافه وخوادمه ومواليكه وحلفائه ، وشرع في الهدم وأخذ بيده قطعة وهدم بنفسه بيده .

وقيسارية هذه من المدن القديمة فتحت في صدر الإسلام في سنة تسع عشرة للهجرة ، على يد معاوية بن أبي سفيان ، بعد قتال عظيم ، ولم يكن معاوية أمير الجيش ، إنما كان من قبل أخيه يزيد بن معاوية .

وفي جماد الأول : جرد السلطان الأمير شهاب الدين القيمري بمجماحة من حسكر الساحل للجهة بيسان^(١) ، فسير جماعة من العربان والتركمان الإغارة على مكاء ، فأغاروا ووصلوا إلى أبوابها وضموا وعادوا .

ذكر التوجه إلى هثليث^(٢)

وأخذ حصن الملححة وحييفا

قال : ولما قارب السلطان الفراغ من هدم قيسارية سير الأمير شمس

(١) بيسان ، بفتح م مكون ، مدينة بالأردن بين حوران وفلسطين ، وتوصف بكثرة النخل مع أنها خلت منه ، ولها ينسب القاضي الفاضل . راجع معجم ياقوت (ج ٢ ص ٢٢٢) السلوك (ج ١ ص ٨١ حاشية ٦) .

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٢٧) راجع ما تقدم من هذا الجزء (ص ٢٦١ حاشية ٤) .

سنقر الألفى الظاهري ، والأمير سيف الدين المستعري . وجماعة نهدة . واقامة للفرنج عند الملوحة^(١) وكانت عاصبة فدكوها إلى الأرض .

وفي سادس وعشرين جمادى الأولى : توجه السلطان إلى عثليت بحريدة ، وسير الأمير شمس الدين سنقر السلاح^(٢) دار الظاهري والأمير عز الدين الحموي ، والأمير شمس الدين سنقر الألفى الظاهري إلى حيفا ، فساروا إليها ودخلوا قلعتها ، فنجبا الفرنج بأنغمهم إلى المراكب بعد أن قتل منهم وأسر . وأحضرت الأمري والرؤس ، وأخربوا المدينة وقلعتها وأحرقوا أبوابها ، وذلك جميعه في يوم واحد . وأما السلطان فإنه وصل إلى عثليت وأمر بتشيئها وقطع أشجارها ، فقطعت جميعها ونحرت أبنيتها في ذلك النهار ، وعاد السلطان إلى قيسارية وكل هدمها .

ذكر فتوح أرسوف^(٣)

وفي تاسع وعشرين جمادى الأولى من السنة : رحل السلطان من قيسارية وسار إلى أرسوف ، فنازلها في مستهل جمادى الآخرة ، وأمر بتقل الأحطاب فصارت حولها كالجبال الشاهقة ، فعملت منها الستائر ، وأمر بحفر سربين^(٤) من خندق المدينة إلى خندق القلعة ، وأسقفت بالأخشاب وصلبها لأكابير الأمراء ، وعمل طريق من الخندقين إلى القلعة ، فخرج الفرنج لإحراق الأحطاب

(١) قرب حلب ، راجع معجم باقوت (ج ٨ ص ١٥٤) وراجع السلوك (ج ١ ص ٥٢٧ حاشية ٢) .

(٢) وكذلك يسم اسم صاحب هذه الوظيفة بقرن ألف : « السلدار » .

(٣) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٢٨ — ٥٣٠) .

(٤) انظر من الأسراب حاشية في السلوك (ج ١ ص ٥٢٨ حاشية ١) .

فطلبهم الأمير سيف الدين قلاون الألفى وغيره ، وقلب على الأحطاب المياه فطفئت النيران . ولما تكامل ردم الخندق بالأحطاب ، تحيل الفرنج وتقبوا من داخل القلعة إلى أن وصلوا إلى تحت الردم وعملوا بئاني ملاءة أدهانا وشحوما وأضرمو النيران وهملوا في النقوب المفاتيح^(٢٣) ، ولم يعلم المسكر بذلك إلا بعد تمكن النيران ، فاحترقت تلك الأحطاب جميعها وكان ذلك في الليل . وجاء السلطان بنفسه وسكب المياه بالروايا ، فلم تقلد شيئا . فعند ذلك تقدم السلطان إلى الأمير شمس الدين سنقر الرومي والأمير بدر الدين يسرى ، والأمير بدر الدين الخزندار ، والأمير شمس الدين الدكز الكركي ، وجماعة من الأمراء ، وهم نصف الأمراء الصنجقية^(٢٤) ، وميمنة الأمراء البحرية ، وميمنة الظاهرية ، وميمنة الحلقة ، بأن يأخذوا من مكانهم في باب المغرب من حافات الخندق من جهة سورده حفرا إلى البحر الملح . وتقدم إلى الأمير سيف الدين قلاون الألفى ، والأمير علم الدين الحلبي ، والأمير سيف الدين كرمون وجماعة الأمراء ، وهم نصف الأمراء الصنجقية من جهة الميسرة وميسرة الحلقة والبحرية ، بأن يحفروا من الجهة الأخرى ، وأن يحفر [وا] من كل ناحية من هذه النواحي سرايا يكون حائط خندق وصاترا له .

(١) في الأصل : « فطفئت النيران » بالعامية .

(٢) بنوت جمع بت بفتح الياء ، وهو كساء مهلهل النسيج . راجع قاموس دمندي .

(٣) في الأصل : « المفاتيح » والتصحيح يقتضيه السياق .

(٤) يرى الناسخ حل رعم لفظ صنجق بالصاد ما عدا هذه المرة الوسيطة . وراجع من السنجق

السلوك (ج ١ ص ١٢٤ حاشية ١) .

(٥) المقصود كما ورد في السلوك (ج ١ ص ٢٨٨ ص ١٢) أن السلطان أمر بالحفر من باب

المربى إلى البحر .

وتحفر في هذا الحائط أبواب يرمى التراب فيها ويترك في هذه السروب حتى يساوى أرضها بأرض الخندق ^(١) ، وهذا الأمر بعز الدين أيبك الفخري أحد أصحاب الأتابك ، فاستمر العمل في هذه الخنادق والسلطان طائف فيها بنفسه ويعمل بيده ، وهو تارة في السروب ، وتارة في الأبواب التي تفتح ، وتارة على حافة البحر ، ويرامى مراكب الفرنج ويحرق المنجنيق ويرمى من السائر ^(٢) .

وحكى عنه الأمير جمال الدين بن نهار ، رحمه الله ، قال : « رأيت السلطان في هذا النهار رمى ثلاثمائة مهم نشابا » . واتفق أن السلطان حضر إلى السرب وقعد في رأسه خلف طاقة يرمى فيها ، فخرج جماعة من الفرنج الفرسان ومعهم الرماح بالخطاطيف فلم يشمر إلا وهم على باب السرب ، فقام وقائلهم بدا بيد ، وكان معه الأمير شمس الدين سنقر الرومي والأمير بدر الدين بيسرى والأمير بدر الدين الخزندار وغيرهم . وصار سنقر الرومي يتاوله الحبلورة ، فقتل بها فارسين ، وقطع الأمير حسام الدين الدوادار أحد الخطاطيف بسيفه وجرح في عضده ، ورجع الفرنج على أسوأ حال .

وحضر في هذه الغزاة جمع كبير من العباد والزهاد والفقهاء والفُقراء وأصناف العباد ، ولم يهد فيها حجر ولا شيء من الفواحش ، بل كانت النساء ^(٣)

(١) كذا في الأصل ، واللفظ لا يناسب الأسلوب العام ولعل الأصل مكان « مق » بمعنى أمست .

(٢) ستارة والجمع ستاروي سيطان من خشب أو ردم للوقاية من فداخ العذر (راجع السلوك ج ١ ص ١٠٢ حاشية ٢) .

(٣) ، (٤) سقط بعض المتن ، والتكلمة من السلوك امتدادا على مطابق الفاظ الأخبار في متن الكتابين (راجع السلوك ج ١ ص ٥٢٩) .

الصالحات يسقين الماء ويمجرون في المجانيق. وأطلق السلطان لجماعة من الصالحين الرواتب مثل : الشيخ على الجنون والشيخ إلياس ، وأطلق للشيخ على البكا جملة من المال.

قال : وأهتم بأمر المجانيق وأحضرها من دمشق ، وعمل كرمون أغا منجنيقا بسبعة سهام وأثر أثرًا حسنًا . وكان للأدمير من الدين أيبك الأقرم أمير جاندار في هذه الغزاة أوفر نصيب ، وهو الذي تولى أمر المجانيق .

قال : ولما أثرت المجانيق في هذه الأسوار ونجزت الأسر به التي إلى جانب الخندق من الجهتين وفتحت فيها أبواب متسعة حصل الزحف على أرسوف في يوم الاثنين ثامن شهر رجب سنة ثلاث وستين ومئة ، وافتحت في يوم الخميس . وذلك أن الباشورة^(١) سقطت في الساعة الرابعة من النهار ، وطلع المسلمون إليها تسلفًا ، وما أحسن الفرنج بالمسلمين إلا وقد خالطوهم من كل باب . ورفعت الأعلام على الباشورة ، وحفت بها المقاتلة ، وطرحت النيران في أبوابها . وأعطى السلطان صنجقه للأدمير شمس الدين الرومي ، وأمره أن يؤمن الفرنج به من القتل عندما طلبوا الأمان . فلما رآه الفرنج بطلوا القتال ، وسلم الصنجق للأدمير علم الدين منجر الممروري الحاجب المعروف بالخياط ، ودليت له الحبال من قلعة أرسوف فربطها في وسطه والصنجق معه ، ونشله الفرنج إلى القلعة فأخذ

(١) في فرج هذا اللفظ راجع السلوك (ج ١ ص ١٠٠ حاشية ١) والمقصود منه من التراب .

(٢) في الأصل : « تسليقا » وهو مصدر غير مسوع .

سيوفهم ، وأحضروا في الجبال [إلى السلطان ^(١)] .

ولما خلت القلعة من الفرنج أباحها السلطان للمسلمين بجميع ما فيها من أموال وفلال وذخائر . وكان بها جملة من الخيول والبغال لم يتعرض [لنىء ^(٢)] منها إلا لما اشتراه بالمال . وكان في أسر الفرنج جماعة من المسلمين خلصوا في تلك الساعة وأخذت قيودهم وقيد بها الفرنج . وجردهم جماعة من المقدمين يتوجهون مع الأسرى . وسير لكل أسير جماعة ، ولكل مقدم جماعة . وشرع السلطان في تقسيم أراج أرسوف على الأمراء ، وجعل هدمها دستورهم ^(٣) ، ورسم بأحضار الأسارى لإعراها ، فكانوا كما قال الله تعالى : (يخرجون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين) ^(٤) .

ورحل السلطان عن أرسوف بعد استكمال هدمها في يوم الثلاثاء ثالث وعشرين شهر وجب سنة ثلاث وستين وستائة .

ذكر ما ملكه السلطان لأمرائه

من النواحي التي فتحها الله على يده

قال : لما فتح الله تعالى على السلطان قيسارية أمر الأمير سيف الدين الدوادار الرومي بكشف بلادها وتحقيق منحصلاتها ، وعملت أوراق بذلك . ولما فتح الله أرسوف طلب [السلطان] قاضي القضاة بدمشق وجماعة من

(١) ، (٢) الإضافة بقضيا الإيضاح ، وهي منقولة من السالوك (ج ١ ص ٥٣٠) أمّا إذا حل تطابق الأخبار والألفاظ .

(٣) الدستور بمعنى الإذن بالإصراف .

(٤) سورة الحشر آية ٢٠ .

العدول ووكيل بيت المال ، وتقدم بأن يملك الأسماء [المجاهدون ^(١)] من البلاد التي فتحها الله على يديه ما يأتي ذكره . وكتبت التواقيع لكل منهم ولم يطلعوا عليها ، ولما كتبت التواقيع قرئت ^(٢) على أربابها ، وكتب بذلك مكتوب جامع بالتعليك :

ونسخته بعد الهسملة :

أما بعد حمد الله على نصرته المتناسقة المفقود ، وتمكينه الذي رقت الملة الإسلامية منه في أقصى البرود ، وفتحته الذي إذا شاهدت العيون مواقع فقهه وعظيم وقعه علمت أنه الأمر ما يسود من يسود .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جاهد الكفار ، وجاهرهم بأعمال السيف البتار ، وأعلمهم لمن عقبى الدار ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تواصل بالمشى والأبكار .

فإن خير النعم نعمة وودت بعد اليأس ، وجاءت بعد توحشها وهي حسنة الإيناس ، وأقبلت على فترة من تحاذل الملوك وتهاون الناس ، (وصرعت أبواب الجهاد وقد خلقت في الوجوه ، وأنطلقت السنة المنابر وشفاعة المهاجر بالبشائر التي ما اعتقد أحد أنه بها يفوه ^(٣)) ، فأكرم بها نعمة على الإسلام وصلت لالة الحمدية

(١) الإضافة بتفضيها الإيضاح . وهي مقولة من السلوك (ج ١ ص ٥٣٠) .

(٢) كذا في الأصل ، وفي السلوك : « فرقت » وهو أفضل . راجع السلوك (نفس الموضع) . أما من التواقيع والعلامة فارجع إلى السلوك (ج ١ ص ٣٤٤ حاشية ١ ، ص ٣٦٢ حاشية ١) .

(٣) في الأصل : « التي » وهو خطأ .

(٤) أهل السلوك ما بين القومين من النص .

أسباباً ، وفتحت للفتوحات أبواباً ، وهزمت من التار والفرنج العدوين ،
ورابطت بين الملح الأجاج والعذب الفرات بالبرين والبحرين ، وجعلت مساكن
الإسلام تذل الفرنج ينفذوهم في عقر الدار ، وتجنس من حصونهم المانعة خلال
الديار والأمصار ، وتملاً خنادقهم بشاهق الأسوار ، ونفوذ من فضل من شبع
السيف الساغب في قبضة القيد إلى حلقات الأسار . وفرقة منها تفتلح للفرنج
فلاعاً وتهدم حصوناً ، وفرقة تبنى ما حدم التار بالمشرق وتعلمه تحصيناً . وفرقة
تسلم بالحجاز فلاعاً شاهقه وتنسّم هضاباً سامقة ، فهي بحمد الله البانية المادمة
والمفيدة العادمة والقاسمة الراحة . كل ذلك بمن أقامه الله للأمة الإسلامية
واحداً ، وجرده سيفاً قد شحذت التجارب حديه ففري ، وحملت رياح النصر
ركابه تسخيراً فصار إلى مواطن الظفر وسرى ، وكوته السعادة ملكاً إذا رآته
في دستها قالت تعظيماً : « هذا ملك ما هذا بشراً » . وهو مولانا السلطان الأجل
العالم العادل المؤيد المنصور ، ركن الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ،
سيد الملوك والسلاطين ، محيي العدل في العالمين ، قاتل الكفرة والمشركين ،
قاهر الخوارج والمرتدين ، سلطان بلاد الله ، حافظ عباد الله ، وارث الملك
سلطان العرب والعجم والترك ، أسكندر الزمان ، صاحب القرآن ، ملك البحرين
صاحب القبتين ، خادم الحرمين الشريفين ، الأمر بيعة الخليفتين صلاح
الجمهور صاحب البلاد والأقاليم والثغور ، فاتح الأمصار ، بيد التار ، ناصر الشريعة
المحمدية ، رافع علم الملة الإسلامية ، مقتلع القلاع من الكافرين ، القائم بفرض

(١) كذا في الأصل ، ومثله في الساريك أيضاً (ج ١ ص ٥٣١ س ٢) .

الجهاد في العالمين أبو الفتح ^(٢٢) يبرس قسم أمير المؤمنين ، جعل الله سيوفه مفاتيح ^(٢٣) البلاد وأعلامه أعلاما من الأئمة ، على رأسها نار لهداية العباد ، فإنه أخذ البلاد ومعطيها ، وواهبها بما فيها ، وإذا ماله الله بطفه شكر ، وإذا قدر عفا وأصلح ، فكم وافقه قدر ، وإذا أهدت إليه النصر فتوحا بسيفه قسمها في حاضريها لديه متكرما ، وقال الهدية لمن حضر ، وإذا خوله الله تخويلا من بلاد الكفر وفتح على يديه قلاعا جعل الهدم للأسوار ، والدماء للسيف البتار ، والرقاب للإسار ، والنواحي المزروعة للأولياء والأنصار ، ولم يجعل لنفسه إلا ما تسطره الأملاك في الصفائف لصفاحه من الأجور ، وتطوى عليه طويات السبر التي غدت بما فتحه الله من الثغور باسمه باسمه الثغور .

فتى جعل البلاد من العطايا فأعطى المدن واحتقر الضياعا
سممنا بالكرام وقد رأينا ^(٢٤) عيننا ضعف ما فعلوا سمما
إذا فعل الكرام على قياس جميلا كان ما فعل ابتداء

ولما كان — خلد الله سلطانه — بهذه المثابة ، وفتح الفتوحات التي أجزل الله بها أجره ونوابه ، وله أولياء كالنجوم إنارة وضياء ، وكالأقمار نفاذا ومضاء ، وكالعقود تناسقا ، وكالويل تلاحقا إلى الطاعة وتسابقا ، وكالنفوس الواحدة

(١) خذف صاحب السلوك في هذا الموضع من النص القاب السلطان الملك الظاهر كلها .

(٢) في الأصل : « أ ب » ومرعطا .

(٣) كذا في الأصل ، وفي السلوك : « مفاتيح » (ج ١ ص ٥٣١ م ٥) .

(٤) كذا في الأصل : بصفاحه والتصحيح من نص السلوك حيث ترد نفس الوثيقة : (نفس

الموضع ص ١١) .

(٥) في رواية السلوك : « أوانا » .

يهودية له وتصادقا ، رأى - خلد الله سلطانه - أن لا ينفرد عنهم بنعمة ، ولا يقتصر ولا يستأثر بعملة فدت بسيفهم تستنقذ ، وبمزايمهم تستخلص ، وأن يؤثرهم على نفسه ، ويقسم عليهم الأشعة من أنوار شمسه ، ويبقى للولد منهم وولد الولد ما يدوم إلى آخر الدهر ويبقى على الأبد ، ويبعث الأبناء في نعمته كما حاش الآباء . وخير الإحسان ما شمل ، وأحسنه ما خلد ، فخرج الأمر السال لا زال يشمل الأعقاب والذراري ، وينير أنارة^(١) الأنجم الدراري ، أن يملك جماعة أمرائه وخواصه الذين يذكرون ، وفي هذا المكتوب الشريف يسطرون ، ما يبين من البلاد والقرى والضيايح على ما يشرح ويبين من الأوضاع وهو :

المولى الإناتيك فارس الدين أقطاي الصالحى قنبل بكالها

الأمير جمال الدين إيدغددي المزرى النصف من زيتا

الأمير بدر الدين بيمرى الشمسى الصالحى نصف طور كرم

الأمير بدر الدين بيليك الخنزدار الظاهرى نصف طور كرم

الأمير شمس الدين الذكر الكركى ربع زيتا

الأمير سيف الدين قليج البغدادى ربع زيتا

الأمير كن الدين بير من خاص ترك الكبير الصالحى أفراسين^(٢) بكالها

(١) في الأصل : « قسمهم » بدران ألف والتصحيح من الملوك (ج ١ ص ٥٢١ ص ١٥) .

(٢) في الأصل : « ابتارة » .

(٣) كذا في الأصل ، وهو مطابق لقراءة المستشرق كثرمر (انظر الملوك ج ١ ص ٥٢٨ حاشية ٢)

وقراءة الدكتور فادة في الملوك (ج ١ ص ٥٢٨ ، ص ٥٣٩ حاشية ٤) من الذكر

(٤) كذا في الأصل : « أفراسين » ، وفي الملوك (ج ١ ص ٢٦٩ ص ٥٣٢) أفراسين

الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار الصالحى	باقية الشرقية بكالها
الأمير عز الدين أيدمر الحل ^(١) الصالحى	نصف قلنصوة
الأمير شمس الدين سنقر الروى الصالحى	نصف قلنصوة
الأمير سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى	نصف طيبة الامم
الأمير عز الدين إيفان الركنى سم الموت	نصف طيبة الاسم
الأمير جمال الدين أفضى النجيبى نائب سلطنة الشام	أم النعم بكالها من قيسارية
الأمير علم الدين سنجر الحلبي الصالحى	بشأن بكالها ^(٢)
الأمير جمال الدين أفضى المحمدى الصالحى	نصف بورين
الأمير فخر الدين الطنبا الحمصى	نصف بورين
الأمير جمال الدين أيدفدى الحاجبى الناصرى	نصف يزين ^(٣)
الأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى الصالحى	نصف يزين
الأمير فخر الدين عثمان بن الملك المفيث	ثلاث حلبة ^(٤)
الأمير شمس الدين سلار البغدادى	ثلاث حلبة

(١) كذا فى الأصل ، وفى رواية السلوك (ج ١ ص ٥٢٥) ، الحلبي .

(٢) كذا فى الأصل ، بالتاء المثلثة . وفى السلوك (ج ١ ص ٥٣٢) بالتاء المتناهية .

(٣) كذا فى الأصل ، بغير نقط الزاوى ، والنقط عن السلوك .

(٤) كذا فى الأصل ، وقد مر لفظ حلبة كامم موضع من قبل ، وفى السلوك : حلبة .

الأمير صارم الدين صراغان ^(١) التري	ثلث حلبة
الأمير ناصر الدين القيمري	نصف البرج الأحمر
الأمير سيف الدين بليان ^(٢) الزين الصالحى	نصف البرج الأحمر
الأمير سيف الدين إيتامش السعدى	نصف بيا
الأمير شمس الدين آقصنقر السلحدار الظاهرى	نصف بيا
الملك المجاهد سيف الدين إسحق صاحب الجزيرة	نصف دبابه ^(٣)
الملك المظفر علاء الدين أخوه صاحب سنجار	نصف دبابه
الأمير بدر الدين محمد بن بركة خان	دير القصون بكالها ^(٤)
الأمير عز الدين أيبك الأفرم أمير جاندار	نصف الشويكة
الأمير سيف الدين كرمون أغا [التري ^(٥)]	نصف الشويكة
الأمير بدر الدين بيليك الوزيرى	نصف طبرس
الأمير ركن الدين منكورس الدوادارى	نصف طبرس
الأمير سيف الدين قشتمر المعجمى	علاز بكالها

(١) كذا في الأصل ، وفي السلوك : صراغان بالصاد المهملة .

(٢) في الأصل : بيلان ، والتصحيح من موضع آخر من متن التويرى ومن السلوك (ج ١

ص ٥٣٣ ص ٣) .

(٣) كذا في الأصل : دبابه ، جاء مثله ثم جاء موحدة به وقراءة السلوك : دبابه ، بنون وباء .

(٤) كذا في الأصل ، وقراءة السلوك : دير القصون .

(٥) الإضافة يقتضها الإيضاح وهو منقولة عن السلوك (نص الموضع) .

الأمير علاء الدين أخو الدوادار	نصف قمرعرا ^(١)
الأمير سيف الدين منجق ^(٢) البغدادى	نصف مرعرا
الأمير سيف الدين دكاجك ^(٣) البغدادى	نصف فرعون
الأمير علم الدين منجر الأزكشى	نصف فرعون
الأمير علم الدين منجر طردح ^(٤) الآمدى	استابا بكالها ^(٥)
الأمير حسام الدين إيتشمش بن أطلس خان	سيديا بكالها
الأمير علاء الدين كندقدى الظاهرى أمير مجلس الصبر ^(٦) القوقا	
الأمير عز الدين أيبك الحموى الظاهرى	نصف أرتاح
الأمير قشمس الدين سنقر الألفى	نصف أرتاح
الأمير علاء الدين طبريس الظاهرى ^(٧)	نصف باقة الغربية
الأمير علاء الدين هلى ^(٨) سكر	نصف باقة الغربية

(١) مر من قبل اسم مرعرا. قمرعرا بعبون الأساوره

(٢) كذا في الأصل ، وفي السلوك « فنجق » .

(٣) كذا في الأصل ، وقراءة السلوك : دكجيل .

(٤) كذا في الأصل ، وقد سبق في هذا المتن ورود قسم الامم بنفس الرسم . وقراءة السلوك
طردح الأسدى .

(٥) كذا في الأصل ، مع التحفظ في النقط وفي السلوك « انايه » ومن قراءات السلوك
« سباحا » .

(٦) كذا في الأصل ، وكذلك في إحدى قراءات السلوك وقراءة السلوك المعتدله هي « الصفر »
بكالها ، وقد مر من قبل نسبة احد الرجال إلى الصفر « الصفرادى » .

(٧) كذا في الأصل ، وقراءة السلوك علم الدين .

(٨) كذا في الأصل وقراءة السلوك : « سكر » .

الأمير عز الدين أيدمر الفخري الأتابكي	القصير بكاهما
الأمير علم الدين سنجر الصيرفي الظاهري	أخصاص بكاهما
الأمير ركن الدين بيرص المعزى ^(١)	نصف قفین
الأمير شجاع الدين [طغرل الشبلي] ^(٢)	نصف كفر راعي
الأمير علاء الدين كندغدي الحبيشي	مقدم الأمراء البحرية
	نصف كفر راعي
الأمير شرف الدين يعقوب بن أبي القاسم	نصف كسفا ^(٣)
الأمير بهاء الدين يعقوب بن الشهرزوى ^(٤)	نصف كسفا ^(٥)
الأمير جمال الدين موسى بن نعمور أستاذ الدار العالية	نصف برويكة ^(٦)
الأمير علم الدين سنجر الحلبي الغزوى ^(٧)	نصف برويكة
الأمير علم الدين سنجر أمير جاندار ^(٨)	نصف حانوتا من أرسوف
الأمير سيف الدين بيدغان الركني	فردسيا بكاهما من قيسارية ^(٩)

(١) كذا في الأصل ، وقراءة السلوك « المفرب » .

(٢) في الأصل « سقطت عين طغرل والتصحیح يطابق ما في السلوك .

(٣) كذا في الأصل وكذلك في إحدى قراءات السلوك ، وقراءة السلوك المعتمد « كسنا بالثاء » .

(٤) لم يرد لفظ ابن في السلوك (ج ١ ص ٥٣٤ س ٢) .

(٥) مكرر كذا في الأصل وفي السلوك « كسنا » بالثاء .

(٦) كذا في الأصل وكذلك في إحدى روايات السلوك ، وقراءة السلوك المعتمد « برهيكية » .

(٧) كذا في الأصل ، وفي السلوك (نفس الموضع) « الحل » .

(٨) كذا في الأصل ، وفي السلوك نائب أمير جاندار .

(٩) كذا في الأصل ، وكذلك في السلوك .

الأمير عز الدين أهدمر الظاهري نائب الكرك	ثلث جبلة ^(١) من أرسوف
الأمير شمس الدين سنقرجاه الظاهري	ثلث جبلة من أرسوف
[الأمير جمال الدين أقوش السلاح دار الرومي	ثلث جبلة من أرسوف ^(٢)]
الأمير بدر الدين بكتاش الفخري أمير سلاح	ثلث جلجولية
الأمير بدر الدين بكتوت بجكا الرومي	ثلث جلجولية
الأمير علاء الدين كشتغدي الشمسي الصالحى	ثلث جلجولية

وكتب من كتاب التملك الشرعى الجامع نسخ ، وفرت لكل أمير نسخة
بمكانه ، وخلع على قاضى القضاة ، وتوجه [السلطان^(٣)] إلى دمشق .

ذكر قصد البرنس صاحب طرابلس حمص

وانتهزاه^(٤)

وفي ثامن صفر سنة أربع وستين وثمانئة ، جمع البرنس بيمند بن بيمند^(٥)
جموعه ، واستنصر بالدواية والإسhtar ، وقصد جهة حمص . وكان النائب بها

(١) كذا في الأصل ، وفي السلك « حلة » بالحاء المهملة .

(٢) نبي الأصل سطرًا ، فأكل نقلا من نص السلك (نص الموضع) .

(٣) الإضاءة الإيضاح ويقتضيا السياق .

(٤) انظر السلك (ج ١ ص ٥٤٣ ص ١٥ — ١٣ بحاشية ٤) .

(٥) كذا في الأصل بغير ضبط .

الأمير علاء الدين [سنجر] ^(١) الباقشردى قد اطلع على حركته، فاحترز وجعل الحلائع على المخاض. فقصد البرنس غاضبة ^(٢) ببلاله فسبقه الباقشردى إليها وملكها. فلما جاء البرنس وراها قد ملكت عدل إلى غيرها فقويت نفوس المسلمين، ومدوا الماء إليه وتبعوه فانهزم، وساقوا خلفه يقتلون ويأمرون وينهون إلى أن توغل في بلاده.

ذكر إغارة العساكر على طرابلس بالشام وفتح قلعة حلبا وقلعة عرقا ^(٣)

وفي سنة أربع وستين وستمائة في شهر رجب، أهتم السلطان بأمر الغزاة، وطلب الأجناد من إقطاعاتهم من سائر أقاليم الديار المصرية. فحضروا بأجمعهم. وخرج السلطان في مستهل شعبان ورحل في ثلثه. ولما وصل إلى غزة جرد الأمير جمال الدين أيدقدي العزيزي والأمير سيف الدين قلاوون الألفي وجماعة من العسكر المنصور. وتوجه السلطان لزيارة البيت المقدس والخليل، صلوات الله عليه، فزار وكشف المظالم ومد سحاط الخليل، عليه الصلاة والسلام، وأكل منه وأكل الناس، وفرق جملة من المال على الأئمة والفقراء والمؤذنين والعوام

(١) الإضافة للإفادة وهي منقولة من السلوك (ج ١ ص ٥٤٣).

(٢) كذا في الأصل وفي السلوك الباقشردى.

(٣) كذا في الأصل بدون نقط، وليس لدى المحقق تحديد يمكن.

(٤) كذا في الأصل وفي السلوك مرة وحلبا. (ج ١ ص ٥٤٥ ص ٢ حاشية ٩) ومعه

بفتح الميم أو كسرهما تقع ثماني طرابلس.

وفيهم . وبلغه أن اليهود والنصارى يؤخذ منهم حقوق زيارة الخليل ، والنزول في المفارة ، فأنكر ذلك ، وكتب مرسوما بمنع أهل الذمة من دخول المقام الشريف . ثم رحل إلى عين جالوت .

وأما العسكر المبرد : فوصلوا إلى حصص فورد عليهم كتاب السلطان بالتوجه إلى طرابلس ، فركبوا على غرة من الصدو ، فأصبحوا على حصن الأكراد ، وأغاروا إلى ساحل البحر من جهة طرابلس ، ونزلوا على حصن ثيب^(٢) من عمل حصن الأكراد فأقاموا عليه يوما واحدا ، فأخذوه وأسروا منه جماعة وهرب من كان بجلبا من الفرنج وأخلوها ، فدخاها العسكر وكسبوا منها شيئا كثيرا من نحاس وصناديق وسكر وضيده ، ولما هرب أهلها أدرك العسكر أواخرهم ، فقتلهم وأخذوا نساءهم . ولما شاهد أهل صرقا ما حل بجلبا نجحوا بأنفسهم ، فأخرب العسكر القلعتين ونزلوا على حصن القليعات فقتلوه في راج شهر رمضان بالأمان وهدموه ، وعادت العساكر . فقتل الأمير سيف الدين قلاوون بالقرب من القليعات ، وسير بالليل بعض المتقدمين ليرقب من يخرج من الفرنج ، فوجد خمسين نفرا متوجهين من صافيتا إلى حصن الأكراد أقبحية وجرجية فقتلهم جميعا ، وأحضرت رؤسهم . وخرج جماعة من الداوية للمفارة على الغلمان الذين يحشون ليل العسكر ، وكان

(١) هي ضريبة على الزبارة مثل الحقوق الديوانية أو السلطانية .

(٢) كذا في الأصل . وفي موضع آخر من المتن ثيب (بالثين بدل اللام) .

(٣) في الأصل « شاهدرا » وهو خطأ .

(٤) من فلاح الفرنج الدورية (راجع السلوك ج ١ ص ٥٩٠ ص ١٦) .

(٥) كذا في الأصل بدون نقط والمقصود هم رماة البندق ، راجع من المتن والحقاشية .

في السلوك (ج ١ ص ٤٩٨ ، ٥٤٤ حاشية ١) .

(٦) لا يزال قسمي اللفظ مستعملا في العامة .

الأمير سيف الدين قلاوون قد رتب مع الغلمان جماعة من العسكر، فلما جاءهم الداوية خرج عليهم العسكر فقتلوا بعض الفرنج وأمسروا البعض . ومير صاحب صافيتا جاسوسا فأمسك وشنق . وكان في جملة هذا العسكر من العربان ألفا فارس وجاهدوا أتم جهاد ، وجرح الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا جرحين . وروى السلطان أنه من عدم له فارس بموضع عنه رأسين من البقر ، وروى بتجريد جماعة لمحصر وعود العسكر .

ذكر إغارة العسكر على صور^(٣)

قال : ولما نزل السلطان على عين جالوت رحل منها إلى جهة عكا ، وجرد الأمير هلاء الدين البندقدار والأمير عز الدين إيمان الركنتي بجماعة من العسكر إلى جهة صور ، فأغاروا عليها وغنموا كثيرا من الجمال والبقر والغنم . وأمر كندور صاحب سيس وفران معه كانوا انحازوا إلى برج فأخذوا بالأمان . وأخذ وزير صور وجماعة من الفرنج . وتوجه الأمير سيف الدين أوتامش إلى جهة صيدا^(٦) وروى لهم السلطان بالحضور إلى جهة صفد . وتوجه السلطان إلى عكا ، وجرد الأمير

(١) في الأصل « التي » .

(٢) تدل الواو على هذا الفعل على أن خبر العربان قد تلخص من نص أطول .

(٣) راجع السلوك (ج ١ ص ٥٥٥) .

(٤) كذلك في الأصل ، وفي السلوك « أوفان » .

(٥) يرد في السلوك كند والداوية (ج ١ ص ٩٦٥ حاشية ٣) والوارد هنا أصبح وهو بمعنى مقدم

(٦) صيدا . بالمد والقصر مدينة على ساحل دمشق بينها وبين صور ست فراسخ (معجم بالقوت ج ٥

ص ٥٠٢) .

بدر الأيدمرى والأمير بدر الدين يسرى إلى جهة القسرين ، وجرد الأمير
نغر الدين الحمصى إلى جبل عاملة ، فأغارت المساكر [على الفرنج] ^(٤١) من كل
جهة ، وحاصر الأمراء القسرين ، وأخذت قلعة بالقرب من عكا ، وتوالت
المكاسب حتى لم يوجد من يشتري الأبقار والجواميس لكثرتها .

ذكر فتوح صفد ^(٤٢)

كان السلطان ، قبيل توجهه إلى عكا ، قد رسم للأمير علاء الدين أيدكين
التهابى أحد الأمراء بالشام والحماة من المسكر أن يتوجهوا إلى بلاد الفرنج ،
ولم يعلم إلى أى جهة . ثم كتب كتابا وأمره أن لا يقرأه إلا إذا ركب هو
والمساكر ، وكان مضمونه أن يتوجه إلى صفد ، ويتوجه الأمير نغر الدين
الغازى إلى الشقيف . فتوجه الأمير علاء الدين إليها وأحاط بها إحاطة حافظ
لا مقاتل ، ثم جرد الأمير بدر الدين نكتاش الفخرى أمير سلاح ومعه دهليز ^(٤٣)

(١) في الأصل «سورى» والتصحيح مقول من السلوك (ج ١ ص ٥٤٥ ص ٥) وهذا
خطا يتكرر .

(٢) كذا في الأصل كأنه تصغير قرن وفي السلوك «القرن» ويضرب ناقص السلوك أن الاهارة
إلى قرن الحامرة إحدى قرى دمشق (راجع السلوك ج ١ ص ٥٤٥ ص ٦ وحاشية ٥) .

(٣) الإضافة للإيضاح من السلوك (ج ١ ص ٥٤٥ ص ٦) .

(٤) جبل عاملة جهة جبلية قرب الساحل في إقليم صفد ويوجد بها حصن النخيف (راجع السلوك
(ج ١ ص ٢٠٣ حاشية ٤) .

(٥) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٤٥ ص ١٠) لمراجعة قس الخبر .

(٦) في نفس الخبر الموازى بالسلوك (ج ١ ص ٥٤٥ ص ١١) قاله ومعه الدهليز السلطاني .

إلى صفد ، ثم حضر إليها الأمير علاء الدين البندقدار والأمير عز الدين إيفان
الركني بعد إفارتهم على صور فقلوا إليها وضائقوها ، وأقام السلطان على حكا .
ثم حضرت مساكرا الفارات ، وهمل [السلطان^(١)] عدة مجانيق وفرقها على الأمراء
ليحملوها ، ثم رحل والعساكر لابس وساق إلى قريب باب حكا ووقف على تل
الفضول ، ثم دخل إلى عين جالوت ، وكان الأمير سيف الدين الزينقي قد توجه
إلى دمشق لإحضار المجانيق ، فأحضرها وحملت على الرقاب ، وسار السلطان
ونزل على صفد في يوم الاثنين ثامن شهر رمضان سنة أربع وستين وستمائة .
وأنفق السلطان في المساكر ، وأنفق أن الناس تناوشوا القتال فساق الأمير
عز الدين خاص ترك الظاهري وحمل وواصل^(٢) الطمن ، فتقدم المجارون وأخذوا
في الثوب ورمي الزقاقون بالنقط فاحترق الباب . وأنعم السلطان على خاص ترك
بعمشة آلاف درهم وفرس وجوشن وخلعة . ثم أقيمت المجانيق ورمت في سادس
وعشرين الشهر ، وكان وصولها في الحادي والعشرين منه ، ولما وصلت إلى
جسر يعقوب هجز الجمل من نقلها ، فتدب السلطان الأمراء والجند وسائر الناس
لحملها على الرقاب ، وخرج [السلطان^(٣)] بنفسه وخواصه وجرأشائها بيسده .
ووصلت المساكر التي كانت في الغارة ببسلاد طرابلس ، واستقر الحصار وشرع
الناس في الزحف في شوال ، وأمر السلطان بحمريك الطلبخانة في نصف الليل ،

(١) الإضافة يقتضيا الإيضاح عن طريق ذكر الفاعل .

(٢) في الأصل « ووصل » .

(٣) المفرد ذوقاً لأن يزرق اللفظ بمعنى يرمي (راجع السلوك ج ١ ص ٤٩٨ حاشية ٣) .

(٤) ويقال أيضاً جرح من بالسين لا بالسين ، وهو نوع من الدروع (السلوك ج ١ ص ٥١٧

حاشية) .

(٥) حرف من السلوك بجسر يعقوب فقال وهو منزلة من صفد (السلوك ج ١ ص ٥١٦ ص ٧٢) .

وركب وهم خندق الباشورة ، فقاتل الفرنج قتالا شديدا ، وأبلى المؤمنون بلاء حسنا واستشهد جماعة من المجاهدين ، وصار الإنسان يرى رفيقه قد قتل فيجره ويقف مكانه ، وتكاثرت النقوب ودخلت^(١) النقاؤون إليها ، وأعطاهم السلطان ثلاثمائة دينار، وصار كل من عمل شيئا جزاء السلطان لوقته عنه بالخلع والمال . وفي أثناء ذلك نظر السلطان إلى الناس وقد تعبوا في وقت الفائلة من القتال ، وتفرق بعضهم وهو راكب ملازم ، فأمر خواصه بالسوق إلى الصوارين وإقامة الأمراء والجنود منها بالدبابيس ، وسب^(٢) الأمراء . وقال : « المسلمون على هذه الصورة وأتم تستريحون » ورسم بأمساك الأمراء وكانوا نيفا وأربعين أميراً فقبدهم ونقلهم إلى الزردخانة^(٣) ، فوقعت الشفاعة فيهم فأطلقهم وأمرهم بملازمة مواضعهم . ووسعت النقوب وشرطت الأسوار ، فحرق الفرنج الستائر التي كانت على الباشورة ليحموها من التسلق^(٤) . فأمر السلطان بضرب الطبلخانة ، وقام كل أحد إلى جهته ، فضرب المسلمون سكك الخيل في سفح الباشورة ، فما أصبح الصبح إلا والصناجق على أسوار الباشورة من كل جهة ، وأندفع الفرنج إلى القلعة وساموا الباشورة في يوم الثلاثاء نصف شوال . وفي هذا اليوم أخذت النقوب في

(١) كذا في الأصل .

(٢) الزردخانة هي دار السلاح وهي أيضا بين لأصحاب الرتب (راجع السلوك ج ١ ص ٢٠٩)

حاشية (١) .

(٣) في الأصل « ليجملوها » .

(٤) في الأصل « التساق » وهو مصدر غير مسوع .

(٥) تقدم أنها سكك الحديد التي يرسم الخيل وهي أوتاد تربط إليها الخيل (السلوك ج ١)

ص ٢٢٦ حاشية (٢) .

برج الينم وغيره من أبراج القلعة . فمئذ ذلك أنت رسل الفرنج إلى السلطان يسألون الأمان ، فاشتراط عليهم ألا يستصحبوا سلاحا ولا لامة حرب ولا شيئا من الفضيات ، ولا يتلفوا ذخائر القلعة بنار ولا هدم ، فعادوا لأصحابهم على ذلك . وبقى السلطان يعطى الأمانات من المرامى ويسير المتاديل ، وتقرر مع جماعة أنهم يفتحون الأبواب . فتسامع الفرنج بذلك ، ووقع بينهم الاختلاف ، وحضر خمسة عشر نفرا من القلعة منفردين في وقت واحد فخلع عليهم ، ونودى في المسكر بأن لا يرموا أحدا من الفرنج غير الدبوبة . فأمسك الفرنج من تلك الساعة عن القتال ، وردوا الأمان وقالوا : « ما ندخل في شرط » ، ورعى الرسل الخلع والمسال المنعم عليهم من الأسوار . ثم أيقنوا بالهلاك ، فسيروا رسلهم في يوم الجمعة ثامن عشر الشهر يطلبون ما كانوا طلبوه أولا ، فامتنع السلطان من ذلك . فاخذ الأتابك منديل جمال الدين أفس القليجي مقدم الجندارية وأعطاه لهم على أنهم لا يخرجون شيئا مما ذكرناه . فتوجه الرسل وصاح الفرنج بعد صلاة الجمعة : « يا مسلمين ! الأمان » وفتحت أبواب القلعة وقت العصر ، وطلعت الصناجق . ووقف السلطان راكبا على باب صغد ، ونزل الفرنج أولا فأولا وصاروا جميعهم بين يديه ، وأخرجوا معهم الأسلحة والفضيات وأخفوها في قماصهم ، وأخذوا جماعة من أسرى

(١) كذا في الأصل بدون قط .

(٢) في الأصل « يستصحبون » .

(٣) كذا في الأصل وقراءة السلوك « يتلفوا » وهي بكسرة أيضا (السلوك ج ١ ص ٤٧ ص ٧) .

(٤) في الأصل : سقطت مال « منفردين » .

(٥) من الجندارية والجندارية : راجع السلوك (ج ١ ص ١٢٢ حاشية ١) .

(٦) في الأصل : « شئ » وهو خطأ .

(٧) المقصود هو المسالك بحسب حاشية ناشر السلوك (ج ١ ص ٤٧ حاشية ٣) .

(٨) المقصود هو الأمانة أو الصورة بحسب السياق .

المسلمين وصغارهم على أنهم نصارى . فلم يخف الله ذلك ، ووسم بتفتيشهم فوجد ذلك معهم فأخذ منهم ، وأزّلوا عن خيولهم ، وجعلوا في خيمة ، وقد حصل منهم ما ينقض المهد أن لو كان ، فكيف ولم يكن حقيقة . وأمر السلطان بضرب أعتاقهم ، فضربت رقابهم على تل بالقرب من صفد كانوا يضربون رقاب المسلمين فيه . ولم يسلم منهم غير نفرين ، أحدهما الرسول بحكم أن السلطان كان قد شرب قزاً في النقب وخرج إليه الرسول فسقاه منه ، فمعا السلطان منه وخبره في التوجه إلى قومه أو الإقامة عنده ، فاختار المقام في خدمة السلطان وأسلم^(١) ، فأعطاه السلطان إقطاعاً ، وأما الآخر فإن الأتابك^(٢) شفع فيه فأطلقه السلطان . ودخل السلطان القلعة وفرق على الأمراء ما فيها من العدد الفرنجية والحواري والمالك ، واستناب في القلعة الأمير عز الدين السلافي ، وولي الأمير مجد الدين الطوري ومقدم العسكر الأمير علاء الدين أيدغدي السلاح دار ، ونقلت إليها الزردخانه التي كانت محبة السلطان ، وصاري يحمل النشاب على كتفه ، فنقلت في أسرع وقت ، وطلب لها الرجال من دمشق ، وتقررت نفقة رجالها في كل شهر ثمانين ألف درهم . واستخدم على جميع بلادها الأمراء ، وهمل بها جامع بالقلعة وجامع في الرض ، ووقف على الشيخ على المجنون نصف وربيع الحفاف^(٣)

(١) يذكر الدكتور زيادة أن هذا الفارس الذي ترك النصرانية ودخل في الإسلام كان من الداربية (السلوك ج ١ ص ٥٤٨ حافة ١) .

(٢) من أصل لفظ الأتابك واشتقاقه التركي راجع السلوك (ج ١ ص ١٤٦ حافة ١) وهو هنا المقام العام .

(٣) هكذا في الأصل ، وفي السلوك ، « الحباب » (السلوك ج ١ ص ٥٤٨ ص ٧ والخاصة رقم ٧) والحباب عنده هي إحدى بلاد وادي الفري . والأربع هو أن ثبت من الموضع في منطقة صفد .

والربع منها على الشيخ إلياس ، ووقف على قبر خالد بن الوليد قرية منها .
ورحل منها إلى دمشق في سابع وعشرين شوال ، فتل بالחסورة ، وأمر أن
المساكر لا تدخل دمشق بل توجه إلى ^(١) سدس .

ذكر غزوة ميس وأمر ملكها وقتل أخيه وعمه وأسر ولد عمه

قال : وجهز السلطان الملك المنصور صاحب حماة ، وجر معه الأمير
عز الدين إيفان ، والأمير سيف الدين قلاون ، ورسم للأمرء بتعظيمه ،
وتوجهوا في خامس ذي القعدة من سنة أربع وستين . فوصلوا إلى الدرب ^(٢) ساك
ودخلوا الدربند . وكان الملك المجير هيتوم بن قسطنطين بن باماك قد ملك ولده
ليفون وانقطع هو مترها ، فلما طلب المسلمون وقف ليفون في عسكره وطلب ،
وتوهم أن المسلمين لا يقدرّون على الطلوع في الجبال لأن التكفور كان قد بنى على
وهوس الجبال أبراجا ، فكانت كقول الشاعر :

وإن ابن حبطانا عليه فإعما أولئك عمالاته لا معاقله

(١) في الأصل : « حبس » وهو لفظ لا يناسب السياق ، والتصحيح مقبول من السلوك
(ج ١ ص ٥٥١) .

(٢) كذا في الأصل ، وهو أرجح من قراءة السلوك « درب بساك » « دير بساك » (السلوك
ج ١ ص ٥٥١ ص ١٣) .

(٣) كذا في الأصل ، وفي السلوك أيضا (راجع السلوك ج ١ ص ٥٩٠ ، ٥٥١) .

(٤) أي : جمع أطلابه واستند القنال .

فطلعت المساكر في رموس الجبال ، فلما وقعت العين في العين أسر الملك
ليفون ، وقتل أخوه وعمه ، وانهزم كندا سطليل عمه الآخر ، وأسر ولده ،
وهرب صاحب حموص ^(٢١) . وكان فيهم اثنا عشر ملكا تمزقوا كل ممزق ، وقتلت
أبطالهم . وسافت المساكر في هذا النهار وأقامت على كونيجه ^(٢٢) من حمل سرفندكار ،
وزلت في اليوم الثاني بأعمال تل حدود ، وهي تقتل وتأسر وتحرق . وأحرقوا
حموص ، ثم توجهوا إلى نهر جهان فضاخته العساكر وزلوا بقرب العمودين ^(٢٣) ،
وهي قلعة حصينة شاهقة للدواية . فلما طافت بها العساكر أذعن أهلها لتسليمها
وكان فيها ألفان ومائتان نفرا ، فقتل الرجال ، وفرت السبايا إلى العساكر .
وأحرق هذه القلعة وما فيها من الخواصل والذخائر . ورحلوا إلى سيس فأخربوها
وأقامت العساكر أياما تحرق وتقتل وتأسر . وأقام الملك المنصور صاحب حماة
بها . وتوجه الأمير عز الدين إيفان إلى جهة الروم ، والأمير سيف الدين قلاون
إلى المصبغة وأدنة وإياس وطرسوس فقتلوا وأسروا وأحرقوا . وهدمت قلعة
الدواية المعروفة بالبنية ^(٢٤) ، وحرفت لهم أماكن كثيرة من حصون وبلاد وهدمت .

(١) في الأصل : « من » .

(٢) كذا في الأصل . وقد مر منه في موضع آخر . أما السلوك فترجمة « حمص » (السلوك

ج ١ ص ٨٤٣ حاشية ١) .

(٣) كذا في الأصل . والفروض أنها قلعة قريبة من هراة بحسب متن السلوك (ج ١ ص

١٠٠ ص ١) .

(٤) يقول ناصر السلوك أنها قلعة ذكرها أبو القدا (السلوك ج ١ ص ٥٥٢ حاشية ٥) .

(٥) كذا في الأصل . بدون نقط . وقد أورد المقرئ خبرا موازيا في السلوك (ج ١ ص

٥٥٢ ص ٥) خلا من اسم قلعة الدورية التي هدمت ، وعلق الدكتور زيادة فقال إن القلعة المقصودة
هي قلعة السامدين المراد ذكرها عند أبي القدا في المختصر والرواية هنا أصح بالطبع .

ثم عادت العساكر إلى سبيس بعد أن غنمت غنائم كثيرة، حتى بيع الرأس البقر بدرهمين ولم يجد من يشتريه . وأستأقت العساكر الغنائم .

ووردت هذه الأخبار إلى السلطان وهو يتصيد بمجرود^(١) ، فأعطى المهشرا ألف دينار ، ودخل دمشق فتجهز وخرج لتلقى عساكره .

ذكر قتل أهل قارا وسبي ذرارهم

لما توجه السلطان من دمشق ليلقى عساكره الواردة من سبيس مر بقارا في سادس ذى الحجة فأمر بنهبها وقتل من بها .

وكان سبب ذلك أن بعض الركابية كان قد خدم الطواشي مرشد مقدم المسكر بحماة لما عاد من الخدمة السلطانية كما تقدم ، ووصل إلى منزلة العيون مرض بها وبات ولم يشعربه الطواشي . فأناه رجلا من أهل قارا وتوجها به إليها ليضيغاه ، فأقام عندهما ثلاثة أيام حتى خوف ، ثم أخذه بالليل وتوجها به إلى حصن الأكراد فأباهاه بها بأربعين دينارا صورية . واتفق في تلك السنة توجه بعض تجار دمشق إلى حصن الأكراد لإبتياح أمرى ، فاشتري ذلك الركابي في جملة ما اشتراه وحمله إلى دمشق وأطلقه ، فخدم بعض الجند وخرج فيمن مرج مع السلطان . فلما وصل إلى قارا حضر الركابي إلى مجلس الأمير

(١) هكذا في الأصل ، وكذلك في السلوك (ج ١ ص ٥٥٢ ص ١١) .

(٢) في الأصل ، في العنوان : « قارى » . وفي الأصل في المتن : « قارا » . وسم المتن أفضل عادة من رسم العنوان ، وتقع قارا على الطريق من دمشق إلى حصن رابع (السلوك ج ١ ص ٥٥٣) .

(٣) هكذا في الأصل .

فأرسل الدين الأتابك وأنهى إليه صورة الحال ، فسأله هل يعرف الذى باعه ؟ قال : « نعم » . فسير معه جاندارية ، فتوجه ووجد أحد الرجاين فقبض عليه وأحضره . فأنهى الأتابك ذلك إلى السلطان فأحضرهما بين يديه ، وتقابلا فانكر القارى^(١) . فقال الركابى : « أنا أعرف بئنه وما فيه » ، فعند ذلك أعترف القارى ، وقال : « ما أنا أفعل هذا جميع من بقارا يفعله » . وكان قد حضر من قارا رهبان بضيافة إلى باب الدهليز ، فأمر السلطان بالقبض عليهم ، وركب بنفسه وقصد الديرة التى خارج قارا ، فقتل من بها ونهبها ، ثم عاد وأمر المسكر بالركوب ، وقصد التل الذى بظاهر قارا من جهة الشمال ، واستدعى أبا العز الرئيس بها ، وقال له : « نحن بقصد الصيد ، فرأه قارا بالخروج بأجمعهم » . فخرج منهم جماعة إلى ظاهر القرية ، فلما أبعدوا عنها ، أمر بضرب رقابهم فضربت ولم يسلم منهم إلا من هرب واختفى بالعمار والآبار ، وعصى بالأبرجة بها جماعة فأمنوا وأخذوا أسرى ، وكانوا ألفا وسبعين نفرا من رجل وامرأة وصبي . واتقى جماعة إلى أبي العز رئيسها فأطلقهم السلطان له ، ثم أمر بتوسيط^(٢) الرهبان الذين حضروا بالضيافة فوسطوا . وتقدم إلى المسكر بنهب قارا فنهبها ، ثم أمر أن يعمل كنيسة جامعا ، ونقل إليها الرعية من التركان وغيرهم حتى شغلها بالناس ، ورتب فيها خطيبا وقاضيا ، وكانت قبل ذلك يسكنها النصارى . وكان السبب فى إبقاء الرئيس أبي العز أن السلطان الملك الظاهر لما ساق خلف التتار بعد وقعة عين

(١) أى الرجل المنسوب إلى قارا .

(٢) فى الأصل : « بتوسط » .

(٣) فى الأصل : « قتهب » .

جالوت مر بقارا فخرج إليه هذا الرئيس وأضافه ، فدرى السلطان له ذلك وأحسن إليه .

وبعث أولاد أهل قارا فترّبوا بين المسالك وتكلموا باللغة التركية ، ثم صاروا بعد ذلك أجنادا ، وتأمر منهم جماعة وتولوا الأقاليم الكبار والمناصب بالديار المصرية ، وتمولوا .

قال : ولما فرغ السلطان من قتل أهل قارا ونهبها توجه إلى حماة ، فعيد بها عيد الأنصبي ، وسار منها^(١) إلى أرامية^(٢) ، ورحل للقضاء المساكر في ثالث عشر ذي الحجة . وكان قد أقرّد نصيب السلطان من الغنائم ، ففرق ذلك على عساكره .

وأحسن إلى صاحب سيس ومن معه في الأمر ، وعاد إلى دمشق في رابع وعشرين الشهر فدخلها مقلّبا وصاحب سيس وابن عمه وأصحابه بين يديه ، وخلع على الملوك والأمراء والأكابر ، وسير لصاحب حماة ولأصحابه الخيول والخلق والأموال ، وودعه ، وتوجه إلى مملكته .

وخرج السلطان من دمشق في ثاني المحرم على ما قدمناه .

ذكر وقعة مع الفرنج كانت النصر فيها للمسلمين^(٣)

وفي المحرم سنة خمس وستين ومائة : بلغ العسكر الصفدى أن العدو أجاز

(١) في الأصل : منها .

(٢) أرامية إحدى بلاد حمص وتسمى أيضا فامية (راجع السلوك ج ١ ص ٥٤٩ حاشية ٤) .

(٣) دخلها مقلّبا أى في استعراض رضى كل طلب من الأطلاب على حدة .

(٤) راجع السلوك والخواشي الكثيرة التي أوردها ذاقره هنا (ج ١ ص ٥٥٤ من ١١٨)

ص ٥٥٥ من ١ / ٢) .

على بلد طبرية ، فركب العسكر وطلبوا جهة عكا ، فلما وصلوا إلى وادي عاين^(١) خرج عليهم الفرنج ، وكان قد وصلهم نجدة من قبرص وغيرها ، فضرب العسكر معهم مصافا فانكسر الفرنج ، وكانت عدتهم ألف ومائة فارس فقتل أكثرهم ، وحملت أعزبة عظيمة بمكالمين قتل من ملوكهم في هذه الواقعة .

ذكر إغارة السلطان على عكا^(٢)

قد ذكرنا أن السلطان توجه إلى الشام لعامارة صفد في سنة خمس وستين وستائة ، وأن رسل الفرنج أتوه بها وتحدثوا معه في أمر بلادهم . وأجابوا إلى ما قاله لهم من مناصفة صيدا وهدم الشقيف .

قال : وأنكر السلطان عليهم إغارتهم على مشغرة^(٣) ، وأقبلوا فيأما مزعجا ، وأمر السلطان المساكر بالركوب خفية للغارة^(٤) . وركب السلطان ، والفرنج قد اطمأنوا بإرسال رسلهم إليه^(٥) ، فما أحسوا إلا والمساكر قد وصلت إليهم . وساق السلطان ونزل على باب عكا بتل الفضول ، وأحضرت إليه رهوس القتل من كل جهة ، وضرب دهليزه تحت التل وبات فيه ، ثم أصبح على تلك الحالة ، وعاد إلى جهة صفد .

(١) كذا في الأصل .

(٢) انظر السلك (ج ١ ص ٥٥٩) .

(٣) كذا في الأصل بغير نقط ، ولا يوجد في معجم ياقوت غير مشغرة على أنها قرية من

قرى دمشق .

(٤) في الأصل : « خفية » وضيف صاحب السلك أن المملوك لبسوا ملابس الإسطرابية

والحدادية (السلك ج ١ ص ٥٥٨ ص ١٧ حاشية ٢) .

(٥) في الأصل : « إليهم » .

ووصلت رسل سيس بالهدايا فشاهدوا، هم ورسل الفرنج، رؤوس القنصل على الراح . وأحضر جماعة ممن أسرف هذه الفارة فقتلوا في صفد .

وطلب السلطان رسل الفرنج وقال : « هذه الفارة قبالة إغارتكم على بلاد الشقيف » . ولم ينتظر أمر الصلح ، فوّد الرسل الفرنجية بغير جواب .

وركب [السلطان^(١)] في حادى وعشرين شعبان من السنة وساق [من صفد^(٢)] إلى عكا ، فسا علموا إلا وهو على أبوابها ، فقسّم الحجارين والناس على الهساتين والأبنية والآبار للهدم والقطع . وعمل اليك بنفسه على باب عكا تحت ذبل التل . وأقام أربعة أيام حتى تكامل الهدم والإحراق والقطع ، وسير إلى طاحون كزدانة^(٣) التي لبثت الإسبتار فهدمها .

وفي هذه الأيام أحضر رسل سيس ورسل بيروت [هدايا] وجماعة من أمري المسلمين وردوا مال التجار ، وكتبت أجوبتهم وتوجهوا .

وفي شهر رمضان وصل رسل^(٤) صوور وسألوا استقرار الهدنة . فقال السلطان : « أء ما فعلت ما فعلت إلا لأنكم قتلتم السابق شاهين غلامى ، وإذا قمتم بديته استمرت الهدنة » . وأحضر أولاد السابق شاهين فقرّر ديته خمسة عشر ألف دينار صورية ،

(١) الإضافة يقتضيا الإيضاح ، وهي منقولة من السلوك (ج ١ ص ٥٥٩) .

(٢) كزدانة من قرى عكا بحسب نص السلوك (ج ١ ص ٧٦٩ ص ١١) .

(٣) صاحبة بيروت هي الأميرة إيزابيل ديبلان Isabel d'ibelin

(٤) في الأصل « وجماعة » وهي مقول الفعل أحضر والتقدير هدايا وجماعة من أمري ، ويعتمد هذا المفهوم على الخبر الوارد في السلوك (ج ١ ص ٥٩٩ ص ١٠) .

(٥) في الأصل « رسول » ، راجع السلوك (ج ١ ص ٥٥٩ ص ١١ وما بعده) .

أحضر الرسل نصفها وجماعة^(١) من أسارى المغاربة^(٢) واستمهلوا بالبقية . وقال السلطان :
« تبنين وهدنين وبلادها [بلاد^(٣)] أخذتهما بسيفي وصارت للإسلام فاستقرت
للمسلمين » . وأجيبوا إلى الصلح وكنهت الهدنة لمدة عشر سنين .

واستقرت أيضا قاعدة الصلح ببيروت بعد أن تقرر عليهم أن يردوا أموال
التجار الذين كانوا أخذوا بمراكب^(٤) الأنايك وإطلاقهم وثمان المراكب . ثم قبلت
هديتهم واستمرت هدنتهم .

ذكر الصلح مع بيت الإسمتار

على حصنى الأكراد والمرقب^(٥)

كان بيت الإسمتار قد تقدم طلبهم لذلك . فاستقر هذا الأمر بشرط
أن الفسخ يكون للسلطان وحضرت رسلهم الآن ، والتمسوا أن يحلف
لهم السلطان . فقررت الهدنة لعشر سنين وعشرة شهور وعشرة أيام وعشر
ساعات وبطلت القاطع عن بلاد الدعوة وهي ألف ومائتا دينار ، ومائة مئذنى^(٦) حنطة

(١) في الأصل « وجمع » والسوابق يقتضيان ذكر « في » يدفع على سبيل الدية .

(٢) يقرأ قاهر السلوك في إحدى الحواشي « المغازية » (السلوك ج ١ ص ٥٥٩ حاشية ٤) بمعنى
الغازية أو الفزاة .

(٣) الإضافة يقتضيان تركيب الجملة .

(٤) في الأصل « عشرة » .

(٥) في الأولى (مركب) والسوابق يتطلب ذكر عدد من المراكب .

(٦) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٦٠) .

(٧) كذا في الأصل ؛

وشعيرا ، وعن مملكة حماة وهي أربعة آلاف دينار ، وعن شيزر وأفامية وهي في كل سنة على أبو قبيس مئتا دينار مصرية ، وعلى صيناب^(١) مئتا دينار صورية ، والرسم المعروف بالمقادة ، وهو عن كل فدان مكوكان غلة وستة دراهم . وسير لإستحلاف مقدم الإبتار ، الأمير فخر الدين المفرى والقاضي شمس الدين ابن فريش كاتب الدرج .

ذكر فتوح يافا^(٢)

قال : كان الصلح قد استقر بين السلطان وصاحب يافا جوان ديكين ، فصار نوابه يتعمدون ، وصبروا متجربة في زى صيادين إلى قطيا . فاتفق هلاك صاحب يافا وقيام ولده جالك بعده .

ولما كان السلطان على صفد لعازتها حضر إليه قسطلان يافا وسأله في هدنة لولد صاحبها . فامتنع السلطان من ذلك . ثم وصلت الأخبار أن أهل يافا يحملون الميرة إلى صكا ، وكانت ممنوعة منها . وأقاموا في يافا حانة وأوقفوا فيها عدة من المصائب ، واعتمدوا أسيا باليست في هدنة .

فلما كان في سنة ست وستين ومئتا ، خرج السلطان من الديار المصرية متوجها إلى الشام ، وذلك في مستهل جمادى الآخرة ورحل في ثالثه فوصل إلى

(١) في الأصل « عتاب » وفي السلوك « صيناب » وهو أصح .

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٦٤ - ٥٦٥) .

(٣) كذا في الأصل « بدون نقط تحت الحاء » وبدون وسم وأسن الكاف .

(٤) هو مستحفظ الحصن . راجع السلوك (ج ١ ص ٥٢٤ حاشية ٣) .

فمرة ، وبلغه أن جماعة من الجمالين تعرضوا إلى الزرع فقطع أنوفهم ، وبلغه أن علم الدين
سنجر الحموى أحد أمرائه ، ساق في زرع فأنزله عن فرسه وأعطاه [وأعطى]
سرجه وبلحاه لصاحب الزرع . ونزل السلطان على الموجاء فحضر إليه القسطلان
وأكابر يافا ، فموقفوا إلى أن يخرجوا من الدواوى . فبذلوا للسلطان تسليم
المدينة والقلاع على أن يطلقوا بأموالهم وأولادهم . فأجيبوا إلى ذلك .

وركب السلطان في العشرين من جمادى الآخرة وساق إليها وما أحسن أهلها
إلا والعساكر قد أطاقت بها . وأخذ الأتابك من حصل معه الحديث منهم وحضر
به إلى يافا ، فسأ تفادوا في الحديث إلا والمسكر قد ظلمتها من كل جانب ،
وفتحت أبوابها . ثم زحفوا على القلعة فسلمها أهلها في اليوم الثانى ، ومنع السلطان
من نهبها ، وطلع إلى القلعة وجهز أهلها إلى ما منهم ، وجرى معهم الأمير بدر الدين
بيسرى . وشرع في هدم القلعة فهدمت ، وأخذ من أخشابها والواح رخام
وجدت فيها ما أوسق بها صركا وسيرها إلى القاهرة . ورسم بعمل ذلك الخشب
مقصورة في الجامع الظاهرى بالحسيبة والرخام لمحرابه . ورتب السلطان الخفراء
على السواحل وألزمهم بدركها ، ورسم أن المال المتحصل من هذه البلاد
لا يفسد في غيره ، وجعل ما كوله ومشروبه منه . وملك الأمير علاء الدين منها
قرية ، والأمير علم الدين سنجر الحموى قرية . ورتب إقامة التركان بالبلاد
الساحلية لحمايتها ، وقرر عليها خيلا وعدة ، ورسم بتجديد مقام الخليل ، عليه الصلاة

(١) الإضافة تقتضيا المعاق اعتمادا على المعنى الوارد في الخبر الموازى في السلوك (ج ١ ص

والسلام ، وعمل مكان الخوان ناحية من الحرم ^(١) .

وهذه يافا فتحتها عمرو بن العاص في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ويقال بل فتحها معاوية ، ذكره البلاذري . وذكر عن الدين بن عساكر أن الملك طنكي بناها في سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة ، ونزل عليها السلطان الملك الناصر رحمه الله ، في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة . فخرج البطرك ^(٢) وجماعة منها وسألوا السلطان على أنهم يسلموها بالأمان ويكونوا أسارى ، واستهلوا في التسليم إلى الصبح فأمهلهم . فوصل ملك الأنكثير في تلك الليلة إليها ودخل قلعتها ، ونقض ما كان تقرر ، فرحل السلطان عنها ونزل اللاطون ^(٣) . ثم نزل عليها الملك العادل بمساكر ولد أخيه الملك العزيز صاحب مصر ففتحها في سنة إحدى وسبعين وخمسمائة . هكذا حكاه القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في فتحها ، وقد تقدم أنها من الفتوح الناصرية ^(٤) .

قال : وما حضر الأنيرور فرديك في أيام الملك الكامل نزلها وحصن قلعتها وبناها . وما حضر الريدافرنس بعد خلاصه من الأسر في سنة ثمان وأربعين وستمائة ، عمر مدينتها وأفق عليها أموالا كثيرة .

(١) الراجح أن المقصود هو أنه أدخل المكان الذي كان يد فيه سباطة قلدي للخليل ضمن مسجد الحرم للخليل . وفي مكان الخوان المشار إليه هنا مد سباطة عند زيارة قبره في القدس عام ١١٦٨ هـ . راجع ما تقدم من هذا الجزء ص ١١١ ، ص ٢٨٢ ، وراجع كذلك تفسير ناصر السلوك (ج ١ ص ٦٥ حاشية ٢) فإنه يرى العكس تماما .

(٢) كذا في الأصل .

(٣) في الأصل : الصفح .

(٤) كذا في الأصل .

(٥) في الأصل : الناصري ، كما لو كان المن يقول الفتح الناصري في

قال : ولما فرغ السلطان من هدم يافا رحل عنها في ثامن عشر رجب ،
ووصل إلى صفد ثم منها إلى الشقيف .

مَعِينُ التَّارِخِ
لأهل التَّارِخِ

ذكر فتوح شقيف أرنون

كان السلطان قد كتب إلى الأمير جمال الدين النجيبى ، نائب السلطنة بالشام ، بتجهيز العسكر الشامى إلى أن يحضر بريدى يسير قدامهم . ولما خرج إلى الشام في هذه السفرة توجه البريدى . وكان السلطان قد قرر مع النجيبى أمانة يسكنها البريدى من يده ، فوصل البريدى وأمسك الأمانة من يده . فأحضر الأمراء للوقت ورسم لهم بائباع البريدى ، فسار بهم إلى بانياس ، فأخرج لهم بريدى آخر كتباً مخشومة في بانياس للأمير علم الدين الحصنى والأمير بدر الدين الأتابكي متضمنة منازلهم للشقيف ، وأنهم لا يعذبون قتالا ولا غيره ، فأسروا بهم إلا وقد نازلوا الشقيف . وكان جماعة من الفرنج قد توجهوا من الشقيف إلى عكا وصيدا ، فأنزله العسكر قبل حضورهم ، وسار بعض العسكر إلى جهة صيدا فأسروا وقتلوا . وجهز هذا العسكر أخشاب المهابيق والستائر . ثم جهز السلطان بعد فتوح يافا الأمير بدر الدين بكتوت من عكا بعسكر مصرى فقتلوا على الشقيف . وتوجه السلطان فوصل إليه يوم الأربعاء تاسع شهر رجب ، فأقام منجنيقين ورمى بهما في اليوم الثانى من وصوله .

(١) انظر الدارك (ج ١ ص ٥٦٥) والشقيف كالكهف قرب بانياس من معجم بانوت (ج ٥ ص ٢٥٤) .

(٢) المقصود نازل للعسكر حصن الشقيف .

(٣) المقصود : الفرنج الذين توجهوا من الشقيف إلى عكا صيدا .

(٤) في الأصل : « بجكا » وما هنا منقول من « س » وسبب الخلط بين مكاء بجكا أن الناصح لا يد أنه وه أول العيين بزلومة غلطوية ونزوية مألوفة عن الخطاطين .

وافق أن الفرنج الذين بالشقيف كانوا سبوا شخصا إلى عكا لما نزل عليها
العسكر الشامي يعلمونهم بحالمهم و يذكرون لهم عودات الحصن ، فسيروا الجواب .^(١)
فلما وصل القاصد وحضر إلى السلطان وأحضر رسالة أخوية أهل عكا إليهم^(٢)
[تتضمن إلام التواب بالشقيفين أن المسلمين لا يقدرّون على أخذ الحصن إن
احتفظتم به بغيره في أمركم] . فحصل التحصيل في قراءتها ، وعلم منها أسماء
المقدمين الذين بالشقيف ، فكانت الأمارات لهم بأسمائهم ورمى بها إلى الحصن
بالنشاب . وكتب أحد التراجمة حوض [رسالة] أخوية عكا ، وعكس عليهم فيها
القضايا . وكان في الكتاب أن الوزير لا يكون خاطره متفكرا بسبب المصادرة
له ، ففي ساحة يمكن تعويضه من ذلك ، فمكس ذلك : وقيل للقدم بالشقيف
يختر من الوزير كليام ، ففي قلبه إحنة من مصادرتا له ، وأغرى بينهم بهذا
القول وما يناسبه . ورميت هذه الكتب في مهم لحصل الاختلاف بينهم ،
ورجدا الأمانات التي كانت كتيبت للقدمين ، فامسكوا جماعة وتوهموا من الوزير .
وكان الفرنج لما تسلموا الشقيف من الملك الصالح إسماعيل ، في سنة ثمان
وثلاثين ومستمائة ، هو وصفد ، همروا إلى جانبه قلعة أخرى ، فعجزوا في هذا

(١) المقصود حصن الشقيف .

(٢) الفاعل أهل عكا .

(٣) أي إلى أمان حصن الشقيف .

(٤) الإضافة للإيضاح وهي مقولة من حاشية لآخر السلك (ج ١ ص ٦٥ حاشية ٣) فلا

من بين أبي الفضائل في الفرج السديد .

(٥) في الأصل « متلبا » وهو خطأ .

(٦) في الأصل « لحصل » .

الوقت عن حاية جهتين . فلما كان في ليلة الأربعاء السادس والعشرين من شهر رجب عمدوا إلى هذه القلعة المستجدة وحرقوا جميع ما بها من خلة وقماش وغيره ، وانتقلوا إلى القلعة المستقرة ، وأصبح المسلمون وتسلموها ، وقدمت المجانيق^(١) إلى هذه القلعة في سابع وعشرين الشهر ورعى بها . وأقام السلطان في سطح برج من أبراجها بالقرب من المدور ، فعرف الفرنج موضعه فرموا بهجرا قريبا منه فقتل ثلاثة نفر ، ولم ينتقل السلطان عن موضعه . وكان باب هذه القلعة تجاه باب القلعة الأخرى ، فعمل السلطان سربا طويلا في أعلى القلعة نازلا إلى أسفلها وصار يتعلق به ويطلع وينزل وهو لا يبس بدنه .

قال . واشتد القتال ، فبينما الناس في ذلك وإذا بالوزير كليم قد خرج مستأثما ، ثم سألوا الأمان على نفوسهم وأنهم يؤخذون أسارى ، وسألوا إطلاق الحرم والأطفال ، فأجاب السلطان إلى ذلك . وفي يوم الأحد سلخ شهر رجب سنة ست وستين وستمائة ، استدعوا الصناجق فرفعت على القلعة . وسير الأمير بدر الدين الخزندار قسلبها^(٢) ، وخرج الفرنج إلى الخنادق فقيدوا ، وأخرج النساء والأطفال . وجرى الأمير بدر الدين يصرى الشمعى^(٣) صحتهم فأوصلهم إلى جهة صور ، وسلم الرجال إلى العساكر^(٤) .

قال : وهذا الشقيف من أحسن المعادل وأحسنها وكان مضرة على بلاد الصببية . وكان الملك العادل الكبير قد جدده ، وما زال في يد الإسلام إلى أن سلمه الصالح إسماعيل للفرنج على ما قدمناه .

(١) نصب السلطان عليها سنة وعشرين من جنين من السلوك (ج ١ ص ٥٩٥ ص ١٠ - ١١) .

(٢) المقصود هو أنه تسلق القلعة .

(٣) الضير يورد على النساء والأطفال .

(٤) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٦٦) .

قال : ولما قدر الله تعالى فتح الشقيف ، انفق [السلطان] في جميع المعسكر
 وخلق على الملوك الذين في خدمته ، مثل : الملك المنصور صاحب حماة وأخيه ،
 وأولاد صاحب الموصل ، والملك الأجد بن العادل ، وغيرهم من أولاد الملوك ،
 وعلى الأمراء والمقدمين ، ومن جرت عادتهم بالخلع . وشرع السلطان في
 هدم القلعة المستجدة فهدمت إلى الأرض ورتب الأمير صارم الدين قايمارز
 الظافري^(١) قنبا لهذه القلعة ، ورتب فيها الأجناد والرجال ، ورتب بها فاضيا
 وخطيبا^(٢) ، وأقيمت شعائر الإسلام بهذه القلعة وجميع تلك البلاد ، وولى الأمير
 سيف الدين بلبان الزينى عمارتها ، وكان قد خرج منها جماعة من المسلمين حالة
 الحصار فكتب لهم السلطان فدنا وقفا عليهم .

ذكر توجه السلطان إلى طرابلس^(٣)

وإخارته عليها

كان يميند صاحب طرابلس قد كثر تعديه على بلاد الإسلام ، وأخذ البلاد
 المجاورة له بعد زوال الأيام الناصرية واستيلاء التار على الشام ، وكان من أكبر
 أحوان التار . فلما رحل السلطان من الشقيف نزل قريبا من جسر بانياس ،
 وجهز الأتقال إلى دمشق وجرى الأمير عز الدين إيفان بجماعة توجهوا من جهة ،
 والأمير بدر الدين الأيدمرى بجماعة من جهة أخرى ، ففطت الطرقات

(١) كما في الأصل وفي السلوك (ج ١ ص ٥٦٦) « الكافري » .

(٢) في الأصل « فاض وخطوب » بالرفع .

(٣) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٦٦) .

وامتلاّت بالمساركة، وتوجه إلى طرابلس على جهة جبال الطنّين^(١) ، وكان البرنس قد وُصّر الطرقات ، فوصل السلطان في نصف شعبان وملك هذه الجبال التي يقول فيها المتنبي :

وجبال لبنان وكيف بقطعها وهو الشتاء وصيفهن شتاء
أيس التلوج بها على مسالكى فكانها بياضها سوداء

وخيم السلطان قريبا من طرابلس واستمر على الركوب إليها ، والمساركة تناوش [أهلها] القتال ورامونهم بالنشاب ، وافتتح برجاً قد عصى فيه جماعة من الفرنج [و] ضرب رقابهم ، وجرّد جماعة خربوا الحرث ونهبوا تلك الجبال وأخذوا عدة مغاير بالسيف ، وقطعت الأشجار وهدمت الكنائس وقنى المياه والقناة الرومانية ، وقسم السلطان الغنائم في المساركة ورحل عن طرابلس في العشر الآخر من شعبان من السنة .

ذكر فتوح أنطاكية^(٢)

لما رحل السلطان عن طرابلس لم يطلع أحدا على الجهة التي يقصدها ، فتوجه إلى حمص في سابع وعشرين شعبان . وأمر ببناء مسجد بمحمص ، ولما وصل إلى حماة رتب المساركة ثلاث فرق : فرقة محبة الأمير بدر الدين الخزندار ، وفرقة مع الأمير عز الدين إيفان ، وفرقة محبة الركاب السلطاني .

(١) كذا في الأصل « جهال الطنّين » ولعل الأصح هو الروم بالطاء المحببة لأن الاسم يرد في السلوك الضنوني (ج ١ ص ٧٧٩ ، ص ٩٨٥) .

(٢) في الأصل « ورامونهم » .

(٣) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٦٩ - ٥٦٧) وخاصة تعليلات الحق .

فتوجه الأمير بدر الدين الخزندار إلى السويديّة ، وتوجه الأمير عز الدين
إليان إلى الدرب ساك ، فقتلوا وأمروا . وتوافوا جميعهم بأنطاكية ، ونزل
السلطان أقمية ، ومنها إلى جسر تحت الشجر وبكاس ، وأصبح مغيرا على أنطاكية
وذلك في مستهل شهر رمضان .

وتقدم في الجليليش الأمير شمس الدين أقستقر أستاذ الدار ، فصادف جماعة
من عسكري أنطاكية وأقشبت الحرب بينهم ، فعمل أحد أجناد الأمير شمس الدين
أقستقر وهو فلان الدين المظفرى على كندا سطيّل فأسره وأحضره إلى السلطان ،
فأسره السلطان وأحسن إليه . وأطافت العساكر بأنطاكية من كل جانب .
وكان النزول عليها بالخيام والنقل ، بكرة يوم الجمعة ثالث شهر رمضان سنة
ست وستين وستائة . ولما حضر كندا سطيّل إلى السلطان رأى رجلا مافلا ،
فسأل أنه يدخل إلى أنطاكية ويتوسط لأهلها ، فجرى السلطان على عادته
في الإنذار قبل المهاجمة . فسير كندا سطيّل [من] أحضر ولده رهينة ، ودخل
البلد وتحدث ، وخرج مع جماعة من القسيسين والرهبان ، وأقاموا يترددون ثلاثة
أيام فظهر منهم قوة نفس وخوف من صاحبهم البرنس . وفي بكرة السبت أنذرهم
بالزحف ، وصبر حتى دخل الأتساء والرهبان إلى أنطاكية ، ورسم بالزحف . فزحفت
العساكر وأطافت بالمدينة والقلعة على اتساعها ، وقاتل أهلها قتالا شديدا . فتنسور

(١) الجليليش في السلوك يرد بمعنى راية وبمعنى مقدمة القلب وهو المراد هنا (راجع السلوك ج ١

ص ١٩٧ حاشية ٤) .

(٢) راجع نفس الإصطلاح واردا في السلوك (ج ١ ص ١٦٧) .

(٣) نفس التاريخ في السلوك : ففكروا بخيامهم في ثلاثة (ج ١ ص ١٦٧) .

(٤) الإضافة للـ "بماض" مقدار كلمة واحدة بحسب السياق .

المسلمون الأسوار من جهة الجبل بالقرب من القلعة ونزلوا المدينة ، فهرب أهلها إلى القلعة . وشرعت المساكر في النهب والقتل والأسر ، وما رفع السيف عن أحد من الرجال بالمدينة ، وكان بها فوق المائة ألف نفر . وأخذ التركمان من الغنائم ما لا يحصى . ثم رسم السلطان بحفظ أبواب المدينة والإحتراز عليها . وأما القلعة فاجتمع فيها ثمانية آلاف مقاتل غير الحریم والأولاد ، فتحاشروا بها فوات مالم . وأما البالي^(١) والوزير الوالى فإنهم لما شاهدوا هذا الحال هربوا وجماعة في الليل ، تدلوا بالجبال ، وأصبح أهل القلعة فاجدوا أحدا منهم ، ولم يكن بالقلعة ماء ولا طواحين تكفيهم . فسيروا يوم الأحد ثانی يوم الفتح يطلبون الأمان من القتل وأنهم يؤخذون أسرى . فخلوقت طلع السلطان فصادف جميع من في القلعة قد خرج إلى ظاهرها وعليهم الملابس الحسنة واستفتاوا للسلطان ، فعفا عنهم من القتل ، وأحضرت الجبال فربطوا بها ، وتسلم كل أمير جماعة من الأسرى ، وكذلك كل مقدم ، والكتاب يتزلون ذلك ، وكتبت كتب البشائر ، ومن حملتها كتاب إلى صاحب انطاكية^(٢) : نسخته بعد السهولة :

« قد علم القومص الجليل [المبجل المميزز الهمام ، الأسد الضرم ، يميند فخر الأمة المسيحية ، رئيس الطائفة الصليبية كبير الأمة العيسوية]^(٣) يميند

(١) المقصود هو : Baillet وهي وظيفة من الوظائف الإدارية الفرنسية في المصور الوسطى .

(٢) نشر هذه الوثيقة ناصر السلوك قلا عن المخطوطة التي صيغها هذا « س » ومن متن أبي الفضال

في النهج السدي .

(٣) الإضافة منقولة عن « س » وهي غير موجودة في الأصل .

المتقلة غاطبته بأخذ أنطاكية [منه] من البرنسية إلى القوصبة ، ألحمه الله
 رشده ، وقرن بالخير قصده ، وجعل النصيحة محفوظة عنده . ما كان من قصدا
 طرابلس وفزونا له في عقر الدار ، وما شاهده بعد رحيلنا من إخراب المأثر ،
 وهدم الأعمار ، وكيف كذبت تلك الكنائس من بساط الأرض ، ودارت
 الدوائر على كل دار ، وكيف جعلت تلك الجزائر من الأجساد على ساحل البحر
 كالجزائر ، وكيف قتلت الرجال ، واستخدمت الأولاد ، وتملكت الحرائر ،
 وكيف قطعت الأشجار ، ولم يترك إلا ما يصلح لأموال المجانيق [إن شاء الله]
 والسنائر ، وكيف نهب لك ولرعيك الأموال والحرير والأولاد والمواشي ، وكيف
 استغنى الفقير وتأهل العازب واستخدم الخديم وركب الماشي .^(١)

« هذا وأنت تنظر المغنى عليه من الموت ، وإذا سمعت صرنا قلت فرما :
 على هذا الصوت^(٢) ، وكيف رحلنا منك رحيل من يعود ، وأخزناك وما كان تأخيرك
 إلا لأجل معدود . وكيف فارقنا بلادك ، وما بقيت ماشية إلا وهى لدينا ماشية ،
 ولا جارية إلا وهى فى ملكنا جارية ، ولا سارية إلا وهى فى أبدي المعاول سارية ،
 ولا زرع إلا وهو محصود ، ولا موجود لك إلا وهو منك مفقود ، ولا منعت
 تلك المغائر^(٣) التى هى فى رموس الجبال الشاهقة ، ولانلك الأودية التى هى فى التخوم
 مخترقة والمقول خارقة . وكيف سقنا منك ولم يسبقنا إلى مدينتك أنطاكية خبر .
 وكيف وصلنا إليها وأنت لا تصدق أننا نبعد منك ، وإن بعدنا فسنمود على
 الأمر . وما نحن نبلغك بما تم ، ونفهمك بالبلاء الذى هم . »

(١) فى الأصل « الرب » وصحة العازب :

(٢) كما فى الأصل .

(٣) المراد أن سفار الجبال لم تحك ولم تمنك من هجرنا :

« كان رحيلنا عنك [و]^(١) عن طرابلس يوم الأربعاء رابع عشرين شعبان ،
وتزولنا أنطاكية في مستهل شهر رمضان . وفي حالة التزول خرجت عساكرك
المبارزة فكسروا ، وتناصروا فافكسروا ، وأمر من بينهم كندا سطيل ، فسأل
مراجعة أصحابك . فدخل إلى المدينة ، فخرج هو وجماعة من رهبانك وأعيان
أحوالك فتحدثوا معنا ، فرأيناهم على رأيك في إتلاف النفوس بالفرض الفاسد ،
وأنت رأيهم في الخدير مختلف ، وقولهم في الشر واحد ، فلما رأيناهم قد
قات فيهم القوت ، وأنهم قد قدر الله عليهم الموت ردوناهم وقتلنا : « نحن الساعة
لكم نحاصر ، وهذا هو الأول في الإنذار والآخر » فرجموا متشبهين بفعلك
ومعتقدين أنك تدركهم بخيلك ورجلك ، ففى بعض ساعة مرشأن المرشان ،
وداخل الرهب الرهبان ، ولان للبلاء القسطلان ، وجاءهم الموت من كل
مكان . »

« وفتحناها بالسيف في الساعة الرابعة من يوم السبت رابع شهر رمضان ،
وقتلنا كل من اخترته لحفظها والحمامة عنها ، وما كان أحد منهم إلا وعنده
شيء من الدنيا ، فما بقى أحد منا إلا وعنده شيء منهم ومنها . فلو رأيت
خيالك وهم صرعى تحت أرجل الخبول ، وديارك والنهاية فيها تصول ،
والكسابة فيها تجول ، وأموالك وهى توزن بالقنطار ، ودمايتك وكل أربع^(٢)
منهن تباع ، فقترى من مالك بدينار ، ولو رأيت كنائسك وصلبانها قد كسرت

(١) كذا في الأصل بدون واو المعطف التى أصفناها للايضاح .

(٢) في الأصل « نورت » والواقع أن الناصخ يخلط أحرانا بين رسم الناء والنون وقد سبق مثل
هذا الخلط .

(٣) المقصود بالهدات .

(١) ونشرت ، وصحفها من الأناجيل المزورة قد أثرت ، وقبور البطارقة قد بعثت .
 ولو رأيت عدوك المسلم وقد داس مكان القديس والمدبح ، وقد ذبح فيه الراهب
 والقسيس والشماس ، والبطارقة وقد هموا بطارقة ، وأبناء الملوك وقد دخلوا في
 المملكة . ولو شاهدت النيران وهي في قصورك تحترق ، والقتل بنار الدنيا قبل
 الآخرة تحترق ، وقصورك وأحوالها قد حالت ، وكنيسة بولص وكنيسة
 القسيان قد زلت كل منها وزالت ، لكنت تقول : « يا ليتني كنت ترابا ،
 ويا ليتني لم أوت بهذا الخبر كتابا » ، ولكانت نفسك تذهب من حسرتك ،
 ولكنت تطفى تلك النيران بماء عبرتك . ولو رأيت مغانيك وقد أفقرت من
 مغانيك ، ومراكبك^(٢) وقد أخذت في السويدي^(٣) بمراكبك ، فصارت سوانيك من
 من سوانيك ، لتيقنت أن الإله الذي أعطاك أنطاكية منك استرجعها ، والرب
 الذي أعطاك قلعتها منك قلعتها ، ومن الأرض أقماعها . ولتعلم أنا قد أخذنا بحمد
 الله منك ما كنت أخذته من حصون الإسلام وهو : دير كوش ، وشقيب
 نابلس ، وشقيب كفردين ، وجميع ما كان من بلاد أنطاكية ، [و^(٤)]
 استنزلنا أصحابك من الصياصي وأخذناهم بالنواصي ، وفرقناهم في الداني والقاصي ،
 ولم يبق شيء يطلق عليه اسم المصيان إلا النهر ، فلو استطاع لما سمي بالعاصي ،
 وقد أجرى دموعه ندما ، وكان يذرفها عبرة صافية ، فهو أجراها بما سفكناه
 فيه دما .

(١) في الأصل « نشرت » .

(٢) استعمل المؤلف لفظ المراكب بمعنىين مختلفين .

(٣) في الأصل « السويدي » والمقصود هو ميناء قريب من أنطاكية .

(٤) لفظ عامي شائع بمعنى أعطى ، وهو أفسب كما يريد الكاتب من الجناس .

(٥) الإضافة بفتحة تركب الجملة .

«وكتابتنا هذا يتضمن البشرى لك بما وهبك الله من السلامة وطول العمر،
بكونك لم تكن لك في أنطاكية في هذه المدة إقامة، وكونك ما كنت بها فتكون
إما قتيلا، وإما أسيرا، وإما جريحاً، وإما كسيراً. وسلامة النفس هي التي يفرح
بها الحى، إذا شاهد الأموات، ولعل الله ما أنرك إلا لأن تستدرك من الطاعة
والخدمة ما فات. ولما لم يسلم أحد يخبرك بما جرى خبرناك، ولما لم يقدر
أحد يشاركك بالبشرى بسلامة نفسك وهلاك ما سواها باشرناك بهذه المفارقة
وبشرناك، لتتحقق الأمر على ما جرى. وبعد هذه المكتوبة لا ينبغي لك أن
تكذب لنا خيراً، كما أن بعد هذه المخاطبة يجب أن لا تسأل غيرها محمداً^(١)»

قال: ولما وصل إليه هذا الكتاب اشتد غضبه، ولم يبلغه خبر أنطاكية
إلا من هذا الكتاب.

ولما تسلم السلطان القلعة سلمها للأمير بدر الدين [بيليك] الخزندار والأمير
بدر الدين يسرى الشمسى. وأما كئندا سطبل فإن السلطان أطلقه وأطلق أهل
وأقاربته، فاخترار التوجه إلى صيس، ففسح له في ذلك.

ذكر ملخص أخبار أنطاكية

ذهب المفسرون لكتاب الله تعالى في قوله تعالى: ﴿واضرب لهم مثلا
أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون﴾^(٢) أن القرية أنطاكية.

(١) كذا في الأصل ولا بأس به.

(٢) سورة يس آية ٢٣.

وقال أصحاب الأخبار فيها : إن الملك انقيوس قصد بناء مدينة يعمرها لتكون نسبها إليه ، فسير حُكَّاءه ووُزراءه لاختيار مكان يكون طيب الهواء والماء ، قريبا من البحر والجبل ، فوجدوا هذا المكان . فاخْتاروه لأنه جلي بجمي بحكم عليه الهواء الغربي ، وعيون الماء العذبة حوله ، والبحيرة الحلوة شرقية ، والبحر المغلوب ، وهو الماصي ، خارج سورها وعليه طواحينها ، وفيه المراكب تحمل الغلات إليها وغير ذلك . فعرفوا ملكهم هذه الصفات ، فأمر ببنائها ، وأخرج النفقات ، وطلبوا حجرا جيدا لبنائها ، فوجدوه في مسافة يومين منها . فاستخدم لها من الرجال والبنائين ثمانين ألف رجل وثمانمائة رجل ، ومن العجل ستمائة عجلة ، وألف وتسعمائة حمار ، ومائة زهرق لنقل الحجارة ، خارجا عما في ميناء السويدية من العجل والرجال والزوارق التي تحمل الرخام والعمد والقواعد . فتمجزت في ثلاث سنين ونصف ، وبنيت أسوارها وأبراجها وهي مائة وثلاثة وخمسون برجاً ، ومائة وثلاثة وخمسون بدنة ، وسبعة أبواب ، منها خمسة كبار وبابان صفاراً . وجعل فيها سبع عوادي ترمى إلى النهر عند الوادي المسمى الحسكروت ، وجعل منه باب في الجبل ينزل منه إلى المدينة ، وعليه قناطر يعبر الناس عليه ، وإذا امتلأ يخرج من تحت السور ، وماقوا الماء إليها^(١) في قناتين : البوليطة^(٢) والعاوية^(٣) .

(١) كذا في الأصل .

(٢) في الأصل : بجبل عجماء بالنصب وحقه الرفع .

(٣) كذا في الأصل .

(٤) كذا في الأصل .

(٥) الضمير يعود على الرادى .

(٦) الضمير يعود على المدينة .

(٧) كذا في الأصل .

(٨) كذا في الأصل .

ولما فرغت حضر الملك إليها ورآها ، فأكرم الصنائع ومد لهم طعاما ثلاثة أيام ،
وأمر ببناء الأدر والد كاكين ، فشرع الناس في بنائها ، وذهب كل من يحضر
إليها وينزل حولها خراج ثلاث سنين ، وبنى الكنائس وبيوت عبادتهم فاجتمع
العالم إليها .

واتفق أن الملك جلس في بعض الأيام وهو سرور فرح ، فقال له
وزيره : « لو عرفت ما أنفقت في هذه المدينة ما كنت تفرح » فاستيقظ لنفسه ،
وأمر بعمل حساب ما أنفق فيها سوى الضيافات والجواميس التي أخذت من
المروج والبهائم بغير ممن ، فجاءت أربعة آلاف قنطار وخمسين قنطارا ذهباً ،
فعظم ذلك عنده ، وأمسك من المارة ، وشرع في بناء مدائن تمل ، فبنى سبع
مدائن ، وأسكن الناس فيها . واستمرت في يد الملك ، ومن ملك بعده ، وعمارها
تزايد ، وكل ملك يؤثر بها تأثيراً ، ويحدد بها طلبها إلى أن ظهر المسيح
عليه السلام .

وما زالت في يد الروم إلى أن فتحها المسلمون في خلافة همر بن الخطاب ،
رضي الله عنه ، كما قدمناه في خلافته . ولما ولي معاوية بن أبي سفيان نقل إلى
أنطاكية في سنة اثنين وأربعين جماعة من الفرس وأهل بعلبك وحمص ، وكان
منهم : مسلم بن عبد الله جد عبد الله بن حبيب بن مسلم الأنطاكي . ولم تزل بيد
همال الخلفاء في الدولتين الأموية والعباسية ، ثم استقرت في يد بني حمدان . فلما
مات سيف الدولة ابن حمدان اتفق أهلها أنهم لا يمكنون أحداً من الحمدانية
يدخلها ، وولوا شخصاً يسمى بفلوش الكردي ، وكان قد ورد الفزاة من خراسان
نحو ألف رجل فأمسكهم وتقوى بهم واشتد أمره ، وكان منهم رجل أسود

من الصعاليك يعرف بالزمل^(١) قد جمع طائفة وسما نفوسهم بالفرقة . فدخل يوما عليه للسلام ، فقتل الكردى وهرب أصحابه ، واستولى الأسود على المدينة هو ومن معه . وكان في بغراس نائب للروم اسمه ميخائيل البرجي وبطرس . فحضر إلىهما في جمع كبير ، فعجز المسلمون عن حفظها لاتساعها ، فلما كان يوم الخميس ثلاث عشرة خلت من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة . فطرح المسلمون النار بينهم وبين الروم ، وفتحوا باب البحر وخرجوا منه . وأسر الروم جميع من كان بها من المسلمين ، فغوى الروم بفتحها ، وتوجهوا إلى حاب فصالحهم أهلها وأهل حمص على مال يحل في كل سنة إلى ملك الروم وهو عشرة قناطير ذهبا ، ومن كل مسلم دينار سوى ذوى العاهات ، وأقامت إلى سنة ست وستين وثلاثمائة ، فسير جعفر بن فلاح غلامه « فتوحا » إلى أنطاكية فحاصرها خمسة أشهر فلم يظفر بها . وحدثت في هذه السنة زلزلة عظيمة هدمت قطعة من سورها فأنفذ ملك الروم ثانيا ، اثني عشر ألف ديناراً وصنفاً لإصلاح ذلك ، فبليت أحسن ما كانت . وبقي قلعتها لاون بن الفقاص وحصنها ، وكان في خدمته جماعة من الأرمن ، ومات فكل عمارتها الملك بسيل^(٢) وهو الذي وجد له لما مات ستة آلاف فنطار ذهبا ، ولما ولي كان في حاصيل بيت المال أربعة قناطير لافير ، وهو الذي ملك أرجيش من بلاد أرمينية في سنة خمس عشرة وأربعمائة ، وكان ملكه تسعا وأربعين سنة وأحد عشر شهرا . وبقيت في أيدي الروم إلى أن فتحها الملك سليمان بن قتلمش السلجوقي في سنة سبع وسبعين وأربعمائة على ما أوردناه في

(١) كذا في الأصل والأذن تفضل الفين الممجة .

(٢) في الأصل « وصناع » بالرفع وحقه النصب .

(٣) المقصود هو الإمبراطور البيزنطي Basile

أخبار الدولة السلجقية، وبقيت في يده إلى أن قتل في سنة تسع وسبعين وأربعمائة، فصارت بيد وزيره الحسن بن طاهر الشهرستاني يتولى أمرها. فلما استرد السلطان ملكشاه بلاد الشام استردها وضمها إلى الوزير المذكور، فأقام بها إلى سنة إحدى وثمانين وأربعمائة، ثم فارقتها [الوزير] ودخل الروم، فسلمها لأخي شيان بن ألب [أرسلان] وكانت بنته متروجة لذلك رضوان صاحب حلب.

وحدثت زلزلة بأنطاكية في التاسع عشر من شعبان سنة أربع وثمانين وأربعمائة خربت دورها وأهلكت خلفا كثيرا، ورمت من أبراجها نحو السبعين رجلا، فتقدم السلطان بمارة ما انهدم في سنة خمس وثمانين.

واستمرت أنطاكية بيد ملوك الإسلام إلى أن ملكها الفرنج في جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين وأربعمائة على ما قدمناه. وكان قد اجتمع عليها جماعة من ملوك الفرنج والملك الكبير المشار إليه منهم اسمه كندفرى، فقرروا أن كل ملك من الملوك يحاصرها عشرة أيام، ومن فتحت في نوبته فهي له، ففتحت في نوبة ملك منهم اسمه ميمون^(١). فلما اتصل ذلك بملوك الإسلام بالشام اجتمعوا ومعه ميمون ظهير الدين طغرتكين صاحب دمشق، وجناح الدولة حسن صاحب حمص، وكرضا صاحب الموصل، وحاصروا أنطاكية، وكان الفرنج في قل، فسألوا الأمان ليخرجوا منها فلم يجيبوهم، ووقع تنافس بين المسلمين فخرج الفرنج إليهم فانهزموا من غير قتال. وبقي ميمون ملكها حتى كسره الدانشمند وأمره وقتل أكثر عسكره، وذلك في سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة، فاشتري نفسه بعد ذلك بمائة ألف دينار، واستخلف ميمون فيها ولد أخيه طنكرى،

(١) كذا في الأصل ومادة النسخ أن يرمي الاسم بهمة، ماعدا هذه المرة.

وركب في البحر وسار إلى بلاده ليستنجد الفرنج ويعود ، فأهلكه الله تعالى . واستمر طنكري مالكا لأنطاكية وأعمالها إلى أن أهلكه الله تعالى في ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة ست وخمسمائة ، وملكها بعده روجار . وكان طنكري قد استدعاه من بلده وجهه له ولي عهده ، وهو الذي حضر إلى بيت المقدس في ملك بغدوين ، وكان بغدوين شيخا كبيرا ، فاجتمعا بالبيت المقدس وقررا عهدا : أن من مات منهم قبل الآخر انتقل ملكه إلى الباقي منهما . وتزوج روجار بنت بغدوين ، فقتل روجار في حرب كانت بينه وبين نجم الدين إيلغازي بن أرتق في يوم السبت ثامن عشر شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة وخمسمائة . فقتل روجار وجميع من معه ، فسار بغدوين إلى أنطاكية وملكها ، وأقام بها إلى أن وصل شاب ، في ثامن عشر شهر رمضان سنة ست وعشرين وخمسمائة ، من الفرنج في البحر وادعى أنه ميمون بن ميمون الذي كان صاحب أنطاكية ، فسلم بغدوين أنطاكية له فملكها . وكان شجاعا مقداما ، وأقام بها إلى أن سار نحو الدروب فلقبه ابن الدانشمند فكسره وقتل جماعة من عسكره بأرض عين زرية ، وذلك في نصف شهر رمضان سنة أربع وثلاثين وخمسمائة . وملك بعده الأبرنس ، ولحق الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي على حصن الأكراد في شهر رجب سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة فكثير المسلمون وقتل جماعة منهم ، واستولى الفرنج على أنطاكيهم . فجمع نور الدين العساكر ، والتقاء في يوم الأربعاء الحادي والعشرين من صفر سنة أربع وأربعين وخمسمائة فقتله وقتل فرسانه واستولى على خيامه . وولى أنطاكية بعده الأبرنس أرناط ، فأقام إلى أن لقيه مجد الدين أبو بكر نائب

(١) في الأصل « سنكي » والمقصود طنكري بد التورمندی .

(٢) كرر هذه الجملة وكان ينبغي أن يكرر الفعل ولذا بدت العبارة بجملة مكررة المعنى .

الملك العادل في المملكة الحلبية ، وذلك في صفر سنة إحدى وخمسين وخمسمائة
فكسره وقتل أصحابه وأخذ أسيرا ، فأقام في حبس الملك العادل . وملك أنطاكية
وهو في الأسر رجل من ذريته اسمه بيمند^(١) وخلص أرناد^(٢) ، وتزوج صاحبة الكرك
وأقام بالحصن حتى ملكه السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب
وقتله .

وفي سنة أربع وثمانين وخمسمائة عقد السلطان الملك الناصر الكبير مع بيمند
صاحب أنطاكية هدنة لمدة ثمانية أشهر من تشرين الأول إلى آخر آيار ، وحلفا
على ذلك ، ورحل الناصر عنها وتوجه إلى حلب على ما ذكرناه في أخباره . ثم
ملكها الأبرنس المعروف بالأسير ، وملكها ابنه من بعده ، ثم ملكها بيمند ولده
أيضا ، وهو الذي أخذت منه الآن في الدولة الظاهرية .

هذا تلخيص خبر أنطاكية من حين عمرت إلى حين فتحت هذا الفتح .

ذكر ما اعتمده السلطان في قسمة عثائم أنطاكية وإحراقه

قلعتها وما افتتحه مما هو مضاف إليها وهو : دير كوش

وشقيف كفردين وشقيف كفر تلميس^(٣)

قال : ولما فتحت أنطاكية وفرغ الناس من نهبا ، رسم السلطان بإحضار

المكاسب للقسمة ، وركب وأبعد عن الخيام ، وحل ما غنمه وما غنمه بماليكه

(١) هكذا رسم الناسخ مادة اسم بيمند .

(٢) هكذا في الأصل بالهال والأدھر الرّم بالطاء .

(٣) في الأصل « بليس » والمصحح من نص خطاب يورس إلى صاحب أنطاكية (راجع

السلوك (ج ١ ص ٥٦٨) .

وخواصه . وقال للأمراء : « ينبغي أن تخلصوا ذمتكم وتحضروا ما فخرتموه ، وأنا
أحلف الأمراء والمقدمين ، وهم يحلفون أجنادهم ومضافيهم » . فأحضر الناس
الأموال والمصاغ من الذهب والفضة ، فطال الوزن ، فقسمت النقود بالكامات
والشربوشات^(٢) ، ولم يبق غلام إلا أخذ . ونفاهم الناس النسيان والبنات والأطفال ،
وبيع الصغير بأثنى عشر درهما ، والحارية بخمسة دراهم . وباشر السلطان القسمة
بنفسه ، وما ترك شيئا حتى قسمه من الأموال والعقاش والمصوغ والدواب
والمواشي . ثم ركب إلى قلعة أنطاكية وأحرقها رجم الحريق أنطاكية .

وكان صاحب طرابلس قد استولى عند أخذ التار حلب على دير كوش ،
وهو من أمنع الحصون ، وعلى شقيف كفر دزين وعلى شقيف كفر قلميس ،
وكانت هذه الحصون شهي في حلق المسلمين . فلما فتحت أنطاكية انقطعت حيلة
هذه الحصون فطلبوا الأمان ، على أنهم يسلمون الحصون ويؤسرون ، فسير الأمير
بدر الدين بيليك الأمر في الظاهري ، فتسلم دير كوش في ليلة الجمعة حادي عشر
شهر رمضان ، وتسلم بقية هذه الحصون .

(١) في الأصل (تخلصون وتحضرون) بآيات التور في المزمين .

(٢) في الأصل « الشربات » والسياق يقتضى ذكر ما يقع في الكهل والأرجع « شربوشات »
وهي فلابس طويلة تلبس بدل العباءة ولقد تستعمل للكهول عند الضرورات كما قد تستعمل الطائفة للشرب
في الريف لا

(٣) في الأصل « كفر قلميس » راجع ما تقدم في صدر هذا الخبر .

ذكر صلح القصير على المناصفة^(١)

كان القصير للبترك الكبير خاصة، وزعموا أن بأيديهم خط عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فلما نزل السلطان في هذه الجهات بذلوا نصف البلاد للسلطان ، فكتبت لهم هدنة ، وانضاف إلى مملكة الإسلام نصف بلاد القصير .

ذكر فتوح حصن بغراس من الديوية^(٢)

قال : ولما فتح الله تعالى هذه الحصون والجهات على السلطان ولم يبق بشك الجهات سوى بغراس ، خاف من بها من الديوية ، فانهزموا وتركوه . فجهز السلطان الأمير شمس الدين أقتغر [الفارقاني] أستاذ الدار العالية بعسكر قتلسمه في يوم السبت ثالث عشر شهر رمضان من السنة ، ولم يجد به سوى امرأة عجوز ، ووجده عامرا بالحواصل والذخائر .

وقال البلاذري : كانت أرض بغراس لمسلمة بن عبد الملك فوقها في سهل البر ، ولما قصد المسلمون غزاة عمورية محبة مسلمة ، حمل هو والعسكر النساء معهم للجد في القتال . فلما صاروا في عقبة بغراس عند الطريق المستدقة التي تشرف على الوادي سقط حمل عليه امرأة ، فأمر مسلمة النساء أن يمشين ، فسميت تلك العقبة عقبة النساء . قال : وكان في تلك الطريق صباع لا يسلك فيها بسببها ، فشكا الناس ذلك إلى الوليد بن عبد الملك فبعث أربعة آلاف جاموسة وخلقها ، فانكفأت الصباع . ثم بناها بعد ذلك وحصنها أتم تحصين

(١) ذكر السلوك الجلاء من القصير عام ٩٧٥ هـ وأمل أخبار الإجماع الأخرى ، راجع السلوك

(ج ١ ص ١٢٠) .

(٢) راجع السلوك (ج ١ ص ٥٧٠ ص ١٦ - ١٨) .

الملك نففور ملك الروم الذي خرج إلى بلاد الإسلام في آخر سنة سبع وخمسين وثلاثمائة وقتل وسبى . ولما بنى هذا الحصن ، الذي هو حصن بفراس . رتب فيه نائباً له يعرف بالبرجى ، ورتب معه ألف رجل ، وحصن بفراس . ثم ملكه الفرنج وما زالوا يتداولونه ويحصنونه على طول المدد ، إلى أن ملكه السلطان الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب ، في ثمانين سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، على ما قدمناه ، ثم ملكه الديوية بعد ذلك .

ذكر الإغارة على صور

كانت قد تفرقت مهادنة بين السلطان وبين صاحب صور ، فلما توجهت الرسل إليه حلف على بعضها ، وأسقط فصولاً لم يحلف عليها . فلما كان السلطان بالشام ، في سنة سبع وستين وخمسمائة ، ووقفت له امرأة ذكرت أنها كانت أميرة في صور ، وأنها اشترت نفسها ثم قطعت على بنت لها قطيعة ، وحصلت من أوقاف دمشق مبلغاً اشترت به من صور بمكانة عليها خط الفرنج ، ولما خرجت بها إلى قرب بلاد صفد سير خلفها جماعة من صور أخذوا البنت منها ونصروها . فلما سمع السلطان كلامها غضب لله تعالى ، وكتب يطلب هذه البنت ، فاعتذروا بأنها تنصرت . وكان بالنواقر من جهة صفد جماعة [من المسلمين] ^(١) سيرة صاحب صور أسكنهم وقتل منهم نفرين واعتقل الهاقين . وطلبهم السلطان

(١) في الأصل « ملكها » والإشارة هنا إلى بفراس بالمذكورة وبالوقت مرة في الأصل على أساس أنه حصن بفراس أو قلعة بفراس .

(٢) الضمير يعود على المهادنة التي حدثت في رمضان عام ٦٦٥ (السلوك ج ١ ص ٥٥٩) وهي المهادنة التي قطعت بعد سنتين . راجع السلوك (ج ١ ص ٥٧٩) .

(٣) الإضافة ضرورية للإيضاح .

فأصروا على منعهم ، فركب السلطان في العشرين من شهر رمضان ، وساق بنفسه ومن معه من العسكر الخفيف ، وتوجه الأمير جمال الدين الحمدي من جهة ، والأتابك من جهة ، ووصلوا إلى صور ، فأمسكوا جماعة من الرجال والنساء والصغار ، وهرب في ذلك الوقت مملوك للأمير جمال الدين أقش الرومي فنصره صاحب صور لوقفه . وطُلب منه فدافع عنه ، وأمسك السلطان عن إتلاف زرعه ورد الحريم والأطفال ورجع إلى الخيم وأمهل عليه مدة ، فلما استمر على منع البنت والمملوك ، جرد السلطان جماعة لاستغلال بلاده ^(١) .

ذكر الإغارة على بلاد كركر وأخذ قلعة شرموشاك ^(٢)

وفي هذه السنة توجهت الفئارة من البصرة وغيرها إلى جهة كركر فأحرقوا بلدها وأخذوا مواشي ، وتوجهوا إلى قلعة بين كركر والكختا ^(٣) اسمها شرموشاك ، فزحفوا عليها وأخذوها وقتلوا رجالها ونهبوا من المواشي شيئا كثيرا ، وأخرجوا من الفلاحين إلى البلاد السلطانية خلقا كثيرا ، وأخذ الخمس من الغنمة للديوان ودرسم بترتيب الناجعين في البلاد الحصية والشيزية وجهات أنطاكية .

ذكر الإغارة على عكا

وفي سنة ثمان وستين وستمائة ، توجه السلطان جريدة إلى الشام ، وكان الفرنج بعكا اعتمدوا أشياء لا يصبر عليها : منها أن أربعة من بماليك السلطان

(١) استعمال نادر بمعنى احتباب .

(٢) في الأصل « كز » دراجع السرك (ج ١ ص ٧٩ • ص ٩ - ١٠) والمكان قلعة على

الفرات بين آن وملطية والامم بالفرنجة • Gargar

(٣) الكختا قلعة قديمة على نهر كختا : قرب ملطية (الدوك ج ١ ص ٧٩ • حاشية ٥)

هربوا ودخلوا عكا ، فلما طلبهم منهم طلبوا العوض عنهم ، فانكر السلطان ذلك عليهم ، فنصروهم ، وذلك في سنة سبع وستين . فكتب السلطان إلى النواب بوقوع الفسح ، فأغار عليهم الأمير جمال الدين أفش الشمسي فقتل وأسرمهم جماعة . واتخذت حركة للسلطان إلى الحجاز فاطلق الذين أسروا ، وعوق^(١) ورسد الفرنج على إحضار الماليك ، وأطلق منهم وزير الإستبار خاصة ، لأنه كان يخدم السلطان . فلما كان في هذه السنة بلغ السلطان أن الفرنج وصل إليهم سفائن من جهة الريدرا^(٢) كون ، أحد ملوك الغرب ، فيها جماعة من أصحابه وأقاربه وكتبه ، يقول فيها : أنه واحد أبنا بن هولا كوانه يوافيه بالبلاد الإسلامية ، وأنه وأصل لموادمته [من جهة سبب في سفن كثيرة^(٣)] ، فأرسل الله تعالى ريحا مزعجة كسرت عدة من سفائنه ولم يسمع لهم خبر . وأما أهل عكا فإنهم خرجوا هم ومن وصل إليهم من الغرب إلى ظاهر عكا ، وخيموا وصاروا يركبون [وتوجهت طائفة منهم إلى عسكر جينين وعسكر صفد^(٤)] ، وبلغهم أن السلطان وصل جريدة فتوهموا أنه لا يقصدهم . واتفق أن السلطان خرج متصيда إلى جهة الحارسة ، وعاد مسرعا وتوجه على أنه يتصيد في مرج برغوث^(٥) . ولما وصل في أثناء الطريق إلى برج الفلوس^(٦) سبر الأمير عز الدين معن الظاهري السلاح دار لإحضار السلاح

(١) الغفط بمعنى احتجز تطلقا شئ . على شئ .

(٢) المقصود الريدرا كون البرشلون (راجع السلوك ج ١ ص ٨٤ حاشية ٥) .

(٣) الضمير هنا يعود على ملك أرغوة وقائمة ملكة برشلونة (نفس الموضوع) .

(٤) الإضافة هنا لظاهر الموضوع وهي مفضلة من السلوك (ج ١ ص ٥٥٥) .

(٥) الإضافة هنا للإفادة . قفلا من السلوك (نفس الموضوع)

(٦) موضع بين دمشق وبصرى مقرب السلوك (ج ١ ص ٨٥ حاشية ٣) .

(٧) كذا في الأصل .

وسير الأمير ركن الدين إياحي لإحضار العسكر الشامي كله ، فتكامل الناس عنده في مرج برغوث ، في بكرة نهار الثلاثاء الحادى والعشرين من شهر ربيع ، وركب وساق فوصل جسر يعقوب عشية النهار ، وساق فأصبح الصبح وهو بأول المرج . وكان قد سير إلى الأمير جمال الدين الشمسى مقدم عسكر من جالوت ، والأمير علاء الدين أيدغدى مقدم عسكر صفد بالإفارة في ثانى وعشرينه ، وأنهم ينهزون قدام الفرنج . فخرج جماعة من الفرنج مقدمهم كندلوفير^(١) المسمى زيتون ، وفيهم أقارب الريدرا كون وغيرهم ، ودخل السلطان الكين . فعندما خرج الفرنج لقتال العسكر الصفدى تقدم الأمير عز الدين إيتان الركنى ، وبعده الأمير جمال الدين الحاجي ، ومعهما أمراء الشام . وساق قدام السلطان الأمير شمس الدين أيتمش السعدى ، والأمير علاء الدين كندغدى الظاهرى أمير مجلس ومعهما مقدموا الحلقة . وقاتل الأمراء الشاميون أحسن قتال ، وأمسك الأمير عز الدين إيتان فارسا اسمه ريمون دكوك^(٢) . وأما السلطان ومن كان قدامه من الأمراء ، فما وصلوا إلى الأمراء المتقدمين إلا والعدو قد انكسر فلم يحصل لهم اختلاط . وكان القتال شديدا تماسكوا فيه بالأيدى ، وأكن زيتون بغال العسكر بينهم وأخذوا عليه وعل أكابر الفرنج حلقة وقتل أخو زيتون ، وابن أخت الريدرا كون ، وجماعة من الخيالة ، ونائب فرنسيس^(٣) بعكا ، ولم يعدم من عسكر الإسلام إلا الأمير نحر الدين الطونبا الفائزى . وعاد السلطان ورءوس القتل بين يديه إلى صفد ، وتوجه منها إلى دمشق ، فدخلها في يوم الأحد سادس وعشرين الشهر ، والأسرى والزهوس بين يديه .

(١) ، (٢) كما في الأصل .

(٣) في الأصل : فرسيس . دراج السلوك (ج ١ ص ٥٨٥) .

ذكر فتوح قلعة صافيتا^(١)

وفي سنة تسع وستين وستمائة ، توجه السلطان من الديار المصرية في عاشر جمادى الآخرة وصحبته ولده الملك السعيد ، ودخل الملك السعيد إلى دمشق في ثامن شهر رجب ، وخرج هو والأمير بدر الدين الخزندار من جهة القطيفة . وكان السلطان قد توجه من جهة بعلبك وتوجه إلى طرابلس ، فقتل من رعاياها وأمر ، واتصلت الغارة بصافيتا ، فطلب من فيها الأمان ، ثم نكثوا ، فرحل عنهم السلطان وأنزل جماعة حولهم . فسير كندور أنطروطوس إلى السلطان يشفع في الإخوة الديوية بصافيتا ، على أنه يأمرهم بالتسليم . فأجابهم السلطان إلى ذلك ، فأرسل إليهم فزلوا ، وكانوا سبعمائة رجل ، خارجا عن النساء والأطفال ، وأحضروا إلى السلطان وهو على حصن الأكراد ، فأطلقهم وجهازهم معهم من أوصلهم إلى ما منهم ، وتسلم السلطان صافيتا وبلادها ، وتسلمت الحصون والأبراج المجاورة لحصن الأكراد ، مثل تل خليفة وغيره .

وقد ذكرنا ما كان قد وقع من المهادنة على حصن الأكراد والمرب ، ثم اتفق من بيت الإسميثار أمور^(٢) أوجبت فسخ الهدنة : منها أن السلطان لما أثار على طرابلس في سنة ست وستين وستمائة ، وكتب إلى النائب بجمص بأن يقيم بحدود حصن الأكراد لدفع الضرر عن بلاد الهدنة ، وكتب إلى عدة جهات بالوصية بهم ، وحضر رسول حصن الأكراد يسأل الوصية ، فأعطاهم علما برؤسهم .

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٩٠) .

(٢) اصطلاح فرنجي بمعنى مقدم .

(٣) في الأصل : أمورا ، بالنصب رجاء الرفع .

ولما عبرت الأتقال من جهة القصب ، عبر أحد الحرافشة ومعه رفقة له على
بستان بقرب تل خليفة المجاور للحصن فأخذوا منه شيئاً لا قيمة له ، فأخذهم
المقدم [الفرنجى] بتل خليفة وضرب رقاب بعضهم وأمر البعض . فقتل النائب
بمحصر على تل خليفة وطلب المحصور . فامتنع النائب بها عن تسليمهم وقال :
« أنا قتلت » ، وأساء في القول . فحاصروهم [نائب حمص] رسير إليهم شجاع
الدين صبر ، فاحتال إلى أن استنزل المحصور ، وسيروا إلى السلطان . فحضرت
رسل من حصن الأكراد تطلبهم ، فأجابهم السلطان إنه لا بد من تحقيق هذه
الواقعة ، فقوت نفوس الذين في الحصن . وغلّق النائب [الفرنجى] باب الحصن
ومنع الميرة ، وألّس جماعة العدد .

ولما رجع السلطان من طرابلس عند توجهه إلى أنطاكية ومرة نجت
الحصن متوجها إلى حمص ، فسبر يقول : « ما كان ينبغي لكم تعبرون من ههنا
إلا بأمرى » . وقبل لهم : « لأى معنى غلقتم الأبواب ولستم العدد ، وأنتم
صلح ؟ » . فقال : « ما غلقناها إلا خفة على عسكر السلطان من الفرنج الغرب
الذين همدنا ، لأنهم لا يخافون الموت » . فعز ذلك على السلطان لأن الغرب
الذين عنده عدتهم دون المائة نفر . وكان هذا الأمر مقدمة انحراف السلطان
عليهم ، وبقي ذلك في خاطره . فلما توجه إلى الشام جريدة في سنة ثمان وستين
وتوجه إلى حماة ثم رحل عنها في ثالث جمادى الآخرة توجه إلى حصن الأكراد

(١) إذا قيل الحصن دون وصف آخر فهو حصن الأكراد .

(٢) الإضافة لتعديده لأن المؤلف يطلق الأتقال للريّة على ولاية الحصون الفرنجية .

(٣) في الأصل « يمتو » وهى جارة من الحرف عين مع زلومة شرطومية وخرنبة ، ويتكرر من

مثل هذا الهمز .

بمقدار ما تقي فارس بغير عدة ، وصعد جبل الحصن في أربعين فارسا ، فخرج له جماعة من الفرنج ملبسين ، فحمل عليهم وكسرههم ، وقتل منهم جماعة ووصل إلى الخندق ، وقال - وهو متنكر لا يعرف من هو - : « قولوا لذلك الرسول الذي حضر سنة طرابلس يخل^(١) الفرنج الغرب يخرجوا ، فإنا نحن أكثر من أربعين فارسا بأقبية بيض » . وعاد إلى مخيمه ، ورعت الخيول المروج والزروع ، فكان ذلك أحد أسباب الإستيلاء على الحصن لأنه ليس له مادة إلا من زرع بلده . فلما توجه السلطان ، في سنة تسع وتسعين ومستمائة إلى الشام ، وأغار على طرابلس كما قدمنا فازل حصن الأكراد ، في تاسع شهر رجب من السنة وملك أرباض الحصن في العشرين منه ، وحضر الملك المنصور صاحب حماة ، فتلقاء السلطان وترجل لترجله ، وساق السلطان تحت صنابق صاحب حماة بغير جدارية ولا سلاح دارية أديبا معه ، وصير إليه دهليزا أمره بنصبه . ووصل الأمير سيف الدين صاحب صهيون ، والصاحب نجم الدين صاحب الدموة . وفي أواخر شهر رجب ، تكمل نصب عدة مجانيق ، وفي سابع شعبان ، أخذت الهاشورة بالسيف ، وفي سادس عشر الشهر ، تشقق برج من أبراج القلعة ، وزحف المسكروطلع الناس إلى القاعة وتسلموها ، وطلع الفرنج القلعة [الأخرى] وأحضرت جماعة من الفرنج والنصارى ، فأطلقهم السلطان ، ونقلت المجانيق إلى القلعة ونصب على القلعة . وكتب السلطان كتابا على لسان مقدم الفرنج

(١) كذا في الأصل بالعابية .

(٢) الإضافة للإيضاح ذلك أن السرد يفترض وجود قلعتين ملتا الواحدة بعد الأخرى ومثل هذا المعنى يرد في السبوك (ج ١ ص ٩١ ص ٩٢ - ٩٣) ومتن السبوك واضح لأنه يسمى إحدى القلعتين بالحصن ، و يقابل ذلك في هذا المتن تسميه إحدى القلعتين بالقلعة .

بطرابلس إلى من بالقنعة يأمرهم بالتسليم . ثم طلبوا الأمان ، فكتب لهم أمان على أنهم يتوجهون إلى بلادهم . وفي يوم الثلاثاء رابع عشرين شعبان ، خرج الفرنج من القلعة وجهازوا إلى بلادهم ، وتسلم السلطان الحصن . ورتب الأمير صارم الدين الكافري^(١) نائباً بحصن الأكراد ، وفوض أمر حجارة الحصن إلى الأمير عز الدين أيبك الأفرم وعز الدين أيبك الشيخ .

وهذا الحصن كان قديماً بيد المسلمين ، فلما نازل صنجيل طرابلس كان يشن الغارات على هذا الحصن وما قاربه من الحصون ، ثم قصده في سنة ست وتسعين وأربعمائة وحاصره وضيق على من به وأشرف على أخذه ، فاتفق قتل جناح الدولة صاحب حمص فطعم فيها ورحل عنه . وهلك صنجيل وملك ابنه ، فجری على عادة أبيه في أذية أهل هذا الحصن وإفساد أعماله ، ثم فارقه ونوجه لحصار بيروت . فجاء طنكلى^(٢) صاحب أنطاكية ونأزله ، وأهله في غاية الضعف ، فسلمه صاحبه إليه ، وكان يرجو أنه يقيه فيه لأنه اختاره على صنجيل فأزله وأهله منه ، وأخذه محبته ، ورتب فيه من يحفظه من الفرنج ، وحكى ذلك ابن عساكر . وذكر ابن منقذ في كتاب البلدان أن : نور الدين محمود بن زنكى ، رحمه الله تعالى ، كان قد عامل بعض رجاله التركمان المستخدين من جهة الفرنج بهذا الحصن ، على أنه إذا قصده نور الدين يشور هو وجماعة من أصحابه في الحصن ويرفعون علم نور الدين على الحصن وينادون باسمه . وكان هذا التركمان له أولاد وإخوة قد وثق بهم الفرنج ، وكان الإتفاق

(١) يرد في السلوك نفس الاسم صارم الدين غايماز الكافري (ج ١ ص ٥٩٦ ، ٥٩١) ولعل الأفضل أن تقرأ الظافرى .

(٢) كذا في الأصل ويرد في المتن أحياناً صكنى وصنكرى وطقكرى .

بينه وبين نور الدين أن يقف على رأس الباشورة ، فكمتم نور الدين هذا الأمر عن أصحابه وتقدم أوائل المسكر النورى فرأوا التركمان على الباشورة فرموه بالنشاب فمات ، واشتغل أهله بوفاته ، فلم يتم لنور الدين ما دبره . ولم يفتحها السلطان الملك الناصر صلاح الدين . وكان فتحه على يد السلطان الملك الظاهر الآن .

ذكر صلح أنطربوس والمرقب^(١)

قال : وسأل كندؤور أنطربوس ومقدم بيت الإسمتار السلطان على الصلح ، فأجابهم على أنطربوس خاصة ، خارجا عن صفتنا وبلادها ، وعلى المرقب . واسترجع منهم بلدة وأعمالها وما أخذوه في الأيام الناصرية ، وعلى أن جميع ما لهم من المناصفات والحقوق على بلاد الإسلام يتركونه . وعلى أن تكون بلاد المرقب ووجوه أمواله مناصفة بين السلطان وبين بيت الإسمتار، وعلى أن لا تجدد عمارة بالمرقب ، وحلف لهم السلطان على ذلك ، وتوجه لتعليق المقدم المذكور بأنطربوس الأمير نغر الدين المقرئ الحاسب ، وأخلى الفرنج برج قرميص^(٢) ، وأحرقوا ما لا أسكنهم حمله من موجودهم ، وتسلم البرج المذكور في هذه الأيام ، وكذلك البرج الذى فى بلدة هدم الفرنج بعضه وحرقوه ، ورسم السلطان بهدم باقيه^(٣) .

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٩١) .

(٢) هو مقدم بيت الداورية بحسب حواشى المكنوزة بادة على الخبر المواقى (فى السلوك فى نفس الموضع) .

(٣) كذا فى الأصل وقد ورد فى فهرست أعلام السلوك « لفرنيس » .

(٤) فى السلوك (ج ١ ص ٥٩٢) أن الفرنج أخذوا عدة حصون تسلمها السلطان .

(١) ذكر فتوح حصن عكار

قال : ولما رتب السلطان أمور حصن الأكراد توجه إلى حصن عكار ونازله ، في يوم الأربعاء ساج عشر رمضان ، ورتب طلوع المجانيق ، وركب بنفسه على الأخشاب فوق المجل في تلك الجبال إلى أن أوصلها إلى مكان نصبت به ، وشرع في نصب المجانيق الكبار في العشرين من الشهر . وفي هذا اليوم ، استشهد الأمير ركن الدين منكورس الدراداري ، وكان يصل في خيمته بجاء حجر منجنيق فمات ، رحمه الله تعالى . وفي التاسع والعشرين من الشهر ، طلب أهل الحصن الأمان ورفعت الصناجق السلطانية على أبراجه ، وفي يوم الثلاثاء سلخ الشهر ، خرج أهل حصن عكار منه ، وجُهِزوا إلى مأمئهم ، وعيّد السلطان بالحصن ، ورحل إلى خيمته بالمرج .

وهذا الحصن يعسرف بابن عكار ، وكان بيد المسلمين ، فلما ملك الفرنج طرابلس وغيرها ترددت الرسائل بينهم وبين طغتكين وهو بمحمص ، فوقع الاتفاق على أن يكون للفرنج ثلث بلاد البقاع وتسلمون حصن المنيطرة^(٢) وحصن عكار ، والا يتعرضوا إلى البلاد بغارة . وتقرر معهم أن مصياف وحصن الوادي وحصن الطوبان وحصن الأكراد في الصلح ، ويحمل إلى الفرنج مال عنها . فلما تسلم الفرنج الحصنين هادوا إلى ما كانوا عليه من الغارات ، وصار هذا الحصن لما تسلمه الفرنج من أضر شيء على المسلمين الممارين من حمص إلى بسلبك ، ولم يكن

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٩٢) .

(٢) المنيطرة مهنر ، بالعلاء . مملكة حصن بالشام قريب من طرابلس (معجم ياقوت ج ٨ ص ١٨٦) .

له كبير ذكرفيا مضى، إلى أن وصل ريدافرنس^(١) إلى الساحل بعد فكأكه من الأمر بمصر فراه حصنا صغيرا، فأشار على صاحبه الأبرنس أن يزيد فيه وهو يساعده في همارته، فزاد فيه زيادة كثيرة من جهة الجنوب، وهو في واد بين جبال محيطة به من أربع جهاته.

ولما فتحه السلطان الملك الظاهر كتب إلى صاحب طرابلس ما مثاله بعد البسملة^(٢):

« قد علم القومص يميند — جعله الله ممن ينظر لنفسه ويفكر في ماقبة يومه من أمسه — نزولنا بعد حصن الأكراد على حصن عكار، وكيف نقلنا المنجنقات إليها في جبال تستصعبها الطيور لأختيار الأوكار، وكيف صبرنا في جرها على مناكدة الأرحال ومكابدة الأمطار، وكيف نصبنا المنجنقات على أمكنة يزلق عليها النمل إذا مشى، وكيف هبطنا تلك الأودية التي لو أن الشمس من الغيوم ترى بها ما كان غير جبالها رشا، وكيف صارت رجالك الذين ما قصرت في انتباههم، وحسنت بهم استعانة نائبك الذي انتحى بهم^(٣) ».

وكتابتنا هذا ببشرك بأن علمنا الأصفر نصب مكان ملكك الآخر، وأن صوت الناقوس صار عوضه الله أكبر، ومن بقى من رجالك أطلقوا ولكن جرحى القلوب والجوارح، وسلموا ولكن من نذب السيوف إلى بكاء النوايح، وأطلقناهم ليحدثوا القومص بما جرى، ويحذروا أهل طرابلس من أنهم يفترقون بمحدثك المقترى، ولبروهم الجراح التي أربناهم بها نقادا، ولينذروهم لقاء يومهم هذا،

(١) الإشارة إلى ملك فرنسا لويس التاسع الملقب بالقدس.

(٢) نص هذه الوثيقة نشره الأستاذ الدكتور زيادة في السوك (ملحق ٤ ص ٧٩٢ - ٩٧٣)

مقتدا على النسخة « س ».

(٣) انتحى بمعنى انتدب، وانتحى بأهماء الخاء بمعنى ملكته البهجة والشجاعة،

وفيهوكم أنه ما بقى من حياتكم إلا القليل ، وأنهم ما تركونا إلا على رحيل ،
فَعَرَفَ كناسك وأسوارك أن المنجنيقات تسلم عليها إلى حين الاجتماع عن
قريب ، وتعلم أجساد فرسانك أن السيوف تقول إنها عن الضيافة لا تنقب ، لأن
أهل عكار ما سدوا لها جوعا ، ولا قضت من ربا بدماهم الوطر ، وما أطلقوا
إلا لها عاقب شرب دماهم . وكيف لا ، وثلاثة أرباع عكار عكر . يعلم
القوم من هذه الحملة المسرودة ^(١) ويعمل بها ، ولا فيجهاز مراكبهم ومراكب
أصحابه ، ولا تفقد جهازنا قيودهم وقيوده .

وقال المولى محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر :

يا مليك الأرض بشرا لك فقد نلت الإرادة
إن عكار يقينا هي عكا وزيادة

ذكر صالح طرابلس ^(٢)

قال : ولما استقر أمر حصن عكار وحل السلطان من منزلته بالأرزونية هو
وجميع العساكر والانتقال ، وساق على عزم حصار طرابلس ، فوردت الأخبار
أن ملك الإنكتار وصل إلى عكا ^(٣) ، في أواخر شهر رمضان من هذه السنة ،
ومعه ثلثمائة فرس ، وثمانى بطس وشواني ومراكب تكلة ثلاثين مراكبا ،
غير ما كان سبقه صحبة استاد داره ، وأنه يقصد الحج . ففتر عزم السلطان ونزل

(١) قرأها ناصر السلوك « المسرودة » وقرؤها المروية .

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٥٩٢) .

(٣) هو البرنس ادورد الذى صاد الملك ادور الأول وصل أولا إلى تونس فلم يجد بها مجالا لموت
الملك لويس التاسع فنحول إلى الشام انظر السلوك (نفس الموضع حاشية :) .

قريباً من طرابلس جريدة ، وتزداد الأتابك إلى جهة طرابلس ، والأمير سيف الدين الدوادار واجتماعاً بصاحبها . وأراد السلطان قطع ما بقي من الأشجار ، فسير البرنس يطلب الصالح وخرج وزراؤه ، وكتبت الهدنة لمدة عشرين . وجهاز السلطان نحر الدين بن جليان ، وشمس الدين الاختائى شاهد الخزانة ومعهما ثلاثة آلاف دينار مصرية لفكالك الأمرى . وتوجه السلطان إلى حصن حكار ، ثم عاد إلى غيمه بالأرزونية ، ثم توجه إلى حصن الأكراد ، ثم رحل فوصل إلى دمشق في نصف شوال .

ذكر فتوح القرين^(١)

كان حصن القرين لإسبشار الأرمن^(٢) ، ولم يكن لهم بالساحل غيره ، وكان من أمنع الحصون وأضرها على صفد ، فتوجه السلطان إليه من دمشق ، في الرابع والعشرين من شوال سنة تسع وستين وستمائة ، ووصل إلى صفد وجهاز منها المجانيق وصار إلى القرين ونازله . وبينما السلطان واقف لنصب المجانيق وردت رسل حكار . واتفق أن السلطان [كأن^(٣)] يرمى شاباً على القلعة فتزبه طائر فرماه فإذا فيه بطاقة من جاسوس في العسكر للفرنجة مضمونها أخبار السلطان ، وذلك بحضور الرسل ، فسلم السلطان الطائر لهم وقال : « استصحبوه معكم لتقرأ الفرنجة

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٩٣) وذكرنا في السلوك في الحاشية أن الحصن كان لفرمان التهورتون وكان يسمى (Starkenburg) أو (Mont Fort) بمعنى التبة الحصنة

(٢) كذا في الأصل .

(٣) في الأصل بدون واو وإنجات الراء ضرورى بحسب السياق .

(٤) الإضافة يقتضيا تركيب الجملة .

هذه البطاقة ، ونحن نفرح بمن يخبركم بأخبارنا . وفي مستهل ذى القعدة ملك الربض ، وفي ثانيه أخذت الباشورة ، وأخذت النقوب في السور ، وشرط السلطان للبحارين عن كل حجر ألف درهم . واشتد القتال ، فحضر رسلهم ، وقرر خروجهم وتوجههم حيث شاءوا ، وأنهم لا يستعجبون مالا ولا سلاحا . وكتب الأمان بذلك ، ورفعت الصناجق السلطانية عليها ، وركب السلطان وأصبح على أبواب عكا مُطْلِباً ، فما ترك أحد من الفرنج ، وعاد إلى مخيمه بالقوين ، وأمر بهدم القلعة ، فتكلم هدمها في رابع وعشرين ذى القعدة من السنة .

(١١) ذكر صلح صور وما تقرر من المناصفة

وحضرت رسل صاحب صور ، وحصل الإنفاق على أن يكون لهم من بلاد صور عشرة بلاد خاصا ، وللسلطان خمسة بلاد يختارها لنفسه ، وبقيّة البلاد مناصفة ، وحلف السلطان على ذلك . وجهاز الرسل لحقّقوا صاحب صور على ما تقرر .

ذكر منازل التتار البيرة وكسرهم على الفرات

(١٢) وقتل مقدمهم جغتقر

وفي تاسع شهر ربيع الأول سنة إحدى وسبعين وستائة وردت الأخبار بحركة التتار ، بجُرد السلطان الأمير نضر الدين الحمصي بجماعة من العساكر المصرية والشامية إلى جهة حارم ، ثم جهز الأمير علاء الدين الحاج طبرس الوزيري بجماعة

(١) انظر السلك (ج ١ ص ٩٥٥ س ١ - ٢) .

(٢) انظر السلك (ج ١ ص ٦٤٩ - ٦٥٧) ولاحظ الاختلاف في توقيت الشهر .

(١) من المساكر وجماعة من العرمان . وعذى التتار إلى البر الشامى لقصد الرحبة فتقسم فكر السلطان ليقسمهم على البيرة والرحبة ، ورجل من ظاهر دمشق ، فبلغه رجيل العدو من الرحبة ، فخذ في مسيره ووصل إلى الفرات إلى مخاضة تعرف بمخاضة الحمام ، فوجد التتار قد وقفوا على شط الفرات ، وعدتهم قريب الخمسة آلاف فارس ، ومقدمهم جنقر أحد مقدميهم الكبار وحفظوا قم المخاضة . وكان السلطان قد استصحب عدة مراكب من دمشق وحصن فرست في الفرات ، وركب فيها الرجالة الأفجية لكشف البر . وعمل التتار مكيدة : وهى أنهم تركوا المخاضة المهيمة ووقفوا على مكان بعيد القور وعملوا السناثر ، فاعتقد المسلمون أن المكان الذى حفظوه هو المخاضة المهيمة فحاضوا منه ، وكان العدو قد عملوا صيا على البر من جانبهم ليقاقلوا من ورائها ، فزيت المساكر الإسلامية نفوسها بضيولها ، وعاموا أطلابا ، الفارس إلى جانب الفارس ، متماسكين بالأعنة معتمدين على الرماح ، كما قال الفائل :

فعمنا إليهم بالحديد سباحة ومن عجب أن الحديد يعوم

وازدحم الناس وانسكر النساء بهم فصار كالحبال . وطلع المسلمون ، والساطان في أوائل القوم ، فلم يلبث التتار أن انهزموا أقبح هزيمة ، وقتل مقدمهم جنقر وجماعة كثيرة منهم وأمرت جمعة ، وأقام السلطان إلى العصر وجمع الأسرى ورءوس القتلى وبات في مكان النصر ، والمساكر لابسة والحبل

(١) كذا في الأصل بغير نقط .

(٢) في الأصل حفر بدون نقط . ولم يجد المحقق رسالة لتصحيح الاسم .

(٣) كذا في الأصل .

(٤) في الأصل « القرل » وهو مهر

ملجئة . وأصبح يوم الاثنين بمنزله حتى عاد من كان قد ساق خلف العدو ، واستبصر أمر العدو ، ثم عادت المساكن ، وكان العود عليهم أشق .

ولما صار السلطان بالبر الشامى بلغه أن التتار الذين كانوا نازلوا البصرة ومقدمهم درباى قد هربوا وتركوا أزوادهم والمجانيق التي معهم ، ورموا النار في بعض ذلك ، ونزل أهل البصرة وحصلوا من ذلك شيئا كثيرا . فزل السلطان على جبل مشرف قرب البصرة من الجانب الشامى ، وتوجه إليها على الجسر الذى مده العدو وهو جسر كبير تحته المراكب والصواري والسلاسل ، ومع جماعة من الأمراء ، وأنعم على النائب بها بألف دينار ، و [الأمير سيف الدين] المروى المجرد بها بألف دينار ، وعَمَّ من بها بالتشريف ، وأنعم على أهل الثغر بمئة ألف درهم ، وجرّد بها جماعة زيادة على من بها ، وعاد إلى مخيمه ، ومار إلى دمشق فدخلها في ثالث جمادى الآخرة والأمري بين يديه .

ذكر فتوح كينوك^(١)

كان قد كثرت فساد أهل كينوك وتعمدهم على التجار والقصاد ، وكتب إلى صاحب سيمس في ذلك فلم تفد فيه المكاتبه ، بفرد الأمير حسام الدين العين نأبى مقدم العسكر الحلبي إلى كينوك ، فوصل إليها في ثالث المحرم ، فأخذوا الخوش البراني ، ودخل الأومن إلى القامة ، فقاتلهم المسلمون وملكوها وقتلوا الرجال وسبوا الحرم ، وأغار العسكر على أطراف طرسوس ونهبوا وسبوا .

(١) رود قس النسبة من قبل ، والامانة للإيضاح .

(٢) انظر الملوك (ج ١ ص ٦٠٨ ص ١٠ - ١١) .

وهذه كينوك هي الحدث الحمراء التي بناها سيف الدولة على بن حمدان، ومعنى قسميتها كينوك أى المحترقة. وكان قسطنطين صاحب سبيس قد أخذها من ملوك الروم السلجقية وأحرقها. وهى التى يقول فيها المتنبى عند بنائها يمدح سيف الدولة فى قصيدته التى أولها: « على قدر أهل العزم تأتي العزائم »

سل الحدث الحمراء يعرف لونها ويمسك أى الساقين النعائم
سقتها النعائم الفر قبل نزوله فلما دنا منها سقتها الجاجم
بناها على واقفا تفرع الفنا وموج المنايا حولها متلاطم
وكان بها مثل الجنون فأصبحت ومن جثث القتلى عليها تمائم
وكان من خبرها: أن سيف الدولة بن حمدان سار لبنائها، وكان أهلها صلحوها بالأمان للمستق ملك الروم، فى سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، فترما سيف الدولة فى يوم الأربعاء الثانى جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة، لحظ الأساس من يومه، وحفر أول الأساس بيده، وأقام حتى كمل بناؤها فى يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر رجب من السنة.

ذكر إغارة عيسى بن مهنا على الأنبار^(١)

وفى سنة اثنين [وسبعين]^(٢) وستمائة: رسم السلطان للأمر شرف الدين عيسى ابن مهنا [أمير العرب]^(٣) بالإغارة على بلاد العراق، فوصل إلى الأنبار فوجد بها جماعة من التتار، وكان السلطان قد اختفى أحده^(٤)، فلما وصل عيسى إلى

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٦١١ م ٨ - ١١) .

(٢) ، (٣) الإضافة من السلوك (نفس الموضع) .

(٤) المقصود أن أخباره انقطعت من التتار حتى تروها أنه هو الذى قدم إليهم بنفسه .

الأنبار تومسوا أن السلطان دهمهم ، فمذروا إلى البر الآخر^(١) ، واقتل عيسى وخفاجة ، ودام القتال نصف نهار ، وكانت هذه الإغارة في ثامن عشر شعبان .

ذكر الإغارة على مرعش^(٢)

وفي سنة ثلاث وسبعين ومئتان : توجه صكر حلب محبة الأمير حسام الدين المين تآبي إلى جهة مرعش ، وأغاروا على بلاد سيس ، وحازوا غنائم كثيرة ، وقلعوا أبواب ربض مرعش ، وغرق ربيعة بن الظاهر بن غنام في نهر هناك .

ذكر غزوة سيس^(٣)

كان صاحب سيس قد اعتمدوا ما يقتضى فسخ الهدنة التي وقع الإنفاق عليها في سنة ست وستين عند إطلاق ولده ليفون^(٤) ، وقطع الهدايا المقررة عليه ، وخالف الشروط من أنه لا يحدد بناء ولا يحصن قلعة ، وصار لا يطالع بخبر صحيح كما تقرر معه ، ثم لم يقتصر على ذلك إلى أن صار يلبس الأرمن السراقوجات ويخيف^(٥) القوافل ويدعى أنهم من حسكر التار ، فاقضى ذلك أخذ كينوك وإنجراها كما ذكرنا ، فتصور صاحب سيس من ذلك ، فذكر السلطان لرسوله سوء اعتياده ، وأرسل إليه يعرفه أنه عزم على قصد سيس ، ثم أمر السلطان

(١) زاد السلوك هناك فانهزموا إلى أبنيا فرجع إلى بلاده . (١ ص ٦١١)

(٢) انظر السلوك (١ ص ٦١٩ ص ٢ - ٣)

(٣) انظر السلوك (١ ص ٦١٥)

(٤) في الأصل « ليون » . وقد أشار المتن إليه باسم « ليفون »

(٥) كذا في الأصل بغير نقط

(٦) تصور هنا بمعنى تومم وتخيل في اصطلاح القرن الثامن الهجري بمعنى تومم وقرع الثمر .

في نفسه قصده ولم يبدئه لأحد، بل أظهر الحركة إلى الشام، وعرض العساكر في يوم واحد تحت القلعة، وخرج ثالث شعبان سنة ثلاث وسبعين ومئتان، ووصل إلى دمشق في سلخ الشهر، وخرج منها في سابع شهر رمضان بجميع العساكر. ولما وصل إلى حماة خرج الملك المنصور صاحب حماة بعساكره، ثم سار وفي خدمته العساكر والعربان. فجرد الأمير شرف الدين بن مهنا، والأمير حسام الدين المين تآبي إلى جهة البيرة بصورة جاليش العسكر المنصور فوصلوا إليها. ولما وصل السلطان إلى صرمين رحل منها إلى جهة الدربساك، وأخر الأتقال وبعض العسكر صعبة الأمير شمس الدين سنقر جاه بصرمين، وجرد الأمير عز الدين الأفوم أمير جانداز، والأمير مبارز الدين الطوري لتمهيد جوانب النهر الأسود، فقطعته العساكر بمشقة. ونزل السلطان بين الدربساك وبغراس، وأمر جماعة من مقدمي الألوف أن يتوجه كل منهم إلى جهة، فطلعوا تلك الجبال، وأمر الناس بوقود الشموع فقطعوا تلك الجبال والأوعار والمضائق. وكان السلطان قد حل ثلاثين مركبا لأجل التعدية، ونزل السلطان داخل باب اسكندرونة خلف السور الذي بناه الملك هيتوم والد ليفون صاحب سيس، ثم رحل إلى قرب المنقب، وملكت العساكر جسر المصيبة وملكوا المصيبة، وظلت العساكر على ما فيها، وقتلوا من وجدوه بها، وغنم الناس ما لا يحصى كثرة من البقر والجاموس والغنم، وحضر إلى الطاعة جماعة كبيرة من التركمان والعربان بمواشيهم وخبولهم، فجهزهم السلطان إلى البلاد الإسلامية، وساق مَطْلَبًا^(١) في تاسع وعشرين شهر رمضان، فوصل إلى سيس، فعدل عنها ووصل دَرَبَنْدُ^(٢) الروم، ووجد بقايا من حريم

(١) في الأصل: بنه. والتصويب منقول من السلوك (ج ١ ص ٦١٨)

التار نصيين، وعاد فبات في تلك الجبال، وعيد بمدينة سيس، وهي كرمى ملك الأرمن، وبها بستان متملكها ومناظره. فاتتهب مدينة سيس وهدمت وأحرقت وتحصن أهلها بقلعتها. ولما فرغ من إحراق المدينة وهدم قصور التكفور، وعادت الجبال شبة بما سبوه من حريم المغول وأولادهم، وسيفت الفنائم، وعاد السلطان ورعت المساكر الزروع. ووصل الأمير جمال الدين الممىدى، والأمير عز الدين الديماطى إلى طرسوس ووجدوا بها من الخيل والبغال مقدار ثلثمائة رأس فاستاقوها. وتوجه الأمير مبارز الدين الطورى، والأمير عز الدين كرجى إلى قريب البحر وقالوا جماعة من العدر، ووجدوا مراكب في البحر فدخلوا إليها وأخذوها وقتلوا من فيها. ووصل الأمير سيف الدين الزينى إلى قلعة البرزين، ووصل الأمير بدر الدين الأيدمرى إلى أذنة، وغنموا نساء وأطفالا. وأغارت للمساكر في تلك الجبال وقتلوا رجالا كثيرة. ووصل الأمير بدر الدين بيمرى والأمير سيف الدين أيتمش السمدى إلى آياس، وكان خبر العسكر قد وصل إلى من بها من الفرنج فنقلوا أموالهم إلى المراكب فأحرقت المساكر وقتلت جماعة كبيرة في البر والبحر، وحضر بعد ذلك كتاب والى إسكندرونة يتضمن: أن المساكر لما قصدت آياس ركب جماعة منها من الفرنج والأرمن قريب ألفى نفس هارين ففرقوا جميعهم، وأخذ الأمير بدر الدين أمير سلاح جشارات خيول. هذا ما يتعلق بعزوة سيس.

وأما العسكر والعربان الذين توجهوا إلى جهة البيرة فوصلوا إلى رأس عين وغنموا فنائم كثيرة، وانهمزم من كان في تلك الجهة من التار، وعاد العسكر سالما منصورا. ووصل السلطان إلى المصيبة وأحرقت من الجائنين.

(١) في الأصل « من » والنصوب منقول من السلك (ج ١ ص ٦١٥ م ٦)

ولما تكامل حضور الأمراء بالغنائم وخروج التركمان والمريانيين
إلى الطاعة من الدربندات، رحل السلطان وعبر على بحيرة بها أغصان ملتفة مثل
القابة وبها جزائر قد تحصن بها جماعة من تلك البلاد ونقلوا إليها حريمهم
وأموالهم، فرمى المسكر نفوسهم فيها عسوما بالخليل، فقتلوا وسبوا. ثم عبروا
على تل حديدون، وقلمة التقير فعانت المساكر فيهما، وخرج المسكر من
الدربندات فشاهدوا الغنائم قد ملأت المروج طولا ومرضا، فوقف السلطان
بنفسه وفرق الغنائم وهم بها الناس، وما أخذ لنفسه شيئا منها. ثم سار بعد
القسمه فنزل دهلزيه بحارم.

فقال القاضي محي الدين بن عبد الظاهر :

يا ملك الأرض الذى عزمه كم عامر للكفر منه خرب
قلبت سببا فوقها نخمها والناس قالوا ميس لا تنقلب

ذكر شيء من أخبار بلاد ميس

وسبب استيلاء الأرمن عليها

المصيبة بناما عبد الملك بن مروان فى أيام أبيه ، فى سنة أربع وثمانين
للهجرة النبوية .

وأما طرسوس فهى من المدن القديمة ، وفيها دفن الخليفة عبد الله المأمون
ابن الرشيد كما ذكرنا .

وطرسوس وأذنة وما يليهما تسمى قيليقيا ، وتعرف هذه البلاد بالدروب
والمواصم ، وبها كان الغزو والرباط والجهاد والمناغرة ، وكانت مضافة إلى مملكة

مصر في إمارة أحمد بن طولون ومن بعده ، حتى استولى الروم عليها كما قدمنا . واستمرت بيد الروم إلى أن استولى عليها ملجح بن لاون الأرمني ، وذلك في أيام العادل نور الدين الشهيد ، بمساعدته ، وهزم [ملجح] جيش الروم ففوى منه ذلك البلاد ، وكانت هزيمته للروم في يوم الأحد سلع شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وخمسمائة ، وأسر من مقدميهم ثلاثين أسيرا ، فأحسن إليه نور الدين وخلع عليه ، وكتب إلى بغداد يعظم أمر الروم ويذكر أن هذا ملجح الأرمني من حملة غلامانه ، وأنه كسر الروم ، ومنّ بذلك على أهل بغداد .

واستمر ملك هذه البلاد في هذا البيت إلى الآن .

نعود إلى أخبار السلطان الملك الظاهر .

قال : ثم رحل السلطان وخيم بمرج أنطاكية ، وانتهت المساكن في تلك المروج وورعت الأعشاب ، ثم رحل .

ذكر منازل حصن القصير وفتحته^(١)

هذا الحصن مما لم يفتحته السلطان الملك الناصر صلاح الدين بن يوسف ابن أيوب رحمه الله ، وقيل إنه صالح عليه ، وما زال لمن يكون بابا برومية ، والبابا خليفة عند الفرنج يتنقذ أمره وحكمه في سائر ملوك الفرنج .

وأمر الحصن راجع إلى بترك أنطاكية^(٢) ، والفرنج تميزه وتؤثره . وأهل أهل شره ومنعة وفساد ، وكان مضرة على الفرقة^(٣) وتلك الجهات . ولما فتح السلطان

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٦٢٠ ص ١٠) .

(٢) ورد في هذه النسخة لفظ البطرك بالطاء ، والهاء والكاف والقاف .

(٣) الفرقة « كذا في الأصل » و

أنطاكية سأل أهل القصير الهدنة والمناصفة، فأجيبوا إلى ذلك كما قدمنا . فها
وفوا وأخفوا في المناصفة . ولما وصل صمغار [مقدم التار] إلى جهة حارم
ضرب أهل القصير البشائر، ودلوا على الطريق وأمثال ذلك مما يقتضى فسخ
الهدنة . وكان السلطان قد رسم للأمير سيف الدين الدوادار بالتردد إلى كليام
النائب بالقصير وإظهار مصافاته . واعتمد ذلك وتوجه المذكور إليه في خامس
عشر شوال سنة ثلاث وسبعين وستمائة ، ومعه جماعة من السلاح دارية بصورة
أصحابه ، فوصلوا إلى القصير وأظهر الأمير سيف الدين فضبا كون كليام ماخرج
للقائه وقصد الرجوع ، فبلغه ذلك فخرج ممرعا ليلترضيه ويرده . فادركه فاستنع
من الرجوع واستدرجه حتى أبعد عن الحصن، ثم قتل من كان معه وأخذ كليام
وأحضره إلى السلطان . فكتب إلى أصحابه بالتسليم فاجتمعوا إلى كلامه .
فغرد السلطان جماعة من أمراء حلب وهم: سيف الدين الصروى ونهاب الدين^(١)
مروان وإلى أنطاكية وجماعة من الرجال ، فنازلوا القصير .

وتوجه السلطان إلى دمشق واستصحب كليام معه ، وكان شيخا كبيرا
وكان ابنه في الأمر ، فمات كليام في الأسر بعد اجتماعه بابنه . ولما افتقد
الحصار على القصير وعمدوا الأقوات سلموا الحصن المذكور في يوم الأربعاء ثالث
وعشرين جمادى الأولى سنة أربع وسبعين . وحمل أهله إلى الجهات التي
قصدوها .

(١) راجع ما تقدم ص ٣٣٥ من هذا الجزء .

ذكر وفاة الأبرنس صاحب طرابلس

وما انقضى بعد وفاته^(١)

وفي تاسع شهر رمضان سنة ثلاث وسبعين وستمائة : توفى الأبرنس بيمند ابن بيمند صاحب طرابلس . ووصل ملك قبرص ، وهو ابن عم الأبرنس إلى طرابلس لتعزية ولده ، وكان السلطان قد كتب إلى الأبرنس يقول : « إن اللاذقية ما برحت للمسلمين ، ولما راح صاحب حلب تغلب أبوك وأخذها ظلما وعتوا ، ونحن لنا في اللاذقية النصف ، فترك النصف الآخر فإنه من حقوق المسلمين » . فلما سمع الفرنج ذلك قسروا البرج ، وخاف المسلمون ما ديتهم . فرسم السلطان لركن الدين النائب ببلاطس بنقل من اللاذقية من المسلمين إلى البلاد السلطانية . فوصل كتاب نائب البرنس الذي باللاذقية يذكر أنهم ما برحوا في الطاعة ، وقد هنأ عليهم خروج من عندهم . ووردت رسل ملك عكا وهو يشفع عند السلطان في استمرار الصلح ، فترك السلطان الحديث في اللاذقية . وكان السلطان قد سير عسكرا للحوطة على عرقا ومغل بلادها ، فسير ملك عكا وقبرص يتوصل في أمرهم ، وسأل إنقاد من يوثق به لأجل الدعاوى ، ويكون منه إلى نواب السلطان ومن ملك عكا إلى نواب البرنس . فسير الأمير سيف الدين الدوادار فتوجه إلى عرقا . وأقام بها ، فاجتمع عنده نائب بعلبك ، وولاه البر ومشايخ البلاد ومستخدميها وقواب الفرنجية . وكتبت الدعاوى وترددت الرسل . واتفقت وفاة الأمير صارم الدين الظاهري^(٢) النائب بمحصن الأكراد ، فبقى الفرنج يتذرون به وأنكروا

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٦١٩ ص ٨ - ١٠) .

(٢) توفى هذه النسبة بالكاف ولا يعمد إسكان الإتيان إلى الكفر والأبجج هو الظاهري ،

راجع ما تقدم ص ٣٢٧ من هذا الجزء .

الدعوى، ثم سأل الملك حضور الأمير سيف الدين إلى طرابلس فدخلها في ثامن المحرم في تجهل كثير من الممالك السلطانية وممالكه وأجناد، وطلقه أبناء الملوك بها، واجتمع بالملك وسلم إليه كتاب السلطان، وتقرر على الفرنج القيام بعشرين ألف دينار صورية وعشرين أسيراً من المسلمين .

ذكر غزوة النوبة^(١)

وفي سنة أربع وسبعين وستمائة : كثر تعدى داود متملك النوبة، وحضر إلى قريب أسوان وأحرق سواق . وكان قبل ذلك قد حضر إلى عذاب ، وفعل الأفعال الشنيعة . وتوجه الأمير علاء الدين الخزندار إلى قوص إلى أسوان فلم يدركه وظفر بنائبه الأمير قر الدين [بقلعة] الدو المسمى صاحب الجبل وجماعة معه ، فجهازهم إلى السلطان فوسطوا . وأمر السلطان بتجريد الأمير شمس الدين أفستقراستاد الدار، والأمير عز الدين أيبك الأقرم أمير جاندار، ومهبطهم جماعة من العسكر ومن أجناد الولايات والعربان بالوجه القبلي . وكان قد حضر ابن أخت ملك النوبة مرشكد الذي أخذ داود الملك منه . فجهاز العسكر المنصور وتوجه [مرشكد] معهم . فأغار الأمير عز الدين على قلعة الدو وقتل وصي ، وصار الأمير شمس الدين في أثره يستأصل شأفة من بقي ، ونزل الأمير شمس الدين بجزيرة ميكائيل وهي رأس جنادل النوبة ، وهي كثيرة الأوحار وفي وسط البحر ، فقلعوا وأمرؤا . وكان نائب قلعة الدو الذي ولي عوض الوسط

(١) أنظر السلوك (ج ١ ص ٦٢١ - ٦٢٢) .

(٢) كذا في الأصل دائماً . أما ابن أبي الفضائل فوسيه . شكته . أما القلقشندي فنهيه

مرشكد . وفي السلوك (الموضع السابق) « شكته » .

(٣) في الأصل « يستأصل » .

قد هرب إلى الجزائر، فأعطى أماناً واستمر على نيابته، وحلف لمرشكد المتوجه
معية المسكر ما دام على الطاعة . وخاض الأمير من الدين في وسط البحر إلى برج
فعاصره وأخذه وقتل به مائتين وخمسين نفراً .

ثم ساق المسكر والتفوا الملك داود، وما زال السيف يعمل فيهم حتى أفنأهم
وما سلم إلا من ألفى نفسه في البحر، وهرب داود، وأمر أخوه ^(١) سنكو
وَجُرَّد جماعة من المسكر وساقوا ثلاثة أيام وأمسكوا أم الملك داود وأخته .

وقرروا على الملك مرشكد المتوجه معية المسكر فطبعة في كل سنة، وهرض
على أهل النوبة الإسلام أو القيام بالجزية أو القتل، فاختاروا القيام بالجزية وأن
يقوم كل واحد بدينار عينا، وحرقت كنيسة موس التي كان داود يزعم أنها
تحدثه بما يؤديه . وكان داود قد بنى مكاناً سماه عذاب عمره على اكتاف
المسلمين [الذين أسرهم من عذاب وأسوان ^(٢) وفيه منازل وكنائس، وميدان صوّر
فيه قتل المسلمين بعذاب وأمرهم بأسوان، فمحييت تلك النصارى ومنه ونحرب .
وتقرر حمل ما هو مخلف من الملك داود وأقاربه . وكانت إقامة المسكر بدقطة
سبعة عشر يوماً حتى تمهدت البلاد واستنقذت أسرى المسلمين المأسورين من
أسوان وعذاب، وألهم مرشكد التاج على عادة ملوك النوبة . وأجلس بمكان
الملك [داود ^(٣)] وحلف اليمين العظيمة عندهم على ما تقرر وهي :

(١) كما في الأصل بزيادة ألف لاجابة لما .

(٢) في الأصل « الولد » والتصحيح منقول من نص السلوك (ج ١ ص ٦٢٢ ص ٦) .

(٣) الإضافة ضرورية وهو منقولة عن السلوك (ج ١ ص ٦٢٢ ص ٤ - ٥) .

(٤) « جامة وهي منقولة عن السلوك » (ج ١ ص ٦٢٢ ص ٧) .

« والله ، والله ، وحق الثالث المقدس ، والإنجيل الطاهر ، والسيدة الطاهرة العذراء أم النور والمعمورية ، والأنبياء المرسلين والحواريين والقديسين ، والشهداء الأبرار . وألا : أجدد المسيح كما أجدده بودس ، وأقول فيه ما يقول اليهود وأعتقد ما يعتقدونه . وألا : أكون بودس الذي طعن المسيح بالحربة ، أنى أخلصت نيتي وطوبى من وفى هذا وساعى هذه للسلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين بيبرس ، وأنى أبذل جهدى وطاقتى فى تحصيل مرضاته ، وأنى مادمت نائبه لا أقطع ماقرر على فى كل سنة تمضى ، وهو مايفضل من مشاطرة البلاد على ماكان يحصل لمن تقدم من ملوك النوبة ، وأن يكون النصف من المتحصل للسلطان مخفصاً من كل حق ، والنصف الآخر أرصده لهامة البلاد وحفظها من مدر بطرقها ، وأن يكون على كل سنة : من الأيلة ثلاثة ، ومن الزرافات ثلاث ، ومن إناث الفهود خمس ، ومن الصهب الجياد مائة ، ومن الأبقار الجياد المتخبة أربعمائة . وإننى أقرر على كل نفر من الرعية الذين تحت يدى فى البلاد من العقلاء البالغين ديناراً عينا ، وأن تفرد بلاد العل والحيل خاصا للسلطان . وأنه مهما كان لداود ملك النوبة ولأخيه سنكوا ولأمه وأقاربه ، ومن قتل من حسكره بسيوف العساكر المنصورة ، أحمله إلى الباب العالى مع من يرصد لذلك . وإننى لا أترك شيئاً منه قل ولا جل ، ولا أخفيه ولا أتمكن أحداً من إخفائه ، ومتى خرجت من جميع ماقررت أو شئ من هذا المذكور أعلاه كله كنت بريثاً من الله تعالى ، ومن المسيح ، ومن السيدة الطاهرة ، وأخسر دين النصرانية ، وأصل إلى غير الشرق ، وأكفر بالصليب ، وأعتقد ماعتقد اليهود .

وإني لا أترك أحدا من العربان ببلاد النوبة ، ومن وجدته منهم أرسلته إلى الباب السلطاني ، ومهما سمعت من الأخبار السارة والناقصة طالعت به السلطان في وقته وساعته ، ولا أنفرد بشيء من الأشياء إذا لم يكن مصلحة ، وأنني ولي من وإلى السلطان وعدو من عاداء ، والله على ما نقول وكيل . .

[ثم هذا عهد آخر صادر من أمير بطاعة مرشكد و بطاعة بيبرس .^(١)]

« وحلفتُ الرعية أيضا بتلك الجهات بأنهم يطيعون نائب السلطان ، وهو الملك مرشكد المقيم بدقنة ، وكل نائب يكون للسلطان أطيعه ولا أرى عليه رأيي ، ولا أخبئ عنه مصلحة ، وكل ما أسمع من الأخبار الجيدة والرديئة أطالع نائبه به . ومنى علمت على نائبه الملك مرشكد أمرا يخالف المصلحة لا أطيعه فيه وأطالع السلطان به في الوقت والساعة . وأنني لا أدخل في حكم داود ، ولا أكون معه ، ولا أطالع به من الأخبار ، ولا أرتضى به ملكاً ، ورضيت بأن أقوم بدينار عينا في كل سنة خالية على . .

وعاد العسكر وأحضر من النوبة مائذكر ، وهو ما وجد في كنيسة سوس من الصليان الذهب و غيرها : أربعة آلاف وستمائة وأربعمون دينارا ونصف ، وأواني فضيات ثمانية آلاف وستمائة وستون دينارا ، والذي أحضر من الرقبى ، سبعمائة رأس .

(١) الإضافة ضرورية لتحديد نقطة الفصل بين وثقتين مختلفتين . الأولى هي نص الدين الذي حلف به ملك النوبة الجديد ، والثانية هي نص العهد بالطاعة لملك الجديد .

وقد نشر الدكتور زادة في ملاحق السلوك نص الوثيقة الأولى دون الوثيقة الثانية (راجع السلوك

طبع ١٠ ص ٩٧٢ - ٩٧٤) .

وأما الملك داود فملأه هرب إلى جهة الأبواب ، فقاتله صاحبها الملك أد ،
وقتل ولده ، وأمسكه وسيره إلى السلطان .

ذكر غزوات النوبة في الإسلام

أول ما غُزيت النوبة في سنة إحدى وثلاثين للهجرة النبوية ، غزاها عبد الله
ابن سعد في خمسة آلاف فارس ، وأصيب في ذلك اليوم معاوية بن حديج في
عينه ، وأصيب أبرهة الصباح في عينه ، وكانوا يسعون النوبة : رماة الحديق .
ومادهم عبيد الله بن سعد بعد أن وصل دنقلة .

وفي ذلك يقول الشاعر :

لم تر عيني مثل يوم دنقلة والخيل تعدو بالدروع مثقلة
ترى الحماة حولها مجذلة كأن أرواح الجميع مهملة

وقال يزيد بن أبي حبيب : « ليست المواجهة بين أهل مصر والنوبة مواجهة
هذنة ، وإنما هي هذنة أمان ، نعطيهم شيئاً من قمع وعدس ، ويعطوننا رقيقاً ،
ولا بأس بما يشتري من رقيقهم » .

وكان البقط المرتب على النوبة وهو الرسم على ما قرر :

في كل سنة أربعةائة رأس من الرقيق ، وزرافة واحدة . لأسيير المؤمنين
ثلاثمائة وستون رأساً ، ولثائب بمصر أربعون رأساً .

ويطلق لرسله ، إذا وصلوا بالبقط تاماً ، ألف وثلاثمائة أردب قمح ، لرسله
منها ثلاثمائة .

وقال البلاذرى فى كتاب الفتوحات : « إن المقرر على النوبة أربعائة رأس ، يأخذون بها طعاما ، أى غلة » .

وألزمهم المهدي العباسى بثلاثمائة وستين رأسا وزرافة .

ثم غُزيت فى زمن هشام بن عبد الملك بن مروان ، ولم تفتح وإنما كان قتال ونهب وسبى .

وغزاهها يزيد بن أبى حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة ، على يد عبد الأعلى بن حميد . وغزاهها أبو منصور تكين التركى على وبرقة فى عام واحد ، ولم تفتح النوبة .

ثم غزاهها كافور الإخشيدي ، وكان أكثر جيشه السودان .

فقال الشاعر :

ولما غزا كافور دقلة غدا بجيش لطول الأرض من مثله عرض
غزا الأسود السودان فى رونق الضحى فلما التقى الجمعان أظلمت الأرض
ثم غزاهها ناصر الدولة بن حمدان ، فكسبه السودان ، ونهب جيشه ، وأخذت أنقاله ، وذلك فى سنة تسع وخمسين وأربعائة فى أيام المستنصر العبيدى .

ثم غزاهها بعد ذلك شمس الدولة نوران بن أيوب أخو الملك الناصر صلاح الدين يوسف فى سنة ثمان وستين وخمائة ، ولم يصل إلا إلى أبريم .

وكل هذه غزوات ، وإسأ الفتح هذا .

ذكر غزوة الروم وقتل التتار^(١)

قد ذكرنا في أخبار السلطان في سنة خمس وسبعين وستمائة ، طاعة أمراء الروم ووصولهم إلى خدمة السلطان ، وإكرامه لهم وإحسانه إليهم وما عاملهم به . ولما وصل السلطان إلى الديار المصرية في رابع عشر شهر ربيع الأول سنة خمس وسبعين وستمائة ، أقام بها إلى شهر رمضان منها ثم عزم على السفر ، وجهاز من وصل إليه من أمراء الروم بالخيل والخيول والخيول ، وتوجه من قلعة الجبل المحروسة ، بمساكر الديار المصرية في يوم الخميس العشرين من شهر رمضان من السنة . ورتب الأمير شمس الدين آفستق أسناد الدار في النيابة عنه بقلعة الجبل^(٢) والصاحب بهاء الدين وجعلهما في خدمة ولده الملك السعيد . واستصحب معه الصاحب زين الدين أحمد بن الصاحب نقر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين وجعله وزير الصحة ، وهي أول سفرة صافرها محبته ، واستصحب أكثر كتاب الإنشاء ، وفوض في هذا اليوم نظر الجيوش للقاضي عز الدين إبراهيم بن الوزير الأعز نقر الدين مقدم بن شكر ، والشهادة به للقاضي شمس الدين الأرمني ، واستصحبهما محبته .

ثم رحل يوم السبت ثاني عشرين الشهر ومحبته أمراء الروم ، وصاروا صر بملكه إلا استصحب عسكرها ونزائنها وأسلحتها ، وكان وصوله إلى دمشق في يوم الأربعاء صايع عشر شوال ، ونرج منها متوجها إلى حلب في يوم السبت العشرين من الشهر ، وكان وصوله إلى حلب في يوم الأربعاء مستهل ذي القعدة ،

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٩٢٧ وما بعدها) .

(٢) يسبه صاحب السلوك نائب النية بقلعة الجبل .

ونخرج منها في يوم الخميس ثاني الشهر إلى حبلان فترك بها بعض الثقل ، وتقدم إلى الأمير نور الدين علي بن مجمل نائب السلطنة بحلب أن يتوجه إلى الساجور ، ويقيم على الفرات بمن معه من عسكر حلب ، لحفظ معابر الفرات ، خشية أن يعبر منها أحد من التتار إلى الشام . ووصل إلى الأمير نور الدين ، الأمير قرف الدين عيسى بن مهنا .

ولما اتصل خبر نزول هذا الجيش بالتتار المقدمين بالعراق جهزوا إليهم جماعة من عرب خفاجة لينالوا من العسكر خربة ، فالتصّل خبرهم بالأمير نور الدين [نائب حلب وهو على الفرات] فركب إليهم وقاتلهم وهزمهم ، وأخذ منهم ألفاً ومائتي رجل . ورحل السلطان من حبلان يوم الجمعة ثالث الشهر إلى عين تاب ، ثم إلى دلوك ، ثم إلى مرج الديباج ثم إلى كينوك ، ثم رحل منها إلى كراحو ، ثم إلى اقبا در بند ، فوصله يوم الثلاثاء سابع الشهر فقطعه في نصف نهار ، وبات في وطاة هناك . وقدم الأمير شمس الدين سنقر الأشقر في جماعة من العسكر جاليشا ، فوقع على ثلاثة آلاف فارس من التتار مقدمهم كراحي ، فهزمهم وأسر منهم وقتل ، وذلك في يوم الخميس تاسع الشهر . ثم ورد الخبر على السلطان أن عسكر المغل ومقدمهم تتاون وعسكر الروم ومقدمهم [معين الدين] البرواناه قد قربوا من العسكر ، فرتب السلطان عساكره وطلعت العساكر على

(١) كذا في الأصل وفي السلوك : ابن مجمل « بالحاء المهملة .

(٢) الإضافة من السلوك (ج ١ ص ٦٢٨ ص ١٠) .

(٣) في الأصل ألف بالزنج وحقه نصب .

(٤) في الأصل « كل سوء » والصحيح يعتمد على السياق وعلى تحديده خط السير .

(٥) كذا في الأصل وفي السلوك « تاورون » يراوين .

جبال مشرفة على صحراء موثى^(١) من بلد أبلستين، وكان العدو في تلك الليلة قد بات على نهر جهان، وهو نهر جيحان، فأقبل المسلمون من طولو الجبل، وترتبت المفل أحد عشر طلبا، كل طلب منها يزيد على ألف، وهزلوا عسكر الروم عنهم، وجعلوه طلبا بمفرده [لئلا يكون مخامرا عليهم]^(٢).

وكان أيضا بن هولاء كو قد انتخب هذا الجيش من عسكره، وكان فيه جماعة من أكابر مقدمي المفل. فوقف السلطان وتقدم إليهم جماعة من مماليكه وخوادمه، فأخذت فرقة منهم إلى الأرض وقاتلوا قتالا شديدا، وحملت فرقة^(٣) منهم من ميصرتهم واستدارت خلف الصناجق السلطانية، لحمل السلطان عليهم، فأنجحت الحرب عن قتل التار، وكان من بقى منهم كما قيل :

فلزمهم الطراد إلى قتال أحد سلاحهم فيه القذاره

وكانت وقعة عظيمة مشهورة فنهت فيها المفل.

واستشهد من المسلمين في هذا اليوم شرف الدين قيران^(٤) العلأى أحد مقدمي الحلقة، وعز الدين أخو المحدث.

(١) كذا في الأصل بنقطة واحدة وفي السلوك بنقطتين (موثى) وعند ابن أبي الفضايل صحراء البلستين (حاشية السلوك ج ١ ص ٩٢٨ حاشية ٦).

(٢) ومن حاشية السلوك (ج ١ ص ٩٣٢ حاشية ١) أن التار بارشوا إليهم على نهر زيان وهو أصل نهر جهان وأن هذا النهر يسمى أيضا جيحان.

(٣) الإضافة ضرورية لتطويل معنى منقولة عن السلوك (ج ١ ص ٩٢٨ ص ١٦) ②

(٤) الضمير يعود على المفل.

(٥) كذا في الأصل قيران بالياء وبغير اليا. في «س» (انظر السلوك ج ١ ص ٩٢٩ ص ١٤) ③

ونزل السلطان في المتزلة التي كان العدو نازلاً بها ، وأحضرت بين يديه الأسارى من المغل ، فاستبق السلطان بعض أكابرهم وقتل من بقى منهم ، وأسر جماعة من أكابر أمراء الروم ، ووصل جماعة منهم إلى الخدمة . وكان ممن أمر ووصل من الروم بكلاء بن البروانه ومعه ولد أخته ، وولد خواجا يونس ، والأمير نور الدين بن جاجا ، والأمير قطب الدين أخو الأنابك ، والأمير صراج الدين جاجا ، وسيف الدين سترجاه الزوباشي ، ونصرة الدين صاحب سيواس ، والأمير كمال الدين ، عارض الجيش بالروم ، وحسام الدين بركاؤل ، قريب البروانه ، وسيف الدين بن طليشير التركاني ، والأمير سيف الدين جاليش النائب بالروم ، وهو أمير داد ، ومعناه أمير العدل ، وظهير الدين فتوح مشرف الممالك ، ومرتجته دون الوزارة ، والأمير نظام الدين أوحدين الأمير شرف الدين بن الخطير وإخوته ، وقاضي القضاة حسام الدين قاضي الروم ، ومظفر الدين بن بحاف ، وأولاد الأمير صارم الدين بن الخطير ، وجماعة من أصحابهم ، وسيف الدين بكشكنا الجاشنكير ، ونور الدين المتجنقي ، وأولاد وشيد الدين صاحب ملطية^(١) كمال الدين وإخوته ، وأمير على صاحب كركر ، وأكثر هؤلاء حضروا بيوتهم وأولادهم ، وأما البروانه فإنه هرب .

(١) كذا في الأصل : « راجع عن البروانه » وأبى وغيرهم من أمراء الروم : السلوك (ج ١ ص ١٢٩) .

(٢) الفاء هنا مخزب من الميم في الشكل .

(٣) كذا في الأصل وفي السلوك « سيف الدين قنجاك الجاشنكير » وفي التهج السدي لابن أبي

الفضائل « سيف الدين قنجاك الجاشنكير » (انظر السلوك ج ١ ص ١٢٩ من ١٢) .

(٤) في الأصل « ما طية » .

قال القاضي محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر في السيرة الظاهرية : وأما البرواناء فإنه شمر الذيل وامتطى هربا أشهب الصبح وأحمر الشفق وأصفى الأصيل وأدهم الليل ، ودخل قيسارية في وقت السحر من يوم الأحد ثانی عشر الشهر ، فأفهم سلطانها غيات الدين [كيكائوس بن كيخمرو^(١)] والصاحب فخر الدين وزيرها ، والأتابك مجد الدين والأمير جلال الدين المستوفى ، والأمير بدر الدين ميكائيل النائب ، والطفرائي وهو ولد أنى البرواناء : أن جيش الإسلام كسر بعض المغل ، وأن بقية المغل انهزموا ، وبخشي أن يدخل المغل قيسارية ويقتلون من بها حنقا على الإسلام ، فأخذهم وأخذ زوجته بنت غياث الدين صاحب أوزن الروم ، وتوجهوا كلهم إلى توقات . ولهذا كرى خاتون [امرأة البرواناء] أربائة جارية استصحبتهن معها . وكانت أم هذه كرى خاتون ملكة الكرج . وتوقات مكان حصين مسيرة أربعة أيام من قيسارية .

وجزء السلطان الأمير شمس الدين سنقر الأشقر بجماعة لإدراك من انهزم من المغل ، والتوجه أمامه إلى قيسارية ، وكتب بتأمين أهلها . فتر بفرقة من التار معهم البيوت ، فأخذ عنهم جانباً . وحال بينهم الليل ، فسر كل منهم في جهة .

ورحل السلطان يوم السبت حادى عشر الشهر من مكان المعركة ونزل قريبا من قرية رقان ، وهى قريب الكهف والرقم حقيقة كما نقل ، لا ما يقال إن الكهف والرقم من عمل يسان والبقاء .

(١) الإضاءة للإيضاح من السلوك (ج ١ ص ٦٢٩) .

(٢) في الأصل حسان .

وقرية رتمان هذه بيوتها مبلية حول سن جبل قائم كالهرم ويطوف بها جبال كأنها أسوار ، ويخرج منها أنهار عليها قناطر لا تسع غيرها كب .

واشتدت الأمطار ، ثم مار بسكة النهار إلى الليل ، ونزل بوطاة من أعمال صاروس العتيق ، وبقرها معدن الفضة . فأتى السلطان مخبراً أن النار في فجوة هناك فركب بالمساكر فعاثته كثرة الأمطار فعاد وبات بتلك المثلثة . وأصبح فسلك جبلاً وعرة ، وصر على قرية أوتزال^(١) ومنها إلى خان قسريب من حصن سمندو ، وكان السلطان قد سير كتاباً إلى نائبها ، فقبله وأذن إلى النزول فيها إن أمره السلطان ، فشكره وأحسن إليه ، وكذلك متولى قلعة درندا ، ووالى دولوا ، أجابوا كلهم إلى الطاعة . ثم نزل السلطان قرية قريبة من قيسارية شرقي جبل صيب ، وركب يوم الأربعاء ، نصف ذى القعدة سنة خمس وسبعين وستمائة ، والعساكر في خدمته ، وخرج أهل قيسارية ، العلماء والأكابرو وغيرهم حتى النساء والأطفال فتلقوا السلطان ، وكان دهايز صاحب الروم وخيامه قد نصبت في وطاة كينجسرو قريباً من المناظر التي للملوك الروم ، فنزل السلطان به ، وارتفعت أصوات العالم بالتهليل والتكبير ، وضربت به نوبة آل سلجق على العادة ، وحضر أصحاب الملاحى فرؤوا ، واعتمد السلطان على الأمير سيف الدين جاليش في النيابة ، وكان أولاد قرمان [أمراء التركمان]^(٢) قد رهنوا أخاهم الصغير على بك بالروم ، فخرج إلى السلطان فأكرمه ، وطلب منه توافيق وصناجق له ولأخوته فأعطاه وتوجه ، وكتب السلطان إليهم في الحضور إلى خدمته ، وأكد في ذلك .

(١) كذلك في الأصل ، ومن الممكن قراءة أوتراك .

(٢) الإضافة التعريف وهي منقول من السلوك (ج ١ ص ٦٣٠ م ١٣) وأمير التركمان يرمض

هو الأمير غنى الدين محمد بن فرمان (ج ١ ص ٦٣٣ م ٣ - ٤) .

فكان من خبرهم في الوصول إلى بلاد الروم بعد رحيل السلطان ما نذكره إن شاء الله تعالى .

قال : ثم ركب السلطان في يوم الجمعة سابع عشر الشهر ، وعلى رأسه جتر بني سلجق ودخل قيسارية . وكانت دار السلطنة قد هيئت لتزوله ، ونخت آل سلجق قد نصب لحلولة ، فجلس في مرتبة السلطنة بكرة النهار ، وحضر القضاة والفقهاء والوعاظ والقراء والصوفية وأعيان قيسارية ، وذوو المراتب على العادة السلجقية في أيام الجمع ، ووقف له أمير المحفل — وهو عندهم ذو حرمة ومكانة ، وعليه أكبر ثوب وأكبر عمامة — فرتب المحفل ، وقرأ القراء ، ثم أنشد أمير المحفل بالعربية والمعجمة مدائح في السلطان . ومد السماط ، فأكل من حضر وانصرفوا . وتبها السلطان لصلاة الجمعة وحضر إلى الجامع وصل ، وخطب الخطباء في جوامع قيسارية باسمه ، وهي سبعة ^(١) جوامع . ثم عاد إلى دار السلطنة وأحضر بين يديه دراهم عليها السكة الظاهرية .

وظهر لمعين الدين سليمان البرواناه ولزوجته كرجى خاتون موجود ^(٢) عظيم ، فحمل إلى السلطان وكذلك موجود من نزع ، ففرق أكثره على أمرائه .

وحكى صاحب عز الدين بن شداد في السيرة الظاهرية قال : حكى لى من أتى به أن البرواناه بعث إلى السلطان لما دخل قيسارية يهتبه بالجلوس على التخت ، فكتب إليه يأمره بالوفود عليه ليؤبه ، فكتب إليه يسأله أن ينتظروه خمسة عشر يوما ، وكان مراده أن يصل إلى أينما ويبحثه على المسير [بنفسه]

(١) في الأصل « سبع » .

(٢) في الأصل « موجودا عظيما » بالنصب وحقه الرقع و

والسلطان بالبلاد ، فلم يدركه في حدى السلطان . فاجتمع تآؤن بالأسير
شمس الدين مستقر الأشقر وعرفه قصد البرواناه في طلبه الانتظار ، وأن مقصده
أن السلطان يربص حتى يدركه أبنا في البلاد ، فكان ذلك سبب رحيل السلطان
من قيسارية .

ذكر رحيل السلطان عن قيسارية وهرب عز الدين أيبك الشيعي ولحاقه بأبنا وعود السلطان إلى مملكه

كان رحيل السلطان من قيسارية في يوم الاثنين العشرين من ذى القعدة ،
وقيل في الثانى والعشرين منه ، لقلة الأفوات ، وقيل للسبب الذى تقدم ذكره ،
وجعل على يزكه الأمير عز الدين أيبك الشيعي ، وكان السلطان قد ضربه لسبقه
الناس وتقدمه ، فحق ذلك ، وتسحب يومئذ والتحق بأبنا بن هولاءكو .

ونزل السلطان بغير لو فورد عليه فيها رسول البرواناه ، ومعه رجل آخر اسمه
ظهير الدين الزرجان ، وهو يستوقف السلطان عن الحركة ، وما كانوا علموا
بقصد السلطان في مسيره إلى أية جهة ، وكان الخبر قد شاع أن حركة السلطان
إلى سيواس . فأجاب السلطان البرواناه : « أن كتبك وكتب فبرك كانت
تأينى واشترطتم شروطا لم تفوا بها ولا وقفتم عندها ، وقد عرفت الروم وطريقه ،
وما كان جلوسنا على التخت رغبة فيه إلا لنملك أنه لا عائق لنا عن شئ نريده
بحول الله وقوته ، ويكفيانا أخذنا أمك وابنك وابن بنتك وما منحناه من النصر
الوجيز ، ولينصرون الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . »

(١) مر من قبل هذا الامم راجع ما تقدم ص ٣٥١ من هذا الجزء .

(٢) كذا في الأصل « فبرلو » .

ثم رحل ، ونزل خان كيقباد ، فلما نزل به بعث الأمير علاء الدين طبرس الوزى إلى قرية رمانة خرقها ، وقتل من كان بها من الأرمن وبني حريمهم ، لأنهم كانوا قد أخفوا جماعة من المغل .

ولما رحل السلطان من منزلة روزان كودلوا مرة في وطاة خلف حصن ممندو من طريق غير الطريق الذى كان توجه عليها إلى قيسارية ، ويعرف هذا المكان بقزل صو ، ومعناه للنهر الأحمر ، وهو بعيد المستقى ، كثير الزلق والوحل ، فوقف السلطان وجرده سيفه حتى بسطت جملة من اللبايد المحرقت حوافر الخيل واخفاف الجمال ، ووقف راجلاً حتى عبر الناس أولاً قاولاً ، ثم ركب وعبر ونزل في واد فيه مرعى ، ثم رحل إلى صحراء فراحا بالقرب من بازار يلوا ، وهذا بازار هو الذى كانت الخلائق تجتمع إليه من أقطار الأرض ، ويبيع فيه كل شيء يجلب من الأقاليم .

ثم رحل يوم السبت وسار إلى وطاة أبلستين ومر بمكان المعركة لمشاهدة رمم التار ، وحضر جماعة من أهل أبلستين ، وسئلوا عن قتل التار ، فقال رجل منهم : « عددت ستة آلاف وسبعمائة وسبعين من المغل خاصة في المعركة غير من قتل خارجها » . ولما بلغ السلطان أقباجا درنبد بعث الأنقال والخزائن والصناجق محبة الأمير بدر الدين بليك الخزندار ليعبر بها الدر بند ، وتأخر السلطان سافة المسكر يوم الأحد ، ورحل يوم الاثنين فدخل الدر بند ، وحصل للناس مشقة ، ولما خرجوا منه قطعوا النهر الأزرق ، وبات .

ثم رحل السلطان فزل قريبا من كينوك ، ثم زل يوم الثلاثاء سادس ذى الحجة قريبا من حارم ، ونزل بمساكره هناك وعيد عيد الأضحي ، ووصلت إليه وسل

الأمير شمس الدين محمد بن فرمان أمير التركان وكتبه بما اعتمده بالروم بعد عود السلطان ، وأنه حضر في عشرين ألف فارس من التركان وثلاثين ألف راجل متركشة إلى خدمة السلطان فلم يدركه .

ذكر ما اعتمده الأمير شمس الدين محمد بك بن فرمان

أمير التركان في البلاد الرومية^(١)

كان الأمير شمس الدين المذكور قد باين التار وناذهم ، وخرج من طاعتهم وطاعة الروم ، وانحاز إلى السواحل . فلما بلغه خبر كسرة التار ووصول السلطان إلى قيسارية جمع جموعا كثيرة من التركان وقصد أقصرا ، فلم ينل منها طائلا فرحل عنها وقصد قونية في ثلاثة آلاف فارس ونازلها ، فخلق أهلها أبوابها في وجهه ، فرفع على رأسه صناعج السلطان التي سيرها مع أخيه على بك ، وبعث إليهم يعرفهم أن السلطان الملك الظاهر كسر التار ودخل قيسارية وملكها ، فقال أهل البلد : « أما الأبواب فنحن لا نفتحها ، ولكن أحرقوها وأدخلوا فنحن لانعمكم » ، فأحرقوا باب الفانراي ، وباب سوق الخيل ودخلوا قونية يوم عرفة ، وهو يوم الخميس . وكان النائب بها إذذاك أمين الدين ميخائيل . فقصد من معه داره ودار غيره من الأمراء ، والأسواق والخانات فقبوها ، ثم ظفروا بأمين الدين ، فأخرجوه إلى ظاهر البلد وعذبوه إلى أن استأصلوا ماله ثم قتلوه وعلقوا رأسه داخل البلد ، وامتنع أهل البلد من تسليمها ، فاحملوا الحيلة ، ورتبوا رجلا على أن يتوجه إلى قمين من أقمنه حمام صينوه له ، فإذا رأى هناك شابا رمى نفسه عليه وقبل رجله ، فإذا قال له الشاب : « من أين تعرفني ؟ » ، فيقول :

(١) انظر السلك (ج ١ ص ٦٣ حاشية هـ) .

« ما أنت علاء الدين كخسروا بن السلطان من الدين كيقباز ؟ أنسيت تربيتي لك وحملك على كفتي ؟ » . وليكن ذلك بمشهد من العامة ، فلما فعل ذلك وصممت العامة مادار بين الرجل والشاب ازدحموا عليه ، وإذا بحامه من التركان كان قد رتب معهم أنهم إذا رأوا العامة قد أخذوا به فياخذونه من بين أيديهم ويحملونه إلى الأمير شمس الدين محمد بك ، ففعلوا ذلك ، فلما رآه أقبل عليه وضمه إليه ، وعقد له لواء السلطنة وحمل الصناجق حل رأسه ، وذلك في الرابع عشر من ذي الحجة ، فلما رأى أهل قونية ما فعلوه حملتهم المحبة في آل سلجوق على متابعتهم ، ثم نازلوا القلعة ، فامتنع من فيها من تسليمها ، فحاصروها ، ثم تقرر بينهم الصلح على تسليمها ويعطى من فيها سبعون ألف درهم ، فدخلوها وأجلسوا علاء الدين فيها على تخت الملك ، ثم بلغ ابن قرمان والتركمان أن تاج الدين محمد ، ونصرة الدين محمود ، ابنا الصاحب نجر الدين خواجا حل ، قد حشدا وقصدها ، فسار [ابن قرمان] إليهما وعلاء الدين معه ، فالتقوا على آمد شهر ، فكسرها وقتلها ، وقتل خواجا سعد الدين يونس بن سعد الدين المستوفى صاحب أنطاكية ، وهو خال معين الدين البرواناه ، وقتلوا جلال الدين خسرو بك بن شمس الدين يونس بكلازتكشي ، وأخذوا رؤوسهم وعادوا بهم إلى قونية في آخر ذي الحجة . واستمروا بقونية إلى أن دخلوا سنة ست وسبعين وثمانمائة ، فبلغهم

(١) في الأصل « فآخذه » .

(٢) يتوقف تحديد المعنى في هذه الجملة على أحزاب العدد ، والراجح أن الذين استلبوا هم الذين دفنوا المبلغ وتكون القراءة المطلوبة في هذه الحالة « سبعين ألف درهم » .

(٣) كذلك في الأصل بغير نقط .

(٤) كذلك في الأصل .

أن أبقا وصل بعد خروج الملك الظاهر من الروم إلى مكان الوقعة ، فرحلوا عن قونية إلى جبالهم . وكانت مدة مقامهم بقونية سبعة وثلاثين يوما .

ذكر وصول أبقا إلى بلاد الروم ومشاهدته مكان^(١)

الوقعة وما فعله بأهل الروم من القتل والنهب

كان البرواناه معين الدين لما تمت الهزيمة على التار وعليه ، قد كتب إلى أبقا يستنصر به ويستحثه على الوصول إلى بلاد الروم ، فتوجه أبقا إلى الروم ، ولما شارف البلاد خرج إليه البرواناه بمن معه ، وتوجه في خدمته بالعساكر إلى أن وصل إلى البليستين ، ووقف على موضع المعركة ، فتأسف على المفل وبكى ، ثم قصد منزلة السلطان الملك الظاهر ، فقاها ببعضا الدبوس فلم عدة من كان نازلا بها من العساكر وأنكر على البرواناه كونه لم يعرفه جليلة حال العسكر ، فاعتذر بأنه ما علم بذلك ، وأن العسكر حضر بقتة ، فلم يقبل عذره . وكان الأمير عز الدين أيبك الشيخ في خدمة أبقا ، فقال له : « أرني مكان الميمنة والقلب والميسرة » فأقام له في كل منزلة وحما ، فلما رأى بعد ما بين الرماح قال : « ما هذا العسكر الذي حضر معي يكفي هؤلاء » ، وكان في خدمته من عسكره ثلاثون ألف^(٢) ، وكان قد سيرهم إلى الشام فأعادهم من كينوك ، وتوجه إلى قيصارية وسأل أهلها فقال : « هل كان مع صاحب مصر جمال ؟ » ، فقالوا : « لم يكن معه

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٦٢٢) .

(٢) في الأصل « أنه » .

(٣) في الأصل « مقام » .

(٤) في الأصل « ثلاثين » .

إلا خيل وبغال ، فقال : « هل نهب منكم شيئا ؟ » قالوا : « لا ، لا ، إلا
مشتري بالذهب » ، فقال : « منذكم فارقتكم ؟ » قالوا : « منذ خمسة وعشرين
يوما » ، فقال : « هم الآن عند جملهم ^(٢) » . ثم مزّم على قتل من بقيسارية من
المسلمين ، فاجتمع إليه القضاة والفقهاء ، وقالوا : « هؤلاء رعية ولا طاقة
لهم بدفع مسكر إذا نزل عليهم ، وهم مع الزمان عبيد من ملك » ، فلم يرجع إلى
ذلك ، وأمر بقتل جماعة من أهل البلد ، وقتل قاضى القضاة جلال الدين حبيب ،
وأمر مسكره أن يسطر في المملكة الرومية ، فقتل من الرعايا ما يزيد على مائتى
ألف ، وقبل بلغت عدة من قتل من الرعايا والفلاحين وغيرهم نحو مائة ألف من
قيسارية إلى أروى الروم [ولم يقتل أحدا من النصارى] ، ثم هاد أبنا إلى الأردو ،
وكان من خير قتل البوواناه معين الدين ما قدمناه .

نعود الى سياقة أخبار السلطان الملك الظاهر

قد قدمنا أن السلطان نزل بالقرب من حارم، وعيد عيد الأضحى هناك، وحضر إلى خدمته أمراء بني كلاب، ثم نزل السلطان بالقرب من أنطاكية في مروجها ورحل إلى دمشق، فكان دخوله إليها في خامس المحرم سنة ست وسبعين وسبعمائة وقبل في سابعه.

قال المؤرخ : كان السلطان لما توجه إلى الروم كلف أهل دمشق جباية مال يسبب إفامة الخليل^(٣) ، فحضر إليه الشيخ عبي الدين النواوي وكلمه في ذلك

(١) كذا في الأصل .

(٢) الإضافة ضرورية لفهم وهي متولة عن السلوك (ج ١ ص ٦٢٢ قس ١٢) .

(۲) انظر السلوك (ج ۱ ص ۶۰ ص ۶۷ ص ۸۴).

بكلام خشن ، فلاطفه السلطان ، وقال له : « يا سيدى : مد يدك أعاهدك أننى متى كسرت المدونى هذه السفرة أبطل الجباية ويكون خاطرك معى » ، فعاهده على ذلك . فلما فتح البلاد وكتب إلى الشام بالبشارة ، كتب إلى الأمير بدر الدين بكتسوت الأقرعى ، شاد الدواوين بدمشق ، كتابا مضمونه : أنه لا يحمل ركابا إلا وقد استخرجت من أهل دمشق مائتى ألف درهم ، ومن برها ثمانية ألف درهم ، ومن فراها ثمانية ألف درهم ، ومن البلاد القبليه تكلة ألف ألف درهم ، فتبذل فرح أهل الشام لذلك حزنا ، وتمنوا زوال الدولة ، فما كملت خباية نصف المال حتى مات السلطان .

واستهلت منه ست وسبعين وستمائة

ذكر وفاة السلطان الملك الظاهر

ركن الدين بيبرس الصالحى رحمه الله تعالى

قال القاضي عبي الدين عبيد الله بن عبد الظاهر فى السيرة الظاهرية :
ودخل السلطان دمشق فى خامس المحرم وقد رنح النصر أطمافه ، وروى من^(١)
دماء الأعداء أسيافه ، وقدامه مقدمو التار قد ركبوا وهم فى القيود عوض
شهب البلاد ، وبعد أن كانوا مقترنين صاروا مقترنين فى الأصفاد ، ونزل بقصره
فى الميدان الأخضر ، معتقدا أن الدنيا فى يده قد حصلت ، والبلاد التى حلها
ركابه عنه انفصلت ، وأن سعده استخلص له الأيام وأصفاه ، والممالك شرقا
وغربا لو لم يكن بها غيره لكفاهها ، وإذا بالمنية قد أنشبت أظفارها ، والأمنية^(٢)
وقد وضعت حوبيا [و] أوزارها ، والعافية وقد شممت الذيل ، والصحة وقد
قالت لطيبه : « أهلك والليل » ، ورماح الخط وقد قالت لأقلام الخط : « أصبحت
فى لبس الحداد من المداد » ، والقلوب وقد قالت عند شق الجيوب : « نحن أحق
منك بهذا المراد » ، والحصون وقد قالت لقصره الأبلق : « ما كان بناؤك حل
هذه الصورة إلا فالأبسا تسود الجدران به عند الفجائع من السواد » .

(١) فى الأصل « رنح النصر أطمافه وتصحيحه يستند على المحفوظ المأثور .

(٢) الإضافة بعدها المبنى .

(٣) رسم الناسخ الفاء أقرب ما تكون إلى الميم وقد مر مثل ذلك .

قال : وكان ابتداء مرضه الذى اعتل به الوجود ، وتباشرت به الأكفان والمهود : ليلة السبت خامس عشر المحرم . فلما ركب وقت العصر من يوم الجمعة رابع عشرة وكان مودع لأخذانه وروثية موكبه وركوب حصانه ، ونزل والثالث جسمه بعض التياث ، وأصبح وليس عنده ذلك الانبعاث . فلما انقضت مدة أجله ، وانطوت صحيفة عمله ، قبض الله روحه الزكية ، ورجعت إلى ربها راضية مرضية ، وذلك بعد الزوال من يوم الخميس حاج عشرين المحرم سنة ست وسبعين وستمائة .

وكان نفوس العالم كانت نفسا ، وأزل الله السكينة فلا تسمع إلا همسا ، واستصحبت مهابة السكون وخادعت العقول حتى أن ما كان من وفاته كاد كل يحلف أنه ما يكون .

وحمل في محفة إلى قلعة دمشق في تلك الليلة ، وسكنت الشفاة والألسنة ، وتناومت العقول من غير نوم ولا سنة . وجعل في بعض القاعات بالقلعة على سرير يوما إليه بالترحم والسلام ، ولا يزوره غير الملائكة الكرام .

قال المؤرخ : ونولى فضله وتحنيطه وتصديره وتكفينه المهتار شجاع الدين هنبر ، والفقيه كمال الدين الإسكندرى المعروف بابن المنبجى ، والأمير هن الدين أليك الأنوم أمير جانداره ثم جعل في قابوت وعلق في بيت من بيوت قاعة البحرة بقلعة دمشق . وكانت مدة مرضه ، رحمه الله تعالى ، ثلاثة عشر يوما ، وهى مدة مرض الشهيد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، رحمه الله تعالى .

وأول ما فتحه السلطان بنفسه : فيسارية الساحل ، وآخر ما فتحه فيسارية الروم ، واستمر بقلعة دمشق إلى أن ابتاع ولده السلطان الملك السعيد دار العيقى بدمشق بستين ألف درهم ، وحصل الشروع في عمارتها ووضع الأساس في يوم الأربعاء خامس جمادى الآخرة من السنة . وكانت النفقة على العمارة من ريع أملاكه . وحل إليها ليلة الرغائب الخامس من شهر رجب سنة ست وسبعين وستمائة ، [و] بعد أن صلى عليه في صحن جامع دمشق ليلاً ، أدخل من باب البريد وخرجوا به من باب النطاقيين إلى تربته وتولى حمله الأمير عز الدين أيدير نائب السلطنة بالشام والأمير عز الدين الداودار والطواشى صفى الدين جوهر الهندى ، وألحده القاضي عز الدين الشافعى .

ولما تمت له سنة من يوم وفاته عملت له الأعزية بالقرافتين^(١) ، ومدت الأمسطة للفقراء والفقراء وفرفت على الزوايا ، وحضر الناس على اختلاف طبقاتهم . وقرئ له عدة ختمات ، وعمل له بعد ذلك عدة أعزية بمدرسة الشافعى ، والجامع الطولونى ، والجامع الظاهرى ، والمدارس الظاهرية ، والصالحية ، ودار الحديث الكامية ، والخانقاه الصلاحية ، والجامع الحاكى ، وعمل للتكاثر^(٢) خوان حضره جماعة من الفقراء والصالحين .

مدة حكمه

وكانت مدة ملكه ، رحمه الله تعالى ، سبع عشرة سنة وشهرين واثني عشرة يوماً .

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٤٨ - ٦٤٩) .

(٢) كذلك الأصل .

(٣) في الأصل : سبعة عشر سنة .

وكان له من الأولاد : السلطان الملك السعيد ناصر الدين محمد قاهان بركة ، وأمه
ابنة الأمير حسام الدين بركة خان بن دولة خان الخوارزمي^(١) ، والملك المسعود
نجم الدين الخضر ، والملك العادل بدر الدين سلامش ، وسبع بنات .
وتزوج أيضا ابنة الأمير سيف الدين نوكة التتاري^(٢) ، وابنة الأمير سيف الدين
كراي التتاري ، وابنة الأمير سيف الدين مماسي التتاري^(٣) ، وامرأة شهرزورية تزوجها
لما قدم غزة وحالف الشهرزورية ، ثم طلقها لما ملك الديار المصرية .

نائبه : مملوكه الأمير بدر الدين بليك الخزندار .

وزراؤه : صاحب زين الدين بن الزير مدة يسيرة . ثم استوزر بعده

الساحب بهاء الدين علي بن محمد المعروف بابن حنا .

قضائته : وقد تقدم ذكر قضائته في أخبار دولته .

• • •

(١) كذا في الأصل وفي السلوك (٩٧ من ٦٤٠ من ١٩ ، من ٦٤٩ من ٢) التتاري .

(٢) كذا في الأصل وفي السلوك « مماسي » (نفس الموضع) .

(٣) « د » « د » « د » وانظر السلوك (نفس الموضع) :

{ ١٣ /

ذكر أخبار السلطان الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة قاء^(١)
ابن السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدار الصالحى
وهو الخامس من ملوك دولة الترك .

ملك الديار المصرية والبلاد الشامية ، بعد وفاة والده السلطان الملك الظاهر ،
فى يوم الخميس سابع عشر من المحرم سنة ست وسبعين وستمائة ، وكان ولى عهد
أبيه ، على ما قدمناه فى أخبار الدولة الظاهرية^(٢) ، فى يوم الخميس ثالث عشر شوال
سنة اثنين وستين وستمائة ، وجُدد له الحلف ، فى يوم الخميس تاسع صفر سنة
سبع وستين وستمائة .

قال : ولما توفى السلطان بدمشق كان الملك السعيد بمصر ، وكان الأمير
بدر الدين بيليك الخزنदार نائب السلطنة وأكابر الأمراء قد أخذوا موت السلطان^(٣) .
وكتب الأمير بدر الدين بيليك الخزنदार إلى الملك السعيد كتابا بخطه يخبره بوفاة
السلطان ، ويعلمه بما دبره من كتمان ذلك إلى أن يصل بالمسافر والخزائن إلى
خدمته ، وسأله كتمان الحال إلى أن يصل إليه ، وصير إليه المطالعة على يد الأمير
بدر الدين الجوكان دار الحموى ، والأمير علاء الدين أيدغمش الحكى الجاشنكير ،
فلما وصلا بالمطالعة وأنهيا مامعهما من المشافهة خلع عليهما وأنعم على كل منهما
بخمسة آلاف درهم ، وأظهر أن ذلك بسبب بشارتهما بعود السلطان إلى دمشق .
ثم ركب الأمراء فى بكرة يوم السبت تاسع عشر من الشهر على العادة إلى سوق
الخيل بدمشق .

(١) كذا فى الأصل ، ويرد فى الأصل أيضا (قاء) ويرد فى السلوك (ج ١ ص ٦٤١) فان .

(٢) راجع ما تقدم ص ١٠٠ ص ١٥٧ من هذا الجزء .

(٣) انظر السلوك (ج ١ ص ٦٤١ ص ٥) حيث به الخبر عن إغفاء وفاة السلطان .

ثم رحلوا من دمشق في صفر بالجيوش والعساكر ، وبينهم محفة محمولة ،
وجماة من الممالك السلطانية في خدمتها يظهرون أن السلطان الملك الظاهر فيها
وهو ضعيف ، كل ذلك حفظا للهاية ، وما زال الأمر كذلك إلى أن وصلوا
إلى الديار المصرية ، وكان وصول المحفة والأمراء إلى قلعة الجبل في يوم الخميس
خامس عشرين صفر سنة ست وسبعين وستمائة ، وسلم الأمير بدر الدين الخزندار
الخزائن والعساكر للسلطان الملك السعيد ، وأظهروا عند ذلك وفاة السلطان
وحلف الناس للملك السعيد ، واستقر له الملك وعمره يومئذ تسع عشرة سنة ^(١) .

وكتب [الملك السعيد] إلى دمشق وسائر الممالك الشامية يخبر «النواب»
ب وفاة السلطان وسلطته ، ويطلب منهم إيمان ، فوصل الأمر ^(٢) في البريد بذلك إلى
دمشق في يوم الأحد ثالث عشر شهر ربيع الأول ، فجمع النائب عن السلطنة بها
وهو الأمير عز الدين أيدمر الظاهري ، الأمراء والمقدمين ، وقرأ عليهم كتاب
السلطنة فحلفوا ، وحلف جميع العسكر والقضاة والأعيان ، ثم رسم لمتولى دمشق أن
يحلف أهل دمشق ، فحلف أهل كل حارة بحضور عدلين ، ورسم لمتولى البريد
بذلك ، فحلف أهل القرى والضياح ، ودامت مدة الحلف بدمشق أحد عشر
يوما حتى كملت . ثم خلع على الأمراء والمقدمين والقضاة والأعيان والنظار
وكتاب الإنشاء بدمشق في سادس عشر الشهر ، وخلع على الأعيان والأكابر
بالطرحات ، وما كان قبل ذلك يخلع بالطرحة ، إلا على قاضي القضاة ، وحلف
أيضا صاحب حماة وأهل بلده ، ونائب حلب وأمراؤها وجندها وأهلها ، وسائر
الممالك الشامية لم يختلف منهم أحد ولا توقف عن الإيمان .

(١) في الأصل : نسمة مشرقة .

(٢) في الأصل : « الأمراء » ، والتصحيح يقتضيه السياق .

ذكر وفاة الأمير بدر الدين بيليك الخزندار

كانت وفاته ، رحمه الله تعالى ، بقلعة الجبل في ليلة الأحد سادس شهر ربيع الأول سنة ست وسبعين وستمائة ، وذلك أنه لما وصل إلى خدمة السلطان الملك السعيد وقف وحلف الأمراء والخواص والأجناد وغيرهم للملك السعيد ، فلما تكامل ذلك توجه إلى والده السلطان زوجة مخدومه ليعزيها بالسلطان وبينها بسلطنة ابنها ، فشكرت فعله وما اعتمده من حق ولدها من حفظ السلطنة عليه ، ثم أخرجت له هناديا فيه مشروب ، وقالت له : « أشرب هذا فأنك قد نميت في هذا اليوم وما أكلت شيئا . » فقال لها : « والله لي ثلاثة أيام ما أكل في كل يوم نصف أوقية طعام خوفا على السلطان الملك السعيد ، ولم أزل أداري الأمراء منذ وفاة السلطان إلى أن كل هذا الحلف المبارك . » وتناول الهنادي وشرب منه جرعتين وأعادته في الثالثة لكثرة إلحاحهم عليه ، وتوجه إلى داره فحصل له قولنج ، وانقطع وتزايد به الأمر ، فمات ، رحمه الله تعالى . وهذا الفصل الذي دبرته والده الملك السعيد من سوء التدبير وقبح المكافأة ، فإنه وقع الخيال حينها وعند ابنها منه ، ولعل هذا الخيال كان غير صحيح : فإنه أحسن السياسة وأجمل التدبير ووفى لمخدومه ، وكان رحمه الله تعالى ، تربية السلطان ، اشتراه وهو مفردى ورياء من صفه ، وكان خزنداره ، ثم أستاذ داره في الإمرء ، ونائبه في السلطنة وكانت مكاتبه عنده مكيئة ، يرجع إلى رأيه ويعتمد عليه في سائر أحواله وينقى بنصحه ، وتمكن في الدولة الظاهرية تمكنا عظيما ، وكان له بالدبار المصرية إمرة مائة فارس وبالشام إمرة خمسين فارسا ، وجعل له السلطان عند زواجه

بابنه الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل قلعة العبيبية وبانياس وأعمالها والشفر وغير ذلك ^(١) .

ولما مات وقعت الأوهام في نفوس الأمراء وتخلوا ، فإنهم علموا ما أسلفه المذكور من الخدمة للسلك السعيد وحفظ الخزائن والعساكر ، وأنه أدى الأمانة في طاعته .

واستتاب السلطان بعد وفاته الأمير شمس الدين آقسنقر الفارقاني الظاهري أستاذ الدار ونائب السلطنة بالديار المصرية في غيبة السلطان ، وأقر المصاحب بهاء الدين على وزارته .

وركب السلطان ^(٢) في يوم الأربعاء سادس عشر شهر ربيع الأول بشمار السلطنة والأمراء في خدمته ، وتوجه صوب الجبل الأحمر ، وذلك أول ركوبة ، وخلع على الأمراء والأعيان .

ذكر القبض على من يذكروا من الأمراء

والإفراج عنهم ومن مات منهم

كان من سوء التدبير الذي اعتمده السلطان الملك السعيد : أنه قبض على الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، والأمير بدر الدين بيمرى ^(٣) الشمعى في يوم الجمعة حادى عشرين شهر ربيع الأول ، واعتقلهما بقلعة الجبل ، وكانا من أكبر الأمراء ، وأخصهم بصحبة السلطان والده ، فتغيرت لذلك قلوب الأمراء ،

(١) في الأصل : الشرا ،

(٢) من ركوب الملك السعيد راجع السلوك (ج ١ ص ٦٤٢) .

(٣) في الأصل سبرى ومخطأ يشكر .

ثم اجتمع محاليكه ومحاليك الأمير بدر الدين يليك الخزندار، وحسنوا له القبض على نائبه الأمير شمس الدين آقسنقر [الفارقاني] واستعانوا بالأمير سيف الدين كوندك الساقى، وأمسكوه وهو جالس عند باب القلعة ومحبوه إلى الدور وضربوه وتنفوا لحبته، وذلك في يوم السبت ثامن عشر ربيع الآخر، واعتقل فلم يلبث إلا قليلا ومات .

ثم أفرج عن الأمير شمس الدين سنقر الأشقر وبدر الدين بيسرى في يوم السبت ثانى جمادى الأولى وخلع عليهما وأعادهما إلى ما كانا عليه .

ثم قبض على خاله الأمير بدر الدين محمد بن الأمير حسام الدين بركه خان في يوم الجمعة رابع عشر جمادى الآخرة، واعتقله بقلعة الجبل، فنقضت أخته والدة السلطان لذلك، وأنكرته على ابنها، فأفرج منه في ليلة الثلاثاء خامس عشرين الشهر وخلع عليه وأعادته إلى ما كان عليه . وشرع في خلال ذلك في تقديم محاليكه وترجيحهم وسماع آرائهم .

قال : ولما صدرت منه هذه الأفعال اجتمع الأمراء وتشاوروا، وقصدوا أن يتوجهوا إلى الشام، ثم رجعوا عن ذلك وبعثوا إلى السلطان وقد اجتمعوا في يوم الخميس، وأمتلأت بهم القلعة، وأنكروا فعله، وحذروه عاقبة ما يطرق إليه، فلاطفهم وحلف لهم أنه لا يريد بهم سوءا، وتولى الأمير بدر الدين الأيدمرى البين، فسكنت خواطهم، واستقر الحال مدة لطيفة .

وكان السلطان لما قبض على الأمير شمس الدين آقسنقر الفارقاني ومحب في النيابة بعده الأمير شمس الدين آقسنقر الألفى المظفرى، فلم ير ضه انخاصكية لأنه خير

(١) هو باب من أبواب القلعة بناه الملك الظاهر يرس راجع السلوك (ج ١ ص ٦٤٤ حاشية ٦) .

(٢) في الأصل « سبرى » .

ظاهري . واتفق أنه ولي خورشده الأمير علم الدين سنجر المظفري ، المعروف بابي نرحس ، نيابة المملكة الصفدية ، وزاده على إقطاع النيابة نواحى من الخاص السلطاني ، وهى أويجا وكفرين ونمرين من الغور ، فأوهوا السلطان منه وزعموا أنه يقصد إقامة المظفرية ولا تؤمن غائلته ، فعزله عن قريب ، وولى الأمير سيف الدين كوندك الساقى نيابة السلطنة [لأنه ربي معه في المكتب ^(١)] وقبل إن ولايته كانت فى سنة سبع وسبعين . ولما فوضت إليه النيابة أمر الوزير صاحب بهاء الدين أن يجلس بين يديه والا يوقع إلا بأمره .

وتقدم من الماليك السعيدية الأمير حسام الدين لاجين الزينى ، وانضم إليه الخاصكية ، وقويت شوكته وأخذ الخوشداشيتة الإقطاعات ، ونافس النائب . فضم النائب إليه الأمراء الأكابر ، ومال إليهم واستجلبهم ، هذا كله فى سنة ست وسبعين وستمائة ، وبعضه فى سنة سبع على ما قبل .

وفى سنة ست وسبعين وستمائة أيضا فى يوم السبت سابع ذى القعدة : برز السلطان الملك السعيد بالعساكر إلى منزلة مسجد التبن لقصد الشام ، ثم انتقل بخواصه من هذه المنزلة فى يوم السبت حادى عشر الشهر ونزل بالميدان السعيدى ومادت العساكر إلى منازلهم وبطلت الحركة .

وفىها : فى شهر رمضان طلعت صحابة عظيمة بصفد ، لمع منها برق عظيم خارق ،

(١) الإضافة لتبديل وهى منقولة من السلوك (ج ١ ص ٦٤٤ ص ٢ - ٤) .

(٢) كذا فى الأصل .

(٣) يقع هذا المسجد قرب المطرية بحسب حاشية ناهر السلوك (ج ١ ص ٦٨٤ حاشية ٣) .

(٤) فى الأصل « بلغ »

وسطع منها لسان كالنار ، وسمع صوت رعد هائل ، ووقع على منارة جامعها صاعقة شقت المنارة من رأسها إلى أسفلها شقا يدخل فيه الكف .

وفيها : سأل قاضى القضاة صدر الدين سليمان [بن أبى العز]^(١) الحنفى أن يؤذن له فى الإقامة بدمشق مدرسا ومجاورا لتربة السلطان ، فأذن له ، فأقام بدمشق . وفوض قضاء الحنفية بالديار المصرية لثأبه القاضى معز الدين .

ذكر عزل قاضى القضاة محيى الدين عبد الله بن محمد بن عين الدولة وإضافة عمله إلى قاضى القضاة تقي الدين بن رزين^(٢)

وفى يوم الأربعاء ثامن عشر ذى القعدة من هذه السنة ، عزل القاضى محيى الدين أبو الصلاح عبد الله بن قاضى القضاة شرف الدين محمد بن عين الدولة الصفراوى من القضاء بمصر والوجه القبلى . وسبب ذلك أنه كان قد حصل له فالج منذ خمس سنين ، فأفقد وعجز عن الكتابة ، وكان يعلم عنه كتاب الحكم ، فعزل الآن . وأضيفت ولايته إلى القاضى تقي الدين بن رزين ، وعطل القاضى محيى الدين وانقطع بمنزله إلى أن مات ، وكانت وفاته بمصر فى رابع شهر رجب ، وقيل فى خامسه من سنة ثمان وسبعين وستمائة ، رحمه الله تعالى .

وفيها : فوض السلطان الملك السعيد قضاء القضاة بدمشق والشام أجمع من العريش إلى سلمية لقاضى القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان الشافعى ، وعزل القاضى عز الدين بن الصايغ ، وتوجه القاضى شمس الدين إلى دمشق فى سابع

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٦٤٨) .

(٢) انظر السلوك (ج ١ ص ٦٤٧) .

(٣) هكذا فى الأصل .

وعشرين ذى الحجة ، فوصل إليها في ثالث عشرين المحرم ، وخرج الناس للقائه إلى خزرة . ومنهم من وصل إلى الصالحية ، وكانت الشفاعة قد قوبلت بولايته قبل وقوعها .

وفيها : كانت وفاة قاضى القضاة الشيخ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن الشيخ العماد إبراهيم بن عبد الواحد بن على بن سرور المقدسى^(١) الحنبلى ، في يوم السبت ثانى عشرين المحرم سنة ست وسبعين ، ودفن يوم الأحد بقرية عمه الحافظ عبد الفنى . وكان مولده في يوم الأحد رابع عشر صفر سنة ثلاث وستمائة بدمشق ، ولما أخرج عنه بعد القبض عليه كما تقدم ، لزم بيته بالمدرسة الصالحية وتوفر على اشتغال الطلبة إلى أن توفى . وكان كريما سمحا كثير العبادة والذكر ، وولى أيضا مشيخة الخانقاه الصلاحية بالقاهرة ، رحمه الله تعالى .

ذكر وفاة الشيخ خضر وشىء من أخباره^(٢)

وفى سابع المحرم سنة ست وسبعين وستمائة : كانت وفاة الشيخ خضر ابن أبى بكر بن موسى المدوى المهرانى شيخ الملك الظاهر فى معتقله بقاعة الجبل ، ودفن بسفح المقطم .

وقد حكى الشيخ شمس الدين محمد بن محمد الدين إبراهيم الجزرى فى تاريخه ، « حوادث الزمان وأنبائه » ، مبدأ أمره ، وكيف تنقلت به الحال ، فقال : كان فى مبدأ أمره يخدم الأكابر ببسلد الجزيرة ، ثم استخدم ليشيل زبائل دور

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٦٤٨ س ٤ - ٧) .

(٢) راجع شذرات الذهب (ص ٣٥١ ، وفات عام ٦٧٦ هـ) . وراجع ما تقدم ص ١٩٨

من هذا الجزء .

السلطنة والقلمة بجامكية وجراية . ثم ذكر عنه أنه أفسد بعض جوارى الدور ،
 فرمى بخصيه ، فهرب إلى حلب ، وخدم بابا عند ابن قراطابا فأحبب جارية ،
 فطلب فهرب إلى دمشق ، والتجأ إلى الأمير ضياء الدين القيبرى ، وأقام بمغارة
 فى زاويته بجبل المزة ، فيقال إنه اجتمع جماعة من الصالحين وبشروه بما
 يكون منه ومن السلطان الملك الظاهر . واتفق اجتماع الملك الظاهر به فى
 مدة مقامه بدمشق فى خدمة الملك الناصر فهشره بالملك . وكان الشيخ خضر
 قد احتوى على حقل الأمير سيف الدين قشتمر العجمى أحد الأمراء البحرية ،
 فكان يخبره بسلطنة الملك الظاهر قبل وقوعها ، ويخبره بأكثر ما وقع ، ثم اجتمع
 به الأمير سيف الدين أيتامش السغدى فأخبره أيضا بخبر الملك الظاهر ، ثم كان
 من سلطنة الملك الظاهر ما قدمناه ، وصار هو فى محبة قشتمر العجمى ، ونخرج
 معه عند خروج السلطان إلى الشام بسبب الملك المغيث صاحب الكرك ، فلما نزل
 السلطان على الطور سأل عنه الأمير سيف الدين قشتمر العجمى فأخبره أنه قد
 انقطع فى مغارة عند قبر أبى هريرة ، رضى الله عنه ، فتوجه السلطان إليه واجتمع
 به ، فأخبره بوقائع كثيرة لم يخبرم ، فاعتبط به ولازمه ، وبقي السلطان إذا حاصر
 بلدا من البلاد الساحلية والجبلية يخبره الشيخ بما يكون من أمره فيها ، وبالوقت
 الذى يفتح فيه ، فلا يخبرم ذلك . ولما قصد السلطان أن يتوجه إلى الكرك فى سنة
 خمس وستين وستمائة استشاره فى ذلك فأشار عليه ألا يتوجه إليها فى هذه السفرة ،
 وأن يتوجه إلى الديار المصرية نخالفة وتوجه إليها ، فانكسرت نفذه ببركة زيزا
 قبل وصوله كما قدمنا ذكر ذلك . ولما رأى السلطان ذلك منه عظم عنده وبغى

(١) كذا فى الأصل .

(٢) كذا فى الأصل بالعامة بمعنى الخطأ فى التقدير .

له زاوية بظاهر القاهرة بالحسيلة بجوار أرض الطبالة ، ووقف عليها أحكارا
بجملته كثيرة ، وبالقدس زاوية ، وبدمشق زاوية بالمسزة ، وببعلبك زاوية ،
وبحماة زاوية ، ثم هدم كنيسة اليهود بدمشق ، وهى الكنيسة العظمى عندهم ،
وجعلها زاوية كما تقدم ، وهدم كنيسة النصارى بالقدس ، وقتل قسيسها بيده
وعملها زاوية ، وهدم كنيسة الروم بالإسكندرية ، وهى كرمى كانتهم يعقدون
فيها البتركية ، ويزعمون أن رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام فيها ^(١) ، وهو عندهم
يحن المعدادى الذى عمّد المسيح بن مريم ، وجعلها مسجدا وبني فيها المحارب
وسماها المدرسة الخضراء ، وفتح لها شباكا إلى الطريق ، ورتب فيها فقراء من
جهته ، وكذلك في جميع زواياه : جعل بكل زاوية منها فقراء يقطعون المصانعات
ويحمون أبواب الجرائم من اللصوص وغيرهم ، ويتعاطون الفسق .

قال : ولقد سأله مرة والدى إبراهيم ^(٢) فقال : « يا أخى ، اشتى أعرف
كيف كان سبب وصلتك إلى هذه المنزل ؟ » ، فقال له : « والله لا أقول لك حتى
تقول لى الذى تعرف منى » ، فقال له : « أعرفك شيخ نحس ، نفوك من
الجزيرة ثم من حلب ومن دمشق ، وما رأيتك إلا وقد صرت فى هذه المنزل » ،
فقال : « والله العظيم صدقت ، وما صدقنى أحد فى الحديث إلا أنت يا أختى ،
لما هربت من الجزيرة طلعت إلى جبل الجودى ، فبقيت احتطب فى كل يوم
جرزة ^(٣) حطب أبيعها بدرهم ونصف ، فلما كان فى بعض الأيام إذا أنا بفقير
هربان ليس عليه لباس ، وقد أنبت الله له شعرا على جسده ، يستر عورته ،

(١) فى الأصل « فيها » والتصحيح يستند إلى السياق .

(٢) ليس المقصود والد المؤلف بل المقصود والد صاحب الرواية الذى نقل عنه التورى .

(٣) جرزة بمعنى خزمة (القاموس المحيط) .

فقال لى : « ياخضر ، ايش تعمل ؟ » ، قلت : « أحتطب » قال : « تعال
خدا إلى هذا المكان وخذ منه جزئين حطب^(١) ، بيع الواحدة لنفسك والأخرى
اشترى بئنها مومى ومقصا ومشطا ، » . فقلت : نعم . فلما كان الغد قصدت
ذلك المكان فوجدت به جزئين حطبا ، فبعت إحداهما واشتريت له ما طلب ،
وبعت الأخرى لنفسى ، فلما اجتمعت به قال لى : « اذهب إلى الشام ، فسوف
يكون لك مع ملكه شان عظيم » . فقدر الله تعالى أنى سكنت هذه المغارة
بالمزة ، فحصل لى اجتماع بالسلطان الملك الظاهر لما كان فى خدمة الملك
الناصر ، ونفع على بأن بشرته بالملك ، فلما ملك كان سبب الوصلة بينى وبينه
الأمير سيف الدين قشتمر المعجمى . قال : « وكان ذلك الفقير قد أخبرنى بجميع
ما يقع لى فى عمرى وبجميع ما يقع للسلطان واقعة بعد أخرى » .

قال : قال والدى : وكان فى ذلك الوقت قد حصل لى وجع فى ظهرى ، فقلت
له : إن ظهرى يؤلمنى فسح بيده على ظهرى ، فسكن الوجع ، فقال :
« يا مجد الدين ، سكن الوجع أم لا ؟ » . قال : فقلت : أما الوجع فقد سكن ،
وأما أنى اعتقد أنك رجل صالح فلا ، وإنما هذا من جملة السعادة التى حصلت
لك . ثم كان من قبض السلطان عليه واعتقاله ما تقدم ذكره ، ولم يزل فى اعتقاله
إلى أن مات . قال : ولما عاد السلطان من غزاة الروم إلى دمشق كتب بإطلاقه
فوردا البريد بعد وفاته .

وكان واسع الصدر كريم النفس ، يعطى الدراهم والذهب الكثير ، ويصنع
له الطعام فى قدور كبيرة مفرطة فى الكبر ، وكانت أحواله غير متناسبة والأقوال

(١) كذا فى الأصل ، بالهين .

(٢) فى الأصل « لك ذلك » وهذا الخلف يقتضيه تركيب العبارة .

فيه مختلفة ، فمن الناس من يثبت صلاحه ، ومنهم من يرميه بالعظام ، وكان يكتب إلى صاحب حاة وفيه من الأسماء في أوراقه إليهم : خضر نياك الحمار ، وكتب بذلك إلى قاضي القضاة تاج الدين بن بنت الأعز ورقة ، فأغضى عنها ، ثم أخرى كذلك ، فلما وصلت إليه الورقة الثالثة أحضر رسوله وقال له : « قل له ، واقه لئن وصل إلى ورقة منه بعد هذه فيها مثل هذا : أحضرته إلى مجلس الحكم وقابلته بما يستحقه بمقتضى ما كتب به خطه » ، فامتنع بعد ذلك من مكاتبتة . ومات وله نيف وخمسون سنة ، وكان ربع القائمة ، كث الحية ، في لسانه هجمة ، سامحه الله وإيانا .

وفيها : كانت وفاة الأمير جمال الدين أقش المحمدي الصالحى بالقاهرة في ليلة الخميس ثالث شهر ربيع الأول ، ودفن من القدي بترته بالقرافة الصغرى ، وقد ناهز سبعين سنة . وكان السلطان قد قم عليه وحلبه مدة ثم أفرج عنه وأعادته إلى الإمرة ، وكان رحمه الله تعالى عديم الشر .

وفيها : توفي الأمير عز الدين أيبك الدمياطى الصالحى النجمى أحد الأسماء الأكابر المقدمين . وكان السلطان الملك الظاهر قد اعتقله كما تقدم ثم أفرج عنه ، وكانت وفاته بالقاهرة في ليلة الأربعاء تاسع شعبان ، ودفن بترته التى أنشأها بن القاهرة ومصر ، المجاورة لجووس السبيل المعروف به ، وقد ناف على سبعين سنة ، وكان كريما جدا ، له مروة تامة ، رحمه الله تعالى .

وفيها : توفي الأمير عز الدين أيدمر العلأى ، وكان ينسوب عن السلطنة بقلمه صفد ، بخرى بينه وبين النواب مفاوضة أدت إلى أن طلب الدستور من

(١) أقش المحمدي الصالحى غير أقش النجمى الصالحى ، بحسب هذا النص وبحسب نص المتن ص ٣٨٧ من هذا المحزرة ، راجع أيضا السلوك (ج ١ ص ٦٥٠) .

السلطان لينى مصالح ، فأذن له فحضر إلى الديار المصرية فأدركته منيته ، فتوفى في ليلة الأربعاء سابع عشر شهر رجب ، ودفن في يوم الأربعاء بالقرافة الصغرى . وكان صفيها أمينا محبا للعلماء والفقراء ، وهو أخو الأمير علاء الدين أيدكن الصالحى العمادى ، رحمه الله تعالى .

وفيها : توفى الأمير شمس الدين بهادر المعروف بابن صاحب صهيون ، وكان قد قدم إلى خدمة السلطان الملك الظاهر قبل وفاته بثلاث سنين ، فأحسن إليه وأكرمه ، وكانت وفاته بالقاهرة في ليلة الأحد العشرين من شعبان ، ودفن من القد بترتبه التى أنشأها خارج باب النصر ، وقد ناف على أربعين سنة ، رحمه الله تعالى .

وفيها ، كانت وفاة الملك القاهر بهاء الدين أبى محمد عبد الملك بن الملك المعظم شرف الدين عيسى بن السلطان الملك العادل سيف الدين أبى بكر محمد ابن أيوب ، بغاة في يوم السبت خامس عشر المحرم من غير مرض ، بل كان راكبا بسوق الخيل بدمشق فاشتكى ألماً في فؤاده ، فعاد إلى منزله^(١) كريمة زوجة الملك الزاهد^(٢) مجير الدين داود بن صاحب حمص ، فأدركته منيته ، فمات عند دخوله إليها ، وقيل إنه مات في باب الدار قبل الدخول إليها ، ودفن بسفح فاسيون . وكان مولده في سنة اثنين وعشرين وستائة ، وكان رحمه الله تعالى رجلا جيدا شجاعا بطلا مقداما ، سليم الصدر حسن الأوصاف كريم الأخلاق ، لين الكلمة كثير التواضع ، حسن الاعتقاد في الفقراء والصالحين ، وكان يلبس

(١) في الأصل ، منزله .

(٢) يرمم النسخ الدال كالراء .

ملابس العرب وبتراً بزيمهم ويركب كركبهم ويتخلق بأخلاقهم في كثير من أعماله ، رحمه الله .

وقد حكى الشيخ قطب الدين البويني^(١) ، نفع الله به ، في تاريخه ، في سبب وفاته ، قال : حكى لى تاج الدين نوح بن شيخ السلامة^(٢) حكاية غريبة معناها : أن الأمير عز الدين أيدمر العلائي نائب السلطنة بقلمة صغد حدثه بها ، قال : كان السلطان الملك الظاهر مولعا بالنجوم وما يقوله أرباب التقاويم ، فأخبر أنه يموت بدمشق في هذه السنة ، سنة سبع وستين وستائة ، بالعم ملك^(٣) ، فحصل عنده من ذلك أثر كبير . قال : وكان الملك الظاهر عنده حسد شديد لمن يوصف بالشجاعة أو بذكر جميل ، ولما دخل^(٤) الملك القاهرة إلى الروم محبة السلطان ظهر يوم المصاف عن شجاعة ، وظهرت نكايته في العدو حتى تعجب من فعله من شاهده ، وراه الملك الظاهر فتأثر منه ، وانضاف إلى ذلك أن السلطان حصل منه في ذلك اليوم فتور على خلاف عادته ، وظهر عليه الندم كونه تورط في بلاد الروم — بكلمة الملك القاهرة في ذلك الوقت — بكلام فيه إشارة إلى الإنكار وتوبيخ فعله ، فأثر ذلك عنده أثرا آخر ، فلما عاد من غزاته وسمع الناس يلحجون بما فعله الملك القاهرة تأثر من ذلك أيضا ، وتخيل في ذهنه أنه إذا سمه فمات هو الذي ذكره أرباب النجوم لأنه يطلق عليه اسم ملك وله ذكر ، فأحضره

(١) في الأصل « بترايا » بزيادة ألف .

(٢) وعت أيضا أخذ صاحب السلوك (ج ١ ص ٦٣٥ ، ٦٣٦) .

(٣) كذا في الأصل .

(٤) يرد مثل ذلك التثنية في السلوك (ج ١ ص ٦٣٥ ص ١٥) بنفس ألقاؤه .

(٥) في الأصل داخل ، بزيادة ألف .

السلطان عنده لشرب القمز ، وأعد له سما في ورقة وجعلها إلى جانبه ، من غير أن يطلع على ذلك أحدا ، وللسلطان هتايات ثلاثة تختص به مع ثلاثة من سقاته ، لا يشرب فيها غيره إلا من يكرمه وبناوله أحدها من يده ، واتفق قيام الملك القاهر لقضاء الحاجة ، فيجمل السلطان ما في الورقة في هتاب وأمسكه بيده ، فلما عاد الملك القاهر ناوله إياه فقبل الأرض وتناولوه وشرب ما فيه . وقام الملك الظاهر لقضاء الحاجة فأخذ الساقى الهتاب من يد الملك القاهر وملاه على العادة وهو لا يشعر بما وضعه السلطان فيه ، فلما عاد السلطان تناول ذلك الهتاب فشرب ما فيه وهو لا يظن أنه الذي جعل فيه ما جعل ، فلما شربه أحس واستشعر وعلم أنه قد شرب من ذلك الهتاب الذي فيه آثار السم وبقاياه وتخيل وامتد به المرض ومات كما تقدم ، وأما الملك القاهر فمات من غد ذلك اليوم . وذكر الأمير عز الدين اللعلائي أنه بلغه ذلك من مَطْلَع لا يشك في أخباره ، والله تعالى أعلم .^(١)

وفيها : قتل الأمير عز الدين أيك الموصلی الظاهري ، كان نائب السلطنة بمحصر ثم نقله السلطان إلى نيابة السلطنة بمحصر الأكراد وما معه ، وكان ذا صرامة ونهضة وذكاء ومعرفة ، وكان يتشيع ، قتل غيلة لبسلة الأرباء سبع عشرين شهر رجب .

وفيها : كانت وفاة الشيخ الإمام العالم الزاهد الورع محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف الدين بن صري بن الحسن بن الحسين بن حرام بن محمد التواوي^(٢)

(١) انظر السلوك (ج ١ ص ٦٣٥ ، ٦٣٦)

(٢) في السلوك > ج ١ ص ٦٤٨ حاشية ٢ « نسبة إلى قرية (قوى) . ولدى بدائع الزهور لابن أبياس ، تحقيق محمد مصطفى (ج ١ ، القسم الأول ، ص ٣٦٤) أن مولده ببلدة قوى بدمشق .

الشافعي . وكانت وفاته عند أبيه بنوى في يوم الأربعاء خامس عشر شهر رجب سنة ست وسبعين وستمائة ، ومولده بنوى في سنة إحدى وثلاثين وستمائة ، فيكون مدة عمره نحواً وأربعين سنة تقريباً . وكان رحمه الله تعالى كثير الورع والزهد واسع العلم له مصنفات مشهورة مفيدة منها : كتاب الروضة في الفقه ، عليه تعتمد الشافعية وبه يحتجون غالباً ، وشرح مسلم ، ورياض الصالحين ، وكتاب الأذكار ، وشرح التنبيه ، ومات قبل أن يكمله . ولم يكن في زمانه مثله في ورعه وزهده ، وكان لا يأكل إلا ممساً يأنبه من جهة أبيه من نوى ، فكان يجزله الخبز بها ويقمر ويرسل إليه فياً كل منه ، وما كان يجمع بين إدامين ، فياً كل إما الدبس أو الخسل أو الزيت أو الزبيب ، ويأكل اللحم في كل شهر مرة . وكان يتولى دار الحديث الأشعرية ، فيجمع المباشرة للوقف بما مكنه بها ، ثم يستأذنه فيما يفعل بها إذا اجتمعت ، فتارة يشتري بها ملكاً ويوقفه على المكان ، وتارة يشتري بها كتباً ويوقفها ويجعلها في خزانة المدرسة المذكورة . وكان لا يقبل لأحد هدية ، ولا يأكل لأحد من أهل دمشق طعاماً ولا غيره ، وكان رحمه الله تعالى يواجه السلطان الملك الظاهر بالإفكار عليه في أفعاله ، ويلطفه السلطان ويحمل جفوة كلامه ويخاطبه بإسدي ، رحمه الله تعالى . وعاش والده الحاج شرف بعده إلى سنة إحدى وثمانين فوات في سابع عشر صفر ، وقبل في سنة اثنتين وثمانين ، ودفن بنوى ، رحمه الله تعالى .

واحتلت سنة سبع وسبعين وثمانية

ذكر توجه السلطان إلى الشام وإقامته بدمشق

ونجريد العساكر^(١)

في هذه السنة : توجه الملك السعيد إلى الشام وصحبته أخوه الملك المسعود
نجم الدين خضر، ووالدته ابنة الأمير حسام الدين بركة خان، واستصحب الأمراء
والعساكر. وكان رحيله من قلعة الجبل في ذى القعدة، ووصل إلى دمشق في يوم
الثلاثاء خامس ذى الحجة من السنة. ولما حل ركابه بدمشق أمر بإبطال الجبايات
والمظالم التي كانت حدثت في الدولة الظاهرية، فاستبشر الناس بذلك .

ولما استقر السلطان بدمشق جرد العساكر المصرية والشامية ، ولجرد الأمير
سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى في عشرة آلاف، وأمره أن يتوجه إلى جهة
سيس، وجرّد الأمير بدر الدين يسرى الشمسى في عشرة آلاف وأمره أن يتوجه
إلى قلعة الروم، وأقام هو بدمشق في مماليكه وخواصه، ونائبه الأمير سيف الدين
كوندك . وأقام بدمشق من الأمراء الأكابر الأمير شمس الدين منقر الأحمق،
والأمير علم الدين سنجر الحلبي ، وكان السلطان قد أفرج عنه بعد وفاة والده
الملك الظاهر وأحسن إليه .

(١) انظر الملوك (١٦ ص ٦٤٩ ، ٦٥٠) .

قالوا : وأراد السلطان بتجريد الأمراء الأكابر وإبعادهم عنه أن يتمكن في غيبتهم من التدبير عليهم ، ومنهم أنهم إذا عادوا قبض عليهم وأقطع أخبارهم لماليكه ، وظن أن ذلك يتم له ، والمقادير بخلاف ظنه : فتوجه الأمراء إلى القزاة [وفي نفوسهم من ذلك إح^(١)ن] وكان من أمرهم عند عودهم ما نذكره إن شاء الله تعالى .

[ذكر] أمر شاد الدواوين

وفي هذه السنة في رابع عشرين ذى الحجة : حصل بين الأمير بدر الدين يكتوت الأفرعى شاد الدواوين بدمشق ، وبين نائب السلطنة بها ، مفاوضة أدت إلى شكواه إلى السلطان ، فانتصر الأمراء لنائب السلطنة ، فصرم بتفويض شاد الدواوين بالشام إلى الأمير علم الدين سنجر الدواداري ، وكان من جملة الأمراء بحلب ، وخلع عليه وأقطع خبز الأفرعى ، ونقل الأفرعى إلى حلب على إقطاع الدواداري .

وفي هذه السنة ، في ليلة يسفر صباحها عن يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من ذى القعدة وهي سنة سبع وسبعين وستمائة : ولد مؤلف هذا الكتاب وجامعه ، فقير رحمة ربه أحمد^(٢) بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدايم بن عبادة^(٣) بن علي

(١) الإضافة لتبديل وهي مقولة من السلوك (ج ١ ص ١٥٠ ص ٥) .

(٢) كذا في الأصل . والعبارة دالة على أن النسخ تم في حياة المؤلف ، أما في النسخة ٥ ص ٥ التي أنجزت بعد موت المؤلف فإن العبارة هي : الشيخ الفاضل شهاب الدين أحمد .

(٣) في الأصل : منيا هو الصحيح يستمد على عدة أمثلة تشبه فيها العين ذات الزلزلة الخطوطية الزخرفية يا . وجبها ، ويستمد على ورود ذكر جد وحيد اسمه عبادة (راجع السلوك ج ٢ ص ٢٦٣) .

ابن طراد بن خطاب بن نصر بن إسماعيل بن إبراهيم بن جعفر بن هلال بن الحسين بن ليث بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق عبد الله ابن عتيق ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وابن صاحبه ، وأبي أصحابه ، وجد صاحبه ، والخليفة من بعده ، وهو ثاني اثنين ابن أبي قحافة عثمان ، رضوان الله عليهم ، بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، عرف مؤلفه بالنويري ، عفا الله عنه ولطف به ، وكان مولده بمدينة أنجم من صعيد مصر في التاريخ المذكور .

وفي هذه السنة : كانت حوادث وفاة جماعة من أرباب المناصب ، وولاية غيرهم ، نذكرها الآن في هذا الموضع . ولا نشترط في إيرادها الترتيب ، بل نوردناها بمقتضى المناصب ، فمن ذلك :

[ذكر] وفاة الأمير جمال الدين أقش النجيبى الصالحى

كانت وفاته بالقاهرة في يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر . وكان يسل أستاذ دارية السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب . وتولى أستاذ دارية السلطان الملك الظاهر في ابتداء سلطته ، ثم نقله إلى نيابة السلطنة بالشام كما تقدم . وكان رحمه الله تعالى ، ديناً كثير الإحسان إلى الرعية والرفق بهم . وكان يكره السعاية في الناس ، ومن سعى عنده بأحد أبعده ، وكان يحب أهل الخير ويقرهم . وأنشأ بدمشق مدرسة للشافعية وخانقاه للصوفية على المبدأن بالشرف الأعلى ، وخاناً للسبيل بمبدأن الحصا . ووقف بالديار المصرية وقفاً على المجاورين .

ولم يرزق في عصره ولدا . وكان عظيم الشكل والحلقة ، كبير البطن ، جهودي الصوت ، أكولا ، رحمه الله تعالى .

ذكر وفاة صاحب بهاء الدين

وفي هذه السنة : كانت وفاة صاحب الوزير بهاء الدين [أبو الحسن ^(١)] على بن محمد بن سليم المعروف بابن حنا ، بمصر وقت آذان العصر من يوم الخميس سلخ ذي القعدة . ودفن يوم الجمعة قبل الصلاة بترتبه بالقرافة . ومولده بمصر في سنة ثلاث وستائة ، ومات وهو جد ^(٢) . وكان في ابتداء أمره في دكان يبيع الخام ، ثم تنقلت به الأحوال وباشر في الديوان السلطاني حتى انتهى إلى هذه الغاية . وكان من رجال الدهر حزما وعزما وتديرا ، وكتابة وتحصيلا للأموال ، وقياما بمصالح الدولة ، وكان شديد الفيرة على منصبه ، فإذا تعرض أحد من المتصمين المباشرين إلى الاجتماع بالسلطان عمل على إتيان ^(٣) ، وكذلك ^(٤) من يجتمع بأكابر الأمراء من هذه الطائفة ، ويحسن إلى من يتصل بمجده وخدمة أولاده ، وينتمي إليهم ويقدمهم ، وكان حسن الظن بالفقراء والمشايخ كثير الإكرام لهم ولا يعل من حوائجهم ، ويشفع الناس عنده بهم فلا يردهم ، وكان أميناً في وزارته ، ما تكلم عليه ولا على أولاده بخيانة وإنما كانوا كلهم يتجهون تجاه ^(٥) الفل ويزرعون فاستمت بذلك أحوالهم وكثرت أموالهم ، وهملوا الأبنية العظيمة

(١) الإضافة عن السلوك (ج ١ ص ٢٥١ ص ٥) وراجع شذرات الذهب (ص ٣٥٨ ، وفات عام ٦٧٧ هـ) .

(٢) العبارة مأخوذة في العامة . (٣) في الأصل : « ثلاثة » .

(٤) في الأصل : « وذلك » .

(٥) الكتابة غير مقررة وأغرب قراءة : « يجهون تجاه الفل » : أي الكعب ، وفي الأصل بدون نقط « يجهرون تجاه الفل » .

والمساكن البديعة والمتنزهات ، وعمره مدرسة بزقاق القناديل بمصر ، ووقف عليها أوقافا ، وكان كثير الصدقة ، ولترم صوم الدهر في وزارته . وكان يشيب الشعراء على مدائحهم ، وامتدحه الشيخ رشيد الدين الفارقي فقال : —

وقايل في الوري نبه لها عمرا فقلت إن علينا قد تنبه لي

ما لي إذا كنت محتاجا إلى مهر من حاجة فليت حسبي انتباه على

وكان متمكنا من السلطان الملك الظاهر ، يصرح باعتقاد بركته ، حتى دام جماعة من الأمراء الأكابر خوشداشبة السلطان آذاه عند السلطان وذكر معاييبه في أوقات ، فكان السلطان إذا تدم ذلك منهم أو من أحدهم بادره السلطان بذكر محاسنه وأنه في بركته ، فيقف من يقصد آذاه عن ذلك . ولما مات وصل الخبر إلى السلطان وهو بمنزلة الكسوة ، فأمر بإيقاع الحوطة على المصاحب تاج الدين ولد ولده ، وكان محبته ، وأخذ خطه بمائة ألف دينار ، وأرسله إلى مصر ، ورمم أن يستخرج من أخيه المصاحب زين الدين مائة ألف دينار ، ومن المصاحب هن الدين بن المصاحب محي الدين مائة ألف دينار . وفوض السلطان وزارته للمصاحب بهان الدين الخضر السنجاري ، وفوضت (١) وزارة الصبغة للمصاحب نحر الدين إبراهيم بن لقمان صاحب ديوان الإنشاء في هذا التاريخ ، ودخل إلى دمشق متوليا .

(١) في الأصل « الشعر » والتصويب يقتضيه السياق .

(٢) كذلك في الأصل بالعامية .

(٣) في الأصل « وفوضت إليه » والمحدث يقتضيه السياق .

[ذكر] وفاة مجد الدين عبد الرحمن بن الصاحب كمال الدين

عمر بن العديم

وفيهما : توفي القاضي مجد الدين [أبو محمد^(١)] عبد الرحمن بن الصاحب كمال الدين
عمر بن العديم قاضي الحنفية بدمشق ، وكانت وفاته بدمشق في يوم الثلاثاء سادس
شهر ربيع الآخر ، ومولده بحلب في جمادى الأولى سنة أربع عشرة وستمائة .
وكان رجلا دينيا صالحا فاضلا لطيفا ، وتولى تدريس المدرسة الظاهرية بالقاهرة
كما تقدم ، وخطابة الجامع الظاهري بظاهر القاهرة ، ثم نقل إلى قضاء دمشق
كما تقدم . ولما مات فوض قضاء القضاة الحنفية بدمشق لقاضي القضاة
الشيخ صدر الدين أبي الربيع سليمان بن أبي العزین وهيب الحنفی ، وكان قاضي
القضاة الحنفية بالديار المصرية ، وتوجه في الصحبة الظاهرية إلى غزوة الروم ،
فلما عاد وانفقت وفاة السلطان سأل أن يكون مدرسا بدمشق ومجاورا لربة
السلطان ، ففوض إليه تدريس المدرسة الظاهرية بدمشق ، وكان ابتداء جلوس
المدرسين بها في ثالث صفر من هذه السنة ، وولى تدريس الشافعية بها الشيخ
رشيد الدين الفارقي ، واستمر القاضي صدر الدين في القضاء أربعة أشهر ومات .
وكانت وفاته بدمشق في ليلة الجمعة سادس شعبان ، ودفن بسفح قاسيون بترته
وكان له ، رحمه الله ، التصانيف المفيدة في مذهبه ، ولما مات فوض القضاء
بعده بدمشق لقاضي القضاة حسام الدين الحسن بن أحمد بن الحسن بن أنوشروان
قاضي ملطية ، وكان قد حضر إلى الشام محبة السلطان الملك الظاهر ، ففوض

(١) الكنية منقولة عن السلوك (ج ١ ص ٦٥١ م ١) وراجع شذرات الذهب (ج ٢ ص ٢٥٨)

وفيات عام ٦٧٧ هـ .

إليه القضاء بدمشق في التاسع والعشرين من شهر رمضان سنة سبع وستمائة وقيل في شوال منها .

وفيها : كانت وفاة الشيخ تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن شاهان شاه ابن غسيان بن محمد بن جلب راقب المعروف بابن مهسر المصري ^(١) ، وكان فاضلا جمع تاريخا لمصر ، وقد نقلنا عنه مواضع فيما سلف من كتابنا هذا ، وكانت وفاته بمصر في يوم السبت ثاني عشر المحرم ، ودفن بسفح المقطم . ومولده في يوم الثلاثاء ثالث جمادى الأول سنة ثمان وعشرين وستمائة بمصر ، رحمه الله تعالى .

[ذكر] وفاة الشيخ العارف نجم الدين أبو المعالي

محمد بن الخضر الشيباني الحريري ^(٢)

وفيها في ليلة الأحد رابع عشر شهر ربيع الآخر : توفي الشيخ العارف المحقق نجم الدين أبو المعالي محمد بن الخضر بن سوار بن اسرائيل الشيباني الحريري بدمشق ، ودفن بقبة الشيخ أرسلان بمقبرة باب توما . ومولده في يوم الاثنين ثاني عشر شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستمائة بدمشق ، وكان دينيا صالحا كريما متواضعا فاضلا أديبا ناظما ، وله ديوان شعر ، وشعره كثير المعاني ، رحمه الله تعالى .

(١) كانت له وزارة الصحة بدمشق (راجع السلوك ج ١ ص ٦٧٠ — ٦٧١) .

(٢) راجع شذرات الذهب (ص ٢٥٩ ونهايات عام ٦٦٧ هـ) حيث يرد أنه صاحب المقامات

واستهلّت سنة ثمان وصبعين وستائة

[استهلّت] والسلطان الملك السعيد بدمشق ، وفي خدمته من الأمراء من ذكر والمساكر مجردة كما تقدم .

وفي هذه السنة في ثامن المحرم : فوضت وزارة دمشق للصاحب فتح الدين عبد الله بن القيسراني الحلبي ، وركب والرؤساء والأكابر في خدمته وبأمر من يومه .

وفيها في شهر ربيع الأول : وقع بين الأمراء الخاصكية وبين الأمير سيف الدين كوندك^(١) نائب السلطنة فتنة ، كان سببها أن السلطان الملك السعيد أكثر من الإنعام على الخاصكية وأوسع في المعطاء لهم ، فاتفق أنه أنعم على بعضهم بالف دينار ، فتوقف النائب في إمضاء المرسوم ، فاجتمع المنعم عليه ببقية خوفه واشيته وصرفهم ذلك ، فاجتمعوا وحضروا إلى الأمير سيف الدين كوندك واسمحوه ما يكره ، ودخلوا إلى السلطان وصمحوه على مزله ، فأجابهم إلى ذلك . فخرجوا إليه ليوقعوا به ويقبضوا عليه أو يقتلوه . وكان ذلك بحضور الأمير شمس الدين مستقر الأشقر ، فنعهم من ذلك وأخذوه وضمه إليه . فخرج منشور السلطان له في اليوم الثاني بأمر أربعة من فارسا بحلب ، فاستمر عند الأمير شمس الدين مستقر الأشقر سبعة أيام . ووردت الأخبار بعود الأمراء .

(١) الضبط نقلا من ناسخ النجوم من عهد الجاني . ويضبط أيضا بضم الدال نقلا من النجوم

ذكر عود الأمراء من الغزاة

وظهور الوحشة والمنافرة بينهم وبين السلطان الملك السعيد

وتوجيههم إلى الديار المصرية

قال : ولما عاد الأمراء من الغزاة وقصدوا العبور إلى دمشق ، أرسل إليهم الأمير سيف الدين كوندك يخبرهم بحيلة الخبر ويعلمهم بما تقرر سرا . ثم ركب وخرج إليهم وتلقاهم ، واجتمع بالأمير سيف الدين قلاوون الألفى ، وبدر الدين يسرى الشمسى ، وتحدث معهما فأقاما بالمرج^(١) بمن معهما من الأمراء ولم يعبرا [إلى] دمشق ، وسيرا إلى السلطان يقولان له : « إن الأمير سيف الدين كوندك حضر إلينا وشكا من لاجين الزينى شكاوى كثيرة ، ولا بد لنا من الكشف عنها ، فيسره السلطان إلينا لنسمع كل منهما ونصف بينهما » . فلم يعبرا [السلطان] بقولهما ، وكتب إلى الأمراء الظاهرية الذين معهما أن يفارقوها ويعبروا إلى دمشق . فوقع القاصد بالكتب إلى الأمير سيف الدين كوندك فأحضره إلى الأمراء وأوقفهم على الكتب ، فتعقدوا سوء رأيه فيهم . ورحلوا من وقتهم من المرج وزلوا بالجسورة وأظهروا الأمور الدالة على الخلاف . وندم السلطان وبعث الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، والأمير شمس الدين سنقر التكريتي الظاهري أستاذ الدار إليهم ، وتلفظ بهم وقصد رجوعهم ، فوافقوا على الرجوع .

(١) المرج المقصود موضع قرب دمشق ، وبخبر نص التبريم (ج ٩ ص ٢٦٦) بين مرج طراء ومرج الصفر والمرج .

(٢) كذا في الأصل ، بالرفع ، وجعله نصب م .

(٣) موضع بظاهر دمشق .

ثم خرجت إليهم^(١) والدلة السلطان إلى منزلة الكسوة ، واجتمعت بالأمراء وسألهم الرجوع فاجمعا . وساروا إلى الديار المصرية ، فوصلوا إليها ونزلوا تحت الجبل في شهر ربيع الآخر ، فالتقى بالأمراء المقيمين بالقلة قدامهم ، وكان بها الأمير عز الدين أيبك الأقرم الصالحى أمير جاندار ، والأمير علاء الدين أقطوان الساقى ، وسيف الدين بلبان الزريقى ، فتقدموا إلى متولى القاهرة بفتح أبوابها ففتحت ، وبني خلف أكثرها الحيطان . فأرسلوا إلى الأمراء الذين بالقلة في فتح الأبواب ليحضر العسكر إلى بيوتهم ، فترى الأمير عز الدين الأقرم ، والأمير علاء الدين أقطوان إلى الأمراء ليجمعهم ، فقبض عليهما الأمير سيف الدين كوندك ، وأرسل الأمراء ففتحوا أبواب المدينة . ودخل الناس إلى بيوتهم بأقلامهم . ولما قبض على الأمير عز الدين الأقرم وعلاء الدين أقطوان نقلان إلى دار الأمير سيف الدين قلاوون بالقاهرة . وأطلق الأمير سيف الدين بلبان الزريقى أبواب القلة واستند للمصار .

ذكر وصول السلطان إلى قلعة الجبل وما كان من أمره

إلى أن انخلع من السلطنة

قال المؤرخ : ولما رأى السلطان توجه الأمراء إلى الديار المصرية وانفرادهم عنه ، جمع من كان بدمشق من بقايا العسكر المصرى والمساكر الشامية ، واستدعى العربان وأنفق الأموال فيهم بدمشق ، وسار إلى الديار المصرية . وكان رحيله من دمشق في يوم الجمعة ثانى شهر ربيع الآخر ، وسلم قلعة دمشق إلى الأمير

(١) انظر التبريد (ج ١ ص ٢٦٧ ص ٣) .

(٢) في الأصل « فتي » وذلك إمالة المؤلف داعية عند استعمال هذا الفعل .

علم الدين سنجر الدوادارى وجعله نائبا إلى حين عود الأمير عز الدين أيدمر
 النائب ، فلما وصل السلطان إلى غزة تسلل أكثر العربان وتفرقوا ، ولم يصل إلى
 بليس ومعه من العسكر الشامى إلا اليسير . فأعطى من بقى منهم دستورا ، فعادوا
 صحبة الأمير عز الدين أيدمر الظاهرى نائب الشام ، وكان وصولهم فى مستهل
 جمادى الأول . وكان الأمير سيف الدين قلاون لما عاد من غزاة سبىس جرد
 من العسكر الشامى بحلب الأمير ركن الدين بيبرس المعجمى الجالحى الصالحى ،
 والأمير عز الدين أزدمر الملائى ، والأمير شمس الدين قراستقر المعزى ، والأمير
 جمال الدين أفش الشمسى وغيرهم فى نحو ألفى فارس ، فلما اتصل بهم خبر هذا
 الاختلاف رجعوا إلى دمشق فى شهر ربيع الآخر وقد موا عليهم الأمير جمال الدين
 أفش الشمسى . ووصل الأمير عز الدين أيدمر النائب بالشام إلى دمشق هو ومن
 معه نفرج الأمراء الذين وصلوا من حلب يتلقونه . فلما التقوه سبه الأمير
 ركن الدين الجالحى والأمير عز الدين أزدمر الملائى . وقال له : « كيف فارقت
 السلطان » . فلما وصلوا إلى باب الجابية أخذ^(١)ه الأمير جمال الدين أفش الشمسى
 إلى داره وقال له : « تكون بدارى إلى أن يرد مرسوم السلطان ، ولا تكون سبب
 إقامة فتنة » . فتوجه معه إلى داره فأقام عنده إلى عشية النهار ، وجاء الأمير
 ركن الدين الجالحى وأزدمر الملائى إلى الأمير جمال الدين أفش الشمسى بعد
 صلاة العصر وأخذ^(٢)ا الأمير عز الدين النائب من عنده وتوجها به إلى القلعة
 وسلماه إلى الأمير علم الدين سنجر الدوادارى فتسلمه منهما وجعله بقاعة البعرة ،
 وومم عليه ومكنه من دخول الحمام . بجاء الأميران إلى القلعة فى يوم الاثنين بعد

(١) هو أحد أبواب دمشق (راجع النجوم ج ٧ ص ٢٨٧ جاشية ١) .

العصر واجتمعا بالدوادارى وانكرا عليه كونه مكنه من دخول الحمام ، وقالوا :
 « تسلمه إلينا نتوجه به إلى الديار المصرية » ، فقال : « إنه ما جاءنى ولا جاءكم
 مرسوم بالقبض عليه . وقد قبضتم عليه ووصل إلى هندى ، فكيف أسلمه إليكما
 وبأى حذر اعتذر إلى السلطان » . فأغلظوا له فى القول . فلما أنكر حالهم وثب من
 بينهما وأمر رجاله بالقلعة بخلق أبوابها . فوثب الأميران وجردا سيوفهما وخرجا
 على حمية ، وأطلق الدوادارى باب قلعة دمشق .

هذا ما كان بالشام .

أما الملك السعيد فانه لم يبق معه من الأمراء الأكابر إلا الأمير شمس الدين
 سنقر الأشقر والأمير علم الدين الحلبي ، والبقية من الممالك السعيدية ، كلاجين
 الزينى ومن يجرى مجراه ، فلما وصل إلى قرب المطرية فارقه الأمير شمس الدين
 سنقر الأشقر واقترد عنه وعن الأمراء .

قال : ولما بلغ الأمراء أن السلطان يقصد طلوع القلعة من وراء الجبل
 الأحمر ركبوا ليمتنعوا من الوصول إلى القلعة ، بغاء صحاب أسود وأظلم الوقت حتى
 أن الإنسان لا يرى رفيقه الذى يسايره ، فطلع السلطان إلى القلعة ، وما رآه . ولما
 استقر بها حاصره الأمراء وأحاطوا بالقلعة ، واتفق أن لاجين الزينى أنكر على
 الأمير سيف الدين بلان الزريقى وشتمه ، فتغير خاطره ونزل من القلعة وانحاز
 إلى الأمراء ، ونسلل الممالك من القلعة واحدا بعد واحد ونزلوا إلى الأمراء .
 وأشار الأمير علم الدين سنجر الحلبي على السلطان بالإفراج عن المعتقلين ، فأفرج
 عن الأمراء الشهرزورية وغيرهم ، واستشار السلطان الأمير المشار إليه فيما يفعل ،
 فقال : « أرى أن آخذ الممالك السلطانية وأهجم بهم على الأمراء وأفرق شملهم » . فقم

يوافقه على ذلك وتعدى الأمر أسبوعاً ، فأرسل السلطان إلى الأمراء وسألهم أن يكون الشام بكالهم ، فأبوا ذلك إلا أن يخلع نفسه من الملك . فالتمس من الأمير سيف الدين قلاوون والأمير بدر الدين بيسرى أن يعطوه قلعة الكرك ، فأجاباه إلى ذلك . وزل من القلعة بعد أن حلفوه ألا يتطرق إلى غيرها وأن لا يكتب أحداً من النواب ولا يستميل أحداً من الجند . وحلفوا له أنهم لا يؤذونه في نفسه ولا يغيرون عليه . وسفروا لوقته محبة الأمير سيف الدين بيقان الركني وجماعة يوصلونه إلى الكرك . فأوصلوه إليها وتسلمها من الأمير علاء الدين أيديكن الفخري النائب بها ، وتسلم ما بها من الأموال والذخائر . وكان خروجه من السلطنة في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وستمائة . فكانت مدة سلطته بعد وفاة والده ستين وشهرين وأياماً .

١٩٥ (٧) . ٢٩٢ (٧) . ٣٤٩ (٧)

ثم ملك بعده أخوه السلطان الملك العادل بدر الدين سلا مش بن السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالح وهو السادس من ملوك دولة الترك بالديار المصرية . (٥)

ملك بعد خلع أخيه السلطان الملك السعيد في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وستمائة . وذلك أنه لما سَفَر الملك السعيد إلى الكرك عرضت السلطنة على الأمير سيف الدين قلاوون فأبى ذلك ، وقال : « لم أخلع الملك طمعاً في السلطة إلا حفظاً للنظام ، وألفاً لأكابر الأمراء أن يتقدم عليهم الأصاغر ،

(١) كما في الأصل ، وفي النجوم بيقان « بالبدال لا بالبا . (النجوم ج ٧ ص ٢٧٠ ص ١١٩

ص ٢٧١ ص ١) .

(٢) ضبط الاسم بفتح السين أرضها وبكسر الميم أرضها فقلنا من النجوم (ج ٧ ص ٢٨٦

حاشية ٢) .

والأولى ألا تخرج السلطنة عن الذرية الظاهرية ، فأقام بدر الدين سلامش هذا وله من العمر سبع سنين ، وخطب له على المنابر ، وضربت السكة باسمه ، ودبر الأمر سيف الدين قلاون أتابكية الدولة . ولم يكن لذلك العادل معه غير مجرد الاسم . وأقر الصاحب برهان الدين السنجاري على الوزارة وعزل قاضي القضاة تقي الدين محمد بن الحسين بن زين على القضاء بالديار المصرية ، وفوضه إلى القاضي صدر الدين عمر بن قاضي القضاة تاج الدين بن بنت الأعز وذلك في جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين وستائة . وعزل القاضي شمس الدين بن شكر المسالكي ، والقاضي معز الدين الحنفى عن القضاء . ثم أعيدا بعد مدة يسيرة . وفوض قضاء الحنابلة للقاضي عز الدين المقدس الحنبلى . واستتاب الأمير شمس الدين سنقر الأشقر بالشام وسيره إلى دمشق . وكان وصوله إليها في يوم الأربعاء ثانى جمادى الآخرة . وحال وصوله طلب الأمير علم الدين سنجر الداودارى نائب قلعة دمشق وأمره بتسليم القلعة للأمير سيف الدين الصالحى . حسب ما رسم به ، قسملها واستمر نالبا بها .

وفى يوم الجمعة رابع جمادى الآخرة أمر الأمير شمس الدين بالقبض على الصاحب فتح الدين ابن القيسرانى وإيقاع الحوطة على موجوده وسير إلى الأبواب السلطانية تحت الإحتياط .

قال : وأخذ الأمير سيف الدين قلاون فى القبض على الأمراء الظاهرية ^(١)

(١) هو الصاحب برهان الدين أبو محمد الحضرمين الحسن بن على السنجاري الشافى (النجوم

٨٩ ص ٢٧٢ ص ١٣) :

(٢) من القبض على الأمراء الظاهرية ، راجع النجوم (ج ٧ ص ٨٨ ص ٢٩٢ ص ٩) :

وهو في أثناء ذلك يدير الأحوال ويفرق الأموال ويؤس الممالك ويمهد لنفسه المسالك .

وأما الأمير بدر الدين يسرى فإنه اشتغل بالشرب واللهو . فاجتمعت آراء الأمراء على استقلال الأمير سيف الدين قلاوون بالسلطنة ، فأجابهم إلى ذلك ، وخلع الملك سلاش من السلطنة . فكان (كذا) مدة وقوع أمم السلطنة عليه مائة يوم .^(١)

وكان حسن الصورة ، جميل الهيئة ، كثير السكون والحياء والعقل والأدب والثاني على صفر منه .

مَعِينُ التَّارِخِ
لأهل التَّارِخِ

(١) نفس المسألة يوم في النجوم (٧٥ ص ٥٥ حاشية ١) .

لمجز السفر الثامن والعشرون من كتاب

نهاية الأرب في فنون الأدب

على يد مؤلفه فقير رحمة ربه أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم
البكري التميمي القرشي ، عرفت بالنويري عفا الله عنه .

ووافق الفراغ من كتابته في يوم السبت المبارك التاسع والعشرين من ذي
الحجة سنة خمس وعشرين وسبعمائة للهجرة النبوية .

وذلك بالقاهرة المعزية همرها الله تعالى بالإسلام والسنة إلى يوم الدين .

يتلوه إن شاء الله تعالى في أول السفر التاسع والعشرين منه :

ذكر أخبار السلطان الملك المنصور سيف الدين

قلاون الألقى الصالحى النجمي

والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلم تسليما

كثيرا ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

جزوب
معين التاريخ
لأهل التاريخ

فهرس موضوعات الجزء الثلاثون من كتاب نهاية الأرب للنويرى

تقديم

سنة ثمان ومحمسين وستائة ١٣ - ١٥

ذكر أخبار السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحى .. ١٣

سنة تسع ومحمسين وستائة ١٧ - ٥١

ذكر تفويض الوزارة إلى صاحب الوزير بهاء الدين على بن

القاضى صديد الدين أبى عبد الله محمد بن سليم المعروف بابن حنا .. ١٨

ذكر القبض على جماعة من الأمراء المغزية .. ١٨

ذكر تفويض قضاء القضاء بالديار المصرية لقاضى القضاة تاج الدين

ابن بنت الأضر .. ١٩

ذكر ما اعتمده السلطان فى ابتداء سلطته ورتبه من المصالح وفرره

من القربات والأوقاف والعائر .. ٢٣

ذكر بناء قلعة الجزيرة .. ٢٣

ذكر وصول من يذكر من الملوك إلى خدمة السلطان ، وما قرره

لكل منهم وما عاملهم به من الإحسان .. ٢٦

- ذكر وصول الخليفة المستعصم بالله إلى الديار المصرية ومبايعته وتجهيزه
 ٢٨
 ذكر استيلاء الأمير علم الدين سنجر الحلبي على دمشق وسلطته
 بها ، وأخذها منه وتقرير نواب السلطان بها ٣٨
 ذكر ما اتفق بحلب من أمر النيابة ٣٩
 ذكر وصول طائفة من التتار إلى البلاد الإسلامية ، وما فعلوه بحلب
 وتقدمهم إلى حصص وقتالهم وانهمزامهم ، وما كان من خبر عودهم ... ٤٠
 ذكر الفلاء الكائن بحلب ٤٢
 ذكر اختلاف العزيزية والناصرية ، ومفارقة الأمير شمس الدين
 أفض البرلى البلاد ، وتولية الحلبي نيابة حلب وعزله ، وعود البرلى
 إليها وخروجه منها ، ونيابة البندقدار وعود البرلى إليها ثانية وخروجه ٤٣
 ذكر ما اتفق للسلطان بالشام في مدة مقامه بدمشق ٤٦
 ذكر ركوب السلطان إلى الميدان بدمشق ولعبه بالكرة ومن كان
 في خدمته من الملوك ٤٦
 ذكر الصلح مع ملوك الفرنج ٤٧
 ذكر الغارة على العرب والفرنج ٤٨
 ذكر هود السلطان إلى الديار المصرية ٤٩
 ذكر أخذ الشوبك ٤٩

سنة ستين وستمائة

٥٣-٧٧

- ٥٤ ذكر وصول الأمير شمس الدين سلار البغدادي وفيء من أخباره
- ٥٦ ذكر عود وصل السلطان من جهة الأنبرو
- ذكر عود رسل السلطان من جهة صاحب الروم ووصول رسله
- ٥٦ إلى السلطان ، وما قرره السلطان من بلاده
- ٥٨ ذكر عود رسل السلطان من جهة الأشكرى ، وخبر مسجد القسطنطينية
- ٥٩ ذكر حضور الأمير شمس الدين أفض البرلى المزبى إلى الديار المصرية
- ٦٠ ذكر القبض على علاء الدين طبرس الوزيرى نائب السلطنة بالشام
- ٦٢ ذكر وصول جماعة من التار إلى خدمة السلطان
- ٦٤ ذكر إنفاذ الرسل إلى الملك بركة
- ذكر تفويض نيابة السلطنة بالشام إلى الأمير جمال الدين النجيبى
- الصالحى
- ٦٥
- ذكر وفاة شيخ الإسلام عز الدين أبى محمد بن عبد العزيز بن عبد السلام
- ابن أبى القاسم بن الحسن بن أبى محمد السمسى الدمشقى وفيء من أخباره
- ٦٦

سنة إحدى وستين وستمائة

٧٩-٩١

- ٧٩ ذكر البيعة للإمام الحاكم بأمر الله أبى العباس أحمد العباسى
- ٧٩ ذكر القبض على الملك المغيث صاحب الكرك واعتقاله
- ٨٢ ذكر أخذ الكرك

- ذكر القبض على الأمراء وهم : الأمير سيف الدين بلهان الرشيدى ،
والأمير شمس الدين أفش البرلى ، والأمير عز الدين الديالى وما قتل
من الأسباب الموجبة لذلك ٨٤
- ذكر وصول رسل الملك بركة ٨٧
- ذكر توجه السلطان إلى نهر الإسكندرية ٨٨
- ذكر وصول التتار المستأمنين ٨٩
- سنة اثنتين وستين وستمائة ٩٣ - ١١٠
- ذكر تفويض أمر جيش حماة إلى الطوائى شجاع الدين مرشد الحموى ٩٣
- ذكر عمارة المدرسة الظاهرية وترتيب الدروس ٩٣
- ذكر وفاة الملك الأشرف مظفر الدين موسى صاحب حمص والرحبة ٩٤
- ذكر جلوس السلطان بدار العدل ومارتبته عند فلو الأسعار ٩٦
- ذكر جلوسه بدار العدل وما قرره من مشاركة أمناء الحكم للأوصياء ٩٨
- ذكر وصول جماعة من عسكر شيراز ٩٩
- ذكر سلطنة الملك السعيد ١٠٠
- ذكر ختان الملك السعيد ومن معه ١٠٣
- ذكر خبر غازية الخناقة ١٠٣
- ذكر وصول رسل الملك بركة ١٠٥
- ذكر توجه السلطان إلى الإسكندرية وتقديم سيف الدين عطاء الله
على عهده بركة ١٠٦

ذكر الواقعة الكائنة بين المسلمين والفرنج ببلاد الأندلس، وانتصار

المسلمين ١٠٨

ذكر مقتل الزين الحافظي ١٠٩

سنة ثلاث وستين وستمائة ١١١ - ١٢٦

ذكر خبر الحريق بالقاهرة ومصر واتهام أهل الذمة، وما قرره عليهم

من الأموال بسببه ١١٤

ذكر تفويض القضاة لأربعة حكام ١١٧

ذكر القبض على الأمير شمس الدين سنقر الأفرع ١٢٣

ذكر القبض على الأمير شمس الدين سنقر الرومي وذنبه السابقة ... ١٢٣

ذكر وفاة قاضي القضاة بدر الدين السنجاري وشيء من أخباره .. ١٢٤

سنة أربع وستين وستمائة ١٢٧ - ١٣١

ذكر عمارة جمر دامية ١٢٧

ذكر الوثوب على الأمير عز الدين الحلبي وضربه بالسكين وسلامته

وقتل الأمير صارم الدين المسعودي ١٢٩

سنة خمس وستين وستمائة ١٣٣ - ١٤٨

ذكر هود السلطان إلى الديار المصرية وبناء الجامع الظاهري .. ١٣٣

ذكر إقامة الجمعة بالجامع الأزهر بالقاهرة المحروسة وشيء من أخباره ١٣٥

ذكر إنشاء القصر الأبلق بالميدان بظاهر دمشق ١٣٦

- ١٣٧ ذكر توجه السلطان إلى الشام وحمارة قلعة صفد
- ذكر وفاة قاضى القضاة تاج الدين بن بنت الأضر ، ونبذة من أخباره رحمه الله ، ومن ولى قضاء الشافعية وغيره من مناصبه بعد وفاته ١٤٠
- ذكر وصول الشريف بدر الدين مالك بن منيف وإعطائه نصف إمره المدينة النبوية على ما كتبها أفضل الصلاة والسلام ١٤٦
- ذكر تسخير من يذكر بالقاهرة ١٤٧
- صسنة ست وستين وستائة ١٤٩ - ١٥٦
- ذكر أخذ الزكاة من عرب الحجاز ١٤٩
- ذكر ظهور الماء بالقدس الشريف ١٤٩
- ذكر خبر الحبيس النصرانى ومقتله ١٥١
- ذكر بناء القربة الظاهرية قرب العباسية ١٥٢
- ذكر إيقاع الحوطة السلطانية على الأملاك والهساتين وما تقرر على أربابها من المال ١٥٢
- ذكر وصول الأمير شمس الدين سنقر الأشقر من بلاد التار .
- والصلح مع التكفور هيتوم صاحب ميس ١٥٣
- سنة سبع وستين وستائة ١٥٧ - ١٦٧
- ذكر تجديد الحلف لللك السعيد ١٥٧
- ذكر توجه السلطان على خيل البريد إلى الديار متنكرا وهوده إلى
- نجمه بخربة الهموص ولم يعلم من به بتوجهه ١٦١

- ١٦٥ ذكر وفاة الأمير عز الدين أيدمر الحل الصالحى نائب السلطنة
- ١٦٦ ذكر توجه السلطان الملك الظاهر إلى الحجاز الشريف
- ١٦٩ - ١٧٢ سنة ثمان وستين وستائة
- ١٧٠ ذكر توجه السلطان إلى الشام جريدة
- ١٧٣ - ١٨٣ سنة تسع وستين وستائة
- ذكر القبض على الملك العزيز نحر الدين عثمان بن الملك المغيث
- ١٧٣ صاحب الكرك والأمراء الشهرزورية
- ١٧٦ ذكر حادثة السبل بدمشق
- ذكر سفر الشوانى الإسلامية إلى قبرس وكمرها وأمر من كان بها
- ١٧٨ وخلاصهم
- ذكر عود السلطان إلى قلعه ووصول رسل اليمن واهتمامه بأمر
- الشوانى ، وما أنعم به من الخلع والخيول على الأمراء والأجناد
- ١٧٩ ذكر القبض على من يذكر من الأمراء
- ١٨٠ سنة سبعين وستائة
- ١٨٥ - ١٩٥
- ذكر توجه السلطان إلى الكرك ثم إلى الشام وعزل الأمير جمال الدين
- التجيبى عن نيابة دمشق وتولية الأمير عز الدين أيدمر نائب الكرك نيابة
- السلطنة بالشام واستنابة الأمير علاء الدين أيدكن أستاذ الدار بالكرك
- ١٨٥ ذكر عود السلطان من حلب ورجوعه إلى الديار المصرية وعوده
- إلى الشام
- ١٨٨

١٩٠ ذكر إلقاء الحوطة على القاضي شمس الدين الحنبلى واعتقاله ...

١٩١ ذكر توجه السلطان إلى الصعيد ثم إلى الشام

سنة إحدى وسبعين وستمائة ١٩٣ — ٢٠٣

ذكر توجه السلطان إلى الديار المصرية على خيل البريد وعوده

إلى الشام ١٩٣

ذكر اعتقال الشيخ خضر والأسباب التى أوجبت ذلك ١٩٨

سنة اثنتين وسبعين وستمائة ٢٠٣ — ٢١٤

ذكر الظلم الذى وجد بباب القصر بالقاهرة ٢٠٣

ذكر توجه السلطان إلى الشام ٢٠٥

ذكر وصول الملك شمس الدين بهادر صاحب شميمصاط وثنى من

أخباره ٢٠٧

ذكر الظفر بملك الكرج ٢٠٨

ذكر ختان الملك المسعود نجم الدين خضر ولد السلطان الملك الظاهر

ذكر نكتة غريبة ٢١٠

ذكر ورود كتاب ممالك الحبشة ٢١١

سنة ثلاث وسبعين وستمائة ٢١٥ — ٢١٧

سنة أربع وسبعين وستمائة ٢١٩ — ٢٣١

ذكر شق الطواشى شجاع الدين عنبر المعروف بصدر الهاز وغيره .. ٢٢٠

- ذكر متجددات اتفقت بمد وصول السلطان إلى الديار المصرية فير
 ما تقدم ذكره ٢٢١
 ذكر توجه رسل السلطان إلى أشهيلية وما كان من خبرهم ... ٢٢٢
 ذكر اتصال الملك السعيد بابنة الأمير سيف الدين قلاون ... ٢٢٣
 ذكر توجه السلطان إلى الكرك واستبداله بمن فيها من الرجال وهوده ٢٢٧
 سنة خمس وسبعين ومستمائة ٢٣٣-٢٣٧
 ذكر وصول جماعة من أمراء الروم إلى خدمة السلطان وطأئهم له ٢٣٣
 ذكر ظهور المسجد بجوار دير البغل ، وإقامة شعائر الإسلام به ... ٢٣٥

غزوات السلطان الملك الظاهر

وفتوحاته وما استولى عليه من البلاد الإسلامية

- ذكر ما استولى عليه من القلاع والحصون والبلاد الإسلامية وأضافه
 إلى ممالكه ٢٣٩
 ذكر فتوح سواكن ٢٣٩
 ذكر فتوح خير ٢٤٠
 ذكر فتوح قرقيسيا ٢٤١
 ذكر فتوح بلاطنس وخبرها ٢٤٢
 ذكر تسليم صهيون وبرزية ٢٤٣
 ذكر أخبار الإسماعيلية وإهداء أممهم والإستيلاء على حصونهم ... ٢٤٤

- ٢٤٧ ذكر استيلاء السلطان على بلاد الإسماعيلية وشيء من أخبارها ...
- ٢٤٩ ذكر فتوح العليقة والرصافة
- ٢٥٠ ذكر فتوح بقية حصون الدعوة
- ٢٥٢ ذكر أخبار هذه الحصون
- ٢٥٥ ذكر غزوات السلطان وفتوحاته وما وقع من المصالحات والمهادنات
- ٢٥٧ ذكر مسير السلطان إلى عكا
- ٢٥٩ ذكر قصد متملك الأرمن حلب المحروسة
- ٢٦٢ ذكر محاصرة التار البيرة وتجزيد العساكر وانهازم العدو
- ٢٦٥ ذكر الفتوحات بالبلاد الفرنجية في هذه السفرة
- ٢٦٦ ذكر فتوح قيسارية
- ٢٦٧ ذكر التسوجه إلى حليث وأخذ حصن الملوحة وحيفا
- ٢٦٨ ذكر فتوح أرصوف
- ٢٧٢ ذكر ما ملكه السلطان لأمرائه من النواحي التي فتحها الله على يده
- ٢٨١ ذكر قصد البرنس صاحب طرابلس حصن وانهازمه
- ٢٨٢ ذكر إغارة العساكر على طرابلس الشام وفتح قلعة حلبا وقلعة عرقا
- ٢٨٤ ذكر إغارة العسكر على صور
- ٢٨٥ ذكر فتوح صفد
- ٢٩٠ ذكر غزوة سبس وأسر ملكها وقتل أخيه وعمره وأسر ولده معه ...

- ٢٩٢ ... ذكر قتل أهل قاراوسبي ذرارهم
- ٢٩٤ ... ذكر وقعة مع الفرنج كانت للنصرة فيها للمسلمين
- ٢٩٥ ... ذكر إغارة السلطان على صكا
- ٢٩٧ ... ذكر الصلح مع بيت الإسمتار على حصنى الأكراد والمرقب
- ٢٩٨ ... ذكر فتوح باغا
- ٣٠١ ... ذكر فتوح شقيف أرنون
- ٣٠٤ ... ذكر توجه السلطان إلى طرابلس وإغارة عليها
- ٣٠٥ ... ذكر فتوح أنطاكية
- ٣١١ ... ذكر ملخص أخبار أنطاكية
- ... ذكر ما اعتمده السلطان فى قسمة غنائم أنطاكية وإحراقه قلعتها .
- وما افتتحه مما هو مضاف إليها وهو : دير كوش وشقيف كفردين
- ٣١٧ ... وشقيف كفر تالميس
- ٣١٩ ... ذكر صلح القصير على المناصفة
- ٣١٩ ... ذكر فتوح حصن بفراس من الديورية
- ٣٢٠ ... ذكر الإغارة على صور
- ٣٣١ ... ذكر الإغارة على بلاد كر كر وأخذ قلعة شرموشاك
- ٣٣١ ... ذكر الإغارة على عكا
- ٣٢٤ ... ذكر فتوح قلعة صافيتا

- ٣٢٨ ... ذكر صلح أنطوطوس والمرقب ...
- ٣٢٩ ... ذكر فتوح حصن عكار ...
- ٣٣١ ... ذكر صلح طرابلس ...
- ٣٣٢ ... ذكر فتوح القرين ...
- ٣٣٣ ... ذكر صلح صور وما تقرر من المناصفة ...
- ٣٣٣ ... ذكر منازل التار البرة وكسرهم على الفرات وقتل مقدمهم جنفر ...
- ٣٣٥ ... ذكر فتوح كينوك ...
- ٣٣٦ ... ذكر إغارة عيسى بن مهنا على الأبنار ...
- ٣٣٧ ... ذكر الإغارة على مرعش ...
- ٣٣٧ ... ذكر غزوة سيس ...
- ٣٤٠ ... ذكر شيء من أخبار بلاد سيس وسبب امتلاء الأرمن عليها ...
- ٣٤١ ... ذكر منازل حصن القصير وفتحته ...
- ٣٤٣ ... ذكر وفاة الأبرنس صاحب طرابلس وما اتفق بعد وفاته ...
- ٣٤٤ ... ذكر غزوة النوبة ...
- ٣٤٨ ... ذكر غزوات النوبة في الإسلام ...
- ٣٥٠ ... ذكر غزوة الروم وقتل التار ...
- ... ذكر رحيل السلطان عن قيسارية وهرب عز الدين أيك الشيعي
- ٣٥٧ ... ولحقه بأبنا وعود السلطان إلى ممالكه ...

- ذكر ما اعتمده الأمير شمس الدين محمد بك بن فرمان أمير التركان
في البلاد الرومية... ٣٥٩
- ذكر وصول أبغا إلى بلاد الروم ومشاهدته مكان الوقعة وما فعله
بأهل الروم من القتل والنهب... ٣٦١
- العودة إلى سياقة أخبار السلطان الملك الظاهر... ٣٦٢
- سنة ست وسبعين وستمائة ٣٦٥ - ٣٨٤
- ذكر وفاة السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحى رحمه
الله تعالى... ٣٦٥
- مدة حكمه... ٣٦٧
- ذكر أخبار السلطان الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة قاءان بن
السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدار الصالحى وهو
الخامس من ملوك دولة الترك... ٣٦٩
- ذكر وفاة بدر الدين يلبك الخزنदार... ٣٧١
- ذكر القبض على من يذكر من الأمراء والإفراج عنهم ومن مات
منهم... ٣٧٢
- ذكر عزل قاضى القضاة محسى الدين عبد الله بن محمد بن عين الدولة
وإضافة عمله إلى قاضى القضاة تقى الدين بن زين... ٣٧٥
- ذكر وفاة الشيخ خضر وشىء من أخباره... ٣٧٦

سنة سبع وسبعين وستمائة ٣٨٥ - ٣٩١

ذ كر توجه السلطان إلى الشام وإقامته بدهشقي وتجرید العساكر ٣٨٥

ذ كر أمر شاد الدواوين ٣٨٦

ذ كر وفاة الأمير اقش التجیسی الصالحی ٣٨٧

ذ كر وفاة الصاحب بهاء الدین ٣٨٨

ذ كر وفاة مجد الدین عبد الرحمن بن الصاحب بهاء الدین عمر بن المدم ١٩٠

ذ كر وفاة الشیخ العارف نجم الدین أبو المعالی محمد بن الخضر الشیبانی

الحسری ٣٩١

سنة ثمان وسبعين وستمائة ٣٩٣ - ٤٠٠

ذ كر عود الأمراء من الغزاة وظهور الوحشة والمتافرة بینهم و بین

السلطان الملك السعید وتوجیههم إلى الدیار المصرية ٣٩٤

ذ كر وصول السلطان إلى قلعة الجبل وما كان من أمره إلى أن أنخلع

من السلطنة ٣٩٥

فهرس موضوعات الكتاب ٤٠٣

التعریف بمصطلحات المتن ٤١٧

(٢٠) التعريف بمصطلحات المتن

أتاك :

أطلق هذا اللفظ في أيام الممالك
بمصر على مقدم العساكر أو القائد
العام ، على اعتبار أنه أبو العساكر
والأمراء جميعا ، وكان يسمى أتاك
العساكر .

الأخوة الإسمائية :

من الطوائف الدينية العسكرية ،
وهي تدعى للبابا مباشرة بالطاعة وزاد
ما يجرى بذله لها من الأراضى ، وجعل
لها معظم رجال الكنيسة حشر ما يرد
إليهم من دخل .

الأخوة الداوية :

أو الفرسان الداوية ، وفكرة
إنشاء هذه الطائفة فكرة دينية

وعسكرية ، واتخذوا الصليب الأحمر
شعارا لهم فجعله الفرسان على أوديتهم
البيضاء واتخذوه الأجناد على ستراتهم
السوداء .

ارذو :

لفظ منولى معناه المسكر .

أستادار (الأستدارية) :

هو الذى يتولى شئون مسكن
السلطان أو الأمير ومصر وفاته وتنفذ
فيه أوامره ، وهو فارسى مركب .

أمرء العربان :

فرقة من العساكر غير النظامية فى
الجيش ، وكانت تؤلف طلائع الجيش
النظامى . وهم مشاة أو فرسان .

(٢١) لوحظ أن بعض مصطلحات المتن تحتاج إلى مزيد من التعريف ، فتم حصرها والتعريف بها .

ولزيد من الإيضاح راجع « التعريف بمصطلحات صحيح الأئمة » للإستاذ محمد فتيل

البقل ، مركز تحقيق التراث ، ١٩٨٥ :

٤٦٧ = أمير جاندار :

وظيفته أن يستأذن على دخول
الأمراء للخدمة ويدخل أمامهم إلى
الديوان ويقدم البريد مع السوادار
وكاتب السر .

أمير مجلس :

هو الذى يتحدث على الأطباء
والكهان ومن شاكلهم . ولا يكون
إلا واحدا . ومن عمله أيضا أنه يتولى
أمر مجلس السلطان أو الأمير فى
الترتيب وغيره .

البرواتاء :

لفظ فارسى معناه فى الأصل
الحاجب . وقد أطلق فى دولة
السلجقة الروم بأسيا الصغرى على
الوزير الأكبر .

البريدى :

هو الذى يحمل البريد ، وله رؤساء
يسمون مقدمى البريد .

٤٦٨ = البشارة :

كثيرا ما يذكر المؤرخون هذه
العبارة بعد إيراد حادث سار .
والبشارة أيضا تعنى الرسائل التى كان
السلطانين يبعثون بها إلى البلاد
والأعمال فى الأعياد والمواسم والحوادث
السارة .

البطاقة :

نوع من المكاتبات تحمل على
أجنحة الحمام ، وتكتب على ورق
خاص رقيق للغاية من صنف الورق
الشامى يعرف بورق الطير .

بطريك :

لقب يكتب به من الأبواب
السلطانية للولوك المسيحيين والمنديين
منهم خاصة . وكان يكتب بهذا اللقب
إلى رئيس الروم .

البقط :

يطلق البقط على المسال الذى فرضه
المسلمون على النوبة بعد فتحهم لها .

ويعرف المقرئ في خطه
القط بـ قوله : « القط ما يقبض
من شئ النوبة في كل عام ويحمل إلى
مصر ضريبة عليهم » .

التركاكش :

لفظ فارسي الأصل ومعناه
الكثافة أو الجمعة التي توضع فيها
النشاب .

التشاريف :

ملابس خاصة ينعم بها السلطان،
وهي على طبقات أعلاها ما هو مختص
بالأمراء المقدمين من التواب وغيرهم .

التكفور :

لفظ أرمني معناه المتوج، وقد
أطلقه الأرمن على ملوكهم .

التوقيع :

جامت التسمية من التوقيع على
حواشي القصص وظهورها كالتوقيع
بخط الخليفة أو السلطان أو الوزير
أو صاحب ديوان الإنشاء أو كتاب

الدست أو من جرى مجراهم بما
يعتمد في القضية التي رفعت القضية
بسببها .

الجاشنكير :

هو الذي يتحدث في أمر السباط
مع الأستادار ويتذوق الشراب قبل
السلطان في الولائم والأسمطة خوفا من
أن يدم فيه سم أو نحوه وهي كلمة
فارسية مركبة من لفظين .

الخاندارية :

فئة من محاليلك السلطان أو الأمير،
ووظيفته أن يستأذن على دخول
الأمراء للخدمة ويدخل أمامهم إلى
الديوان .

جرائد الجند :

الجريدة الفرقة من العسكر الخيالة
لا رجالة فيها .

الجدار :

موظف يتصدى لإلباس السلطان
أو الأمير ملابسه .

الجوكان :

هو المحجن الذي تضرب به الكرة ويعبر عنه بالصوبجان أيضا ، واللفظ فارسي .

الجوكندار :

لقب يطلق على الذي يحمل الجوكان مع السلطان في لعب الكرة .

الخاصكية :

هم الذين يلزمون السلطان في خلواته ، ويسوقون المحمل الشريف .

الخركاة :

الجمع خركاوات . وهي كالييت تصنع من الخشب على هيئة مخصوصة تغشى بالجوخ ونحوه وتحمل في السفر لتكون في الخيمة لتقى العسكر من البرد .

خشداش :

الخشداشية هم الأمراء الذين تشاؤا بمالك عند سيد واحد ، فبنت بينهم رابطة الزمالة القديمة .

الدبوس :

آلة حربية ، وفي محيط المحيط « الدبوس هراوة مملكة الرأس في طرفها كتلة صغيرة » .

الدربند :

تجمع دربندات ، لفظ فارسي ومن معانيه المضائق والطرقات والمعابر الضيقة .

الدوادار :

اسم فارسي مركب من لفظين ، أحدهما عربي ومعناه الدواة ، والثاني دا ومعناه ممسك . وصاحب وظيفة الدوادارية هو الذي يحمل دواة السلطان أو الأمير ويتولى أمرها مع ما يلحق ذلك من المهمات نحو تبليغ الرسائل عن السلطان أو الأمير وتقديم القصص إليه والمشاورة على من يحضر إلى الباب الشريف وتقديم البريد .

الركابية :

وهم الذين يحملون السلاح حول

السياط :

معناه المائدة السلطانية ،

أو ما يسط على الأرض لوضع الأطعمة

وجلس الآكلين .

السنجق :

لفظ تركى يطلق فى الأصل على

الرمح ، والجمع سناجق ، وهى رايات

صفر صفار يحملها السنجقदार .

شاد الدواوين :

كانت مهمته مرافقة الوزير

والتمش على مالية الدواوين وعلى

موظفيها وعادته امرأة عشرة .

الشوانى :

جمع شبنى أو شنبية وهى سفن

حربية كبيرة وتجمع أيضا شون ويقابلها

فى الفرنسية Galire ويظهر أن الشوانى

كانت أكبر السفن الحربية فى مصر

وأكثرها استعمالا .

الخليفة أو السلطان عند ركوبه فى

المواكب ولهم زى خاص بهم .

الريدا فرنس :

لقب ملك فرنسا ، ولفظه : ريد

تعريب للكلمة الفرنسية Roi بمعنى

ملك .

الريدارغون :

لقب يلقب به المملوك من غير

المسلمين ، وخاصة مملوك بلاد أرغون

وهى البلاد الرومية . وقد ورد فى القاب

صاحب القسطنطينية .

الزردخانه :

دار السلاح ، وهى كلمة فارسية

مركبة وتعنى أيضا السجن المخصص

للاجرمين من الأمراء وأصحاب الرتب .

السلاح دار :

هو المنوط بحمل سلاح السلطان

أو الأمير الذى هو فى خدمته . ومن

وظيفته أيضا الإنراف على السلاح

خجانه وما هو من نوايج ذلك .

المصاحب :

في أصل اللغة اسم للصديق ،
وهو من القلب الوزراء المدنيين
اختصوا به دون العسكريين .

العلامة السلطانية :

هى ما يكتبه السلطان بخطه
على صورة اصطلاحية ، وكان لكل
سلطان علامة وتوقيع .

القصة :

هى الطلب أو الإلتماس ويرفعها
صاحب الحاجة أو الشكوى إلى
السلطان عن طريق موظف خاص اسمه
قصة دار .

القومصن :

اسم ملك طرابلس من الإفرنج .

كاتب الجيش :

يعاون ناظر الجيش ، ويعاونه
مجموعة من الكتاب .

كاتب الدرج :

هم الطبقة الثانية من موظفى
ديوان الإنشاء وسموا كتاب الدرج
لكتابتهم المناشير والتواقيع والتغالب
ونحو ذلك فى دروج الورق .

كاتب الدست :

هم الطبقة الأولى من موظفى
ديوان الإنشاء وهم الذين يجلسون مع
كاتب السر بمجلس السلطان .

المراسيم السلطانية :

يكتبها مستوفى الصحة ويعلم عليها
السلطان وتصدر المراسيم السلطانية
كذلك بإعتناء الرسل .

مستوفى الصحة :

يشارك الوزير ويوصى بإلزام
الكتاب بما يلزمهم من الأعمال
وتحريها .

المنجنيق :

جميعها منجنيقات وهي من أسلحة
الحصار وقد عرفها المماليك وتقدمت
صناعتها على أيديهم .

المهتار :

لقب يطلق على كبير كل طائفة
من غلمان البيوت .

النائب :

من موظفي الديوان يقوم برفع
الحسابات أو الكتابة عليها .

الوالى :

هو الذى يشرف على الولاية ،
ويقابل فى أيامنا (المحافظ) وكان
الوالى يعين بمرسوم من السلطان ،
وكان عمل الولاية الاسامى هو القيام
بأعمال الشرطة وحفظ النظام .

اليزك :

ويجمع أيزاك ومعناها الطلائع .

مطبعة دار الكتب ١٠٨٧٥ / ١٩٩٠ / ٣٣٠٠

رقم الإبداع بدار الكتب ٤٤٥٧ / ١٩٩٠

الترقيم الدولي 1 - 2445 - 01 - 977 ISBN
